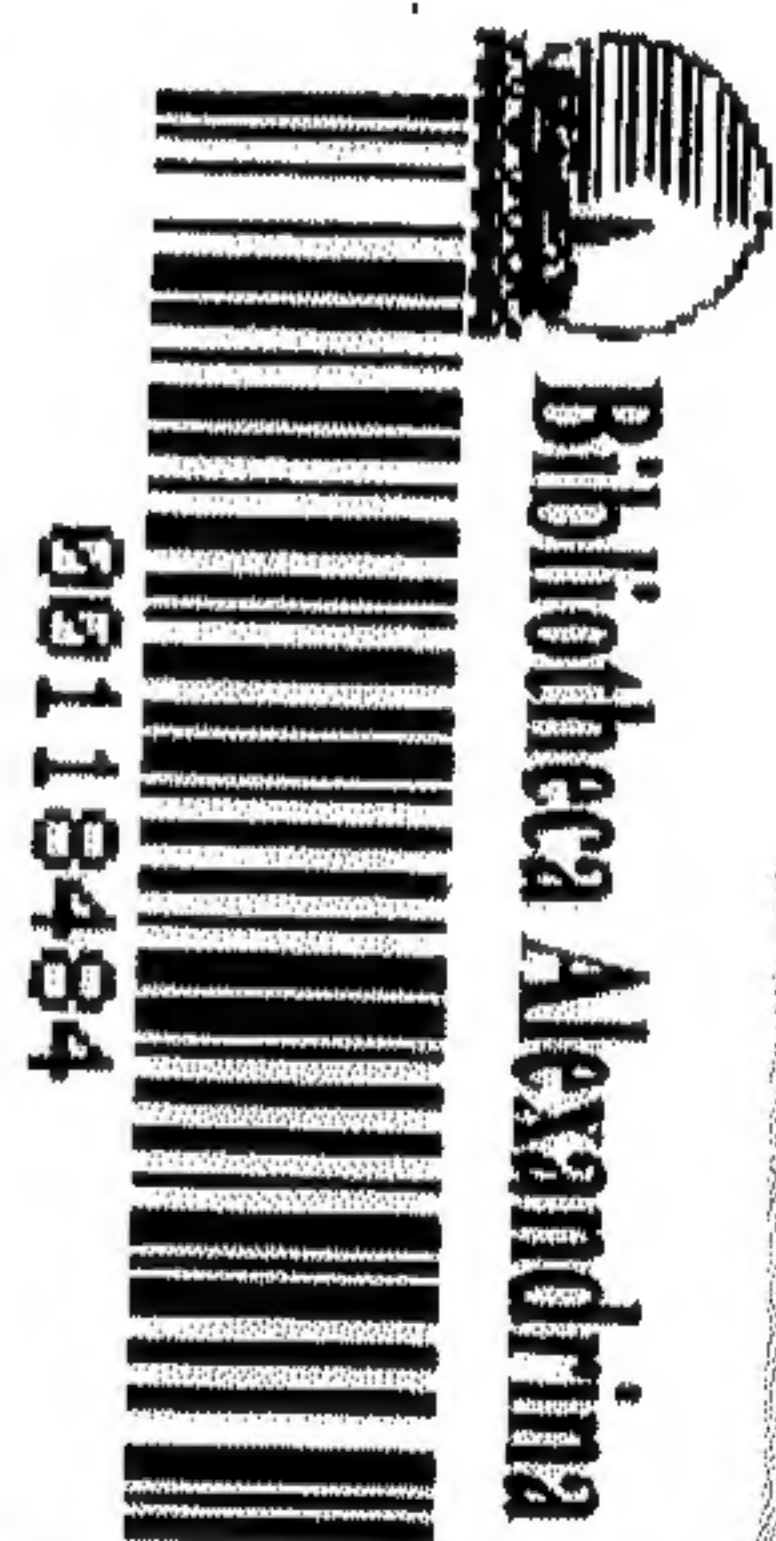


مكتبة مدبولي
القاهرة

أحمد حُرُوش
قصة ثورة
٢٢ يوليو



أحمد حُرُوش


General Organization of the Alexen-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

خريف عبد الناصر

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية : ١٩٨٤

الهيئة العامة : مكتبة الإسكندرية

أحمد حمروش

رقم التسجيل ٩٦٢٠٥٢

رقم التصنيف ٣٠٩٠٩٠٩

رقم التسجيل ٣٠٩٠٩٠٩

٩
٧٥

قصة ثورة ٢٣ يوليو



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

فريد عبد الناصر

الجزء الخامس

مكتبة مدبولي - القاهرة

الاهداء

الى كل من أيد جمال عبد الناصر أو
عارضه .. حيا
وكل من بكاه أو هاجمه .. ميتا
والى الاجيال الجديدة التي لم تعيش
فترة عبد الناصر ..
ولكنها سوف تملك في المستقبل ..
الكلمة في حكم مصر

مقدمة

اكاد اشعر اليوم اننى قد اديت بعض الواجب نحو ثورة يوليو ، عندما انتهيت من كتابة الجزء الخامس (خريف عبد الناصر) وبه تكتمل قصة عبد الناصر مع الثورة ولكن قصة الثورة نفسها لم تكتمل بعد .
والمحاولة فى هذا الكتاب تتعرض اساسا للقضية الوطنية التى تعرضت لعدد من الهجمات منذ وثبتت الحركة العسكرية الى السلطة ، واتخذت تحت قيادة جمال عبد الناصر مسارا وطنيا وقوميا تقدما .

وركنزة الهجمات كانت اسرائيل الدولة التى زرعت فى الارض العربية عام ١٩٤٨ ثم تحولت مع الوقت ومع مساعدات الدول الامبريالية انجلترا وفرنسا ثم الولايات المتحدة الى مجتمع عسكرى متوثب لاداء دور رجل الشرطة فى المنطقة .

واصبحت المشكلة الفلسطينية من هموم اى نظام عربى فرضت نفسها على قادة ثورة يوليو الذين حرصوا منذ البداية على عدم التورط فى معركة مع اسرائيل قبل ان تتوطد اقدامهم فى مصر ، ويتم جلاء قوات الاحتلال البريطانية عن منطقة قناة السويس .

وارتفع فى هذه المرحلة شعار (السلام والصلح) بين مصر واسرائيل وتمت اتصالات سرية بين قادة ثورة يوليو وبين حكومات اسرائيل فى محاولة لاستقرار الاوضاع فى المنطقة والتفرغ لبناء المجتمعات على اسس عصرية .
ولكن حكومات اسرائيل اثبتت خلال هذه الاتصالات التى يكشف هذا الكتاب كثيرا من اسرارها ، انها لا تريد

السلام ٠٠٠ ولعبت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية دورا بارزا في تحطيم اتصالات السلام وايضا في تحطيم الشخصيات السياسية الاسرائيلية التي لجأت الى هذا السبيل .

وتأكدت هذه الحقيقة عندما اشتركت اسرائيل في غزو مصر مع الدولتين الكبيرتين فرنسا وانجلترا عام ١٩٥٦ قبل أن تمضي خمسة أشهر على جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض مصر .

وبدأت منذ هذه اللحظة صفحة توتر جديدة في حياة ثورة يوليو ٠٠٠ تفرض نفسها على كافة الأحداث ٠٠٠ لأنها أثبتت أن في اسرائيل قوة معادية تتحرك في تناسق تام مع الامبريالية لضرب النظام الوطني التقدمي في مصر الذي لم يقبل الركوع وأصر على تثبيت الاستقلال الوطني واشعال روح القومية والعمل من أجل الوحدة العربية وبناء المجتمع الاشتراكي .

وكان عدوان يونيو ١٩٦٧ الذي انزلت ثورة يوليو الى مصيده التي أعدتها في اتقان أجهزة الصهيونية التوسعية والمخابرات الامريكية .

ويسلط هذا الكتاب الضوء على هذه الفترة الهامة من تاريخ شعبنا التي أعقبت الهزيمة القاسية والتي أصر فيها الشعب على تثبيت جمال عبد الناصر في موقعه قائدا وزعيما رغم فداحة الهزيمة وما كشفت من أخطاء وانحرافات لبعض رجال الثورة وقادتها .

ويظهر الكتاب الدور الخطير الذي لعبه جمال عبد الناصر منذ ١١ يونيو ١٩٦٧ عندما عاد بعد التنحي تحت ضغط الارادة الشعبية وليست هناك قوات مسلحة يمكن ان تحول بين الجيش الاسرائيلي وبين الوصول الى القاهرة .

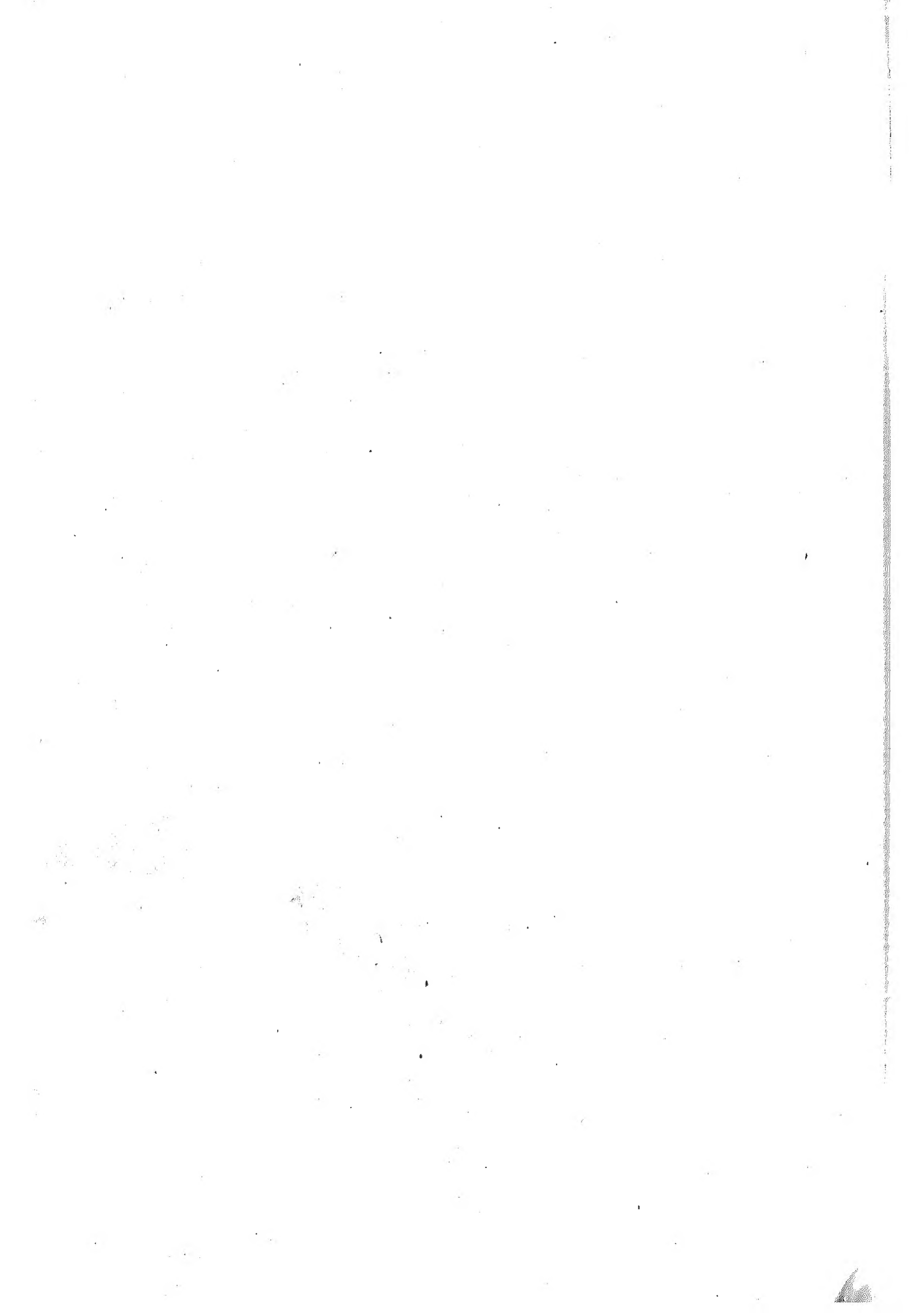
مسئولية خطيرة لا يتحملها الا زعيم وطني قادر على الاستفادة من أخطائه وتجاربه ، متمرس على المقاومة ، مخلص لشعبه ، مدرك لحقائق اللعبة السياسية مستفيد الى أقصى حد من علاقاته الدولية ، مؤمن بدور القوة العسكرية واثق من أن المستقبل مع حرية الشعوب .

نهض جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة بما يعجز عنه
الانسان الفرد ... وحقق بعض ما يعتبر من الاحلام ...
ووصل بالقوات المسلحة الى حرب الاستنزاف التي يضيء
هذا الكتاب جوانبها الرائعة التي تستحق تمجيد التاريخ
وفخر الشعب .

وبينما كان جمال عبد الناصر على قيد خطوة من
النصر ... وعلى بعد أسابيع من تنفيذ خطة الدفاع ٢٠٠
لتحرير كافة الأرض المحتلة ... وعقب أيام من قبول مبادرة
روجرز التي قبلها لدفع الصواريخ الى الضفة القنال الغربية
استعدادا للهجوم الشامل ... شاء القدر أن يختطفه من
شعب مصر ومن الأمة العربية ، وأن ينهى دوره التاريخي ،
وأن تكتب الكلمة الأخيرة لزعامته الحية في قصة ثورة
٢٣ يوليو .

مات جمال عبد الناصر في الخريف - ٢٨ سبتمبر
١٩٧٠ - وفي خريف العمر أيضا - ٥٢ عاما .
مات ... وهو في قمة الأداء وروعة العطاء .
مات ... قبل أن تكتحل عيناه بالأرض المحررة ...
وقبل أن يقلده الشعب اكاليل النصر .
مات ... ولكن دوره لم يمت ... ولن يموت .

أحمد حمروش



الباب الأول

مصر وإسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧

(إسرائيل ؟ نحن لا نتحرش بأحد ، شريطة ألا
تسمى إسرائيل للخروج من حدودها)

صاغ صلاح سالم وزير الارشاد
القومي في حديث مع الصحفي
الفرنسي بيير دي بيتمان عام ١٩٥٣

الفصل الأول

ثورة يوليو واسرائيل

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التي اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة التي راح ضحيتها جنود وضباط ، وابتعد من ذلك عن الصلح ان يقال ان السبب كان في ازمة انتخابات نادي الضباط . . ان الامر في رأيي كان ابعد من هذا واعمق اغوارا) . .
جمال عبد الناصر - فلسفة الثورة

كانت حرب فلسطين سببا من الاسباب الرئيسية التي دفعت الى تنظيم الضباط الاحرار الذي قاده جمال عبد الناصر بعد انتهاء القتال ، وتوقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وظهور اسرائيل قسرا كدولة جديدة غير معترف بها فوق ارض الوطن العربي .

تم اندفاع الجيش المصرى الى حرب فلسطين بغير حسابات دقيقة ،
وبتغيير مفاجئ فى موقف رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى ، بعد ان
صدر قرار الملك فاروق للجيش بالتحرك .

عندما عرض النقراشى الموضوع فى مجلس الشيوخ سألته فؤاد
سراج الدين سكرتير الوفد - كما قال لى - (هل قدرت موقف الانجليز و وعد
بلفور ؟) .

وكان جواب النقراشى غريبا ومعبرا فى نفس الوقت اذ قال :
- انا احب اطمئنتك على ان الانجليز ايضا .. هم الذين يشجعوننى
على ذلك !!

وهكذا زال تردد النقراشى الذى عبر عنه فى البداية .. بتشجيع
الانجليز وأوامر الملك ..

وانتقل الجيش من حالة الجمود والسكون التى فرضها الاستعمار
البريطانى بعد توقيع اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ واستمرت نصف قرن ،
الى حالة الحركة والحرب .

قال الفريق عثمان المهدي رئيس اركان حرب الجيش للضباط وهو
يودعهم :

- انكم تدخلون نزهة فى فلسطين !

وكان الجيش بعيدا تماما عن تشكيلات الحرب .. كل سلاح منفصل
بذاته ، وليست هناك مجاميع للقتال ، والاسلحة متخلفة ، ولا توجد مناورات
والتقدم النسبى الوحيد كان قاصرا على اسلحة الدفاع الجوى
والمهندسين التى شاركت الى حد ما فى خطة الدفاع عن مصر اثناء الحرب
العالمية الثانية .

كانت طوابير الجيش لا تخرج الا لتوديع المحمل وهو فى طريقه الى
مكة ، او لتشييع الجنازات العسكرية .. وفيما عدا ذلك كانت أسوار
الثكنات مغلقة على الجنود فى حياة رتيبة قاسية .. مدة التجنيد خمس
سنوات ، ومرتب الجندي ٥٤ قرشا فى الشهر فقط ، يتناول وجبات العدس
مرتين كل يوم ، وثلاث مرات فى الايام الثلاثة التى لا يباع فيها اللحم !

تغير واجب الجيش فجأة .. فأصبح للقتال ، بعد ان كان يستخدم
أحيانا كأداة للقمع والارهاب ضد الحركات الوطنية ، مثلما حدث فى تزييف
أحزاب الاقلية للانتخابات لحرمان الوفد من التعبير عن ارادة الشعب ، وفى
استخدام اسماعيل صدقى له كقوة طوارئ احتياطية لقمع مظاهرات الطلبة
والعمال عام ١٩٤٦ ، وفى القيام بأعمال البوليس عندما قام ضباط البوليس
باضرابهم الشهر عام ١٩٤٧ الذى اعتصموا فيه بجديقة الازيكية بالقاهرة .

كان التغيير مفاجئا وغير مدروس .

اطلق الجنود فى العريش يوم ٦ مايو ١٩٤٨ طلقات رصاص بلغت
١٠٠٠ رطل طلبة دون أى انضباط او سيطرة ، تحت وهم هجوم للصهيونيين
على المدينة لانهم لم يدرّبوا على القتال من قبل .

قال لى ذلك أحد ضباط الكتيبة الاولى مشاة محمد احمد البلتاجى
عضو مجلس الشعب ، ومحافظ الجيزة الاسبق ، وهو يروى لى صورة
دخول كتيبته الى فلسطين يوم ١٥ مايو باعتبارها مقدمة للجيش .
(دخلت الكتيبة فى عربات اوتوبيس احضرها مقاول انفار اسمه
(بامية) ، وعبرت الحدود فى الخامسة فجرا ثم توقفت حوالى العاشرة
صباحا وهم فى الطريق الى غزة امام بعض طلقات من جيب صهيونى فى
كفار دروم . . ولم تدخل غزة الا فى السابعة مساء بعد الغروب) .

لم تكن هناك خرائط عسكرية . . وكل المعلومات هى ما توافرت من
دراسة تاريخ المعارك فى الحرب العالمية الاولى . . والاعتماد فى الحركة
والتوجيه كان على سؤال الفلسطينيين .

وفى استجواب قدمه فؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ الذى كان
يضم ٢٠ وفديا ، ١٣٨ من انصار الحكومة ، ونظر فى جلسة سرية ، اثناء
الهدنة الاولى ، قال سراج الدين للنقراشى انه تبين منذ الايام الاولى ان
الجيش لا تتوافر عنده الحملة الكافية ، وان الحكومة تستولى على وسائل
النقل المدنية لحساب الجيش .

وتبين من رد النقراشى انه رفض اقتراحا لنورى السعيد بتشكيل قيادة
مشتركة تقوى مصر قيادتها بدعوى (انه لا يتحمل متاعبهم ، ولا يضع رقبتهم
فى ايديهم) !!

لم يقرر المجلس عدم الثقة بالحكومة . . واطال خيال الصبر .
وقد اجبرت الظروف محمود فهمى النقراشى على مصارحة الملك
عبد الله ملك شرقى الاردن اثناء اجتماع زعماء العرب فى شتورا بלבنان بأن
الجيش العربى قد تخلى عن واجبه .

ومن علامات الارتجال ايضا ان حيدر باشا قائد الجيش قد طلب اثناء
حضره اجتماع مجلس الوزراء قبل ١٥ مايو ضرب تل ابيب بالقنابل
لوجود الزعماء الصهيونيين هناك !

ولكن هذه الصورة لا تشمل كل ضباط الجيش المصرى ، ولا تعبر
تعبيرا كاملا عن روح النضال التى كانت كامنة فى صدور بعضهم .

تطوع بعض الضباط فى حرب فلسطين ، مدفوعين اساسا بروح وطنية
وصلات خاصة مع الاخوان المسلمين الذين كانوا من اكثر التنظيمات نشاطا
فى الدعوة للحرب تحت شعار التعاون الاسلامى .

وكانت هذه الظاهرة ردا حاسما على بعض الذين تصوروا ان الجيش
هو هؤلاء الضباط الكبار الخاضعون خضوعا مطلقا للسراى ، مترهلون
الكروش ، جامدون العقلية ، البعيدون تماما عن اية روح ثورية .

ومنذ اللحظة الاولى فى القتال ، اثبت الجنود والضباط انهم ورغم
نقص الاسلحة والتدريب والوعى بطبيعة الحرب - لم تكن تنقصهم روح
البذل والتضحية . . واستشهد الكثيرون من الجنود والضباط وهم يحاربون
ببساطة نادرة .

وخلال القتال توهج الوعى ، واكتشف البعض ان خلا ما فى القاهرة

هو الذى وضعهم فى هذه المأساة .. وكانت هذه هى بداية نسج خيوط تنظيم الضباط الاحرار .

وكانت بريطانيا ترقب المعارك وقواتها تحتل مصر .. وهى فى رضا تام عن كل ما يدور فوق أرض فلسطين .

مصر تستهلك ارضيتها الاسترلينية التى كانت تدين بها بريطانيا خلال انحراب العالمية الثانية والتى بلغت حوالى ٤٠٠ مليون جنيه .. معسكرات الاعتقال فتحت فى صاحية (هاكستيب) اسم المعسكر السابق للجيش الامريكى - وضمت الوطنيين والشيوعيين الذين قادوا حركة الجماهير منذ عام ١٩٤٦ ، حيث تزايدت المظاهرات واضرابات الطوائف ، واشتعل الصراع الطبقي ، وتجسست العداوة للاستعمار البريطانى .. والجيش المصرى يتعرض لضربات وهزائم ، تحولها الصحافة الى انتصارات ، ولكنها تكسر افئدة الجنود وصفار الضباط .. والاحكام العرفية تؤدى دورها فى خدمة الاستعمار والسراى واحزاب الاقلية .

ليس هذا فقط ، بل ان بريطانيا كانت تحرك اتباعها فى الدول العربية لتنفيذ مخطط يستهدف الحاق العار بجيش مصر .

خلال حصار القوات المصرية فى الفالوجا ، تقدمت شرقى الاردن بمشروع اعده جلوب لفك حصار القوات .. ويقضى بأن تقوم القوات العراقية والاردنية بهجوم يشغل الاسرائيليين بينما تدمر القوات المصرية اسلحتها الثقيلة ، وتتسلل هاربة على الاقدام خلال طريق سرى فى الصحراء يعرفه ضابط بريطانى من ضباط جلوب .

رفضت القيادة المصرية اقتراح جلوب لما يحيط بصاحبه من شكوك .. وطلبت الى الضابط والجنود المصريين ان يدافعوا حتى آخر طلقة . وكان جمال عبد الناصر واحدا من ضباط هذه القوة المحاصرة .. الذين رفضوا الانسحاب .

وقال جمال عبد الناصر لزملائه ان الانسحاب من الفالوجا يضعف المفاوضات المصرية فى مفاوضات رودس التى اسفرت عن اتفاقية الهدنة . بقيت القوات المصرية محاصرة ، تقاوم فى صمود وشجاعة .. وفشلت خطة ايقاعها فى كمين مشروع جلوب - الذى جاء فى كتاب صهيونى صدر بعد الحرب - ان اسرائيل كانت على علم بالخطة وانها كانت تنتظر القوات المصرية لبادتها .

ولم تدمر الاسلحة المصرية الثقيلة ، لتكسب بريطانيا من وراء ذلك ، ضعفا لقوات الجيش ، وشراء لاسلحة جديدة باعتبارها المصدر الرئيسى لتسليح الجيش .

كانت المرارة التى استولت على قلوب رجال الجيش من هزيمة قواتهم راجعة الى نظام الحكم فى مصر ، حيث كانت للاستعمار اليد العليا فى تحريك الامور .. واكتشف الانكباء منهم الدور الذى لعبته السياسة البريطانية فى دفع الجيش للقتال ، واكتشفوا ايضا ان الذين اثاروا قضية فلسطين على اساس روح التعصب الدينى قد قدموها للجماهير بشكل خاطئ وضار .

اسرائيل وحركة الجيش :

ولنضجت الظروف لقيام تنظيم موحد بين رجال الجيش ، وظهرت المنشورات الاولى للضباط الاحرار ، تأكيدا لقيام جبهة من الضباط المنتمين لتنظيمات مختلفة .. الاخوان المسلمين والشيوعيين ومصر الفتاة والمستقلين .

ركزت منشورات الضباط الاحرار على القضية الوطنية ، والفساد الذى استشرى فى الجيش والمجتمع .. ولم تتعرض كثيرا لمشكلة زرع اسرائيل كدولة عنصرية فى ارض الوطن العربى .

والاهداف الستة للضباط الاحرار انطوت اساسا على مشاكل مصرية محلية تستهدف القضاء على ثلاثة .. الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين ثم الاقطاع واخيرا الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .. وتستهدف اقامة ثلاثة .. عدالة اجتماعية وجيش وطنى قوى وحيادة ديموقراطية سليمة .. ولم تذكر شيئا عن اخطار الصهيونية التوسعية ، ولم تتحدث عن موقف معين تجاه اسرائيل .

وعندما انتصرت حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو انشغلت بتحقيق اهدافها (المصرية) وواجهت من القضايا والمشاكل ما استنفد طاقة قادتها الشبان ، ولم يكن هناك وقت او تطلع الى ما يدور خلف الحدود .

عبر جمال عبد الناصر عن ذلك فى كتابه الذى سجل فيه خواطره واصدره باسم (فلسفة الثورة) .. اذ قال :

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال ان السبب كان أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش .
انما الامر فى رأى كان أبعد من هذا وأعمق اغوارا) ..

ويجسد جمال عبد الناصر افكاره المعبرة عن هذا الاتجاه قائلا :
(كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن احلامنا كلها كانت فى مصر ..
وكان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض امامنا فى خنادقه ، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه) ..
ويستطرد جمال عبد الناصر قائلا : انه وجد من خبرته وتجربته فى فلسطين ان مصر (فالوجا اخرى على نطاق كبير) .

ويروى ما كتبه ضابط اسرائيلى اسمه (يردهان كوهين) فى جريدة (جويش اوبزرفر) كبرهان على صحة ما يقول ، فقد كتب الضابط الاسرائيلى الذى ذكر انه التقى بجمال عبد الناصر اثناء مباحثات واتصالات الهدنة قائلا :

(لقد كان الموضوع الذى يطرقه جمال عبد الناصر معى دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة مقاومة السرية لهم فى فلسطين ، وكيف استطعنا ان نجند الرأى العام فى العالم وراءنا فى كفاحنا ضدهم) .

ولم يكن جمال عبد الناصر هو الوحيد من قادة الضباط الاحرار الذى شارك واستبسل فى حرب فلسطين .. زكريا محيى الدين كان معه فى القالوجا ، وكمال الدين حسين كان من أول المتطوعين ، وصالح سالم وعبد الحكيم عامر كانا فى قيادة القوات ، وقد قتل القائمقام احمد عبد العزيز الذى كان من ارائل المتطوعين ايضا وهو يركب بجوار صلاح سالم فى عربة جيب .. واشترك ضباط الطيران ، عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم فى القتال ، وتعاونوا مع فوزى القاوقجى .. واغلبية الضباط الاحرار كان لهم دور فى حرب فلسطين وكثير منهم حصلوا على اوسمة للبطولة والشجاعة .

اما محمد نجيب الذى عين بعد الحركة رئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للجمهورية ، فقد كان من ابطال حرب فلسطين .. جرح ثلاث مرات وامضى ٢٩ يوما فى مستشفى القنال ثم العجوزة ، وتولى فى عهد قيادة اللواء احمد فؤاد صادق قيادة المجموعة الضاربة من اللوائين العاشر والرابع مشاة ، وكان عبد الحكيم عامر قد عين اركان حرب هذا اللواء ، ويوسف صديق الذى كان فى احدى كتائب المقدمة ولم يعد للقاهرة الا بعد أن أصابه نزيف الرئة .

كان رأى محمد نجيب فى هذه الحرب الا تكون صيدا ما بين جيوش نظامية ، وانما تكون قتالا شبيها بحرب العصابات التى يقوم بها المتطوعون فى مواجهة العصابات الصهيونية .

ولم تصدر تصريحات عدوانية ضد اسرائيل فى سنوات الثورة الاولى .

عندما زار محمد نجيب غزة فى ٢٣ اغسطس ١٩٥٢ اكتفى بتمنى (الاستقلال لفلسطين) .

وقال صالح سالم فى حديث مع الصحفى الفرنسى بير دى بثمان (اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش باحد ، شريطة الا تسعى اسرائيل للخروج من حدودها) .

وأذاعت اذاعة قبرص التى كان يشرف عليها البريطانيون ان المباحثات مع جون فوستر دالاس التى تمت فى مايو ١٩٥٢ لم تتناول قضية فلسطين .

وفى الاحتفال بالعيد الاول للحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قال صالح سالم فى مؤتمر صحفى حضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر الذى بقى صامتا حيث كانت قد اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية .. قال صالح سالم (ان مصر ترفض الشرط الذى تضعه بريطانيا للانضمام الى حلف دفاعى لان ذلك يشمل بريطانيا التى يجب ان تسوى خلافاتها معها حول السويس ، واسرائيل التى لا تزال فى حالة حرب معها من الوجهة الفنية بسبب ارض محتلة ومتنازع عليها) .

المشكلة مع اسرائيل لم تصبح بعد ملفا فى ادراج المحفوظات .. ولكنها ايضا ليست قضية ملتهبة ، ولا تسجل احاديث وتصريحات قادة الثورة هجوما على اسرائيل ولا رغبة فى تدميرها .

ولعل الضباط الاحرار كانوا يعملون - كما يقول جان لاكوتير في كتابه عبد الناصر - بشـــمار غامبيتا حول الالزاس واللورين (لنفكر في ذلك باستمرار ، ونمتنع عن الكلام فيه) .

وفى الجانب المقابل وجه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل تحية لحركة الجيش في اليوم التالي لانتصارها متمنيا النجاح للواء محمد نجيب . وفى ١٨ اغسطس ١٩٥٢ جاهر رئيس حكومة اسرائيل بسياسة الانفتاح على مصر (الجديدة) ، وراحت صحافة نل ايبب تتحدث عن امكانية تحقيق السلام .

وكانت جريدة المصرى قد نشرت يوم ١٤ مارس ١٩٥٢ تقول ان موسى شاريت وزير خارجية اسرائيل يبذل مساعى لدى انطونى ايدن لتحقيق امنيته فى الوصول الى صلح بين اسرائيل والدول العربية ، لاعتقاده ان هذا يخلق صلة رسمية بين بلاده ودول الشرق الاوسط .

كان هذا امتدادا لما سبق ان اعلنه وزير الخارجية الوفدى محمد صلاح الدين فى هيئة الامم بنيويورك عام ١٩٥٠ عندما قال (ان مستر اتشيسون يعرب عن رأى جميع الوفود العربية الاخرى حين يقول ان الحكومات العربية تود ان توقف الولايات المتحدة مساعيها لدى هذه الحكومات لعقد الصلح مع دولة معتدية ضربت عرض الحائط بجميع قرارات الامم المتحدة) .

ولكن احمد الشقيرى يقترح ان تجرى محادثات بين اسرائيل والدول العربية تحت اشراف الامم المتحدة .

فرصة سلام :

انتصار حركة الجيش المصرى يفتح صفحة جديدة فى العلاقات العربية - الاسرائيلية . . وتصريحات المسئولين من الجانبين تتسم بالهدوء والحرص على عدم التورط فى موقف عدوانى .

وفى هذا الجو الهادىء تجاوزت الامور حدود التصريحات الى الاتصالات السرية او شبه العلنية .

يقول جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) ان الصحافة الاسرائيلية وبصفة خاصة جريدة (هآرتسى) كانت تتحدث عن امكانيات الحل السلمى (مستندة الى مواقف محمود فوزى سفير مصر فى لندن فى ذلك الوقت والى محمد نجيب نفسه الذى قيل انه اعترف فى مجالسه الخاصة بوجود اتصالات سرية) .

ويقول جان لاكوتير الذى عمل هو وزوجته سيمون مندوبين للصحافة الفرنسية فى مصر خلال سنوات الثورة الاولى (من المؤكد انه فى نهاية عام ١٩٥٢ دارت اتصالات بين ممثلين شبه رسميين عن كلا البلدين لكنها لم تقدم طويلا) .

ويشير لাকوتير الى حديث تم مع بن جوريون غداة وفاة جمال عبد الناصر صرح فيه بن جوريون بقوله : (نجيب كان شخصا ممتازا وكان ذكيا وناعما واعتقد انه كان بإمكاننا ان نعقد صلحا معه) .

ولكن محمد نجيب قد اكد لى انه لم تجر معه أية اتصالات سرية
للصلح مع اسرائيل . . ومع هذا فانه رغم اصابته ثلاث مرات فى حرب
فلسطين لم يكن عنيفا فى موقفه من اسرائيل ، وشغلته مثل بقية زملائه
قضية تحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين .

ولم تعرف حركة الجيش موقف العداء من اليهود المصريين مطلقا ،
فقد ذهب احمد انور قائد البوليس الحربى - على سبيل المثال - مندوبا عن
اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية فى ٢ نوفمبر ١٩٥٢ لحضور افتتاح
محلات شيكوريل فى شارع ٢٦ يوليو او - فؤاد سابقا . . .

ويذكر التاريخ ان عددا من الرأسماليين اليهود المصريين امثال
شيكوريل ومزراحى و . . كانوا ضد الصهيونية لما كانت تمثله احلامها من
خطر على مصالحهم الخاصة .

يؤكد هذا الاتجاه ما نشرته مجلة دير شبيجل الالمانية فى عدد
١٩ ديسمبر ١٩٦٦ عندما قالت (لقد كان انتصار الالمان المعادين للسامية
مصدر فرحة غير عادية للصهاينة ، فقد اعتبروا ذلك هزيمة لليهود الغربيين
المتنورين الذين لم يعيروا الصهيونية أى اهتمام وفضلوا ان يتطوروا وسط
الامم الاخرى) .

الفترة الاولى للثورة تبدو مناسبة تماما لحل مشكلة اسرائيل بطريقة
سلمية ، ولكن مجلس قيادة الثورة لا يستطيع ان يقفز فوق قضية التحرير
والجلاء ولا يستطيع ان يهمل مشكلة شعب فلسطين . . ومع ذلك فهناك
اتصالات تتم فى سرية . . تستهدف توضيح وجهات النظر وصولا الى
السلام لشعب فلسطين والمنطقة .

ساعد على ذلك وجود موسى شاريت وهو يهودى شرقى فى موقع
المسئولية ، وحرصه على وجود علاقة طيبة مع العرب ، ضمانا لامن
اسرائيل .

كان موسى شاريت وزيرا لخارجية اسرائيل الى ان خلف بن جوريون
رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ وكان معارضا لاتجاهاته الاستفزازية
الرافضة للحلول الوسطية مع العرب ، والتي ادت الى هجوم اسرائيلى على
معسكر للاجئين الفلسطينيين فى غزة فى أغسطس ١٩٥٣ ومصرع ٢٠ عربيا
وجرح ٦٠ منهم عدد كبير من النساء والاطفال ثم هجوم اسرائيلى اخر فى
اكتوبر ١٩٥٢ على قرية (كيبية) الاردنية ومصرع ٦٢ شخصا من غير
المقاتلين .

ولذا كان فى تعيين موسى شاريت رئيسا للوزراء بادرة امل فى
الوصول الى حل سلمى معقول .

قال لى ثروت عكاشة انه كان يلتقى ببعض الاسرائيليين اثناء عمله
ملحقا عسكريا فى باريس - ضمن اتصالاته العديدة التى يفرضها عليه
منصبه - وانه فهم منهم ان الفرصة متاحة لوجود حل سلمى وخاصة بعد
وصول شاريت لمنصب رئيس الوزراء . . وقد استمرت هذه الاتصالات خلال
ثروت وغيره من الرسميين فى سفارة مصر ، وخاصة عبد الرحمن صادق
نول عن المكتب الصحفى .

ولم تكن اتصالات ثروت عكاشة بالاسرائيليين وحسدهم ، ولكنه كان يتصل ايضا ببعض الشيوعيين المصريين من اليهود الذين اخرجوا من مصر ، وعلى رأسهم هنري كورييل .

لعبت هذه المجموعة دورا بارزا في اعداد ثروت عكاشة بالمعلومات ، والسعى لتقريب وجهات النظر والوصول الى حل سلمي لمشكلة الشرق الاوسط . . وقد استمرت علاقة ثروت عكاشة بهذه المجموعة سنوات طويلة ، حتى بعد ان عين سفيرا لمصر في ايطاليا ، ثم وزيرا للثقافة .

وفي مجال الوصول الى سلام عادل وحقيقي تحرك ايضا المناضل المصري البارز يوسف حلمي المحامي عضو اللجنة العليا للحزب الوطني الجديد ثم عضو الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) الذي غادر مصر بعد الافراج عنه عقب اعتقاله عام ١٩٥٢ وكان سكرتيرا عاما للمجلس المصري للسلام .

وفي باريس تشكلت لجنة عربية اسرائيلية عام ١٩٥٤ ضمت يوسف حلمي ودكتور مراد خلاف ، والكاتب الاسرائيلي آموس كينان ، وابل لابيل عضو تنظيم (ماتسبين) فيما بعد . . واتصل يوسف حلمي بوزير الصحة الاسرائيلي مازريلاي العضو في مجلس وزراء موسى شاريت .

ورغم اختيار يوسف حلمي البقاء في باريس في ظروف معيشية قاسية الا انه كان على صلة ايضا بثروت عكاشة ، يناقش معه القضية المصرية الاسرائيلية ، ويكتب له وجهة نظره الهادفة الى تحقيق السلام لرفعها الى المسئولين .

وتجاوب يوسف حلمي في ذلك مع رأى مجلس السلام العالمى الذى صرح احد قادته البارزين انطوان ثابت رئيس مجلس السلم اللبناني عقب اجتماعه في بودابست خلال يونيو ١٩٥٢ بقوله .

(لقد عاش العرب واليهود بسلام حينما لم يثر المستعمرون النزاع بينهم وسيعيشون بسلام اذا منع تدخل الاجنبى) .

كما صرح المندوب السوفيتى في مجلس الامن اندريه فيشنسكى بقوله في ابريل ١٩٥٤ : (لقد تجاهلت الدول الغربية القضايا الرئيسية . . وهذا يدل على ضرورة ايجاد حل سريع لقضية فلسطين فهذه قضية تؤدى الى نزاعات وعدم تفاهم مما يعكر العلاقات ويعقد الوضع في المنطقة . . ان هذا التعقيد لا يتفق مع مصالح المواطنين الاسرائيليين والعرب المحبين للسلام) . وكانت الحكومة السوفيتية قد استأنفت علاقاتها الدبلوماسية مع

اسرائيل في يوليو ١٩٥٢ بعد ان كانت قد قطعتها نتيجة لنسف بعض الارهابيين للسفارة السوفيتية في تل ابيب ، وذلك بعد اعتذار الحكومة الاسرائيلية وتعهدا بعدم تأييد أى حلف معاد للاتحاد السوفيتى .

وكان جورجى مالنكوف رئيس الوزراء السوفيتى في ذلك الوقت قد صرح امام مجلس السوفيت الاعلى عندما حاولت بعض الصحف الاستعمارية تفسير استئناف العلاقات بين البلدين بأنه موجه ضد الدول العربية بقوله :

(ان هذا الزعم لا اساس له من الصحة ، فانا نرغب في توطيد علاقات الصداقة مع الدول العربية) .

وكانت هناك الى جانب هذه الاتجاهات خطوات اخرى مبشرة .. فقد ساعد موقف جمال عبد الناصر المتزن على نجاح مهمة المبعوث الامريكى اريك جونستون الذى حضر الى مصر مبعوثا من ايزنهاور عام ١٩٥٣ لحل مشكلة مياه نهر الاردن بين اسرائيل وجاراتها العربية .. وذلك خلال المفاوضات المصرية البريطانية لتحقيق الجلاء والتي كانت قد توقفت يوم ٨ مايو ١٩٥٣ .

واثناء ذلك صرح موسى شساريت في الذكرى الخامسة لقيام اسرائيل
١٥ مايو ١٩٥٣ ، بأن اسرائيل على استعداد للانضمام الى نظام دفاعي
او اقليمي اذا عقد العرب صلحا معها .

هذا في الوقت الذي صرح فيه تشرشل كما جاء في جريدة المصري يوم ١١ مايو ١٩٥٢ بأنه يريد ان يرى اسرائيل اقوى دولة في شرق البحر الابيض المتوسط .

ولكن قادة حركة الجيش لم يكونوا على استعداد مطلقا لقبول أى نوع من أنواع التحالف العسكرية .. كما ان محمد نجيب رد على تشرشل ردا غير مباشر نشرته الصحف في اليوم التالي بقوله : (ان معاهدة ١٩٣٦ الملغاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال) .

واثناء مرور رالف بانثس الامين المساعد للامم المتحدة بالقاهرة عام ١٩٥٣
وضع على مائدة البحث فكرة عقد صلح مقابل قطاع يسمح بربط مصر
بالاردن ، مع اعطاء الاسرائيليين حق المرور الى ايلات .

ومنذ أصبح موثى شاريت رئيسا للوزراء في يناير ١٩٥٤ توقفت الاعمال العدوانية الاسرائيلية على الدول العربية المجاورة ، ولكن على غير رضا من رجال المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

وما ان وقعت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا حتى هاجت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ضد سياسة شاريت السلمية ، وانفردت باتخاذ مواقف عدائية مضادة .

كان بن جوريون زعيم هذه المؤسسة قد خرج من منصب رئيس الوزراء مجبرا بعد ان فشلت سياسته المستفزة ، و اعلن انه سوف يعتزل في مستعمرة (سد بوكو) . المنعزلة في صحراء النقب للتعبد والتأمل ، ولكنه اشترط ان يخلفه في وزارة الدفاع بنحاس لافون ، وأن يكون موسى دبان رئيسا لاركان جيش الدفاع الاسرائيلي . . والاثنان من اخلص تلاميذه الاوفياء .

ولكن بن جوريون لم يعتزل في الصـــــــــــــحراء ليتعبد ويتأمل ..
وانما ليراقب ويدبر .. ووضع خطته على اساس تخريب المفاوضات
المصرية البريطانية بارسال فريق من العملاء في يوليو ١٩٥٤ لتفجير القنابل
في دور سينما مملوكة للبريطانيين في الاسكندرية ، ومكتب الاستعلامات
الامريكي ، لاظهار حركة الجيش في مظهر العجز وعدم القدرة على تثبيت

قواعد الأمن في المجتمع .

ولكن المؤامرة لم تنجح وضبطت خلية العملاء التي اعترفت ، وكان ما عرف باسم (فضيحة لانون) وزير الدفاع الذي دبر العملية واعترف بدوره على بن جوريون باعتباره العقل المفكر والمدير للمؤامرة .. ومع ذلك ظل موشى شاريت في موقعه ، واستمرت الاتصالات به بعد ان ثبت عدم صلته بهذا الحادث بل وادانته له .

ولم يهدأ بن جوريون ، بل واصل تنفيذ خطته ، فأرسل في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ بوساطة اتباعه في الحكومة ووزارة الدفاع مركبا اسراياليا (بات حالييم) يرفع العلم الاسرائيلي في محاولة لعبور القنال ، ولكن السلطات المصرية احتجزت الباخرة واعتقلت بحارتها للتحقيق بدعوى اطلاقهم النار على مراكب صيد مصرية في خليج السويس .. وقد استندت السلطة المصرية في موقفها الى اتفاقية القسطنطينية التي تعطيها الحق في ذلك ، ومع ذلك وافقت على تشكيل لجنة تحقيق دولية اثباتا لحسن نيتها .

ولم تفلح هذه المحاولة ايضا في خلع شاريت من موقعه ، كما لم تفلح في تخريب فرص البحث عن طريق السلام .

في هذه الفترة مر بالقاهرة نائبان بريطانيان من حزب العمال .. ريتشارد كروسمان المعروف بميوله الصهيونية والذي ألف كتابا فيما بعد باسم (مصر وعبد الناصر) ، وموريس اورباخ الذي حضر ليدافع عن الجواسيس الاسرائيليين المعتقلين .



وقد استغل اورباخ فرصة وجوده في القاهرة فجعل من نفسه وسيطا بين جمال عبد الناصر وموشى شاريت ، الذي وصل به الامر الى اقتراح اعادة ١٠٠.٠٠٠ مائة الف لاجيء فلسطيني الى ديارهم ، مما اعتبر على حد قول جان لاکوتير (اشجع بادرة قام بها مسئول اسراييلي كبير) .

كانت المحادثات والاتصالات السرية تدور كما يقول انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) حول موضوع اللاجئين الذين قبل شاريت تعويضهم وعودة عدد منهم دون السماح بعودتهم جميعا حتى لا يكتسحوا الاسرائيليين على حد تعبيره .. كما ان شاريت لم يستطع ان يلتقى مع رغبة جمال عبد الناصر في ايجاد حدود ملاصقة او مشتركة بين مصر والاردن ، حيث قال شاريت : ان صحراء النقب قد ضمت لاسرائيل بناء على قرار التقسيم الذي وافقت عليه هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وقد رد جمال عبد الناصر برفض ذلك حيث ان هذا يضئاف الى ماكانت اسرائيل تحتله وقت الهدنة عام ١٩٤٩ ، وكانت القوات الاسرائيلية لم تحتل جنوب النقب بعد .. وقال عبد الناصر ان المباحثات يجب ان تكون على طريقة (خذ وهات) وليس على طريقة قبول الامر الواقع حيث تأخذ اسرائيل النقب لانها ضمن حدود التقسيم وتأخذ منطقة الجليل الاعلى لانها غزته بقواتها .

ولكن شاريت ومؤامرات بن جوريون تحيط به وتخرجه لم يكن في وضع يسمح له بأي تنازلات عن أراض قامت عليها دولة اسرائيل . ومع ذلك فقد خلقت صلاته جوا من الهدوء بين اسرائيل والدول العربية كان يمكن أن يؤدي مع الوقت الى اتفاق سلام مقبول . ولكن عاملا خارجيا فرض نفسه على الموقف أيضا ، فبعد أن كان دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة قد أعلن بعد حركة الجيش مباشرة أن هناك شرطين أساسيين لتأييد ومساعدة الولايات المتحدة للنظام الجديد في مصر وهما : الاتفاق مع بريطانيا والصلح مع اسرائيل . بعد ذلك تغير الموقف عندما اكتشف جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بعد ذلك أن مصر ترفض الانضمام للحلاف العسكرية تحت المظلة الأمريكية ، وأن توقيع اتفاقية الجلاء مع البريطانيين لم يحقق كل أحلامهم في المنطقة . . . وأن الصلح مع اسرائيل مازال سرايا .

تغير موقف دالاس من مصر بعد أن قررت مصر الاشتراك في مؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الأفريقية رغم معارضة الولايات المتحدة لذلك في اتصالاتها السرية وتصريحاتها العلنية . . . ورغم عدم ترحيب عدد من المصريين بهذا الاتجاه في وقتها ومنهم محمد حسنين هيكل الذي اعترف في مقالاته بعد ذلك بأنه كان مخطئا في رأيه لما لقيته ثورة يوليو من ترحيب وما لقيه جمال عبد الناصر من احترام وتقدير .

وأراد دالاس أن يلقي مصر درسا ، فأعاد بن جوريون الى منصب وزير الدفاع الاسرائيلي في منتصف فبراير ١٩٥٥ ، وبن جوريون هو السياسي الاسرائيلي الذي تبني ربط سياسة اسرائيل بالولايات المتحدة في مؤتمر بلتيمور ، بعد أن كان حاييم وايزمان هو مهندس ربط علاقة اسرائيل ببريطانيا أيام كان نفوذها في الشرق الاوسط هو الاقوى .

تخريب فرصة السلام :

أراد دالاس أن يوجه ضربة للجيش المصري تهز هيئته ووحدته ، وتشعره أن الدولة التي تسند لها الولايات المتحدة قادرة على الحاق ضربات مهينة بمصر ، وأنه لا سبيل الا الخضوع للسياسة الأمريكية والابتعاد عن هذه التيارات الوطنية في آسيا وأفريقيا .

وشرع بن جوريون ينفذ خطته في حماس متسرع على غزة التي كان جمال عبد الناصر يزورها في أوائل فبراير ١٩٥٥ وأعلن للجنود هناك بناء على ثقته بالهدوء الذي صاحب وجود شاريت في قمة المسئولية بأن احتمالات الهجوم الاسرائيلي عليهم غير واردة .

ولكن لم تكد تمضي عدة أيام على عودة بن جوريون الى وزارة الدفاع حتى قام الجنود الاسرائيليون في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بغارة وحشية على غزة قتلوا فيها ٢٩ من رجال الجيش حسب الرقم الذي أعلنه جمال عبد الناصر بعد ذلك في حديث مع مراسل جريدة النيويورك تايمز في ٦ أكتوبر ١٩٥٥ ، وقتلوا أيضا عددا من المدنيين الفلسطينيين ، وأدان الجنرال سيرنز

كبير مراقبي قوات الهدنة عملية اسرائيل واعتبرها اعتداء مديرا متعمدا .
خربت هذه الغارة التي دبرها بن جوريون محاولات السلام بين مصر
واسرائيل ووضعت جمال عبد الناصر في وضع حرج أمام الجنود وأمام
الشعب .

ويقول المقربون من جمال عبد الناصر في هذه الفترة انه ظل عدة ليال
ساهرا يكاد لا يغفو ، يفكر في حل يواجه به هذا الموقف الجديد .

وقد حرص على الا يتورط في معارك تصادمية لم يهيئ نفسه لها
بعد فحظر الاسلحة مازال مفروضا على مصر ورغم الطلبات
المتكررة من أمريكا فانها لم تمد مصر بقطعة سلاح واحدة ، سوى المسدس
المذهب الذي حمله دالاس هدية لمحمد نجيب من ايزنهاور وكان مسدسا
بلا ذخيرة .

والقاعدة البريطانية في القنال مازالت تحت سيطرة البريطانيين وجلاء
الجنود البريطانيين لم يتم بعد ، ومنع الاسلحة كان هو القبضة التي يمكن بها
خنق مصر .

وأصبح جمال عبد الناصر مثل الاسد المحاصر وهو على قيد
أسابيع من السفر الى باندونج .

نسفت هذه الغارة محاولات السلام وحالة الهدوء ، وفرضت على جمال
عبد الناصر اتخاذ عدة قرارات .

أولا ضرورة شراء الاسلحة من أي دولة لمواجهة التهديد والعدوان
الاسرائيلي لحماية للوطن وكرامة الجيش .

ثانيا السماح للفدائيين بالانطلاق من قطاع غزة الى داخل
اسرائيل ولكن تحت القيادة المصرية وتوجيهها وكان جمال
عبد الناصر حريصا على منع ذلك خلال فترة الامل في الوصول الى
اتفاق سلمي .

ثالثا ارتبطت هذه الغارة في ذهن عبد الناصر بدخول العراق
الى حلف بغداد قبلها بأسابيع فاتخذ قرارا من شقين أولهما تشديد الهجوم
على نوري السعيد خلال صوت العرب وثانيهما محاولة تقوية ميثاق الضمان
الجماعي لجامعة الدول العربية لمواجهة به حلف بغداد .

يقول جمال عبد الناصر (كان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر الذي
جعلنا نبحث وندقق في تعريف السلام ومعنى السلام وتوازن القوى في
المنطقة) وذلك في خطبته أمام طلبة الكلية الحربية في ٢ أكتوبر ١٩٥٥ ،
والتي أشار فيها لأول مرة الى أن المخابرات المصرية قد استطاعت أن تحصل
على وثيقة تثبت ان أمريكا وبريطانيا تمدان اسرائيل بالسلاح .
وكانت فرنسا حتى ذلك الوقت هي المصدر الرئيسي لامداد اسرائيل
بالسلاح .

وفي بحثه عن طريق جديد للامداد بالسلاح بعد الغارة ، لم يتردد في
مطالبة كل من الدولتين أمريكا وبريطانيا بأسلحة جديدة ، بعد أن كانت

القوات المسلحة المصرية قد وصلت الى حالة متخلفة تماما عن أسلحة العصر ، فلم يكن عندها سوى ست طائرات صالحة للعمل وذخيرة تكفي لمعركة مدتها ساعة واحدة وذلك كما ذكر ، ناتنج في كتابه (ناصر) .
وكانت صحف الغرب قد نشرت ان اسرائيل تستطيع حشد ٢٥٠٠٠٠ عسكري خلال ٤٨ ساعة بينما قوات مصر لم تكن تتجاوز ١٠٠٠٠٠ اذا اضيفت لقوات الدول العربية وصلت الى حوالي ٢٠٠٠٠٠ ٠٠٠ وقد رفض جمال عبد الناصر قائلا (هذا هو التوازن الذي يموهون به علينا) .

وعدد جمال عبد الناصر أنواع الأسلحة التي حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا بناء على الوثيقة الفرنسية التي وقعت في يد المخابرات المصرية والملحق العسكري المصري ثروت عكاشة ، كما عدد أيضا الأسلحة الفرنسية والأمريكية ، وذلك في نفس خطبته أمام طلبة الكلية الحربية .

حققت غارة غزة هدفها المنشود في تخريب فرص السلام ، ولكنها لم تحققه فيما يتعلق بأضعاف حركة الجيش أمام الشعب والجنود ٠٠٠ ولم ينجح دالاس وبن جوريون في اذلال مصر .

وكان القرار الذي اتخذه جمال عبد الناصر باطلاق الفدائيين من غزة ، عاملا من العوامل التي ساعدت الصقور المتشددون في اسرائيل ، وأعطتهم فرصة مواصلة غاراتهم العدوانية .

ووقع موشي شاريت في حرج شديد اذ كان مضطرا للصمت على الغارات الاسرائيلية التي تكررت على دير البلح وخان يونس والصبحة والحدود الاردنية والسورية والتي اضطرت همرشولد للقول (هذه بربرية لا مبرر لها) وأعلن الجنرال بيرنز انها (تثير لدى كل القلق والخطر حول المستقبل) .

وتشكلت من الفلسطينيين فرق (الفدائيين ردا على بن جوريون) ٠٠٠ ولكن حركتهم داخل اسرائيل كانت تقابل بغارات على المدنيين ٠٠٠ ويتوتر الموقف ويشح بآمل السلام ، وتزداد سيطرة بن جوريون والمؤسسة العسكرية .

وأصبح وجود موشي شاريت رئيسا للوزراء نشازا ، هذا الجو العاصف ٠٠٠ واتهمته الصحف بالضعف .

ولم يكن رد مصر على غارة غزة بالفدائيين فقط ٠٠٠ ولكنه كان أيضا بعقد صفقة الأسلحة التشيكية ، التي أعلن عنها يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ .
وكانت مصر قد اتخذت قبل اعلان الصفقة قرارا يقضي بتشديد الحصار على ميناء ايلات يوم ١٢ سبتمبر ومنع الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة سواء في البحر أو الجو ، واضطرت شركة الطيران الاسرائيلية (المال) الى ايقاف رحلاتها الجوية الى جنوب أفريقيا .

وكانت الامور قد وصلت بذلك الى غايتها في تحديد موقف موشي شاريت الذي علق على صفقة الأسلحة بقوله (انها خطر لا مثيل له ومن

المحتم أن تؤثر تأثيرا بالغا على أمن إسرائيل. كما انها غيرت ميزان القوى تغييرا حاسما وضع حدا لتفوق إسرائيل النوعى على مصر انها خطر داهم لم تشهده إسرائيل منذ حرب الاستقلال) .

وصمت المؤسسة العسكرية شارايت بالضعف ، واضطرته الى الاستقالة فى نوفمبر ١٩٥٥ والعودة ليكون وزيرا للخارجية فقط فى وزارة يرأسها بن جوريون ولكنه لم يبق فى منصبه سوى سبعة شهور خلفته بعدها مسز جولدا مائير .

عاد بن جوريون رئيسا للوزراء مطلق الصلاحيات ، معلنا ان إسرائيل سوف تستخدم القوة لفتح خليج العقبة أمام الملاحة البحرية والجوية . انتصر الصقور المتشددون فى إسرائيل ، وبدأوا يهاجمون نقط الحدود المصرية ويستولون عليها ، ويستفزون مصر للتورط معهم فى معركة .

ولكن جمال عبد الناصر كان حريصا على موازنة موقفه فى هذه المرحلة ، وتحاشى الوقوع فى مصيدة القتال ، فى وقت لم تكن الاسلحة التشيكية قد وصلت فيه وأصبحت صالحة للاستخدام ، وعلاقاته مع الدول الغربية تدخل دائرة التوتر ، والدول العظمى تعرص على المحافظة على روح مؤتمر قمة جنيف الذى عقد فى الفترة من ١٨ الى ٢٤ يوليو ١٩٥٥ وحضره ايزنهاور وايدن وبولجانين وخروشوف وادجار فور .

الحذر من القتال :

كانت صورة معارك ١٩٤٨ مازالت ماثلة فى أذهان القيادة العسكرية الجديدة ، فلم تكن قد مضت خمس سنوات على توقيع الهدنة ، وأسلحة الجيش مازالت كما هى بغير تجديد واضح ، رغم البعثات العسكرية المتعددة التى ذهبت الى انجلترا وأمريكا .

وكان واقع الجيش وطبيعة النظام فيه قد تغيرت بعد ترقية الصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر الى رتبة اللواء وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ، فقد كان هذا التغيير بمثابة قفزة فوق الواقع لم تحدث فى تاريخ الجيش المصرى من قبل .

ولم يعد احترام الاقدمية واردا ، فقد تحطم ذلك مع قيام حركة الجيش واستبعاد كبار الضباط ، وظهور فئة جديدة من صغار الضباط المقربة من القيادات الجديدة ، الذين شككوا نفوذا أضعف من سلطة وشخصية قادة الوحدات ، وفك ترابط وثبات الانضباط العسكرى ، وانطلق بعض الضباط خارج الحياة العسكرية اما بالعمل السياسى مع هيئة التحرير ، أو الانطلاق فى الحياة المدنية تحت رداء ما سمي فى ذلك الوقت (مندوب القيادة) .

وعندما عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما اختار لادارة مكتبه مجموعة من الضباط أركان الحرب حسنى السمعة يرأسهم حافظ اسماعيل ومعه محمد على عبد الكريم ومحسن ادريس ونور الدين قره وصلاح نصر وتوفيق عبد الفتاح وعباس رضوان والثلاثة الاخرون كانوا من الضباط الاحرار الذين أوكلت اليهم مهام سياسية أكثر منها عسكرية .

ومنذ عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما انقطعت صلة أعضاء مجلس قيادة الثورة بضباط الجيش - كما قال لي زكريا محيي الدين - وكان هذا هدفا غير مباشر استهدفه جمال عبد الناصر بعد تحركات ضباط المدفعية في يناير ١٩٥٣ الى جانب ثقته الكبيرة في عبد الحكيم عامر .
ورغم أن عبد الحكيم عامر كان انسانا كبيرا ، الا انه لم يكن مؤهلا بحكم طبيعته لقيادة عسكرية كبيرة تحتاج الى الموهبة والطاقة والدأب على الدراسة والتدريب .

وكانت غارة غزوة أول مواجهة عسكرية تستقبله في مسئوليته الجديدة ولذا حرص عبد الناصر في ظل هذه الظروف على تفادي الصدام العسكري ، واقترح على الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارئ الدولية أن تنسحب القوات الاسرائيلية والمصرية لمسافة كيلو متر على جانبي خط الهدنة ، وبعد رفض اسرائيلي استمر شهورا ، سحب عبد الناصر القوات المصرية وحدها في محاولة منه لاثبات حسن نيته وتفادي قتال غير مطلوب .

ومع ذلك كان عبد الحكيم عامر يتصرف بطريقة انفعالية غير مسئولة قال لي الفريق عبد المحسن مرتجى انه أثناء زيارة عبد الحكيم عامر للقسيمة تسلق جبل الصابحة وشاهد عسكريين اسرائيليين على مدى البصر فقال (مفيش راجل يجيب الاثنين دول) وفعل شنت القوات هجوما على الصابحة واستولت عليها ثم تركتها بعد قتل وجرح عدد كبير من السرية الاسرائيلية التي كانت تحتلها .

وقد أعطت هذه العمليات المتعجلة غير المدروسة فرصة لبن جوريون والصقور الاسرائيليين لتنفيذ خططهم المعادية للسلام .
وفي سبتمبر ١٩٥٥ تعرض جمال عبد الناصر لضربة اسرائيلية جديدة هزت معنوياته عندما احتلت القوات الاسرائيلية منطقة (العوجا) المنزوعة السلاح والتي كان يتبادل حراستها قوات مصرية وأخرى اسرائيلية كل منها مدة ١٥ يوما ودفعته الى تأكيد شراء السلاح السوفيتي واعلان ذلك بعد محاولات متعددة لتفادي هذا الموقف الصدامي مع الامبريالية .

وأعقب ذلك هجوم على الكونتلا في شهر أكتوبر ثم هجوم آخر في نوفمبر انطلق من العوجا الموقع الاستراتيجي الذي قاموا باحتلاله وقتل فيه ٧٠ جنديا مصرية ، وكان ذلك بعد ساعات فقط من تصريح معلى بن جوريون أبدى فيه استعداد له لمقابلة جمال عبد الناصر لعقد تسوية معه وكأنما كان هذا التصريح هو (مدفعية تخدير) تسبق الهجوم .
ولم يستطع جمال عبد الناصر أن يفعل شيئا في وجه هذه الاستفزازات سوى الاعلان بأن الجيش المصري قد قام بهجوم مضاد ناجح أجلى فيه الاسرائيليين عن مواقعهم وهو هجوم وهمي لم يحدث أبدا .
كانت القيادة العسكرية الجديدة محصورة في قفص يجبرها اما على الركوع للامبريالية الامريكية وفقدان الاستقلال الوطني والخضوع لنفوذ

اسرائيل ٠٠٠ وأما التشبث بالاستقلال الوطنى مع الصبر وابتلاع العمليات الاستفزازية .

واختارت القيادة العسكرية الطريق الثانى ٠٠٠ وبعد أن صدرت تعليمات للواء السادس خفيف الحركة بهجوم تحدد موعده على الفرقة فعلا وصرف النظر عن ذلك كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى ٠٠٠ وبعد أن وضعت خطة لاستعادة (العوجا) تقرر الغاؤها فى آخر لحظة . واعترض صدقى محمود قائد القوات الجوية على طلب عبد الحكيم عامر بأن يقوم الطيران المهنى بطلعات فوق غزة وبئر سبع .

وقال لى زكريا العادلى امام سفيرنا السابق فى الهند والقائد فى القوات المسلحة ، الذى أعد مشروع المناورة (انتصار) أكبر مناورة عسكرية قامت بها القوات المصرية على طريق مصر — الاسكندرية الصحراوى ، وكانت أول مناورة تشترك فيها القوات على أسس قتالية فعلا ٠٠٠ قال لى انه عندما سأل اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب فى ذلك الوقت (هل يمكن القيام بأعمال تعرضية للاسرائيليين ؟ فأجابه بتقرير من ١٧ صفحة مضمونه كلمة (لا) ، وذلك تفاديا لكارثة محتملة ، وكانت النتيجة نقله ملحقا عسكريا فى تركيا .

كانت فترة من فترات القلق التى انتابت قادة الحركة العسكرية ، الذين شعروا أن محاولات السلام مع اسرائيل على أسس واقعية عادلة لم تكن أكثر من سراب ، وأن تفاعلات السياسة الدولية ، وخطط القوى الامبريالية تفرض على المنطقة توترا مستترا يحاول حصار هؤلاء القادة الشبان الوطنيين .

واقترح جمال عبد الناصر على ثروت عكاشة فى هذه الفترة من عام ١٩٥٥ أن يعود قائدا لسلاح الفرسان بعد أن كان ملحقا عسكريا فى باريس ٠٠٠ ولعله شعر انه بحاجة الى وجود بعض من يثق فيهم من الضباط الاحرار فى مراكز قيادية بالقوات المسلحة .

وفى ورقة أصدرتها (مجموعة من أنصار السلام المصريين) فى باريس عام ١٩٥٧ رصد للموقف السلامى الواضح لجمال عبد الناصر . قال لمراسل الديل هيرالد فى ٦ نوفمبر ١٩٥٥ (لا يوجد عند مصر اية نية لمهاجمة اسرائيل) .

وصرح لمجلة لايف فى ١ نوفمبر ١٩٥٥ (مصر لن تستخدم الاسلحة التشيكوسلوفاكية للحرب مع اسرائيل) .

وفى تصريح الى جريدة (نيويورك ورلد تلجرام) فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥ (ان مصر مستعدة للبحث عن حل وسط مع اسرائيل) .

وقال لجريدة فرانسى سوار فى ديسمبر ١٩٥٥ (ان هدفنا ليس تدمير اسرائيل ، ولكن مناقشة تقسود الى تطبيق قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧) .

وصرخ جمال عبد الناصر لاذاعة وتليفزيون كولومبيا فى يناير ١٩٥٦ (لقد صرحت فى باندونج ووافقتنى الدول العربية لأول مرة ، على اننا نريد

تطبيق قرارات الأمم المتحدة التي اتخذت عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وأقرت مشروع التقسيم) وصدر بيان يؤيد هذا الاتجاه الذي أقره مؤتمر باندونج عقب زيارة جمال عبد الناصر لتيتو في بريوني .

وهكذا كان موقف جمال عبد الناصر ، حتى بعد غارة غزة ، يتجه الى تحقيق السلام ولكنه في نفس الوقت كان حريصا على عدم الخضوع أو الركوع ملقيا مسئولية دعم اسرائيل على الاستعمار .

اتصالات السلام لم نتوقف حتى مع بن جوريون ويقول جان لاكوتير في كتابه (عبد الناصر) انه قابل بن جوريون في شهر يونيو ١٩٧٠ (في الفيللا المثقلة بالذكريات في تل أبيب) ويكتب :

حدثنا بن جوريون وهو يهز رأسه الأبيض أمام تمثال داود لميكل انجلو عن جمال عبد الناصر فقال (انه رجل دولة . . . نعم . . . ولكنه يظهر غير ما يظن) وراح يراجع في ذاكرته المحاولات لاجراء محادثات من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٧٠ ، وأطرف هذه المحاولات كانت الواقعة بين يناير وأبريل ١٩٥٦ . قام وسيط محايد بأربع رحلات بينه وبينى لكنني أقسمت الا أبوح بالكثير كل ما يمكنني اضافته هو انه بعد رابع زيارة قام بها الوسيط الى القاهرة قال له عبد الناصر (فلتقف اتصالاتنا عند هذا الحد لاننى غير مقتنع بجدى الذهاب الى أبعد) .

ويواصل لاكوتير رواية هذه القصة مشيرا الى لقاء تم بين بن جوريون والمراسل الصحفي (فيليب غارنيه ريمون) بعد وفاة عبد الناصر في مستعمرة (سوى - يوكر) وسأله الصحفي :

- ألم يكن وسيط ١٩٥٦ هو روبرت اندرسون وزير الخارجية السابق في الحكومة الامريكية والصدى الشخصى لايزنهاور ؟ .
قال بن جوريون :

- أنت الذى نطقت اسمه ولست انا .

ويقول لاكوتير (وكأنما تحرر بن جوريون من عبئه فحكى كيف قام اندرسون بالوساطة دون تكليف من أحد ، وزعم بن جوريون ان الوسيط قد أكد له أن عبد الناصر كان ايجابيا في البداية وانه كان يتردد بين القاهرة والقدس ينزل في فنادق الدرجة الثانية بالعاصمة المصرية ويقابل جمال عبد الناصر ليلا في أماكن سرية ، لا يتكرر ارتيادها) .

ثم يقول بن جوريون ان الاتصالات قد توقفت في السابع عشر او الثامن عشر من أبريل ١٩٥٦ عندما فاتح اندرسون عبد الناصر في عقد معاهدة عدم اعتداء بين البلدين وكان جواب عبد الناصر .

- اذا ما أعطيت الامر بذلك فان النار سوف تطلق على ويعلق بن جوريون قائلا :

- لا شك انه كان على حق في ذلك .

ويعلق لاكوتير قائلا بانه اذا صدقنا بعض ما قاله بن جوريون ، فليس أكيدا أن عبد الناصر كان ينتظر اية نتيجة من اتصالاته غير المباشرة مع

دائيد بن جوريون ، لان ناصر كان يعتبره (كذوبا وعدوا تستحيل مصالحته) .

ويقول لاكوتير أيضا (يجدر بنا الاعتراف بأن السلام لم يكن واردا في ذهن عبد الناصر لا في عهد شاريت ولا في عهد بن جوريون لانه كان مخلصا في العمل على تحرير الأرض المصرية واعادة فلسطين الى أهلها) .
ولكى نستكمل جوانب القصة وأسرار المباحثات أعود الى كتاب بن جوريون (العرب والفلسطينيون وأنا) الذي يتحدث في الجزء الأول منه عن هذه الاتصالات التي قام بها روبرت اندرسون في يناير ١٩٥٦ .
يسجل بن جوريون بعض احاديثه مع المندوب الأمريكي الذي قابلته في حضور موسى شاريت وزير الخارجية وعمدة القدس تيدي كوليك ومدير مكتب رئيس الوزراء في ذلك الوقت باكوف هرتزوج ، وسفير الولايات المتحدة في اسرائيل وأحد ممثلي دوائر الامن الأمريكية . فيقول :

كثيرون من أبناء شعبنا لا يقبلون الحل السلمي لأسباب ثلاثة :
١ - أن شعبنا عاش خلال قرون في المدن فقط ولا يستطيع أن يعيش في الريف .

٢ - في فلسطين لا بد من القبول بخفض مستوى المعيشة .
٣ - البلد الذي عدنا اليه كان صحراويا وفي الواقع بدت المهمة في بادئ الأمر مستحيلة لكن القوة تغلبت على المصاعب .
ويقول (ان رئيسا عربيا واحدا فقط كان يريد السلام ، ولم يكن يخاف من اعلان ذلك جهارا .. هذا الرئيس هو الملك عبد الله ملك الاردن وقد اغتيل .

ويقول أيضا (ان تغير النظام في مصر ايقظ في قلوبنا السلام ، وقد اتصلنا بمحمد نجيب فطلب الينا الانتظار ، ولما خلفه عبد الناصر جددنا اتصالاتنا معه دون نتيجة ثم تدهور الموقف) .
لم يذكر بن جوريون طبعا انه هو شخصيا المسئول عن تدهور الموقف بغارة غزة .

ويقول المبعوث الأمريكي انه كان يقابل جمال عبد الناصر ليلا ومعه زكريا محيي الدين وعلى صبرى ويذكر أن عبد الناصر قال له عن المباحثات (ان الموقف هو من الدقة بحيث لو عرف الناس بالمبادرة التي اتخذها للقيام بهذه المباحثات فانه على الا أواجه مازقا سياسيا فحسب بل ربما بضع رصاصات) ثم قال ان عبد الناصر كان حريصا جدا على سرية المحادثات وقد قال (لو عرف الناس بمحادثاتنا فسأجد نفسي مضطرا لتكذبيها) .
ويحبد بن جوريون استمرار الاتصالات ويشير الى الاتصالات السابقة مع شاريت فيقول (تمت في السابق اتصالات مع شاريت ولم يذع سرها ، اما دون اتصالات فلن نتوصل الى شيء) .

ويدور الحديث الذي يسجله بن جوريون في كتابه عن محاولة اقرار وقف اطلاق النار ، ويقول شاريت (يجب أن يكون هناك وقف اطلاق نار ليس عسكريا فحسب بل وسياسيا أيضا) .

ويؤيد شاريت أيضا استمرار الاتصالات ويطالب بأن تكون على أعلى مستوى كمحاولة منه للبرهنة لعبد الناصر على أن التنازل عن أية قطعة أرض من إسرائيل تعتبر عملية صعبة أو مستحيلة .
ويذكر روبرت اندرسون أن كيرميت روزفلت كان حاضرا بعض اجتماعاته مع جمال عبد الناصر .

ويحاول شاريت تفسير عملية غزة على انها كانت ردا على احكام الاعدام التي صدرت في مصر ضد مرتكبي حادثة لافون ، ولكن المندوب الامريكى الذى حاول الدفاع عن بن جوريون أمام عبد الناصر باعتباره ليس المتسبب فى هذا الحادث ، قال ان عبد الناصر أبلغه (أن الموقف بدأ ينهار فعلا منذ تلك اللحظة أما فى الماضى فلم يكن الشعب المصرى يهتم بقضية فلسطين .

والعودة الى تفاصيل ما ورد فى كتاب بن جوريون عن محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر يثبت انه كان حريصا على السلام فى المنطقة حتى يتيح للدول العربية أن تبني مجتمعاتها الجديدة بعيدا عن مأساة الحرب وانه من جهته لم يسهم مطلقا فى هدم هذه المحاولات ، ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية والخطط الامبريالية هى التى سعت الى تحطيم هذه الجهود واشاعة القلق والتوتر فى المنطقة ، ومحاولة السيطرة على شعب اسرائيل عن طريق تخويله من جيرانه العرب .

خطب عبد الناصر فى الجبهة الشرقية يوم ١٤ مايو ١٩٥٦ وبعد أن روى قصة تسليح الغرب لاسرائيل قال (اننى لا أقول ان فرنسا هى التى أعطت اسرائيل السلاح وحدها . وانما اعتبر أن الغرب كله تأمر فى هذا مع فرنسا لمصلحة اسرائيل ضد العرب) وكرر (نحن لانقبل استغلالا ولا سيطرة ولا تحكما ، اذن فهناك حرب بيننا وبين الاستعمار برغم ارادتنا ، لاننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كياننا واستقلالنا وشرفنا وحريتنا وكرامتنا) .

نعم كانت الحرب مفروضة على النظام العسكرى العنيد فى مصر الذى لا يقبل أن تكون يد الاستعمار هى العليا والمسيطرة .
وعبد الناصر الذى لم يخطب خطبة واحدة ضد اسرائيل قبل حادث غزة اكتشف (ان اسرائيل التى يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقة أية حرية ويعتبرها مزرعة لمصالحه كما هى خطة الاستعمار فى القضاء على الامة العربية جميعا) .

تحركات الغرب :

كانت صفقة الأسلحة التشيكية ضرورة اجبارية فرضتها الظروف على النظام الجديد فى مصر لم يكن هناك مجال لتفاديها .
وكانت تحركات اسرائيل العدوانية قد وضعت القادة العسكريين الجدد فى موقع الدفاع وقد بلعوا كثيرا من الاستفزازات التى ذكرناها والتى تمادت فصرعت ضابطين مصريين وصلتهما طرود اسرائيلية متفجرة ،

أولهما البكباشي صلاح مصطفى أحد الضباط الأحرار في مدينة الاسكندرية والذي كان الأول في دفعة عبد الحكيم عامر ، والذي قتله الطرد المتفجر في عمان وهو يعمل ملحقا عسكريا هناك ، والثاني الصاغ مصطفى حافظ ضابط المخابرات العسكرية في قطاع غزة .

ولم يقف الغرب مكتوف اليدين أمام محاولة جمال عبد الناصر الخروج من المأزق الذي فرض عليه . . . قرر دالاس إرسال كيرميت روزفلت الذي زار مصر بعد حريق القاهرة وحاول أن يصلح من شأن الملك فاروق عبثا . . . والذي توطدت صلته بجمال عبد الناصر في الشهور الأولى بعد حركة الجيش بأمل أن تضغط أمريكا على بريطانيا للجلاء ، وبأمل أن تحصل مصر على أسلحة من أمريكا .

وعندما علم جمال عبد الناصر ، بحضور كيرميت روزفلت قرر أن يعلن على العالم نبأ صفقة الأسلحة ، لأنه كما قال حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) لا يستطيع الامتناع عن مقابلة كيرميت روزفلت (ولكنه لا يريد أن يكون موضع استجواب ، ولا يرغب في أن يسأل اذا كان النبأ صحيحا أو لا) .

قطع عبد الناصر الطريق على كيرميت روزفلت وأعلن نبأ الصفقة يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ بعد توقيع الاتفاق بأسبوع وقبل وصول أية شحنة من الأسلحة التشيكية وذلك أثناء افتتاحه لمعرض صور فوتوغرافية اقامته ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة .

ويروي حسنين هيكل أن أحمد حسين سفير مصر في واشنطن عندما علم بالنبأ من جمال عبد الناصر أفلتت أعصابه وأخذ يردد في انفعال بالغ (جواتيمالا . . . يا سيادة الرئيس . . . جواتيمالا) .

وكان الأمريكيون ومخابراتهم المركزية قد فرغوا لتوهم من تنظيم عملية انقلاب ضد حكومة أرفينيز اليسارية في جواتيمالا .

وقال عبد الناصر وقد فرغ صبره (فلتذهب جواتيمالا الى الجحيم) . ووصل كيرميت روزفلت حاملا تهديدات دالاس التي تلخص في ايقاف المساعدات الأمريكية والتجارة مع مصر وقطع العلاقات الدبلوماسية ومحاصرة مصر ومنع السفن حاملة السلاح من الوصول اليها .

ولكن السفير الأمريكي هنري بايرون استطاع أن يقنع كيرميت روزفلت بأن يكون دبلوماسيا مع عبد الناصر ، واستمرت المحادثات يومين بين عبد الناصر وروزفلت الذي لم يعلن تهديدات دالاس ، ولكنها كانت محادثات بغير نتيجة فلم يتراجع عبد الناصر عن موقفه .

وأطلق دالاس مبعوثا ثانيا هو جورج آلن مساعد وزير الخارجية الأمريكية ، الذي سبقته أخبار من وكالات الأنباء تشير بأنه يحمل انذارا آخر ، فأسرع عبد الناصر باستدعاء كيرميت روزفلت وأبلغه بأنه لو صح ذلك فإنه سيأمر رئيس التشريفات بطرد الزائر الأمريكي وسيبلغ مراسلي الصحف بأنه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا ، لأنه لا يقبل أن يعيش أو يحكم تحت ضغط التهديد .

وفى نفس الوقت قرر جمال عبد الناصر أن يستعد لنوع من المقاومة الشعبية ، واتصل بى كل من أحمد فؤاد الذى كان قد أصبح عضوا فى مجلس الانتاج والذى كان مازال مقربا من جمال عبد الناصر والصاغ لطفى واكد الذى كان مديرا لمكتبه فى ذلك الوقت وأبلغنى كل منهما على حده رسالة من جمال عبد الناصر تطلب منى الاتصال بمن أعرفهم من اليساريين استعدادا لحمل السلاح والعمل سرا فى وجه أى محاولة للتدخل الأمريكى غير المحسوب .

ولكن جورج الن لم يقدم رسالة دالاس بعد أن اقنعه كيرميت روزفلت والسفير الأمريكى بايرون بتفادى الكارثة ، وخلال المقابلة بين آلن وعبد الناصر حاول الاول أن يقنع عبد الناصر - كما يقول حسنين هيكل - فى كتابه (عبد الناصر والعالم) بأن الغاء الصفقة يمكن أن يجعل الولايات المتحدة تنظر الى قضية امداد مصر بالسلاح نظرة ايجابية .

ولكن عبد الناصر قال له (لقد فات الاوان) .

فات الاوان فعلا ووصلت شحنات الأسلحة الى ميناء الاسكندرية وخطب انطونى ايدن فى نوفمبر ١٩٥٥ فى قاعة البلدية المعروفة باسم (جيلد هول) واقترح حلا للنزاع العربى الاسرائيلى ، يستند الى حدود جديدة لاسرائيل تكون بين حدود الهندنة القائمة وحدود قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ .

وقد قوبل هذا الخطاب بارتياح عبر عنه جمال عبد الناصر بقوله فى بيان (انه يحتوى على عناصر بناءة يمكن أن تكون أساسا للبحث) . كان موقف بريطانيا قد تغير نسبيا من اسرائيل بعد تحول بن جوريون الى المظلة الامريكية ، عندما أصبحت الولايات المتحدة أقوى الدول الامبريالية وأكثرها قدرة ونفوذا .

ولكن موقف ايدن لم يكن تعبيرا عن تغير استراتيجى فى موقف بريطانيا ، فقد كانت تواصل سعيها لاقامة حلف بغداد ووصل الفيلد مارشال جرالدميلر رئيس أركان حرب الامبراطورية الى عمان فى محاولة لضم الاردن الى الحلف .

وكذلك حاول ايدن اقناع خروشوف أثناء زيارته هو وبولجانين الى بريطانيا فى ١٨ أبريل ١٩٥٦ بأن يوقف صفقات السلاح لمصر ، فكان رد خروشوف انه مستعد لتنفيذ ذلك اذا شمل الحظر امداد الأسلحة لكل الدول حتى المرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا .

وأسرع عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشعبية ليتفادى أى محاولة لحظر وصول السلاح تبعا لقرار ايدن اتخذته الأمم المتحدة التى لم تكن الصين قد أصبحت بعد عضوا فيها .

ولم يوقف اليأس خطوات دالاس ، بل انه أرسل روبرت اندرسون الى جمال عبد الناصر حاملا رسالة من الرئيس ايزنهاور تطلب حل المشكلة الفلسطينية وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، وهو الشخصية التى ذكر بن جوريون أنها كانت همزة الوصل بينه وبين عبد الناصر من يناير الى أبريل ١٩٥٦ .

وكان رأى جمال عبد الناصر أن يستند أى حل الى مشروع التقسيم الصادر
عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، مما يظهر ويؤكد أن جمال عبد الناصر لم يكن
ضد اسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها .

ورغم دخول الامريكيين كما يقول محمد حسنين هيكل فى تفاصيل
صغيرة لتنفيذ المشروع ، ورغم مباحثات اندرسون ، فان المشروع كان
محكوما عليه بالفشل ، لان الاسرائيليين لم يكونوا ينوون الرجوع الى الحدود
المقررة فى مشروع التقسيم .

كان تراجع الاسرائيليين عن الارض التى ثبتوا أقدامهم فيها أمرا غير وارد
عندهم .

وتوقفت محاولات الغرب ، وتضاعفت مساعداتهم لاسرائيل التى
بقيت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى لا تحكمها حدود قانونية معروفة .

وأصبحت ثورة يوليو مطالبة بمواجهة هذه الدولة التى زرعت فى
الأرض العربية .

الفصل الثاني

عدوان اسرائيل ١٩٥٦

(ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان
١٩٥٦ اكثر مما خسرا ٠٠٠ فقد تأكدت وثبتت
سيطرة مصر على قناة السويس) •

انطوني ناتنج
وزير الدولة البريطاني اثناء العدوان

لم تصل محاولات السلام بين الحركة العسكرية في مصر وحكومة
اسرائيل الى نتيجة ايجابية ، وتعقدت الامور تحت ضغط الامبريالية
الامريكية والعالمية ومحاولة فرض نفوذها وسيطرتها على المنطقة ، والدور
الذي لعبته المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المتواطئة مع الحكومة
الامريكية •

وكان حصول جمال عبد الناصر على السلاح من المعسكر الاشتراكي

نقلة واضحة للقوات المسلحة المصرية خطت بها الى عصر النفاثات ووضعت
أحد أهداف الثورة الرئيسية (تكوين جيش وطنى) موضع تنفيذ عملى من
جهة التسليح والتدريب ، وفرضت على حكومة اسرائيل أسلوبا جديدا
فى المواجهة .

وفى العيد الرابع للثورة بالتحديد يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن جمال
عبد الناصر تأميم قناة السويس ردا على قرار جون فوستر دالاس بسحب
تمويل السد العالى ، وذلك قبل أن يمضى أربعون يوما على جلاء قوات
الاحتلال البريطانى لمنطقة القنال يوم ١٨ يونية ١٩٥٦ .

وتحركات أفكار العدوان فى صدر بن جوريون الذى لم تؤد غاراته
المتكررة على الجيش المصرى غرضها بوقوع الحركة العسكرية فى مصيدة
الاستفزاز والانزلاق الى الحرب فى وقت لم تكتمل فيه أسلحة الجيش . . .
فلم يكن لدى مصر فى ذلك الوقت سوى ست طائرات صالحة للعمل ،
وثلاثين طائرة معطلة وليس هناك قطع غيار ، والذخيرة كانت محدودة .
ويفسر موسى ديان فى مذكراته أسباب تحولهم من سياسة الغارات
المفاجئة أو الردع المحدود الى التفكير فى حرب شاملة فيقول :

(ان السبب الرئيسى كان فى استخدامنا المتواصل لاسلوب العمليات
الانتقامية ، فان العمليات التى فاجأت المصريين والاردنيين فى البداية وهم
غير مستعدين لها ، أصبحت الآن مسألة تقليدية ، لذلك فحينما تخرج
وحداتنا فى عملية ضد مبنى للشرطة أو معسكر للجنود فانها تجد جنوده
مستعدين للقتال . . . اننا لن نستطيع الاستمرار فى حالة لاهى (بالسلام ولا
هى بالحرب) . . . ان علينا أن نرغم جيراننا العرب على الاختيار بين وقف
الارهاب ضد اسرائيل وبين الدخول فى حرب ضدنا بطريقتين :

١ - أن تنزل الضربات الانتقامية اثناء النهار ونستخدم من اجل
ذلك المدرعات والطائرات ، وحينئذ تقل خسائرننا فى الارواح فضلا عن
أن الدول العربية (وأولها مصر قبل كل شئ) لن تستطيع تجاهل اثر هذا
على رعاياها .

٢ - أن نجتاز الحدود ونحتل المواقع الرئيسية التى تسيطر على المنطقة
و نشتد للجلاء عنها وقف الارهاب .

وهكذا اختارت اسرائيل طريق الحرب لقطع الطريق على وصول
الأسلحة لمصر ، ووقف غارات الفدائيين ، وفتح الملاحة الاسرائيلية فى
ضائق تيران . . . كما انه كان هناك موقف داخلى يدفع للحرب ، وهو الحالة
المعنوية المتوترة من القتال المتقطع ، وفشل فضيحة لافون ومحاكمة الجواسيس
لاسرائيليين فى مصر ، ولذا وجد بن جوريون أنه فى حاجة الى عمل كبير يعيد
ثقة الشعب فى جيش اسرائيل . ويعطى للجيش دفعة معنوية جديدة .

وبن جوريون لا يطبق أن ترتبط مصر مع الاتحاد السوفيتى بأية
رابطة . . . وخاصة اذا كانت هذه الرابطة هى السلاح .

قال بن جوريون عام ١٩٤٦ بأنه (اذا وافقت بريطانيا على انشاء
دولة يهودية فى فلسطين فنحن على استعداد أن نضمن أن تكون هذه الدولة

قاعدة ضد روسيا) . . هذا في الوقت الذي أعقب الحرب العالمية الثانية التي ضحى فيها الاتحاد السوفيتي بعشرين مليوناً من أبنائه في حرب ضد النازية التي قتلت ٦ ملايين يهودي .

وجد بن جوريون أمامه فرصة لتحقيق ما نادى به من ضرورة الحرب قبل أن تصل الأسلحة السوفيتية إلى مصر فقد قال صراحة (لابد أن يسقط النظام في مصر قبل أن تصل الأسلحة الروسية) .

وكان بن جوريون قد استدعى أخلص مريديه (موشي ديان) من فرنسا التي كانت تفتح أبوابها للقادة الاسرائيليين ، وتمد اسرائيل بالأسلحة المتطورة ، وذلك للحقد الذي كانت تشعر به تجاه قادة ثورة يوليو الذين كانوا يساعدون ثوار الجزائر بكل ما يطلبون منذ أعلنوا ثورتهم في أول نوفمبر ١٩٥٤ وذلك بعد شهر من هزيمة الفرنسيين في معركة (ديان بيان فو) التي انتهت وجودهم في فيتنام بعد توقيع اتفاقية جنيف . كلف بن جوريون (دايان) بأن يعد خطة حربية لغزو مصر بعد أن كان قد استطاع أن يقنع أمريكا بالتصريح لفرنسا ببيع طائرات المستير ٤ التي كانت تنتجها خاصة لحلف الاطلسنطي . . . وذلك في رسالة حملها (هربرت همفري) إلى الحكومة الفرنسية من ايزنهاور ووزير خارجيته دالاس .

ولكن اعداد الخطة وحدها لم يكن كافيا لاشعال الحرب . . . كان لابد من وجود سبب مقنع يكون تبريراً للعدوان . . . وقال دايان في مذكراته (كان من السهل خلق المبرر) . . . وصرح بن جوريون لمراسل النيويورك تايمز : (سوف نكون في العتبة في العام القادم وسوف نستولى عليها من البر والبحر والجو معا) .

وفي غمرة هذا التوتر لم يكن معقولا أن يحتفظ بن جوريون رئيس الوزراء بموشي شاريت - رجل السلام النسبي - وزيرا للخارجية ، فتخلص منه في ١٨ يونيو ١٩٥٦ عندما أرسل له خطابا يقول فيه (ان وجودك في وزارة الخارجية ليس في مصلحة الدولة) وعين جولدا مائير بديلا له . صرح شاريت بعد ذلك بقوله (أرغمني بن جوريون على الاستقالة لانه كان يعتقد انني العتبة في سبيل ما كان قد استقر عليه وهو انه لابد من حرب قريبة جدا مع مصر ، كانت الحرب القادمة ويجب الا عارضها ، ولابد ان أخرج ، وأنا لم أكن لاعارض الحرب تحت أي الظروف ، ولكن حكمتي كانت تختلف عن حكمته) .

ويبدو أن دالاس قد أسهم في ايجاد المبرر لاسرائيل بسحبه تمويل السد العالي ، ووضع مصر تحت ضغط رد الفعل ، الذي تترصد به اسرائيل .

كتب بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون يقول (كانت الحرب ضد مصر مقررة لدى بن جوريون فقد عاد الى وزارة الدفاع في فبراير ١٩٥٥) . وكتب أيضا (كانت أزمة السويس بعدئذ طارئة وهي لم تغير في شيء

من خطط اسرائيل التي كانت تستهدف على أية حال ، ولكنها سهلت لها
أصعب الامور وهو السلاح والحلفاء) .

التحضير للعدوان :

وجدت حكومة بن جوريون في تأمين القناة فرصتها فالى جانب السلاح
والحلفاء كما كتب بن زوهار . كان هناك المبرر ايضا .
وعندما وقف جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالاسكندرية يوم
٢٦ يوليو ١٩٥٦ يخاطب الجماهير في خطبته التاريخية الخالدة اهتزت
اعصاب كثير من الساسة الغربيين ، وبدأت تدرس الخطط على أساس حسابات
جديدة ، وظهرت احتمالات الحرب في الافق .
والتقت رغبة الساسة البريطانيين والفرنسيين في تحطيم القائد
المصرى الذى جرؤ على تأمين القناة ، مع رغبة بن جوريون فى اسقاط النظام
قبل وصول الاسلحة للجيش المصرى .

ولم تعد فرنسا تلعب دور مورد السلاح لاسرائيل ، ولكنها بدأت تلعب
دور المخطط والمنفذ لخطة العدوان بعد أن أصبحت طرفا مباشرا فى المشكلة .
وبدأت خطة العدوان تنسج خيوطها بين انجلترا وفرنسا أولا ، ثم
اقتрحت فرنسا أن تشترك اسرائيل فى خطة الغزو ولكن ايدن تردد
عندما نصحه الدبلوماسيون البريطانيون بقولهم ان فرنسا واسرائيل هما
أكثر الدول جاذبية لكراهية العرب ، لدور فرنسا فى مقاومة ثورة الجزائر ،
 ولدور اسرائيل المعروف وان اشتراك اسرائيل سوف يعقد الموقف ،
 ويخرج الحكام المواليين للغرب ، ويعطى لعبد الناصر فرصة اشعال العداوة
على امتداد الوطن العربى .

وكان ايدن يعلم تماما أن حكومة اسرائيل تتحرك فى توافق تام مع
جون فوستر دالاس وكانت بريطانيا لم تسقط بعد تماما فى شرك
الخضوع والتبعية للسياسة الامريكية .

وفى (مجتمع جمال عبد الناصر) الجزء الثانى (قصة ثورة ٢٣ يوليو)
تفصيل وتوضيح لكل ما دار من تدبير للعدوان بعد تأمين القناة ، ولذا اكتفى
هنا بتسليط الضوء على الدور الذى لعبته اسرائيل ، بعد أن وافق ايدن
أخيرا على اشتراكها فى خطة العدوان .

وضع الجنرال شال الفرنسى خطة تقضى بأن تهاجم اسرائيل مصر عبر
سيناء ، وحينما تعبرها تتدخل بريطانيا وفرنسا وتدعو الدولتان الى ايقاف
الحرب وإذا لم تقف تحتلان القناة ، حتى لا تتوقف الملاحة فيها .
ووضعت الخطة على مائدة المناقشة والتعديل هى وخطة (موسكثير)
البريطانية ، وخطة (موسى ديان) الاسرائيلية وانتهى الامر بعد
اجتماع سرى عقد فى ضاحية (سيفر) بباريس وحضره بن جوريون ودايان
وسلوين لويد وجى موليه وكربسنيان بينو .

وتحدد دور اسرائيل شريكة مع الدولتين الكبيرين : تبدأ الهجوم اثناء
تدمير سلاح الطيران البريطانى لسلاح الطيران المصرى على الارض ، ثم تتقدم

بريطانيا وفرنسا بانذار لكل من اسرائيل ومصر بوقف الحرب والانسحاب عشرة كيلو مترات بعيدا عن ضفتى القناة ، والا تتدخل قواتهما لحماية القناة .

ولم يكن ممكنا لمثل هذه الخطة ان تتم بعيدا عن عيون الحكومة الامريكية او وكالة المخابرات المركزية ، وصلة بن جوريون ودايان بأمريكا لا تسمح لهما بالقيام بمثل هذه الخطوة دون ابلاغ ، وفرنسا كانت قاعدة المخابرات الامريكية فى أوربا .

وأخيرا دخلت الخطة دائرة العلاقات الرسمية ، فقد ذهب جاك شابان دالماس الوزير وقتها فى حكومة جى موليه وأبلغ السفير الامريكى دوجلاس ديلون بالعملية المشتركة ضد مصر ، ولم يعلق السفير الامريكى سوى بقوله (ألا يمكن تأجيل العملية حتى ما بعد الانتخابات الامريكية) ٠٠٠ ثم أرسل السفير تفاصيل ما سمعه الى واشنطن .

وقال آلان دلاس رئيس المخابرات المركزية الامريكية وشقيق جسون فوستر دالاس وزير الخارجية (حصلت المخابرات المركزية على المعلومات من عدة مصادر ، وتوافرت لها حقائق وتكهّنات دقيقة عن التواطؤ الثلاثى ، وخاصة من تقارير جاءت من قبرص) وقد كان أمرا شائعا ومعروفا للمخابرات الامريكية ان اعلان اسرائيل للتعبئة يوم ٢٧ اكتوبر هو علامة الهجوم .

وقال كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا بعد حدوث العدوان ما يأتى :

(أحسنا فى تلك الايام ان الولايات المتحدة لا تريد ان تعرف وانها لا تطلب معلومات عما يحدث ، وكنا مطمئنين الى أن أجهزة المخابرات على اتصال وثيق بعضها ببعض ، وخاصة البريطانية والامريكية ، وعلى أية حال كانت هناك اتصالات معروفة بقيادة الاسطول السادس طلبنا اليهم فيها ان يتعدوا بالاسطول عن تحركات أساطيلنا .

كان أمرا مؤكدا أن الولايات المتحدة تعرف خطة الغزو لانها طلبت من جميع رعاياها مغادرة المنطقة قبل الغزو بيومين . ولم تكن الخطة معروفة عند الولايات المتحدة فقط ، ولكنها كانت معروفة عند مصر أيضا .

كانت المعلومات التى تجمعت كافية لتوضيح خطة العدوان ، وقد جاء ذلك تفصيلا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر - الباب الأول) فقد أرسل الملحق العسكرى المصرى بتركيا الأميرالاي زكريا العادلى امام معلومات تفصيلية عن تحركات بريطانيا فرنسية اسرائيلية للهجوم . وحضر بنفسه الى القاهرة حيث أبلغها لعبد الحكيم عامر .

واتصلت مجموعة اليهود من الشيوعيين المصريين المقيمين فى باريس ، بالملحق العسكرى المصرى فى ذلك الوقت ثروت عكاشة ، وأبلغته بأنباء الغزو المحتمل ٠٠٠ وعندما تجمعت له أنباء وافية عن ذلك من هذا المصدر ومصادر أخرى قرر ارسال عبد الرحمن صادق المستشار الصحفى برسالة خاصة الى جمال عبد الناصر .

قال لي عبد الرحمن صادق إنه حفظ الرسالة وما بها من معلومات عن ظهر قلب ، ولم يحمل معه أية أوراق ، وغادر باريس الى بروكسل كما لو كان في نزهة عطلة نهاية الاسبوع ، ومنها اتجه فورا الى القاهرة ، حيث قابل علي صبري في مبنى رئاسة مجلس الوزراء ، وسمع منه الرسالة ، ثم قابل جمال عبد الناصر في مكتبه ، وأعاد عليه الرسالة مرة أخرى .

ويقول عبد الرحمن صادق ان جمال عبد الناصر تشكك في صحة المعلومات ، فطلب منه أن يعيد الرسالة مرة أخرى ، وسأله عن مصدرها ، ثم قال (ان هذا يتناقض مع ما عندنا من معلومات) .
لم يكن جمال عبد الناصر يتوقع أن تقف اسرائيل مع الدول الكبرى على مستوى واحد في تنفيذ خطة الغزو .
وتوافرت معلومات أخرى من مصادر مختلفة .

قال لي زكريا محيي الدين أنه توافرت لديهم معلومات كافية عن الحشود ، ولكنهم استبعدوا احتمالات التدخل لعدم وضوحها إذ كانوا يعتبرون ذلك نوعا من الضغط السياسي . . . كما انهم استبعدوا فكرة الربط بين هجوم اسرائيل وملاحقته بهجوم بريطانيا فرنسي مشترك .
ويؤيد زكريا محيي الدين أيضا أنه لم يكن هناك استبعاد لفكرة العدوان الانجليزي الفرنسي وإنما اتخذ ذلك في تقديرهم كخطة خداع لصالح الاسرائيليين .

ويؤكد زكريا أنه لم يؤثر على الخطة الدفاعية المصرية احتمالات الانزال في بور سعيد والاسكندرية . . . ولكن الحديعة الحقيقية كانت في هجوم الاسرائيليين ، لان الجيش كان قد وضع خطته الدفاعية على أساس الانزال الانجليزي الفرنسي ، ولذا فإنه لم يتحرك لسيناء الا يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

كان جمال عبد الناصر قد اعتقد ان نسبة خطر الغزو قد انخفضت الى ١٠٪ بل انه استبعد احتمالات الغزو بعد موافقه وزراء خارجية فرنسا وانجلترا ومصر على المبادئ الستة وهي :

- ١ — أن تكون الملاحة في القناة حرة ومفتوحة دون تمييز .
- ٢ — أن تحترم سيادة مصر .
- ٣ — أن تكون ادارة القناة منفصلة عن سياسات الدولة كانت .
- ٤ — أن تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة .
- ٥ — أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة وتطويرها .
- ٦ — في حالات النزاع يجب تسوية الامر بالتحكيم .

كان جمال عبد الناصر متطلعا الى مرور الازمة وتسويتها سلميا ، وكان فيما يبدو حسن النية الى حد ما بخطط الامبريالية الشرسة ، فانه عندما ابلغه صلاح سالم بعد عودته من مؤتمر لندن ان الغزو — في رايه — أصبح مؤكدا ، لم يأخذ جمال عبد الناصر قوله مأخذ الجد الذي يحمل بوادر الخطر .

لم يتصور جمال عبد الناصر أن ايدن يمكن أن يقدم على هذه المغامرة التي قد تطيح باسمه ومستقبله . . ولم يكن يتصور أيضا أن إسرائيل يمكن أن تدفع قواتها لتصل إلى قناة السويس بعد أقل من سبع سنوات على قيامها ، وأقل من سنة ونصف على عودة بن جوريون إلى رئاسة الوزراء ، وخاصة أن معدل الاحتكاكات والغارات الإسرائيلية الفجائية على القوات المصرية كانت قد خفت . . . بل إنه كان قد تقرر سحب قوات من سيناء للدفاع ضد غزو محتمل للقناة ، ويؤكد ذلك الفريق عبد المحسن مرتجى الذي كان يعمل وقتها في مكتب (اللواء) عبد الحكيم عامر قائلا إنه لم يكن في غزة والعريش سوى فرقة مشاة واللواء السادس فقط .

العدوان :

لم تكن هذه القوة المشكلة من فرقة ولواء كافية . . . ليس للدفاع عن سيناء ، وإنما حتى لمراقبة تحركات العدو في هذه الأرض الشاسعة التي تبلغ مساحتها (ثمن) مساحة مصر .

ولذا فإنه عندما أعلن الإسرائيليون يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ أنهم قد أرسلوا طابورا مدرعا إلى سيناء ، لم تكن قد وردت بعد أية أنباء عن ذلك من القوات المصرية . . . وعلم جمال عبد الناصر بذلك من أجهزة الاستماع في مكتبه .

وسرعان ما أذاع الإسرائيليون في العاشرة مساء أن قواتهم قد أصبحت على مقربة من قناة السويس ، وكانوا يقصدون بذلك قوات المظلات التي هبطت فوق ممر متلا .

ويقول زكريا محيي الدين أن هذه الأنباء قد دفعتهم إلى وضع خطة لمجابهة غزو إسرائيل فقط ، ذلك أن أحدا في القيادة العسكرية لم يكن قد تصور أبعاد الخطة كاملة ، وأن هناك تدبرا عدوانيا مشتركا بين الدول الثلاث إسرائيل وفرنسا وإنجلترا .

هذا بينما يؤكد حافظ اسماعيل مدير مكتب القائد العام في ذلك الوقت أنه كانت هناك خطة عسكرية لمواجهة كل الاحتمالات .

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) - (ومع أن عبد الناصر كان شديد الريبة في أمر انزال المظليين الإسرائيليين في منطقة ممر متلا - نظرا إلى بعدها السحيق عن القوات البرية الإسرائيلية - فقد كان لا يزال مقتنعا بأن المشاركة في العمليات الحربية بين إسرائيل وبريطانيا وفرنسا هي من المحرمات غير الواردة ، وكان لا يزال مقتنعا بأنه ليس في وسع ايدن أن يتعاون مع الإسرائيليين بهذه الطريقة) .

ولكن فجر اليوم التالي بدد كل الشكوك وأظهر حقيقة الخطة عندما تبين أن طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني (كانبرا) قد حلقت في سماء مصر . . . وتم إبلاغ السفير الأمريكي الجديد في القاهرة (ريموند هير) بذلك .

وفي الساعة الرابعة استدعى السفير المصري في لندن (سامي أبو الفتوح) إلى وزارة الخارجية البريطانية ، كما استدعى كمال عبد النبي

سفير مصر في باريس الى وزارة الخارجية الفرنسية في نفس الوقت ، حيث سلما الانذار المشترك الصادر عن الحكومتين البريطانية والفرنسية الى مصر واسرائيل .

كان الانذار يطلب من كل من اسرائيل ومصر أن توقف اطلاق النار وتنسحب عشرة أميال من كل جانب من طرفي القناة ، ويطلب من مصر القبول باحتلال القوات الانجلو فرنسية للمواقع الرئيسية في بور سعيد والاسماعيلية والسويس .

كانت المهلة المحددة في الانذار ١٢ ساعة فإذا ما انتهت هذه المهلة — على ما جاء في الانذار — دون أن تنصاع أي من الحكومتين أو كلاهما الى المطالب السابقة ، فإن قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل بأية قوة تحتتمها الضرورة لتأمين الانصياع .

وفي نفس الليلة اجتمعت الحكومة المصرية لتقرر ما يجب عمله ... وكان الرأي هو أن قبول الانذار سوف يعتبر كارثة ولذا تقرر رفض الانذار ، بينما قبلته اسرائيل تبعا للخطة المشتركة . واتجهت القيادة لمواجهة العدوان والغزو الثلاثي .

قال الفريق مرتجى ان جمال عبد الناصر كان هو صاحب القرار بسحب القوات المصرية من سيناء بعد أن تكشفت الخطة المعادية حتى لا تقع بين فكى الكماشة القادمة من اسرائيل عبر سيناء والغازية لمصر من طريق بور سعيد على مجرى القناة .

وحدث أول خلاف في وجهات النظر بين جمال عبد الناصر الذى أخذ هذا القرار ، وبين عبد الحكيم عامر الذى أصدر أوامره للمدرعات بالتوجه الى سيناء لمقاومة الغزو الاسرائيلي ... ويقول حسنين هيكل ان النقاش قد استمر بين الرجلين طوال الليل مما أخر سحب الدبابات من سيناء .

وفي اليوم التالى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ اختلف عبد الناصر مرة أخرى مع القيادة العامة للجيش التى وجدت ان انسحاب الدبابات الى الدلتا يتيح لها فرصة خوض معركة بالدبابات ضد القوات البريطانية والفرنسية الغازية ، ولذا نقلوا مركز الرئاسة الى الزقازيق ... وكان هذا مخالفا لتصور عبد الناصر الذى نظر الى الامر بظرة استراتيجة وسياسية تقضى بضرورة الدفاع عن القناة والتشبث بها حتى لا يحقق لقوات الغزو المعادية غرضها الذى يتركز فى العودة لاحتلال منطقة القناة ، وليس الزحف الى القاهرة . كانت هذه هى بداية الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

وكان مجلس قيادة الثورة قد انتهى دوره ، ولم يعد له وجود شرعى بعد مرحلة الانتقال ، وحصل أعضاؤه على قلادة النيل التى تمنحهم فى البروتوكول أسبقية على الوزراء واستقال من أعضائه يوسف صديق وصالح سالم وأبعد كل من عبد المنعم أمين وخالد محيى الدين ، كما رفض جمال سالم الاشتراك فى الحكم بعد انتهاء فترة الانتقال .

قال جمال عبد الناصر ان أقرب اثنين اليه خلال فترة العدوان كانا عبد اللطيف البغدادي وذكريا محيي الدين .
ويقول عبد اللطيف البغدادي انه لازم جمال عبد الناصر ملازمة الظل خلال فترة العدوان ٢٠٠٠ . وقد واجه عبد الناصر بنفسه الجماهير في خطبة الجمعة الشهيرة بمسجد الازهر الشريف معلنا انه سيحارب وسيبقى مع اولاده في القاهرة لن يغادرها . . . وكان صوته متحشرا لمرضاة بالانقلونزا .

ولم يكن خلاف جمال عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر هو الخلاف الوحيد . . . نشأ خلاف ثان بينه وبين صلاح سالم الذي جسيم الخطر الذي يمكن ان ينجم عن العدوان والانتذار ، وطلب من عبد الناصر ان يسلم نفسه الى السفير البريطاني سير همفري تريفلين طالما هو المستهدف شخصا ، كما نشطت الاذاعات المعادية في تصوير الامر بهذه الصورة ، اذ بدأت اذاعة بريطانية من قبرص باسم (صوت بريطانيا) كان غايتها اثارة الشعب المصري ومحاولة التفرقة بينه وبين جمال عبد الناصر .

قال جمال عبد الناصر لصلاح سالم انه لو كان يعتقد ان البريطانيين يريدون شخصه فقط لاستسلم لهم راضيا ، ولكنهم يريدون مصر وشعب مصر وثورة مصر ولذا قال له (اننى افضل ان اضحى بنفسى وانما اقاتل ، ولكننى لن استسلم) .

وتراجع صلاح سالم عن موقفه ، وأدرك خطاه ، وأراد أن يثبت حسن نيته في لقاء له مع عبد الحكيم عامر بالقيادة العامة فلبس ملابس جندي كان مكلفا بحراسة المكتب ، وطلب ان يعود في خدمة القوات المسلحة ، فكلفه عامر بالدفاع عن السويس ، وكان زميله كمال الدين حسين قد كلف أيضا بالدفاع عن الاسماعيلية . . . وبذل الاثنان جهدا ايجابيا واضحا في اعداد المقاومة الشعبية . . . وتركز الدفاع على القناة من البحر الابيض الى خليج السويس ، واغرقت فيها بعض البواخر لسد الملاحة واعاقة تحركات الاساطيل البريطانية والفرنسية .

وفي الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) تفاصيل قصة المقاومة الشعبية فى بور سعيد وغيرها والتي كان يشرف عليها ذكريا محيى الدين وزير الداخلية .

وفى يوم أول نوفمبر وضع للعالم ان مصر لا تقف وحدها فى المعركة ، وان دخول اسرائيل ضمن خطة العدوان ، قد حشد الدول العربية حول القاهرة . . . فاذاغة دمشق وعمان بدأت تديع قائلة (هنا القاهرة) بعد ضرب محطات الارسلال فى ابى زعبل . . . وابلغ الملك حسين عبد الناصر باستعداد الاردن للهجوم على اسرائيل ، ولكن عبد الناصر طلب منه عدم الاقدام على هذه الخطوة حتى يظل الجيش الاردنى سليما .

وكان شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا فى موسكو وقتها وطلب من المسئولين هناك أن يتدخلوا لحماية مصر . . . كما نسف الضباط الوطنيون ومعهم عبد الحميد السراج مدير الشعبة الثانية (المخابرات)

محطات ضخ البترول الموجودة في الاراضي السورية والتابعة للشركة البريطانية في العراق .

وقطعت سوريا والمملكة السعودية علاقاتهما الدبلوماسية مع كل من انجلترا وفرنسا ، واكتفت الاردن والعراق بقطع العلاقات مع فرنسا حيث كانت تربطها ببريطانيا علاقات صداقة خاصة الى جانب حلف بغداد الذي ارتبطت به العراق .

الامة العربية كلها وقفت الى جانب مصر . . . وكل قوى التحرر الوطني ، والدول الاشتراكية جميعها . . . وجماهير ملحوظة من الشعب البريطاني والفرنسي تظاهرت ضد العدوان الذي كان يتطور يوما بعد آخر ، فالدائرات البريطانية تقذف القوات المصرية المنسحبة من سيناء ، وتدمر انطائرات المصرية وهي جاثمة فوق ارض المطارات خلال يوم واحد .

ويقول عبد اللطيف البغدادي ان الرأي كان قد استقر على عزل قائد الطيران صدقي محمود ، ولكن عبد الحكيم عامر تشبث ببقائه . . . بينما يقول زكريا محيي الدين انه كان قد تقرر عزل قادة الجيش والبحرية والطيران ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .

الحرب مستمرة وكفة العدوان راجحة ، ويستشعر جمال عبد الناصر الخطر ولا يطيق البقاء في القاهرة ، فيحاول السفر الى بورسعيد وفي مدينته (أنشاص) التي عانت من الغارات البريطانية يعلم لحظة وصوله يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ خبر نزول قوات المظلات البريطانية في بورسعيد ، والفرنسية في بور فؤاد ، فاضطر للعودة الى القاهرة ليدبر العمليات من مبنى مجلس قيادة الثورة في الجزيرة .

واجهت مصر العدوان الثلاثي والكل يردد (حنارب) ، واغنيات (الله أكبر) (والله زمان يا سلاحي) ترتفع كل مكان .

ومضت المعركة الحربية والسياسية كما ظهرت تفصيلا في الباب الاول من الجزء الثاني (مجمع جمال عبد الناصر) الى ان صدر قرار وقف إطلاق النار عقب نشر الصحف البريطانية والفرنسية لانذار بولجانين الشهر واجتماع مجلس العموم في صباح نفس اليوم لاتخاذ القرار .

ويقول انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان ١٩٥٦ أكثر مما خسرا ، فقد تأكدت وثبتت سيطرة مصر على قناة السويس .

ومع ذلك فان القوات المسلحة المصرية قد انسحبت من سيناء دون الدخول في معارك تصادية مع القوات الاسرائيلية ، ولم يصمد القادة العسكريون في وجه الغزاة البريطانيين في بورسعيد كما صمدت المقاومة الشعبية . . . وضربت الطائرات المصرية وهي جاثمة على الارض في المطارات دون حركة او مقاومة . . . ولم تثبت القيادة العامة للقوات المسلحة (عبد الحكيم عامر) حدة حقيقية على التوجيه والقتال .

صادف العدوان فترة حساسة للقوات المصرية المسلحة ، فالتسليح السوفيتي والتدريب عليه لم يكتمل بعد . . . والاسلحة البريطانية عاجزة

ومتخلفة . . . عقيدة القتال وبدرسته مرتبطة بالاسلوب البريطاني . . .
وعديد من الضباط حصلوا على بعثات في أمريكا . . . وكان هناك خبراء
من فلول النازيين في ألمانيا تحت اشراف الجنرال فون باخر .
كانت نتيجة العدوان الثلاثي على مصر بمقياس العمليات العسكرية
هزيمة لا شك فيها . . . فقد فرض القتال فرضا في توقيت غير مناسب لم
تتخذ او تتوافر فيه الاحتياطات اللازمة للقتال . . . ومع ذلك فقد اضعف
اشتراك ثلاث دول في العدوان مرارة الهزيمة .

ولا ينفي هذا ان بعض الوحدات قد قامت بدور باسل وشجاع . .
ولكن الاغلبية العظمى من الوحدات لم تختبر اختبارا جادا في القتال .
قال لي الفريق مرتجى ان اللواء السادس مشاة عطل دخول القوات
الاسرائيلية الى سيناء مدة ثلاثة ايام الى ان صدر له الامر بالانسحاب . . .
ولم تهجم القوات الاسرائيلية مع ذلك الا بعدها بيوم كامل ، ولم يحدث أي
اخرق الا في رفح حيث ضرب اللواء الذي كان يقوده الاميرالاي جعفر العبد
من البحر بالسفن الاسرائيلية .

وقد بلغت خسائر الجيش المصري ألف قتيل ، واستشهد عدة مئات
في عمليات المقاومة الشعبية في بور سعيد ، وأسر ستة آلاف مصري
وفلسطيني معظمهم من قطاع غزة ولكن افرج عنهم تدريجيا بعد وقف
القتال . . . ولم تبلغ خسائر المعتدي الا ١٧١ قتيلا اسرائيليا ، ٢٦ جنديا
فرنسيا وبريطانيا عند الانزال ثم ارتفع الرقم خلال عمليات المقاومة
الشعبية .

وأمام هذا الموقف الواضح ، اقترح اللواء عبد الحكيم عامر ان يقدم
استقالته من قيادة القوات المسلحة ، ولكن جمال عبد الناصر لم يوافق على
ابتعاد صديق عمره ، واصر على بقاءه رغم تعارض ذلك مع فكرته عنه وخلافه
معه أثناء وضع خطة المعركة . . . وكان التشبث به سببا في بقاء صدقي
محمود في مركزه رغم مسئوليته عن كارثة الطيران حيث وافق جمال
عبد الناصر على ان يعطيه فرصة أخرى .

ورغم الهزيمة العسكرية ، كان هناك نصر سياسي لا شك فيه . .
اكتسبت ثورة يوليو وزعامة جمال عبد الناصر شعبية هائلة في الأمة
العربية جعلته يصل الى قمة لم يعرفها زعيم عربي من قبل ، حيث كانت
صوره ترتفع في كل مكان ، وخطبه يحفظها البعض عن ظهر قلب .
تحركت في الدول العربية روح المقاومة للانظمة الرجعية التي لم
يسعدها قرار جمال عبد الناصر بتأميم القناة ، ولا تحقيقه للنصر السياسي
الذي انتهت اليه معركة العدوان ، وبدأ ذلك في العراق المرتبط بحلف
بغداد .

كان قرار جمال عبد الناصر برفض الانذار والصمود والحرب سببا في
تقدير دول العالم الثالث والدول الاشتراكية للدور الواقعي البارز الذي
تلعبه مصر في مقاومتها للامبريالية ودعمها للتحرر الوطني .
انكشف نهائيا الدور الذي تلعبه اسرائيل في المنطقة لخدمة الامبريالية
والاستعمار . . . وفقدت بريطانيا وفرنسا كثيرا من المكتسبات والعلاقات

- التي حصلت عليها خلال تاريخ طويل نتيجة لربط خطتهما مع اسرائيل .
- وبعد أن توقف اطلاق النار ، بدأت فترة انسحاب القوات المعتدية .

بعد العدوان :

انسحبت القوات البريطانية والفرنسية قبل أن تنسحب القوات الاسرائيلية ، وكان يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ هو يوم الجلاء الثاني في عام واحد للقوات البريطانية عن مصر ومعها حليفاتها القوات الفرنسية . كانت فرنسا تحرض اسرائيل على البقاء في سيناء ، ولذا أسرع شيمون بيريز بالتوجه الى باريس في فبراير ١٩٥٧ لبحث مدى المعونات التي يمكن أن تقدمها فرنسا لاسرائيل في حالة فرض عقوبات عليها أو استئناف الاعمال الحربية ، وقد أبدت فرنسا استعدادها للوقوف الى جانب اسرائيل .

ومع ذلك فان قوات اسرائيل انسحبت تدريجيا بعد محاولة مستميتة لنسبث بالأرض التي احتلتها ... ولكن الظروف السياسية العالمية وقرارات الأمم المتحدة ، وتربص حكومة الولايات المتحدة بالمنطقة بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية ... كل ذلك دفع اسرائيل للتراجع ... ولكنها لم تتراجع تراجعاً كاملاً كما فعلت الدولتان الكبيرتان .

كانت الاتفاقية التي أمكن التوصل اليها تفرض شروطاً رأى جمال عبد الناصر انه من المصلحة الا يرفضها رفضاً تاماً في هذا الوقت تفادياً لتعقيد الأمور ، وهو لا يملك قوات مسلحة قادرة على الردع ، ومشاكل المجتمع الجديد تنتظر من يضع لها حلولاً .

وتحت مظلة الأمم المتحدة ، وبحضور وموافقة وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا تقرر الجلاء للجميع مع الشروط الآتية :

- أولاً ... وضع ستار دفاعي من قوات الأمم المتحدة على الحدود بين القوات المصرية والاسرائيلية .
- ثانياً ... فتح مضيق تيران المسيطر على ميناء ايلات للملاحة والتجارة الاسرائيلية .
- ثالثاً ... اخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية .

رابعاً ... الاتفاق على انواع محددة من الاسلحة لا تتعدى حدوداً مرسومة جهة الشرق .

كانت هذه الشروط في واقعها تنازلات أكيدة من الجانب المصري ... ولكنها اذا قورنت بالانتصار السياسي الذي تحقق بعد العدوان ، واجبار قوى ثلاث دول على الانسحاب قبل أن تمضي ستة أشهر على العدوان ، تعتبر ضئيلة ، وخاصة اذا وثقنا أن فكرة العدوان على اسرائيل وتدميرها كانت أبعد ما تكون عن فكر جمال عبد الناصر .

يعتبر جان لاكوتير قبول عبد الناصر (دليلاً على التخلي العسكري

الذى وجد انه قد انتهى اليه) .

ويقول انطونى ناتنج (رغم نجاح عبد الناصر فى جذب الرأى العام العالمى الى صفه ، ونجاحه فى الحصول على التأييد المعنوى للدولتين العظيمتين أمريكا وروسيا الا أنه عرف وقبل نقطة ضعفه ، ولذا رضى فى مباحثاته مع همرشولد حلولا وسطا) .

كان جمال عبد الناصر قد بدأ يدرك أن انحسار النفوذ البريطانى الفرنسى عن المنطقة ، لا يعنى انحصارا كاملا لنفوذ الامبريالية العالمية ، ولكنه يفتح شهية الامبريالية الامريكية لورثة نفوذ الدولتين ، وان اسرائيل قد بادرت بوضع نفسها تحت عباءة النفوذ الامريكى . . . ولذا فان التناطح الكامل ورفض هذه (التنازلات) المحدودة ربما كان كفيلا بتغيير اتجاه الموقف الامريكى ، وزيادة عناد اسرائيل ورفضها للانسحاب .

ولذا فانه يصعب القول بأن ذلك كان (تهاونا وطنيا) من جمال عبد الناصر . . . ولكنه كان يعنى ادراكا واعيا بطبيعة الظروف التى كانت قائمة خلال هذه الفترة .

انسحبت اسرائيل تماما فى شهر مارس ١٩٥٧ بعد أن حرثت الطرق وبثت الالغام ودمرت آبار البترول وفى نفس هذا الشهر وفى يوم ٩ بالتحديد أصدر الكونجرس الامريكى قراره بشأن مشروع ايزنهاور تحت اسم (دعم السلام وتوطيد السلام فى الشرق الاوسط) وهو يخول ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة ، وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشتركة .

أوفد ايزنهاور ممثله الشخصى جيمس ريتشاردز فى جولة استطلاعية بالمنطقة لبحث دولها على قبول (مبدأ ايزنهاور) وسارعت اسرائيل باعلان ترحيبها وموافقتها على مساعدة الولايات المتحدة لدول المنطقة فى الاحتفاظ باستقلالها ووحدتها اراضيها ، وخاصة بعد أن ضاعت هيبة بريطانيا وفرنسا بعد فشلها فى العدوان على مصر (مما خلق فراغ القوة فى هذه المنطقة الاستراتيجية) .

ونشطت اسرائيل فى الدعوة لمشروع ايزنهاور وتجسيم الخطر الشيوعى كما صرح بذلك شيمون بيريز مدير وزارة الدفاع فى ذلك الوقت عندما أكد (ان وجود اسرائيل يشكل حاجزا ضد انتشار الشيوعية لا فى الشرق الاوسط فحسب . بل وفى افريقيا كذلك . . . وان - تقوية - اسرائيل انما هو ضمان لاستقلال كثير من شعوب المنطقة) .

ولكن مشروع ايزنهاور لم يجد عند مصر من الترحيب ما وجده عند اسرائيل ، فقد أدرك عبد الناصر أن الامريكيين يريدون أن ينشروا مظلتهم على المنطقة ، وأن يرثوا المصالح البريطانية والفرنسية فيها . . . ولكنه لم يكن مستعدا لقبول ذلك ، وخاصة بعد أن انسحبت القوات المعتدية فعلا ، وأصبحت قوات الأمم المتحدة تشكل ستارا دفاعيا وحاجزا سلميا بينه وبين اسرائيل .

ولم تجرؤ دولة عربية فى هذه المد القومى على قبول (مشروع

ايزنهاور) فقد كانت مصر قد أكدت دورها الطبيعي المتميز ، وكان جمال عبد الناصر قد أصبح الاسم والشخصية التي تخفق لها قلوب الجماهير على امتداد الوطن العربي ، والتي لا يجرؤ حاكم على اتخاذ موقف مضاد له ، وهو الذي خرج منتصرا من معركة العدوان ، مستمرا في تأييد ثورة الجزائر ، قاسيا في مهاجمته لحلف بغداد ومشاريع الامبريالية المشبوهة . فشل مشروع ايزنهاور فعلا . . . وبدأت حكومه الولايات المتحدة تدرس استراتيجيتها وسياستها الجديدة في المنطقة .

والفشل في مواجهة الخصم لا يعنى عدم محاولة التسرب الى صفوفه وتمزيق وحدته ، وهكذا فعلت حكومة الولايات المتحدة عندما قررت تفتيت الجبهة العربية التي خرجت من حرب ١٩٥٦ شديدة الثقة والتماسك .

أخذت الحكومة الامريكية في الشهر التالي مباشرة لرفض مشروع ايزنهاور - أبريل ١٩٥٧ ، تركز أنظارها على الاردن وتعلن عن قلقها من امتداد السيطرة الشيوعية على البلاد . . . ونجحت الدوائر الامريكية في فتح ثغرة قلبت فيها الحكومة الوطنية وعزلت قيادة الجيش ، واضافت الاردن الى قائمة الدول التي تحصل على مساعدات عسكرية (انظر الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٣ يوليو « عبد الناصر والعرب » الباب السابع) .

وما أن نجحت الحطة الامريكية في الاردن حتى حولت انظارها الى سوريا ، ولكن الخطة التي تقرر لها ان تنفذ في اكتوبر ١٩٥٧ بتدخل تركي واسرائيلي لم تنجح لوعي الشعب السوري ووطنية قيادته واسراع جمال عبد الناصر بارسال قوات الى اللاذقية .

وأمام هذه المؤامرات لم يكن جمال عبد الناصر قد توارى في الظل او ارتضى لنفسه وحكومته الهدوء والسكون . . . بل انه بدا هو الآخر في تنفيذ استراتيجيته التي تحقق لمصر الاستقلال الوطنى ، وتحقيق للعرب تضامنا قوميا مؤثرا .

المشكلة الاولى كانت توحيد تسليح الجيش وتدريبه وتحويله الى جيش مقاتل يمكن أن يكون سندا عند وضع اية خطة وطنية .

أول ضباط مصريين سافروا الى الاتحاد السوفيتى في مارس ١٩٥٧ بأسماء مستعارة تحاشيا لنشاط المخابرات الامريكية ، وكانت الاسلحة السوفيتية قد بدأت تتدفق منذ أكثر من سنة . . . ووصل الخبراء السوفيت كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى في اواخر عام ١٩٥٨ بأعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط ، حيث اشتركوا فى إعادة تنظيم القوات على أساس المدرسة والعقيدة الشرقية .

اسرائيل تجد ان وسيلتها الوحيدة للحياة والبقاء هي الارتباط بالدولة الامبريالية - الولايات المتحدة - وتعرض عليها دور المنفذ لسياستها في المنطقة .

ومصر تجد أن وسيلتها الوحيدة أيضا للمحافظة على استقلالها الوطنى وبناء مجتمعها بإرادة الشعب ، هو أن توطد علاقتها مع الدول الاشتراكية التي أبدت استعدادا لتزويدها بالسلاح ثم المصانع فيما بعد .

مواقف سياسية جديدة :

فرض العدوان الثلاثي على المنطقة واقعا جديدا وبدأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يلعبان دورا متزايدا في المنطقة وتحسد موقف الدول العربية من اسرائيل باعتبارها دولة معتدية تحتل جانبا من أرض فلسطين ، ولا تكتفى بذلك فتتجهج على مصر وتحتل جانبا من أرضها . ومع ذلك فانه عندما سألت المسز دوروثي طومسون جمال عبد الناصر في يناير ١٩٥٧ خلال حديث نشرته (مجموعة أنصار السلام المصريين) منقولاً عن مجلة (البوليس المصرية) قائلة :

(سألت الرئيس صراحة هذا السؤال : هل تنوى تدمير اسرائيل ؟ انهم يقولون ان هذا هو هدفك) .

أجاب (اننى أتحدى مسيو موليه ومستر سلوين لويد ان يجدا في كافة خطبى وتصريحاتى كلمة تشير الى اننى أنوى تدمير اسرائيل) . ونشرت وثيقة أنصار السلام أيضا فقرة أذيعت من اذاعة القاهرة يوم ٢٧ مارس ١٩٥٧ توضح المواقف السلامى لمصر وتقول :

(ان الجلاء عن غزة وشرم الشيخ يضع نهاية لعملية غزو مصر ، ومصر الآن مستعدة لحل أى مشكلة معلقة بوسائل سلمية وللحقيقة فان موقف مصر كان سلاميا قبل واثناء وبعد العدوان) .

واذا كان بن جوريون قد افلح في تخريب محاولات السلام الاولى مع موسى شاريت ، فان الوقت والظروف لا تعتبر متأخرة .

عندما وقع العدوان على مصر حلت (اللجنة العربية الاسرائيلية) التى شكلت في باريس من يوسف حلمى وآخرين كما اوضحنا في الفصل الاول ، وارسل يوسف حلمى برقية تأييد لجمال عبد الناصر في حربه العادلة ضد المعتدين كما أرسل نداء للشعب الاسرائيلى يفسر فيه تورط الحكومة الاسرائيلية فى العدوان ، ويوسف حلمى كان يفرق كثيرا بين شعب اسرائيل وبين سياسة حكومته كما أرسل خطابا حادا مفتوحا للحكومة الاسرائيلية يدين تصرفاتها العدوانية نشرته الصحف الفرنسية .

وقد عاد يوسف حلمى اول سكرتير للمجلس المصرى للسلام الى القاهرة عقب العدوان عام ١٩٥٧ بعد أن كان قد غادر القاهرة خلال أزمة مارس ١٩٥٤ ، عاد يوسف حلمى ليواجه موقفا جديدا فى مصر .

كان يوسف حلمى أحد المؤسسين الرئيسيين لحركة السلام فى مصر وانتخب سكرتيرا لها بارادة أعضاء المجلس المصرى للسلام الذى كان يرأسه محمد كامل البندارى سفير مصر فى موسكو .

وكانت حركة السلام تصدر منذ انشائها قبل الثورة مجله (الكاتب) الاسبوعية التى نافست فى التوزيع المحلى معظم المجلات التقليدية ، وسبقت غيرها فى السودان كما كانت حركة تستمد وجودها وقوتها من الجماهير التى تناضل ضد الحرب الباردة واطار سياسته الامريكية التى تبناها جون فوستر دالاس وزير الخارجية وعرفت بسياسه حافة الهاوية .

ورغم تعطيل الحكومة لمجلة (الكاتب) ضمن عدد من المجلات والجرائد اثناء سنوات الصدام بين حركة الجيش والقوى السياسية المختلفة كما ذكرت تفصيلا فى الجزء الاول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) فقد ظلت حركة السلام

قائمة تناضل من أجل أهدافها الانسانية .. ولم تتوقف رغم خروج يوسف حلمى من مصر بعد ملاحقة السلطة له ، ودخول سعد كامل الى السجن . وكان عبد الرحمن الشرقاوى قد تولى أعمال السكرتير بالنيابة خلال تواجد يوسف حلمى فى الخارج .

ويقول عبد الرحمن الشرقاوى انه قد أسلم العمل ليوسف حلمى فور عودته ليكون سكرتيرا عاما للسلام كما كان وكما عرفه الناس .

ولكن تيارات جديدة بدأت تتحرك ضد يوسف حلمى باصابع السلطة التى لم تكن لتسمح بوجود هذه الحركة التى ولوانها ليست حزبا سياسيا الا أنها تجمع الناس حول قضايا سياسية يأتى السلام فى مقدمتها .

وكان محمد كامل البندارى قد أسلم رئاسة المجلس للدكتور ابراهيم رشاد أبو التعاون فى مصر ووكيل وزارة الشؤون الاجتماعية السابق .

أرادت الحكومة أن تفرض العسكريين أيضا على هذه الحركة الشعبية واختارت خالد محيى الدين ، وهو الذى كان قد عاد من الخارج . واعطيت له رئاسة تحرير جريدة المساء .. ولكنه لم يستطع ان يصل الى منصب السكرتير العام عن طريق الانتخاب . لانه لم يكن فى الاصل عضوا فى المجلس المصرى للسلام . كما أن أعضاء المجلس كانوا يريدون تحاشي فرض السلطة لشخص معين عليهم رغم أن خالد محيى الدين كان ذا وجه تقدمى .

ولم يعد باقيا سوى التدخل السافر من جانب الحكومة بصورة قرار بتشكيل المجلس المصرى للسلام ، ظل الدكتور ابراهيم رشاد رئيسا له واصبح خالد محيى الدين سكرتيرا عاما .. وابتعد عن المجلس عدد من رواده ومؤسسيه الاوائل مثل يوسف حلمى وسعد الدين كامل وعبد الرحمن الشرقاوى والشاعر كمال عبد الحليم والفنان حسن فؤاد .

وهكذا لم يعد فى مصر أى نشاط يمكن ان يقترب من السياسة ، وهى تسيطر عليه أو تخضعه لارادتها عن طريق فرض أعضاء مجلس الادارة عليه . وابتعد يوسف حلمى عن المجلس المصرى للسلام ، بعد أن ابتعد عنه ،

وعاش يرقب فى صمت سلوك بعض الذين وضعوا أيديهم فى يده خلال نضال مشترك .. ولم يشأ القدر له أن يعانى مزيدا من العذاب النفسى ، فاقترح عليه حياته مرض خطير انتهى به الى الموت وهو اكمل ما يكون شباها وأعلى ما يكون همة ، وأصفى ما يكون نفسية .

مات يوسف حلمى .. بعد ان أثرت مواقفه الشجاعة فى تغيير رؤية الكثيرين من اعداء السلام داخل اسرائيل .. وبعد ان وقف فى حزم ووضوح الى جانب جمال عبد الناصر بعد ان نجحت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تخريب محاولات السلام .

وتوضيحا لروح السلام أجاب جمال عبد الناصر على سؤال محدد للكاتب الأمريكى وليام أتورد نشر فى الديلى اكسبريس يوم ١١ يونيو ١٩٥٧ :

سواء دمرت اسرائيل أو طلبت السلام ، ماهو الحل الذى تختار ؟ وتحت أى شروط توافق لوضع نهاية لحالة الحرب مع اسرائيل ؟

وقال جمال عبد الناصر :

— أننى لم أتحدث مطلقا عن تدمير اسرائيل .. واى تسوية شاملة يجب ان تأخذ فى الحسبان حقوق العرب اللاجئين ومشاكل الحدود ...

ومن الجانب الاسرائيلي فانها يجب ان تأخذ في الاعتبار حقوقها في استخدام القناة وخليج العقبة، اننى لا أعرف متى تكون هذه التسوية الشاملة ممكنة .
وعبد الناصر فى ذلك يؤكد قناعته فى الاعتراف باسرائيل كدولة فرضتها الظروف وزرعته فى المنطقة .

وفى احدى جلسات جمال عبد الناصر مع اعضاء امانة الاتحاد الاشتراكي فى تاريخ لاحق (٢٣ فبراير ١٩٦٥) اثار احد الاعضاء قضية متعلقة بتداول كتاب يدرس الاوضاع النقيابية فى اسرائيل وينتقد ذلك ، وعبد الناصر يلح على ضرورة دراسة الاوضاع فى اسرائيل على اساس علمى دقيق .
واستنكف العضو ايراد اسم اسرائيل مسبقا بكلمة دولة ، وكنا قد اعتدنا بعد عام ١٩٤٨ ان نقرن اسم اسرائيل فى الكتابة والاذاعة بلقب (المزعومة) ورد عليه جمال عبد الناصر باستفاضة ووضوح :

اننا لانستطيع فى الواقع القول بأن اسرائيل ليست دولة . . ان اسرائيل دولة تعترف بها الدول ، واما اذا كنا نحن لا نعترف بها فان ذلك لا يمنعنا من التعرف على كل انظمتها ، وحين نتكلم عن اسرائيل فاننا يجب ان نعتبرها دولة . . واود ان اشير الى اننى دائما لأقول اسرائيل المزعومة او دولة العصابات لاننا فى هذا نكون اكمن يضحك على نفسه)

واستشعرت اسرائيل التى أجبرت على الانسحاب ان من واجبها خلق استراتيجية جديدة تزداد فيها التصاقا بالولايات المتحدة بعد فشل (مشروع ايزنهاور) وفشل خطة الاعتداء على سوريا فى اكتوبر ١٩٥٧ كما ذكرنا ،
والتي انتهت برد فعل عكسى اثر الوحدة بين مصر وسوريا فى (الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨) .

وكانت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق ، وتدخل الاسطول السادس الامريكى فى لبنان ، ووصول قوات بريطانية الى الاردن ، فرصة لاسرائيل للضغط من اجل زيادة ارتباطها بحكومة الولايات المتحدة والحصول على الاسلحة منها ، حيث لعبت على التناقض بين السياسة الامريكى والعربية .
اسرع شيمون بيريز فى اغسطس ١٩٥٨ الى الولايات المتحدة يحمل قائمة بالاسلحة والمعدات المطلوبة لاسرائيل ، غير ان الولايات المتحدة طلبت مهلة للدراسة .

وفى مارس ١٩٦٠ عقب الازمة التى نشأت بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة حول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية ، سافر بن جوريون الى الولايات المتحدة طالبا من ايزنهاور صواريخ هوك (لتحمى اسرائيل من الوحدة العربية التى حاصرتها من الشمال والجنوب ، وجعلت سمائها مطوقة بدولة واحدة هى الجمهورية العربية المتحدة) .

ولكن ايزنهاور لم يبت أيضا فى هذا الطلب حيث كانت مدة رئاسته على وشك الانتهاء . وأشار الكتاب السنوى لحكومة اسرائيل عام ١٩٦٠/٦١ الى مدى الدعم الامريكى لاسرائيل فى فقرة جاء فيها :

(ان الولايات المتحدة تؤكد فى بيانها من جديد موقفها من اسرائيل وتنوه بأن وجود اسرائيل وازدهارها جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الامريكى كما تقدر حكومة الولايات المتحدة محاولة اسرائيل تدعيم سياستها

وضمان مستقبلها السياسي . وهي مستعدة لزيادة مساعدتها الفعالة من أجل تحقيق هذين الهدفين)

هذا التوجه الاسرائيلي نحو امريكا كان محسوبا بعد تغيير نظام الحكم في فرنسا خلال مايو ١٩٥٧ ووصول دييجول الى الحكم بعد ثورة الجنرالات، واختفاء معظم اصدقاء اسرائيل القدامى من العسكريين والسياسيين الذين شاركوا في مؤامرة العدوان الثلاثي .

أنهى دييجول وجود ممثل اسرائيل خاص في وزارة الدفاع الفرنسية قائلا : (ان فرنسا دولة مستقلة ولن تسمح لبعثات خاصة بأن ترابط في وزارة الدفاع الفرنسية) ، وطلب في رسالة الى عبد الناصر اقامة علاقات جديدة مع العالم العربي .

ومع ذلك فان بن جوريون زار فرنسا في يونيو ١٩٦٠ لاتمام صفقة شراء طائرات ميراج جديدة بدأ التفاوض من أجلها عام ١٩٥٩ . واعتمدت اسرائيل أيضا على التسليح من ألمانيا الغربية بتصريح خاص من الولايات المتحدة عقب زيارة بن جوريون لواشنطن في مارس ١٩٦٠ . وكانت أول صفقة أمريكية تقرر إرسالها الى اسرائيل ، صفقة من صواريخ (هوك) المضادة للطائرات عقب زيارة بن جوريون الى أمريكا واتفاقه مع الرئيس جون كينيدي على ذلك صيف عام ١٩٦١ .

وبدأت سلسلة من الخطابات المتبادلة بين كينيدي وعبد الناصر يمكن الاطلاع عليها في كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) . ولكن تبادل هذه الخطابات التي تعرضت من جهة عبد الناصر لحقوق اللاجئين الفلسطينيين كما ورد في خطابه بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٦١ الذي جاء فيه : (كان هدفي أن أشرح لكم أن حق اللاجئين الفلسطينيين مرتبط بحق الوطن الفلسطيني وأن بقية الأركان العربية لا يمكن أن تعزل نفسها عن العدوان الذي انقض على واحد منها بسبب واضح هو أن هذا العدوان - فضلا عن كل ما يعنيه التضامن العربي - يهدد الاقطار العربية الباقية بالخطر نفسه والمصير نفسه) .

وقد حاول بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل خلال هذه الفترة أن يعيد من جديد محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر عن طريق المارشال تيتو ، فأرسل اليه خطابا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ كما ورد في كتابه (العرب والفلسطينيون وأنا) يدعو فيه الى الوساطة لبدء مفاوضات بين مصر واسرائيل تستهدف عقد اتفاق سلام . . . ولكن تيتو رد عليه بعد أربعة أشهر بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٣ يقول (انني اذا أخذت بعين الاعتبار الظروف الحالية في هذا الجزء من العالم ، والتوتر الذي يسود فيه ، أجد أن التدخل الخارجي لا يمكن حسب رأي أن يتوصل الى النتائج المرغوب فيها) .

اعتذر تيتو واستقال بن جوريون في ١٦ يونيو ١٩٦٣ .

وفي تبادل الخطابات بين كينيدي وعبد الناصر اتضحت سياسة الأخير غير العدوانية، ولكنها لم تمنع كينيدي من الموافقة على امداد اسرائيل في نفس الصيف - كما ورد في كتاب العسكرية الصهيونية، المجلد الاول - الذي وصله فيه هذا الخطاب بصواريخ هوك ، وفتح باب عريض لامداد اسرائيل بالأسلحة ، وكان ذلك بداية موقف سياسي جديد في المنطقة .

الفصل الثالث

ضغوط على النظام

(تالم عبد الناصر أشد الألم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولي عن حلمه بالوحدة العربية ، ولم يكتب لها أن تبعث في حياته ، ومن هنا فانه عندما سسمع بتورط وكالة المخابرات المركزية في المؤامرة ، أحس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كيندي يتقرب منه فما الذي يدفع وكالة المخابرات المركزية للعمل ضده ؟)

محمد حسنين هيكل
عبد الناصر - والعالم

لم تعرف ثورة يوليو فترة ازدهار واستقرار ، مثلما عرفت بعد العدوان الثلاثي ، وانسحاب القوات المعتدية .. ولم يحظ جمال عبد الناصر بتأييد شعبي جارف كما حظى عام ١٩٥٧ وما بعد ذلك . كانت سنوات صعود خارقة .. رغم الهزيمة العسكرية التي تحسولت الى نصر سياسي باهر . لم يقف الناس كثيرا عند التنازلات التي قدمت ثمنا لجلاء القوات الاسرائيلية .. ولم تسلط الدعاية أية أضواء عليها ، اذ اعتبرت أمرا ثانويا لا يفسد روعة النتيجة النهائية .

وانفرد جمال عبد الناصر فى قمة السلطة يشكل مجتمعه الجديد ، ومن حوله اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين . . وقد بعد الفارق بينه وبينهم ، بعد ان اصبحت شخصية عالمية يفخر بها العرب ، وتتطلع اليها حركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث ، وتتوطد الصداقة بينه وبين قادة الدول . ولم تمض عدة شهور على محاولة الامريكيين اخضاع النظام فى سوريا - اكتوبر ١٩٥٦ - حتى أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، وظهرت الجمهورية العربية المتحدة الى الوجود فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ .

ولم تكتمل خمسة أشهر على قيام الجمهورية العربية المتحدة حتى قامت ثورة ١٤ يوليو - ١٩٥٨ فى العراق ، وبادر جمال عبد الناصر بزيارة موسكو لضمان تأييد الاتحاد السوفيتى للقوى الوطنية فى المنطقة . وبدأ الاستقطاب فى المنطقة يأخذ شكلا واضحا .

وتحركت قوى الامبريالية لمساندة الانظمة الرجعية خوفا من امتداد آثار ثورة العراق . . فنزلت قوات الاسطول السادس الامريكى فى لبنان ، وتحركت القوات البريطانية من قبرص الى الاردن . . وكانت هذه هى بداية (الضغوط المباشرة) التى تتعرض لها المنطقة .

ولكن القوات الامريكية لم تبق طويلا ، فقد انسحبت من لبنان عقب انتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية بعد شمعون . ولم يكن قد مضى عليها اكثر من اربعة شهور .

وجلت بعد ذلك القوات البريطانية عن الاردن .

وعندما سأل الصحفى الهندى (كارانجيا) جمال عبد الناصر فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ قائلا .

— يبدو ان الاردن التى احتلتها القوات البريطانية هى فى الحقيقة الضحية الكبرى للغرب . . فما هو حل هذه المشكلة ؟
اجاب عبد الناصر :

من الصعب العثور على اجابة محددة لهذا السؤال ، ولكن المؤكد ان الشعب الاردنى هو الذى يستطيع بوطنيته وحكمته ان يرسم الطريق ، ولكن الامر الذى اتضح ويزداد كل يوم وضوحا هو ان الحديث عن عملاء عبد الناصر او هيئات او منظمات تعمل لحساب عبد الناصر . . او الحديث عن عدوان مباشر او غير مباشر من جانب الجمهورية العربية المتحدة قد اصبحت اكذوبة لا يكاد يصدقها حتى الذين اخترعوها انفسهم بل لعل العالم كله يرى الآن من الذى يستخدم العملاء ومن الذى يدير الاموال فى الاردن . . ان ملك الاردن تسلم من الولايات المتحدة سبعين مليونا من الدولارات منذ قام بانقلابه المشهور على الحكم الوطنى ، منذ اكثر من عام ، هذا الملك الآن فى حاجة الى رجال المظلات البريطانيين لكى يحموه من شعبه) .

ولكن عملية الاستقطاب لم تمض فى المنطقة الى غايتها ، فسرعان ما تغيرت الظروف عقب الخلافات التى نشأت بين ثورة يوليو المصرية وثورة يوليو العراقية . . والتى امتدت آثارها الى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٩ ، وهو العام الذى تميز بظهور

الخلاف بين عبد الناصر والشيوعيين العرب تم اعتقال الشيوعيين المصريين ، وتبادل الاتهامات بين جمال عبد الناصر وخروشوف .

وتلقت حكومة الولايات المتحدة هذه الخلافات محاولة توسيعها والاستفادة منها في محاولة للنفوذ الى مصر من جديد ، بعد ان ارتكب بالاس خطأه الكبير بسحب تمويل السد العالي ، ومحاولة أمريكا فرض مشروع ايزنهاور .

ووصل الخلاف مع الاتحاد السوفيتي من جهة ، والتقارب بين مصر وأمريكا من جهة أخرى الى حد تحويل ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون في الاتحاد السوفيتي الى الولايات المتحدة .

واستصدر الأمريكيون القانون رقم ٤٨٠ الذي أتاح لهم فرصة امداد مصر بالقمح وغيره من المساعدات الأخرى . واستمر الأمر كذلك بعيدا عن صخب الدعاية مدة عامين كاملين ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ تسلم بعدها جون كنيدي رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدأت بينه وبين جمال عبد الناصر سلسلة من الخطابات المتبادلة تناقش المشاكل المحلية والعالمية .

وكانت مشكلة إسرائيل محورا من محاور النقاش كما يتضح في الخطاب الذي كتبه جمال عبد الناصر يوم ١٨ أغسطس ١٩٦١ والمنشور في كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) ، ردا على خطاب كنيدي في مايو ١٩٦١ الذي قال فيه :

(اننا لعلى استعداد للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين المساوية على اساس مبدأ إعادة التوطين أو التعويض عن الممتلكات ، وعلى المساعدة في ايجاد حل منصف لمشكلة تنمية مصادر مياه نهر الاردن ، وان نقدم عوننا لاحراز التقدم في الجوانب الأخرى من هذه المشكلة المعقدة) .

ويبدو ان حكومة مصر قد تصورت ان هناك بابا قد فتح لحل مشكلة فلسطين ، فبادرت وزارة الخارجية بارسال النشرة رقم ٢٧ / ت لسنة ١٩٦١ بتاريخ ١٠ أغسطس الى بعثات التمثيل الدبلوماسية والقنصلية للجمهورية العربية المتحدة بالخارج الحاقا لنشرة سابقة صدرت في اول أغسطس . تقول النشرة :

نود الاحاطة بما يلي :

١ - لم يطرأ أى تغيير فيما سبق وجاء في النشرة المذكورة أعلاه ، وتود الوزارة أن تؤكد مرة أخرى ضرورة مراعاة عدم الخوض في موضوع اللاجئين الفلسطينيين قدر الامكان ، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية والدول المرتبطة بها . وتدون النشرة في نهايتها ملاحظة تقول :

ان وزارة الخارجية تتشرف بافادتكم انها اذ ترسل اليكم هذه التعليمات انما تهدف من وراء ذلك الى التسهيل على سير المفاوضات التي تدور الآن في جو هادئ وبالطرق الدبلوماسية مع حكومتنا وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين .

ان هذه المفاوضات تتقدم بصورة مرضية وقد اظهرت الحكومة الامريكية نيتها الحسنة نحونا وذلك بتوقيعها على اتفاقية تبادل فوائض السلع التموينية معنا ، وعدم اثارة موضوع اللاجئين ساعد كثيرا على سير المفاوضات فى الطريق المرغوب .

التوقيع : وكيل الخارجية - محمد حافظ اسماعيل .

كان هذا التقارب يتم بعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، واثناء صدور الميثاق ، ووضوح اتجاه التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية ، وهى أمور لا ترضى فى مضمونها الامبريالية الامريكية ، ولا الرجعية العربية .

وسرعان ما انتهت فترة الهدوء التى نعم بها جمال عبد الناصر ونظامه ، بعد انسحاب القوات المعتدية عام ١٩٥٦ ، وتمصير الممتلكات البريطانية والفرنسية ، ورفض الدول العربية جميعا لمشروع ايزنهاور ، وعلان الوحدة وظهور الجمهورية العربية المتحدة ، وعدم تردى الامور مع الاتحاد السوفيتى الى الحضيض رغم خلافات ١٩٥٩ فقد عبرت الدولتان الجفوة بالاتفاق على اتمام المرحلة الثانية للسد العالى ، ومواصلة التعاون الفنى والاقتصادى ، وكذلك عودة العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية الى طبيعتها بعيدا عن التوتر ، واستقرار الهدوء على الحدود المصرية الاسرائيلية .

سرعان ما انقضت هذه الفترة من الهدوء والانتعاش ، ووقعت الجمهورية العربية المتحدة ونظامها التقدمى تحت ضغوط شديدة مختلفة .

الانفصال :

كان انفصال سوريا عن مصر ، وفشل أول تجربة للوحدة ، أول هزيمة سياسية تلحق بجمال عبد الناصر ، بعد سنوات صعود خارقة .

وقع الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ بعد شهرين تقريبا من اعلان قوانين يوليو الاشتراكية ، وكان ذلك تأكيدا بأن الرجعيين الذين عارضوا هذه القرارات ، قد قرروا رفض الاستكاثنة للنظام الذى حقق للبرجوازية فى سوريا نموا واستقرارا لم نشهده فى سنوات الانقلاب المتعددة (أربع انقلابات فى خمس سنوات من ١٩٤٩ الى ١٩٥٤) .

نجحت أول محاولة انقلابية تمت فى عهد الوحدة . فلم تكن هناك محاولات جادة سابقة ، ولم يحاكم ضابط سورى بتهمة تدبير انقلاب .

كان السبب الرئيسى فى ذلك هو تفريغ الجيش من الضباط الذين توافرت لهم ميول أو ارتباطات سياسية سواء من البعثيين أو الشيوعيين أو أصحاب الميول الاخرى ، بعد أن قطعت ثورة يوليو خيوط الاتصال بينها وبين الاحزاب السياسية التى لعبت دورا وطنيا فى حياة الشعب السورى .

وقد اعترف جمال عبد الناصر بهذا الخطأ اثناء محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٢ عندما قال (ان حل الاحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صح) على حد تعبيره .

وقال ايضا فى نفس المحادثات (احنا فى سنة ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الاحزاب التى لا تتفق فى الهدف ، ثم تجميع الاحزاب

الآخري التي تجمعها وحدة الهدف . . الأحزاب القومية تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية تسير على هدف واحد) .

لم يبق في الجيش السوري إلا الضباط الذين لم تكن لهم ارتباطات سياسية نشطة في الماضي . . وكانت تجربة تفريغ الجيش المصري من العناصر المهتمة بالسياسة بما فيهم معظم الضباط الأحرار ، قد طبقت في الجيش السوري أيضا .

وكانت الرجعية السورية قد استكانت لنظام الوحدة لما وفره لها من استقرار وأرباح . . ولابعاده شبح حدوث تغيرات اجتماعية حادة يتعاون في قيادتها البعثيون والشيوعيون والديموقراطيون التقدميون . .

ولكن صدور قوانين يوليو فجر كل التناقضات التي كانت نائمة تحت السطح ، ودفع العناصر الرجعية في الجيش وخارجه الى التحرك والمغامرة ، في وقت كان أسلوب الحكم فيه قد خلق مقاومة ضد تصرفات القيادات المسؤولة في القوات المسلحة ، ووزارة الداخلية التي اتسمت برفاتها بالبعد عن الانسانية فيما اشتهر عنها من اعتقالات وتصفيات بدنية للمعارضين ، كما حدث مع الشهيد فرج الله الحلوسكريتير الحزب الشيوعي اللبناني الذي اعتقل وقتل وأذيب جسده في الأحماض لضيق معالمة الجريمة .

وانتهزت العناصر الرجعية وقوع خلاف بين المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعبد الحميد السراج وعجز جمال عبد الناصر عن التوفيق بينهما ، ثم استقالة السراج من منصبه وهو الذي كان قد وفر أجهزة أمن تسربت الى معظم قطاعات المجتمع ، وفجأة لم تعد لها قيادة . . وتحركت هذه العناصر لتوجيه ضربتها لأول تجربة للوحدة في تاريخ العرب الحديث .

كان عبد الحكيم عامر موجودا في دمشق وقت وقوع الانقلاب . . وبعض الذين شاركوا فيه كانوا أعضاء في هيئة مكتبه (عبد الكريم النحلاوي) ، وكان هذا دليلا على قصر نظره ، وعدم ادراكه بالخطأ المحيطة به ، وانتهاجه أسلوبا بعيدا عن الثورية والقدرة على توجيه الأمور .

عدد الضباط الذين شاركوا في الانقلاب كانوا ٢٧ ضابطا فقط . . وهي قلة ضئيلة جدا ما كان يمكن لها ان تنجح لو كان في الجيش ضباط ثوريون من ذوي المبادئ الوحدوية والتقدمية .

وثبت ان احد زعماء الانقلاب (حيدر الكزبري) كان على صلة وثيقة بالنظام الاردني والملك حسين الذي امدّه بالمال والتأييد . .

وكان الملك حسين والملك سعود قد اتفقا على ضرب الوحدة . . وثبت فيما بعد أن الملك سعود قد مول الانقلاب بمبلغ ١٢ مليون جنيه كما صرح الملك نفسه بعد عزله من عرشه ولجؤه الى مصر ، وثبت أيضا بعد سقوط حكومة الانقلاب الاولى وتقديم بعض اعضائها للمحاكمة فيما عرف باسم

(قضية الدندشي) ان عملاء المخابرات المركزية الامريكية قد لعبوا دورا في مؤامرة الانفصال .

كانت قمة الاتحاد القومي قد اسهمت في المؤامرة أيضا ، فقد عين مأمون الكزبري سكرتير الاتحاد القومي في دمشق رئيسا لوزراء حكومة الانفصال ، وله سابقة معروفة في تاريخه فقد عين رئيسا للجمهورية السورية لمدة ٢٤ ساعة بعد انقلاب الشيشكلي في محاولة لاستمرار خطه واسلوبه ، ولكنه أبعد امام ضغط الاحزاب الوطنية التي استولت على الحكم بعد ابعاد الشيشكلي .

والغريب ان مأمون الكزبري كان صديقا شخصيا لعبد الحميد السراج . وعندما عرف بعض الضباط الوطنيين الذين شاركوا في عملية الانفصال الدور الذي قام به حيدر الكزبري متعاوننا مع النظام الملكي في الاردن قاموا باعتقاله في سجن المزة .

اثبتت عملية الانفصال التي تمت بسرعة خارقة خلال ٢٤ ساعة ان هناك تدبيرا عريضا شمل المخابرات المركزية الامريكية ، والنظاميين الملكيين في السعودية والاردن ، والعناصر الرجعية داخل اجهزة الحكم وقواته المسلحة .

وفقد جمال عبد الناصر سوريا في غمضة عين ، وهو الذي كان يعشقها عشقا خاصا ، ولا تضيع من ذاكرته استقبالات الشعب السوري له وحمل عربته فوق الاكتاف في حلب . . . وحاول في اللحظات الاخيرة ان يتدخل عسكريا لمنع اتمام الانقلاب ولكنه تراجع عن ذلك امام وضوح الموقف له بعد انتقاله الى مكتب مدير الاذاعة لأول مرة في حياته . كانت صدمة شديدة لعبد الناصر . .

ويعبر محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) عن حالة جمال عبد الناصر في هذه الفترة بقوله :

(تألم عبد الناصر أشد الألم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولي عن حلمه بالوحدة العربية ولم يكتب لها ان تبعث في حياته ، ومن هنا فانه عندما سمع بتورط وكالة المخابرات المركزية الامريكية في المؤامرة ، احس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كنيدى يتقرب منه فما الذي يدفع وكالة المخابرات المركزية الى العمل ضده ؟)

الضغوط على النظام كانت تنبعث أساسا من المخابرات المركزية الامريكية رغم العلاقات الحسنة ظاهريا بين جمال عبد الناصر وكنيدى .

ولا شك ان أول هزيمة سياسية يتعرض لها جمال عبد الناصر قد أفقدته الكثير من شعبيته المدعومة بانتصارات متتالية ، وأوضحت له ان طبيعة نظامه ليست مستقرة على أسس راسخة . .

وفي هذه الفترة الحرجة التي اعقبت الانفصال تلقى عبد الناصر في نوفمبر رسالة شفوية من كنيدى عن طريق السفير جون بادو يشير فيها الى ما اسماه (سباق التسليح) في المنطقة ، والى ان بعض

اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى يدعون ان امريكا تساعد عبد الناصر على شراء الاسلحة ، وحجتهم فى ذلك ان اعطاء القمح لمصر بناء على القانون الامريكى ٤٨٠ يمكن عبد الناصر من توفير عملة صعبة لشراء الاسلحة .

وكانت مدة الاتفاق على القانون قد أوشكت على نهايتها (ثلاث سنوات بدأت عام ١٩٥٩) .

بدأ عبد الناصر يرتاب فى صدق نوايا كنيدي ، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) حيث مرت لحظات (كان يعتقد خلالها ان الفوضى مقصودة لتتيح لذرار من ذراعى حكومة الولايات المتحدة ان تتبع سياسة ودية يقصد منها ان تكون سستارا ، بينما تعمل الذراع الاخرى ضد مصر) .

ولم يكن الانفصال هزيمة لحلم الوحدة العربية فقط ، ولكنه كان ضربة شديدة للموقف العربى تجاه اسرائيل .

قبل ايام من الانفصال كان جمال عبد الناصر يخطب فى شباب وعمال سوريا يوم ١٧ اغسطس ١٩٦١ ويقول لهم انه يقرأ ما تذيعه محطة اسرائيل ويجد كل توجيهها وهدفها هو اثارة الاقليمية (لان اسرائيل تعتبر الوحدة خطرا عليها ، وان معنى الوحدة العربية فناؤها ، وان بقاءها قد يطول اذا استمر الخلاف فى داخل الامة العربية) .

ولكن الخلاف وصل الى الانفصال فعلا ، وتحطمت الكماشة العربية التى كانت تحيط باسرائيل ، وتستطيع ان تطبق عليها عسكريا .
وظهرت الى السطح الخلافات المصرية السورية حول الموقف من اسرائيل خلال اجتماع الجامعة العربية فى شتورا صباح ٢٢ اغسطس ١٩٦٢ والذى حضرته وفود ١٢ دولة ، وتخلفت العراق ولم ترسل وفدا .

انضم امين النافورى الضابط ووزير الوحدة السابق الى الوفد السوري فى الجلسة السادسة ليواجه زملاءه اكرم ديرى وجادو عز الدين اعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة ، وبدأ حديثه باتهام مصر بالتخاذل لقبولها قوات الطوارئ الدولية ، مسفها قول المشير عامر بان هذا يوفر على مصر تكاليف المواجهة الى ان تستعد مصر تماما لمناطحة اسرائيل .

ويتمادى امين النافورى فى هجومه فيتهم مصر بأنها تساعد اسرائيل بطريق غير مباشر عندما تتقاعس فى الهجوم عليها ، وتدخل فى ذلك حسابات عبر عنها انها - غير صحيحة - ودلل على ذلك بقوله (القذف الجوى بأحسن الشروط وعلى الارتفاعات المتوسطة لا يحدث تخريبا اكثر من ٥ فى المائة فى المطارات وفى الاجهزة ، واذا ما تدخلت الطائرات المقاتلة انعدمت فعالية القذف الجوى لاعتبارات نفسية وانسانية تتعلق بالسلامة الشخصية لافراد القاذفات) . ويؤكد امين النافورى رأيه بالقول (وعلى كل حال حسب معلوماتى ان قوات الجمهورية العربية المتحدة تستطيع سحق اسرائيل حتى ولو دعمت بالمساعدة الفرنسية التى كانت عام ١٩٥٦ ، وهى

فرقة مدرعة خفيفة ولواء جوى) ،
وانطلاقاً من هذا المنطق الذى نشرته كاملاً فى الجزء الثالث من قصة
ثورة ٢٣ يوليو (عبد الناصر والعرب) ٠٠ هاجم أسعد محاسن عضو الوفد
السورى مصر وقال (ان حياد القاهرة الايجابى هو بين اسرائيل والعرب
فقط) ٠٠ وتناسق ذلك مع حملة الدعاية السورية المضادة لحكم القاهرة
والتي وصلت قممتها باتهام اكرم الحوراني لجمال عبد الناصر (بالتخاذل
وتنفيذ المخططات الامريكية فى المنطقة ومساعدة اسرائيل بطريق غير
مباشر) .

كانت قضية الخلاف هى محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الاردن ،
وقد نقلت فى (عبد الناصر ٠٠ والعرب) بعض ما دار فى جلسة المناقشة
كما وردت على لسان امين النافورى فى البيان الذى أدلى به فى مؤتمر
شتورا .

وأعيد نشر بعض ما سبق ذكره لأدلك على انه كان هناك خلاف عميق
فى اسلوب التعامل مع اسرائيل بين حكام مصر والمسئولين فى سوريا .
قال المشير عامر (ان الذى يخشاه ليس اسرائيل ، بل القوات الغربية
التي تدعم اسرائيل) ونوه بالعدد المتزايد لقوات اسرائيل .

فأجبت - أى امين النافورى - (اننا نعرف قوات اسرائيل معرفة
دقيقة ، ونعرف جيداً العدد الصحيح الذى تستطيع تجنيده من النساء
والرجال ، ولدينا سجلات عن امكانيات اسرائيل العددية ، ولا يتجاوز الخطأ
فيها نسبة ٥ فى المائة ، وليس هناك ما يقلق ابداً من جهة اسرائيل ، سواء
كان من حيث عدد القطعات او من حيث التجهيز والمعدات) .
وهكذا يتبين ان التبسيط كان طابع المناقشة ، وان الرغبة فى التجريح
كانت الدافع الحقيقى لاثارة هذه القضية الشديدة الحساسية والبالغة
السرية فى اجتماعات علنية عامة ، لا ينجم عنها سوى الاساءة لنظام مصر ،
ورضعه تحت ضغط المزايدة والمبالغة .

ولكن العقلاء فى سوريا لم يتركوا الامور تتردى الى الحضيض ، ولم
تدفعهم شهوة الاساءة لعبد الناصر الى اشاعة البلبلة فى النفوس ، فقد نشر
صلاح البيطار فى جريدة البعث يوم ١٨ اغسطس ١٩٦٢ مقالا عن تحويل
مجرى نهر الاردن قال فيه :

(من حق الناس ان يسألونى : هل تكون عندك خلال هذه المناقشات
ومن خلال الحوادث التى تعاقبت فيما بعد شهور ان عبد الناصر او المشير
او الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة يخطط لتصفية القضية الفلسطينية ؟

وجوابى : لا ، وهو ذات الجواب بالنفى الذى كنت اعلنه فى عهد
الوحدة والذى اعلنته فى عهد الانفصال) .

وانتهى تناطح شتورا بانقلاب مارس ١٩٦٣ الذى قاده البعث وتولى
فيه صلاح البيطار رئاسة الوزارة السورية والذى بادر بارسال كتاب الى
امين الجامعة العربية يطلب فيه باسم حكومة الجمهورية العربية السورية
اعتبار شكواها السابقة ضد مصر كأنها لم تكن وترجو حذفها من جدول

اعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية .
طويت صفحة الذين دبروا الانفصال ، وتحسنت علاقات القاهرة مع
دمشق ، ولكنها أبدا لم تعد الى ما كانت عليه قبل الوحدة من حيث تزاوج
القوات المسلحة ، وتوحيد الخطط ، ووحدة القيادة في المعركة ضد الامبريالية
الامريكية والصهيونية التوسعية .

واستمر الانفصال ندبا غائرا في جبهة الجمهورية العربية المتحدة التي
احتفظت بالاسم تعبيرا عن سمو الهدف ، ولكنها في الحقيقة كانت مصر
فقط .

وعندما سقط عبد الكريم قاسم في العراق (فبراير ١٩٦٢) وسقط
حكم الانفصال في سوريا بعد شهر واحد ، بدأت محادثات الوحدة الثلاثية
التي لم تصل الى نتيجة ايجابية ، لما تركته تجربة التعامل بين ثورة يوليو
وحزب البعث من اثار نفسية وسياسية في كلا الطرفين .
ولم يؤد الانتصار في الجبهة الشرقية الى تلاحم حقيقى مع مصر . .
وظل الانفصال شبعا يهدد أى خطوة وحدوية جديدة . . وقيدا يعرقل
حركة ثورة يوليو في هذا الاتجاه . . وضغطا سياسيا يعانى منه النظام .

ثورة اليمن . .

قبل ان يكتمل العام بيومين على انفصال سوريا من الجمهورية العربية
المتحدة ، اذاع راديو صنعاء فى الخامسة مساء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢
بيانا اول تعلن فيه قيادة الجيش سقوط الملكية فى اليمن وقيام الجمهورية
العربية اليمنية .

ولم يكن الامر مفاجئا لجمال عبد الناصر وعدد من ضباط المخابرات ،
فقد كانت هناك صلات بين بعض الثوار اليمنيين وبعض المسئولين فى
القاهرة .

وارسل قادة الثورة اليمنية وفدا الى مصر لطلب المساعدة من جمال
عبد الناصر فى الايام الاولى للثورة . . ويقول حسن ابراهيم ان جميع
اعضاء مجلس قيادة الثورة لم يعترضوا على فكرة مساعدة الثورة اليمنية
عندما عرض جمال عبد الناصر الامر عليهم بصفتهم الشخصية .

كانت قيادة الثورة بعد مرارة النكسة تبحث عن انتصار سياسى يعيد
لها التآلق ، والكلمة المؤثرة فى الوطن العربى . . ولذا كان التردد أمام
مساعدة ، لثورة اليمنية أمرا غير مفهوم ولا مقبول ، وخاصة انه لم يكن امام
الحركة الانقلابية فى صنعاء من سبيل لدعم موقفها سوى ثورة يوليو ، فقد
كان البريطانيون فى الجنوب والسعوديون فى الشمال .

وصل انور السادات الى اليمن فى الاسبوع الثانى من اكتوبر حيث
وقع معاهدة دفاع مشترك بين مصر واليمن ، وكانت قد وصلت قبله ٣ طائرات
حربية وقوات من الصاعقة تحركت من السويس يوم ٥ اكتوبر وافرادها
يلبسون قمصانا بيضاء وينطلون رماذية . . (وفى الباب الرابع من الجزء
الثالث لقصة ثورة ٢٣ يوليو) تفصيل للحركة السياسية بين القاهرة
وصنعاء .

كان نجاح الحركة الانقلابية في اليمن ، ومبادرة مصر لمساعدتها ، نقطة تحول في المنطقة ، بعد ان انشقت الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا ، فقد ظهرت فرصة لوقف المد الرجعي في المنطقة ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربي ، وتمطيم نظام رجعي متهالك ، وحماية ظهر الثوار في جنوب اليمن ضد الاحتلال البريطاني .

ويقول زكريا محيي الدين انه لم تكن هناك مناقشة مطلقا حول مبدأ مساعدة الثورة اليمنية بإرسال قوات مصرية ، وانما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط في الحرب .

ولم يكن جمال عبد الناصر بالتأكيد راغبا في تورط القوات المسلحة المصرية فوق جبال اليمن وفي اعماق الوديان ، ولكنه دفع الى ذلك دفعا ، واتخذت القوى المعادية من اليمن جرحا تستهدف به طاقات ثورة يوليو ، وتضع النظام في القاهرة تحت ضغط شديد .

ولم تكن علاقة مصر مع الولايات المتحدة سيئة عندما قامت ثورة اليمن . . . فالخطابات كانت مازالت متبادلة بين كنيدي وعبد الناصر رغم شكوك الاخير في اشتراك المخابرات المركزية الامريكية في انفصال سوريا بالتعاون مع النظم الملكية والرجعية العربية ، قبل ان تظهر قضية الدندشي صدق هذه الحقيقة بعد انهيار انقلاب الانفصال .

كتب انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) يقول ان جمال عبد الناصر قد طلب من السفير الامريكي جون بادو أية ملفات عن اليمن ، ولم يجد السفير الا ملفا قديما من السفارة الامريكية في صنعاء .

وكانت اول رسالة يتعرض فيها كنيدي للموقف في اليمن مؤرخة في ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ ويقترح فيها الاتي كما وردت في كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر . . . والعالم) . . .

- ١ — الاجلاء المرحلي والسريع للقوات الاجنبية من اليمن .
- ٢ — انتهاء العون الخارجي للملكيين .
- ٣ — الاجلاء المرحلي والسريع للقوات التي ادخلت — بعد الثورة في اليمن — الى منطقة الحدود السعودية اليمنية .

واقترح كذلك ان تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا تعلن فيه استعدادها للقيام بفك اشتباكها على اساس المقابلة بالمثل ولسحب قواتها بسرعة وعلى مراحل اذا انسحبت القوات السعودية والاردنية من الحدود وأوقف العون السعودي والاردني عن الملكيين اليمنيين .

وقد رد عليه جمال عبد الناصر في نفس اليوم حرصا منه فيما يبدو على تأكيد اهمية الوصول الى حل لهذه المشكلة التي كانت قد بدأت تفرض نفسها على الوطن العربي .

وقال جمال عبد الناصر انه يخرج بالخلافات العربية عن نطاقها المحلي لاول مرة ، ويستجيب لرسالته نظرا لما يعرفه واكده له السفير الامريكي جون بادو من ارتباطات كنيدي الوثيقة بالملكة العربية السعودية .

وأشار في خطابه إلى البيان الذي أذيع من القاهرة في الساعات الأولى من يوم ٢٧ سبتمبر (بضرورة عدم التدخل الخارجي في شؤون اليمن ، وترك الشعب العربي اليمني حراً في أعمال إرادته وصياغتها نهائياً على النحو الذي يريده) .

وفتح جمال عبد الناصر صفحة التدخل السعودي الأردني المشترك لمساندة الملكيين ضد النظام الجمهوري في اليمن قائلاً إنهما قد اندفعا بهذا التصور غير الصحيح - وخاصة الملك سعود في محاولة لغزو اليمن . . . وأشار عبد الناصر إلى الطيارين السعوديين الأحرار الذين كلفوا بأعمال عدوانية ضد ثورة اليمن فقادوا طائراتهم الأمريكية إلى القاهرة وحملتها من الأسلحة والذخيرة معبأة في صناديق المعونة الأمريكية .

كما صرح جمال عبد الناصر كنيدي بأن الجمهورية العربية المتحدة تملك وثائق تثبت أن بعض الطيارين الأمريكيين قد اشتركوا في عمليات نقل العتاد ما بين الأردن والسعودية إلى حدود اليمن ، ومع ذلك فقد التمس عبد الناصر العذر لهم لعملهم (تحت عقود ملزمة ، وفي إطار ظروف فرضت عليهم ، وربما لم تكن إبعاد المسؤولية فيه واضحة أمامهم) .

ويحرص جمال عبد الناصر على توضيح رغبته في السلام ، ومحاولته بالوسائل الدبلوماسية تحقيق ابتعاد خارجي عن اليمن ، وأنه اضطر إلى إرسال قوات عسكرية بناء على طلب حكومة اليمن .

ويقول في خطابه (أن الجمهورية العربية المتحدة لم تكن تريد حرباً مع السعودية على حدود اليمن ، فإن الخلاف التاريخي بين حكومة المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، ليس خلافاً من نوع يحسمه الصدام المسلح ، إنما الخلاف أعمق من ذلك ، فإن جذوره ضاربة في أعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة في العالم العربي) .

لم تصل الخطابات المتبادلة إلى نتيجة عملية ، ولم توفر السلام للمنطقة . . . ومع ذلك اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية في ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ بينما رفضت بريطانيا الاعتراف لأن ثورة اليمن كانت تشكل تهديداً للاحتلال البريطاني في عدن ، في وقت كانت الولايات المتحدة فيه تحاول تثبيت أقدامها في المنطقة .

واستمر القتال دائراً لم يتوقف بين قوات الجمهورية اليمنية تساندها القوات المصرية ، وبين قوات الإمام المدعومة بالقوات السعودية والأردنية والمرتزة ورجال المخابرات الأمريكية .

فشلت محاولات جمال عبد الناصر المتكررة لوقف القتال وسحب القوات من اليمن ، أمام الخطة المشتركة التي نفذتها السعودية في عهد الملك سعود ثم في عهد فيصل من بعده .

وكان مؤتمر القمة الأول الذي عقد في القاهرة في ٢٣ يناير ١٩٦٤ قد أخذ توصية بتصفية الجو بين مصر والسعودية ، بعد أن كانت العلاقات

قد تحسنت بين القاهرة وعمان ، ولكن مضت الشهور دون أخذ خطوات ايجابية في هذا السبيل .

كان فيصل أميراً أو ملكاً شديد التشبث بموقفه عندما قررت الجامعة العربية إرسال بعثة خاصة في أكتوبر ١٩٦٢ لمقابلة أنصار الامام ، أقام فيصل العراقي في طريقهم . وعجزت البعثة عن مقابلتهم . واستضافت السعودية بقايا الإخوان المسلمين المعارضين للنظام في مصر . . . وبعض المصريين الهاربين والمتعاونين مع وكالات المخابرات الغربية واستضافت مصر لفترة الأمير طلال بن عبد العزيز الذي كان يطالب بحد أدنى من الديمقراطية في السعودية ، وذلك بعد لجوء بعض الطيارين السعوديين والأردنيين إلى القاهرة .

وخلال عام ١٩٦٢ أعلنت السعودية رفضها قبول المحمل وكسوة الكعبة وهو تقليد مصري قديم محاولة بذلك إثارة المشاعر الدينية ضد جمال عبد الناصر .

وكان موقف مصر من السياسة العربية قد تحسن قليلاً ، بعد سقوط عبد الكريم قاسم في العراق ، وإنهيار حكم الانفصال في دمشق ، وبدء محادثات الوحدة الثلاثية والتحضير لمؤتمرات القمة العربية في القاهرة .

وقام جمال عبد الناصر بزيارته الأولى لليمن بعد ثلاثة شهور من مؤتمر القمة الأول فسافر في ٢٣ أبريل ١٩٦٤ ومعه عبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وأنور السادات .

قال لي زكريا محيي الدين انه لاحظ أهمية الدور الذي تلعبه القوات المسلحة المصرية في تأمين الثورة اليمنية ، بما ترك انطباعاً عنده بأن انسحاب القوات دفعة واحدة قد يؤدي إلى انهيار الجمهورية .

وكان من نتائج مؤتمر القمة أن قام عبد الحكيم عامر بزيارة عمان في شهر يوليو ١٩٦٤ وخلالها أعلن الملك حسين أنه سوف يسحب مساعداته للملكيين . وكان ذلك عقب تصريح أصدرته الحكومة البريطانية في نفس الشهر تعلن فيه أن اليمن الجنوبية سوف تحصل على استقلالها ليس متأخراً عن عام ١٩٦٨ .

وقام الملك حسين بزيارة مصر في شهر أغسطس :

وهنا قدر الأمير فيصل حرج موقف السعودية بعد انسحاب الأردن من قضية اليمن ، وعجز الملكيين عن تحقيق انتصار كامل على الجمهوريين فاستجاب لروح وتوصية مؤتمر القمة التي كانت تتعارض مع إرادة الملك سعود ، فأرسل رسالة إلى عبد الناصر في سبتمبر يبدى فيها استعداداً لمناقشة وقف إطلاق النيران .

وفي مؤتمر القمة الثاني رأس الأمير فيصل الوفد السعودي بعد أن كان الملك سعود قد رأسه في المؤتمر الأول والتقى فيصل والسلال وأبلغ فيصل عبد الناصر قرب عزل الملك سعود ، الأمر الذي نفذ فعلاً في ٢ نوفمبر ١٩٦٤ وأصبح فيصل ملكاً للسعودية ، وسافر زكريا محيي الدين

لقهنته بمنصبه وكانت خطوة فى سبيل تهدئة الموقف ٠٠٠ اسفرت عن صدور قرار أعلن فيه الطرفان يوم ٥ نوفمبر قبول وقف إطلاق النار ، عقب اجتماعات كانت قد تمت بين الملكيين والجمهوريين فى اركويت بالسودان خلال شهر أكتوبر .

ولكن الاتفاق لم ينفذ ٠٠٠ خرج عليه أنصار الامام وأطلقوا النار من الجبال على الجيش المصرى ٠٠٠ وما كان ذلك ممكنا لولا مباركة السعوديين له ٠٠٠ وحدثت وساطات للتهدة قامت بها الاردن والكويت والجزائر .

وبادر جمال عبد الناصر - رغم كل شيء - بالذهاب يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى جدة لمقابلة الملك فيصل ومعه زكريا محيى الدين .

قال لى زكريا محيى الدين أن جمال عبد الناصر كان حريصا على عودة السلام الى اليمن ، وانه لم يتردد مطلقا فى الذهاب الى السعودية عندما وجد أن ذلك يحقق هدفه الكبير .

وقال لى أيضا أن جمال عبد الناصر كان يود أن يذهب الى مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء الذى كان مقررا عقده بعد ثلاثة أسابيع من الزيارة ، ومشكلة اليمن لا مكان لها فى جدول الاعمال ، ولا فى مناقشات المؤتمر الجانبية ٠٠٠ ولذا فانه رغبة منه فى ازالة اية مصاعب تعترض الاتفاق استدعى السلال الى القاهرة فى اكتوبر ١٩٦٥ ليرطب نفسية السعوديين ويقلل من ثغرة الخلافات .

قال لى اللواء طلعت حسن القائد العام للقوات المصرية والذى عين فى يوليو ١٩٦٦ ان المجموعة الحاكمة بعد السلال كانت تتآمر على الوجود المصرى بصلات سرية مع السعوديين والامريكيين ، وانها تمثل ردة رجعية عن أهداف الثورة ، ولذا طالب بعودة السلال .

ويمكن الرجوع الى تفاصيل الموقف داخل اليمن فى الفصل الثالث من باب اليمن فى كتاب (عبد الناصر ٠٠٠ والعرب) .

القتال لم يتوقف رغم مؤتمر حرض ٠٠٠ ورغم ذهاب جمال عبد الناصر لمقابلة فيصل فى جدة .

استنزاف طاقة مصر كان خطة امبريالية مدبرة ، أسهمت فيها القوى الملكية والرجعية فى المنطقة .

قال لى جمال عبد الناصر فى مقابلة معه بعد عدوان ١٩٦٧ (لقد أرسلت سرية الى اليمن اضطررت الى تعزيزها بسبعين ألف جندي) .

حاول جمال عبد الناصر كثيرا أن يتفادى الانزلاق الى هذا الشرك ولكنه كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل .

أولا ٠٠٠ تدخل بريطانيا خوفا على مواقعها فى عدن ، وارسالها بعثة عسكرية لتنظيم الجيش السعودى .

ثانيا ٠٠٠ تدخل حكومة الولايات المتحدة تدخلا مباشرا فيما عرفت باسم (حرب كומר) وهو ضابط المخابرات الأمريكى السابق (روبرت كומר) الذى عينه جون كيندى قائدا لما عرف باسم (قوة واجب) قاد فيها المرتزقة لصالح السعوديين والملكيين ٠٠٠ كما قامت بامدادها بالأسلحة والذخيرة والتأييد .

ثالثا ٠٠٠ تخوف حكام السعودية على نظامهم الملكي وتورطهم مع القوى الاستعمارية لمساندة فلول الاماميين من اتباع البدر ٠٠٠ وعدم استجابتهم الى محاولات جمال عبد الناصر الصادرة لاقرار السلام ومسحج القوات الأجنبية .

رابعا ٠٠٠ الاخطاء التي ارتكبتها بعض القيادات المصرية خلال القتال نتيجة نقص المعلومات وضعف التدريب على حرب الجبال ، والتسيب الذي فرضته ظروف البعد عن مصر وأسلوب المشير عامر وهيئة مكتبه في معاملة الضباط .

خامسا ٠٠٠ التزام جمنسال عبد الناصر بموقفه الثورى فى تأييد حركات التحرر الوطنى بكل ما يملكه من طاقات رغم ما يحفل به ذلك أحيانا من نواقص وتناقضات تتمثل فى الاعتماد على ضباط المخابرات وعدم وجود كادر سياسى قادر ، وغيبة التنظيم .

استمر القتال فى اليمن خمس سنوات تقريبا اثرت على القدرة القتالية للقوات المسلحة حيث ضعف التدريب وتراخى ، واستهلكت طاقة الجنود فى حرب عصابات لم يألّفوها ٠٠ نشرت النيويورك تايمز يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ أن ٥٠٠٠٠ ر ٥٠٠٠٠ جندي قاموا بالهجوم على الملكيين وخسرت القوات المصرية ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ جندي .

كما استنزفت حرب اليمن اقتصاد مصر ٠٠ ولكن هذا لم يكن أمرا اختياريا ٠٠ كانت هذه هى خطة الامبريالية لحصار النظام فى مصر واجباره على الخضوع .

هذا الضغط الشديد الذى تعرض له النظام لم يؤد الى ركوعه وخضوعه للامبريالية ، ولكنه استطاع المقاومة ٠٠٠ والقول بأن مساعدة ثورة اليمن قد استنزفت مصر تماما وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة هو قول مبالغ فيه كثيرا ٠٠٠ فان مساعدات الأسلحة ووسائل النقل السريع كانت من الاتحاد السوفيتى وقد اعطيت مجانا ٠٠٠ والأمور لم تصل فى مصر الى حافة الازمة لنمو خطة التنمية ٠٠٠ والذين يثيرون القول بأن ما صرف من أموال فى التنمية كان كافيا لرفع مستوى الشعب يعيشون فى وهم التصور بأن النظام المصرى كان يمكن له أن يواصل عمليات التخطيط والبناء والتنمية وهو مغلق أبوابه على نفسه .

ويقول زكريا محيى الدين أحد دعاة الاهتمام بالامور الاقتصادية وعدم نسجها بالقضايا السياسية ان صعوبة الموقف الاقتصادى لم تكن كلها كامنة فى اليمن ، وانسحاب القوات المصرية جميعها لم يكن ليحقق انفراجا حقيقيا للاقتصاد المصرى .

ومع ذلك فان حرب اليمن كانت ضغطا من الضغوط الشديدة التى تعرض لها النظام فى مصر ٠٠٠ والتى كسبت منها اسرائيل اساسا ٠٠٠ فان القوات المسلحة بعد أن كانت قد وصلت الى ذروة التدريب والكفاءة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٣ كما أكد لى الفريق عبد المحسن مرتجى حيث كان قد تطور تسليحها واكتمل تنظيمها وارتفع تدريبها على

مبادئ القتال العصرية ثم عادت فتراجعت تحت ضغط الظروف الطبوغرافية في اليمن ، وطبيعة الارض التي لا تتشابه مع ارض سيناء ، وظروف المعركة التي كانت تدفع الوحدات الى الثبات والاستقرار لتعذر تدريبها او قيامها بمناورات ، وعدم مواجهتها العدو في معركة تصادية .

كل ذلك اضعف من تدريب الوحدات وقدرتها القتالية في وقت زاد فيه عددها حتى بلغ ٧٠٠٠ جندي كما قال لي جمال عبد الناصر ما يعادل ثلث القوات المسلحة المصرية تقريبا .

ولذا شكلت حرب اليمن ضغطا اقتصاديا على النظام ، واثرت ايضا في قدرة القوات المسلحة على مجابهة أي غزو اسرائيلي ٠٠٠ كما ان عدم تسجيل أي انتصار سياسي أو عسكري لمدة خمس سنوات تقريبا قد اثر على النظام وعلى سحر شخصية عبد الناصر .

المشاكل الداخلية :

لا يوجد نظام بعيد عن المشاكل الداخلية ٠٠٠ ولا يمكن تحقيق الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي قفزا فوق هذه المشاكل . ولكن اسلوب ثورة يوليو في تشكيل المجتمع والتجارب التي خاضتها للوصول الى (صيغة ديمقراطية) ، والتغيير المتكرر في تكوين تنظيم سياسي (هيئة التحرير - الاتحاد الوطني - الاتحاد الاشتراكي) ، واقصاء قوى سياسية وطنية وتقدمية عن مجال العمل السياسي ، وعدم الاعتماد على تخطيط علمي مدروس (خطة خمسية واحدة) ، وعدم اعطاء الثقافة دفعة قوية تصل بها الى الجماهير في شتى انحاء الجمهورية .

كل هذه العوامل وغيرها انبتت كثيرا من المشاكل الداخلية التي لا يمكن القول بانه كان يمكن تجنبها تجنبيا كاملا ، وانما كان يمكن ان تظهر بصورة بسيطة لا تهز المجتمع أو تؤثر فيه تأثيرا عميقا . وقد أفرخت كل هذه المشاكل من نقص الديمقراطية والاعتماد شبه المطلق على تقارير أجهزة الأمن وما قد تحويه أحيانا من صواب وأحيانا من أخطاء .

انجازات ثورة يوليو في مجال الديمقراطية كانت فقيرة ٠٠٠ مجلس الامة الاول انتخب عام ١٩٥٧ بعد خمس سنوات من الثورة ، ثم سرعان ما انفض مع قيام الوحدة (فبراير ١٩٥٨) ليشكل مجلس جديد بالاقتدار عام ١٩٦٠ من ٤٠٠ عضو مصري ، ٢٠٠ سوري وبعد الانفصال تكون مجلس جديد عام ١٩٦٤ .

مجلس ١٩٥٧ كان من حق الاتحاد القومي أن يشطب أسماء المرشحين ، وأن يخلى الدوائر لأسماء معينة ، ولذا فإن ما قاله لي زكريا محيي الدين من أن الانتخابات كانت حرة ونزيهة الى الحد الذي أسقطت فيه والد كمال الدين حسين ، وشقيق زوجته هو شخصيا ، لايعني أن الثورة قد انتخبت مجلسا ديمقراطيا سليما .

ومجلس ١٩٦٤ كان خطوة الى الامام فى طريق الديمقراطية ، فلم يحدث اعتراض أو شطب للمرشحين ، ولكن عضوية الاتحاد الاشتراكى كانت قيداً وحاجزاً فى الطريق .

ومع ذلك فان هذه المجالس لم تتفاعل مع المجتمع تفاعلاً ديمقراطياً يكسبها ثقة الجماهير ولم تعترف بنظام المعارضة ولم تؤد دور الرقابة الشعبية السليمة ، التى تكشف الاخطاء والانحرافات وتقدم العلاج قليلة هى الاصوات التى ارتفعت بالنقد . . . بل لم تناقش أو تحط علماً بقرارات خطيرة مثل دخول القوات المصرية لليمن أو مسار محادثات الوحدة الثلاثية مع سوريا والعراق ، أو تفاصيل اتفاق المال العام .

ومجالس الامة لا يمكن أن تكون - وحدها - هى الصورة النهائية للديموقراطية ، اذا كانت هذه الديمقراطية مفتقدة داخل صفوف الاتحاد الاشتراكى العربى ، التنظيم الذى يفترض فيه أن يحتوى كل الآراء ووجهات النظر المختلفة ، وقياداته كانت تفرض ولا تنتخب . . . وقراراته كانت تصدر ولا تنفذ . . . وأجهزته المختلفة كان واجبها الرئيسى هو التعرف على نبض الحياة فى سائر الانحاء ، وهو واجب رغم أهميته لا يصح أن يكون هو الواجب الرئيسى .

وعندما بدأت تجربة تكوين جهازه السياسى الطليعى (طليعة الاشتراكية) لم تتم بصورة تنظيمية سليمة ، بل انها تحت ضغوط الرابضين فى مركز السلطة تحولت الى صورة من صور الاتحاد الاشتراكى . . . ولكن بطريقة أفضل قليلاً كما أشرنا الى ذلك وغيره فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

وكان طبيعياً - من وجهة نظر العسكريين الذين وثبوا الى السلطة - أن يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين ، وقد قاموا بالغاء الاحزاب والدستور وتأكيد سلطة مجلس قيادة الثورة حتى نهاية فترة الانتقال . . . وخلال ذلك تعرضوا لمصادمات مع الاحزاب ورجال السياسة السابقين . . . وكان أخطر صدام لهم مع الاخوان المسلمين الذين تميزوا بتنظيم متماسك يملك السلاح ، والارهاب ليس نظرية مرفوضة عنده .

لم يكن الاخوان المسلمون حزباً ديمقراطياً . . . ولكن الاسلوب الذى استخدم معهم أيضاً لم يكن ديمقراطياً . . . مفهوم أن يحصل الاخوان المسلمون وأن يقدم قاداتهم للمحاكمة ، ولكنه غير مفهوم أن يفرض عليهم تعذيب جماعى غير انسانى .

كانت حركة الجيش قد قامت بأكبر عملية اعتقال فى تاريخها عام ١٩٥٤ اذ اعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة ، تعرض بعضهم فى السجن الحربى لاساليب مهينة ، وقامت محكمة الثورة التى رأسها جمال سالم بمحاكمة أعضاء جماعة الاخوان المسلمين باسلوب يهبط من كرامة القضاء ويحط من مستوى الحكم فى مصر . . . ومع ذلك فقد اعتقد جمال عبد الناصر انه قد قضى على الاخوان المسلمين بعد هذه التصفية الادارية الشاملة . . . ولكن ذلك لم يكن صحيحاً . . . فالتصفية الادارية وحدها لا يمكن أن تنفع مع

أصحاب المبادئ - حتى ولو كانت خاطئة - ذلك لان القهر والعنف لا ينزع الافكار من الرؤوس .

لم تبذل الثورة جهدا حقيقيا في تصفية الاخوان المسلمين فكريا عن طريق توعية الناس وتثقيفهم واثاحة فرصة الاختيار الديموقراطى للجماهير واكتفت باحكام الاعدام التى أصدرتها محكمة الثورة ، وقضبان السجون الحربى وجدران المعتقلات .

ولم يكن كل ذلك كافيا . . فقد عاد الاخوان المسلمون للظهور مرة أخرى بعد عشر سنوات فى عام ١٩٦٥ ، بنفس الاسلوب القديم . . . تنظيم جهاز سرى ودير محاولات للاغتيال . . . شجعهم على ذلك احتضان بعض الدول لافرادهم الهاربين من مصر مثل السعودية وبلاد الخليج ، وارتباط عناصر منهم مع جهات اجنبية مشبوهة ، وبقاء (الدعوة) راسخة فى صدور بعضهم ، لا يلغىها أو يضعفها وجود تنظيم سياسى مقنع للثورة .

ولذا فشل النظام فى أن يكتسب شرعية بين جماهير الاخوان الذين هم من الطبقة الوسطى الجديدة التى نمت مع الثورة ، فقد كان معظم المتهمين الرئيسيين من المهندسين والكيميائيين وخريجي الجامعات والطلبة ، ولم يكن يتهم أحد من العمال أو الفلاحين . . . هذه الطبقة الجديدة التى قضت الثورة على تطلعاتها وأحلامها الذاتية ، وحاصرتها داخل الحدود فى أوضاع اقتصادية متواضعة . . . ولم تضع حلا لمشكلة الاغراء المادى الكبير الذى يجذب بريقه خريجي الجامعات من البلاد البترولية .

كانت (دعوة الاخوان) دليلا على فشل النظام فى ايجاد تنظيم بديل يجذب الجماهير . . . ودليلا على أن تصفية الاخوان لم تتجاوز الحدود الادارية الى الحدود الفكرية ، بل أنه حتى فى الحدود الادارية كان هناك تقصير ، فلم تنشط الشرطة لمعرفة خلايا جهازهم السرى وفشلت أجهزة الشرطة التقليدية الامر الذى أدى الى الاستعانة بالمباحث العسكرية ، وانتهى الى اخراج بعض كبار ضباط الشرطة من الخدمة ، وتغيير عدد كبير من المحافظين .

ورغم كل ما قامت به الثورة من تأكيد لاتجاهها الدينى ، بزيادة عدد المساجد زيادة هائلة ، وبث اذاعة خاصة للقرآن والحديث ، واقرار الدين مادة رئيسية فى المدارس ، والحرص على التقاليد والشعائر الدينية ، فإن الاخوان قد وجدوا سبيلا لاجتذاب بعض الناس ، مستندين الى الفراغ السياسى ، واثارة العواطف ضد أحكام الاعدام واجراءات التعذيب التى تعرض لها الاخوان ، ومهاجمة بعض اجراءات الثورة الصالحة مثل الغاء المحاكم الشرعية والمجالس المالية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ واحلال المحاكم الوطنية بدلا منها للنظر فى دعاوى الاحوال الشخصية والأوقاف اعتبارا من أول يناير ١٩٥٦ .

ولم تبدأ الثورة دورها الحقيقى فى محاولة تصفية الاخوان تصفية فكرية الا بعد اعتقالات ومحاكمات ١٩٦٥ التى أشرت اليها فى لجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، فقد بدأت أجهزة الاعلام تكشف دور

الاخوان تاريخيا ، وتسلبت الاضواء على حوادثهم الارهابية ، مع توضيح المعنى الحقيقي لسماحة الاسلام وسلامة نظراته الاجتماعية العادلة التي لا تتناقض مطلقا مع تطبيق الاشتراكية ، واسهمت في ذلك جامعة الازهر ووزارة الأوقاف .

كانت خطوة متأخرة ولكنها نافعة . . . ومع ذلك فقد كانت (عودة الإخوان) ضربة موجبة لشرعية النظام ولزعامة جمال عبد الناصر التي لم تتعرض منذ عام ١٩٥٤ لمثل هذه المؤامرات أو المحاولات الداخلية . . . ولا شك أنها أحدثت هزة دفعت النظام الى مزيد من البحث عن أسباب الضغوط أو الانفجارات الداخلية .

وخلال هذه الفترة وما بعدها وقع حادث كمشيش الذي اثبت ايضا ان فلول الاقطاعيين مازالوا يمثلون قوة انقضا على النظام ، وأن خطوات الثورة في محاربتهم لم تتجاوز أيضا الاجراءات الادارية وحدها . . . فلم تقنم الثورة تجربة اطلاق حرية التنظيم للفلاحين والاجراء .

وفي مراجعة ماوقع في كمشيش تشكلت لجنة تصفية الاقطاع التي رأسها المشير عبد الحكيم عامر ، والتي اعتمدت في حركتها على رجال القوات المسلحة والاسلوب الاداري العنيف ، ولم تر أسلوبا آخر لتصفية الاقطاع بعد ١٤ عاما تقريبا من صدور قانون الاصلاح الزراعي في سبتمبر ١٩٥٢ .

الاجراءات الادارية المصحوبة بالعنف ، كانت اقرب السبل لقادة الثورة الذين نبتوا في وسط عسكري ، ولم يسهل عليهم التحرر من طبيعتهم أو عيوب مهنتهم .

لم تكن هناك محاولة جادة أو غير جادة لتصفية الفكر الاقطاعي سوى خطب ومناقشات جمال عبد الناصر التي كانت تقوم بتنظيمات الاتحاد الاشتراكي بدراستها وتحليلها ثم تطوى صفحاتها دون تأثير حقيقي في الجماهير .

وأضرب مثلا لذلك بما دار في جلسة امانة الاتحاد الاشتراكي يوم ١١ مايو ١٩٦٢ عندما قال جمال عبد الناصر :

(أخشى أن نجد أننا كقلنا الرأسمالية الوطنية فقط لانها متكثلة وجاهزة فعلا ومن السهل تجميعها اما بقية القطاعات أو قوى الشعب فسنجد اننا لا نستطيع تجميعها . . . ان عملية الاخ سيدمرعى سهلة جدا) . . . وكان سيد مرعى هو مسئول الرأسمالية الوطنية .

عبد الحكيم عامر : أي ان الرجعية جاهزة
جمال عبد الناصر : يجب أن نفرق بين الرأسمالية الوطنية والرجعية
سيد مرعى : أرجو أن يقتنع سيادة المشير بهذا .
جمال عبد الناصر : أنت - أي سيد مرعى - الذي يجب أن تثبت ذلك

ومع هذه الخشية الواضحة من تكتل الرأسمالية الوطنية والعجز عن تكتيل القوى العاملة فان قيادة الثورة كانت على حذر دائم من ناحية حرية

العمل السياسى والتنظيمى للعمال والفلاحين ٠٠ فقيادات العمال استمرت فى أماكنها عدة سنوات دون انتخابات للتجديد خشية من ظهور عناصر تكون أقل التزاما وخضوعا للثورة وأكثر حيوية وتعبيرا عن مصالح الطبقة العاملة .

وكذلك ترك الفلاحون يمارسون دورهم التاريخى الذى امتد آلاف السنين فى زراعة الارض ، دون أن تتاح لهم فرصة التجمع فى تنظيمات ونقابات واتحادات معبرة عن مصالحهم الحقيقية ، تحت قيادات شرعية منتخبة منهم فى ديموقراطية كاملة .

ورغم حرص قيادة الثورة على وجود نسبة ٥٠٪ من العمال والفلاحين فى مجلس الامة وبعض مستويات الاتحاد الاشتراكى التنظيمية الا ان هذه العناصر لم تكن مفرزة بطريقة ديموقراطية ، ولم تكن تحتل مواقعها بإرادة الجماهير ، وانما برضاء السلطات العليا فى الاتحاد الاشتراكى أو أجهزة الدولة ، وبذا فهى لم تكن تؤدى دورا معبرا عن مصالح طبقتها ، كما أنه يلاحظ أن جميع قيادات الاتحاد الاشتراكى الحقيقية فى المكاتب التنفيذية بالمحافظات ، أو فى اللجنة التنفيذية العليا عندما شكلت لم تكن من العمال أو الفلاحين بل من أبناء البرجوازية الصغيرة ٠٠٠ واللجنة التنفيذية العليا لم يكن فيها فلاح أو عامل .

ويلاحظ أيضا أن الاتحاد الاشتراكى قد بقى منذ تشكيله عام ١٩٦٢ إلى ما بعد صدور بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ وهو بغير لجنة مركزية أو لجنة تنفيذية عليا ٠٠٠ كانت هناك امانة فقط لا تصدر أى نوع من القرارات ٠٠٠ بل تشير أسئلة فقط يرد عليها جمال عبد الناصر وينتهى الموضوع ، كما قال لى الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة ، وكما هو معروف ٠٠٠ وكذلك كان الامر فى امانة طليعة الاشتراكيين كما أوضحت فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

كانت خطب ومناقشات جمال عبد الناصر هى مؤشر التوجيه ، ولكنها وحدها لم تكن كافية دون تفاعل مع أجهزة تنظيمية قادرة على الاستيعاب والتوجيه واكتساب ثقة الجماهير بالقُدرة والنضال ونكران الذات .

ولذا كانت ردود فعل النظام فى مواجهة ما يظهر من ضغوط نابغة من المشاكل الداخلية المتراكمة بلا حلول ٠٠ مثل تصفية الاخوان المسلمين وفلول الاقطاع تصفية فكرية وليست ادارية ٠٠٠ كانت ردود الفعل متسمة أيضا بالاغراق فى مزيد من الاجراءات الادارية ، وقليل من المناقشات والدعاية الفكرية المؤثرة .

كان عجز التنظيم السياسى وضعف قدرته القيادية عاملا من أهم العوامل التى جعلت النظام يستشعر الضغوط الداخلية بحساسية زائدة ، واجراءات ادارية عنيفة .

وكان هذا العجز والضعف تابعا أساسا من نقص الديموقراطية داخل التنظيم ، وحق الفرد فى التعبير بحرية واطمئنان ٠٠٠ وما يتبع ذلك

من غياب الديمقراطية الحقيقية فى المجتمع . . . الديمقراطية التى تسمح بالمعارضة والنقد والنضال من أجل التغيير .

وفى مسار هذا الاتجاه كان الموقف من الشيوعيين أيضا الذى أوضحناه فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

وعندما قرر النظام الإفراج عن الشيوعيين وأخلت المعتقلات تماما عام ١٩٦٤ ، لم يفتح النظام أبوابه لاستيعاب هؤلاء المناضلين الذين أمضوا فى السجن سنوات مليئة بالقهر والعذاب ، رغم وجود فرصة متاحة لذلك تمثلت فيما أبداه جمال عبد الناصر من رغبة فى ضمهم الى طليعة الاشتراكيين ، وما اتخذته التنظيمان الرئيسيان (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، والحزب الشيوعى) من قرار بإنهاء وجودهما التنظيمى استعدادا للنضال فى صفوف النظام .

وبقى الشيوعيون خارج دائرة النظام . . . البعض منهم يدخل إليها ، ولكن تسلط عليه الاضواء لتقييد حركته ومنعه من التأثير فى الآخرين . . . اما اذا انصهر فى بوتقة النظام وقبل كل الظروف القائمة بلا نقد أو تعليق ، فانه عندئذ يمكن ان يصل الى بعض المناصب المسئولة . . . ولذا بقيت الكثرة الغالبة من الشيوعيين بعيدا عن مواقع المسئولية ، بل وبقي البعض منهم محروما من حق العمل رغم صدور قرار بتشغيل الخارجين من المعتقلات والسجون .

وعبر جمال عبد الناصر عن موقفه هذا صراحة عندما زار الاهرام واجتمع مع محررى الطليعة وقال لهم انهم يجب ان يؤدوا دور التضحية مثل (سان بيتر) .

كما لم يسمح النظام للطبقة العاملة والفلاحين بتنظيم أنفسهم نقابيا وسياسيا ، فانه أيضا لم يسمح لحزب الطبقة العاملة بالوجود ، ولم يسمح لأعضائه السابقين بان يمارسوا نضالهم على نفس المستوى الذى يمارسه فيه الآخرون . . . وظلت كلمة (الشيوعية تلاحق بعضهم وتطاردهم ، بل وتدخلهم المعتقلات والسجون ، كما حدث عام ١٩٦٦ عندما اعتقل كمال عبد الحليم السكرتير السابق لحدثو ومعه عناصر أخرى لفترة شهور .

صحيح أن الشيوعيين لم يأخذوا موقف المعارضة ، ولم يشككوا أى نوع من أنواع الضغوط على النظام . . . ولكنهم حوصروا بمنعهم من النشاط السياسى المسئول فى طليعة الاشتراكيين أو الاتحاد الاشتراكي . . . كما أن انفراط مسبحة تنظيمهم قد دفع البعض منهم الى الاهتمام بأمور حياتهم الخاصة بعيدا عن دفع الانتماء وحرارته ، وما يتبع ذلك من صقل للوعى ، وتغليب للأمور العامة على الخاصة ، وتأكيد للقضية ونكران الذات .

وهكذا فقد النظام فرصة فريدة كان يمكن له فيها ان يستوعب خلاصة المناضلين المصريين لأكثر من عشرين عاما ، خاصة وان قيادة جمال عبد الناصر للمجتمع خلال هذه المرحلة لم تكن محل مناقشة مطلقا ، بل اعترف الجميع بزعامته ووطنيته وتقدميته .

ومن المؤسف أن كثيرا من الذين تولوا مناصب المسؤولية في مرحلة التحول نحو الاشتراكية كانوا أبعد الناس عن فهم الاشتراكية أو الاقتناع بها. بينما وضعت الحواجز أمام الاشتراكيين الحقيقيين لتحول دون أداء دورهم الطبيعي في المساهمة لنجاح خطط التنمية .

ربما لا يكون عدد الاشتراكيين الحقيقيين كافيا للخروج من أزمة نقص الكادر الاشتراكي الفني في دول العالم الثالث ولكن مجرد بقاء (الحساسية من الماركسية) والتهجم على كل من ينتقد أو يعارض بأنه شيوعي . كان هداما في ذاته لامكانية استيعاب العناصر الصالحة ، وستارا يكتفى خلفه أعداء التقدم من الرجعيين والمحافظين بدعوى أنهم اشتراكيون محليون ، وفي نفس الوقت لا يحبون الشيوعية .

ومصر لم تطبق الا خطة تنمية واحدة هي التي تمت أثناء رئاسة علي صبري للوزارة وانتهت في يونيو ١٩٦٥ وأصدر علي صبري عنها كتابا خاصا . . . ويمكن القول بأنها الخطة الوحيدة التي طبقت وأنه رغم أنها لم تحقق ٢٢٪ من أهدافها الا أنها كانت بداية التوجه العلمي لبناء المجتمع . كانت التنمية مشكلة من المشاكل الضاغطة على النظام . . وكانت ثورة يوليو من ثورات التحرر الوطني الدائرة في هذا المضمار . . . ولذا اقترنت خطوات التقدم بمصاعب جديدة . . . فالالتزام بتشغيل الخريجين في المدارس والمعاهد والجامعات فرض نوعا من العمالة الزائدة على وحدات الانتاج في وقت كانت تعاني فيه بعض المشاريع ووحدات الخدمات في الاقاليم نقصا مبالغا فيه .

وعلى قدر ما أتاحتها قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية من فرص إقامة مجتمع يسود فيه القطاع العام ، على قدر ما تحملت الدولة نسبة عالية من الاجور .

الاحصائيات تشير الى ان الاجور قد ارتفعت من ٥٠ ٪ الى ٥٢٫٩ ٪ خلال السنوات التسع الاولى للثورة ، ثم حدث ارتفاع حاد بعد ذلك من عام ١٩٦٥ فوصلت الاجور الى ٧٢ ٪ اذ تضاعفت من ١ : ١ مليون جنيه حتى أصبحت ٢٢٤ مليون جنيه كما هو موضح في البيان التالي الذي صدر في عهد وزارة زكريا محيي الدين في كتيب (اهداف المرحلة القادمة) .

الانفاق الحكومي

١٩٦٥ - ٦٦	١٩٦١ - ٦٢	١٩٥٢ - ٥٣	جملة المرتبات الحكومية
٢٢٤ مليون	١٠١ مليون	٥٤٫٨ مليون	
١٩٦٥ - ٦٦	١٩٦١ - ٦٢	١٩٥٢ - ٥٣	جملة المصروفات الحكومية
٣١٨ مليون	١٩١ مليون	١٠٨ مليون	

وشكلت لجنة في يناير ١٩٦٥ برئاسة زكريا محيي الدين وعضوية عباس رضوان وكمال رفعت ومصطفى خليل لدراسة اخطاء البيروقراطية ووضع الحلول لها . . ولكنها مثل كل اللجان وقعت في مصيدة البيروقراطية نفسها .

ضاعفت هذه الحالة البيروقراطية في مصر مع الزيادة المستمرة في

عدد السكان ونقص التخطيط من متاعب النظام وشكلت ضغطا فرض عليه محاولة التهدة حتى يعبر مرحلة الانتقال غير المستقرة في سلام ، خاصة وهو يواجه مشكلة اسرائيل التي لم تصل بعد الى حل .

القوات المسلحة ..

لم تكن القوات المسلحة قوة من القوى الضاغطة على النظام ... العكس هو الصحيح ... كانت القوات المسلحة هي درع النظام وحاميته وسنده الرئيسي في البقاء وفي تفريخ معظم الكادر القيادي في مجالات كثيرة (العمل السياسي - الخارجية - الاقتصاد - الصناعة وغيرها) . ولكن بعض ما كان يدور في كواليس القوات المسلحة ، كان يشكل فعلا نوعا من الضغط على النظام وقيادته السياسية .

كان جمال عبد الناصر هو الذي رشح عبد الحكيم عامر ليرقى من رتبة صاغ الى لواء ، ويتولى قيادة القوات المسلحة في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وذلك ثقة منه فيه لعلاقة الصداقة التي كانت تربطهما معا خلال العمل في الجيش كانا يقيمان معا قبل الزواج في شقة واحدة ... وبذا كان عامر هو القبض التي يقبض بها جمال عبد الناصر على القوات المسلحة ، وهو السياج العازل الذي يحول دون وصول أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين الى صفوف الجيش وما قد يتبع ذلك من محاولات انقلابية .

ولكن العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ كشف خلافا بين الصديقين حول أسلوب مقاومة المعتدين ، ومع ذلك لم يصل الخلاف الى حد الفرقة ، وما قاله لي عبد اللطيف البغدادي وذكريا محيي الدين من انه كان هناك قرار بعزل قائد القوات الجوية صدقي محمود بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات واصرار عامر على بقائه فلم ينفذ القرار ، انما يدل على ان جمال عبد الناصر حتى ذلك الوقت كان محتضنا لعبد الحكيم عامر ومفضلا تسليمه القوات المسلحة على نزعه منها ، وقد غلب علاقته الخاصة به وثقته الشخصية فيه على قضية وطنية تتعلق باهمال قائد عسكري ومستوليته عن تدمير قوات مصر الجوية .

وظهر خلاف جديد بين عبد الناصر وعامر عند ما حدث انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ في وقت كان فيه عبد الحكيم عامر موجودا في دمشق ، وله كل صلاحيات رئيس الجمهورية .

فرخ الانقلاب في مكتب عبد الحكيم عامر عددا من الضباط وضع ثقته فيهم فكان ذلك دليلا على غفلته وعدم احساسه بالغليان الذي كان يفور في صفوف المجتمع والقوات المسلحة ... وكان عبد الناصر قد ساند عبد الحكيم عامر في خلافه مع عبد الحميد السراج الذي استقال وهو قابض على كل خيوط الامن الداخلي بصفته وزيرا للداخلية .

وكانت صدمة الانفصال اقصى على جمال عبد الناصر وعلى النظام من صدمة هزيمة ١٩٥٦ العسكرية والتي تحولت كما ذكرنا الى نصر سياسي .

لم يستطع جمال عبد الناصر ان يبلغ مأساة الانفصال دون محاسبة عامر الذي كان مسئولا مفوضا في سوريا ، فشكل مجلس الرئاسة وعين عبد الحكيم عامر نائبا للقائد الاعلى للقوات المسلحة بدلا من منصبه السابق كقائد عام للقوات المسلحة ، وقدم مشروعه المعروف بتحديد اختصاصات المشير في تعيين قادة الوحدات المسلحة الى درجة كتيبة ، وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة ، وقد تضمن المشروع الذي عرضه عبد اللطيف البغدادي في جلسة غاب فيها عبد الناصر ، حدا من سلطة وزير الداخلية ايضا في تعيين كبار المسئولين في الشرطة الى درجة مأمور مركز .

ولكن المشروع لم يعتمد لاسباب ذكرناها تفصيلا في الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) ، وأدى الى غضب المشير وسفره الى مرسى مطروح بعد تقديم استقالته ثم عدوله عنها بعد الحاح زملائه واصدقائه عليه مثل صلاح نصر وعباس رضوان .

لم تكن استقالة المشير عامر عملا فرديا ، ولكنها اخذت شكلا جماعيا في صورة برقيات من كبار قادة القوات المسلحة تطالب بعدم قبول الاستقالة والتلويح باستقالة جماعية لكبار الضباط . . . وكان عامر خلال قيادته للقوات المسلحة يفتقد على الضباط ويلبى طلبات كل من يطرق بابه من أموال الدولة ، ولهذا كان محبوبا كشخصية انسانية ، وكان انتزاعه من القوات المسلحة في ذلك الوقت يمكن ان يخلق المتاعب لجمال عبد الناصر .

والغريب ان بعض المقربين من عبد الحكيم عامر قد تصرفوا امام مأساة الانفصال تصرفات مشيئة تجلب له العار ، مثل جلال هريدي قائد قوات الصاعقة الذي هاجم النظام وعبد الناصر في تليفزيون دمشق ، وزغلول عبد الرحمن الملحق العسكري في بيروت والشخص المدلل من المشير عامر الذي لجأ الى سوريا خلال أزمة شتورا ، وعقد مؤتمرا صحفيا في دمشق هاجم فيه النظام وعبد الناصر ايضا ، وهو الذي لجأ بعد ان كان المشير عامر قد سدد مئات الآلاف من الليرات خسرها زغلول على موائد القمار في كازينو بيروت .

ورغم ذلك فلم يفعل جمال عبد الناصر شيئا سوى تجميد بعض الضباط المصريين من مكتب المشير في دمشق عن العمل لمدة عام مثل الفريق انور القاضي وثلاثة آخرين . . . وعندما عدل المشير عن استقالته تراجع عبد الناصر عن مشروعه المعروف على مجلس الرئاسة للحد من اختصاصاته . . . وغلب علاقته مع عامر مرة اخرى على علاقته بزملائه الآخرين في مجلس الثورة مثل عبد اللطيف البغدادي الذي كان اكثرهم غضبا من المشير لعدم اخراجه صدقي محمود من قيادة القوات الجوية منذ عام ١٩٥٦ .

ولكن الانفصال والاستقالة ثم العدول عنها كانا نقطة تحول في علاقة جمال عبد الناصر او النظام بالقوات المسلحة . قال لي الفريق عبد المحسن مرتجى ان جمال عبد الناصر كان شديد الاهتمام بمتابعة تسليح القوات المسلحة بالاسلحة السوفيتية الحديثة والتدريب عليها والمناورات بها ، ويفسر ذلك قوله بان الجيش كان في ذروة

كفاءته من اعوام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ . ولكنه يستطرد فيقول ان عبد الناصر قد فقد اهتمامه بالقوات المسلحة ومتابعة تقدمها وتطورها بعد الانفصال . وكان المشير ايضا قد بدأ ينهج نهجا جديدا في حياته الخاصة دفع به الى الحياة الناعمة كما اوضحت في الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، وضعت بذلك قبضته على القوات المسلحة من الناحية الفنية والتدريبية ، والتقط الصاغ شمس بدران هذه الفرصة ففرض نفسه كشخصية مسئولة ، يلجأ اليها جمال عبد الناصر لمعرفة تفاصيل ما يدور فى القوات المسلحة ، ويعتمد عليها عبد الحكيم عامر فى تسيير الامور بلا حساب . واقرنت هذه الحالة بحرب اليمن التى اضعفت القوات المسلحة من ناحية التدريب ومن ناحية الانضباط . . وزاد ذلك من ابتعاد جمال عبد الناصر عن مباشرة احدى مسئولياته كزعيم للدولة ، وهى القيادة العليا للقوات المسلحة .

وهنا بدأت القوات المسلحة تظهر بما فى كواليسها من تناقضات ، وما فى قيادتها من تسيب ، كقوة ضاغطة على النظام وعلى جمال عبد الناصر شخصيا الى الحد الذى جعله يعين الصاغ شمس بدران وزيرا للحربية وهو غير مؤهل عسكريا لذلك فلم تتجاوز دراسته الكلية الحربية ، ولم يشترك فى أية عمليات حربية ، ولم يعرف عنه الاهتمام بالثقافة العسكرية ، رغم شخصيته التى فرض نفسه بها على ضباط القوات المسلحة ، فلم يشتهر بانحرافات أعضاء مكتب المشير الآخرين الذين كان يقودهم سكرتيره الخاص على شفيق ، ولم يندمج مع المشير فى حياته الخاصة اللاهية التى انتهت بزواجه من المثلة برلنتى عبد الحميد .

ومن مظاهر بروز القوات المسلحة كقوة ضاغطة على النظام ، الواجبات التى عهد اليها بها مثل الاشراف على مرفق النقل العام ، والجمعيات الاستهلاكية والتموين ، ومطاردة الاخوان المسلمين ، واخيرا لجنة تصفية الاقطاع . ومن مظاهر زيادة سلطة المشير عامر انه أصدر عقب تعيين شمس بدران وزيرا للحربية تحدد اختصاصاته بمعرفة الدستور او القرارات الجمهورية . . أصدر قرارا بصفته نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة يحدد اختصاصات وزير الحربية وهو عضو فى مجلس الوزراء .

ويعلق امين هويدى وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة فى اول وزارة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ على ذلك فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) قائلا (هذه سابقة لم تحدث على الاطلاق) .

كان المشير عامر سلطة فوق مجلس الوزراء . . صدور هذا القرار منه حتى ولو كان بمعرفة عبد الناصر انما يشكل اعتداء على تحديد المسئوليات التى رسمها الدستور ، ويظهر ايضا ان المشير عامر كان مطلق الصلاحية فى كل ما يتصل بالقوات المسلحة .

واثبت النظام بذلك انه مازال اسيرا للقوات المسلحة التى ينبع منها

وان اعتماده عليها يشكل عنصرا رئيسيا فى حياته واستقراره .
ومعروف ان المشير والقوات المسلحة كان لهم رأى فى تعيين ومساندة
كثير من رؤساء مجالس الادارة والمديرين والسفراء وغيرهم فى المناصب
المستولة .

اذكر اثناء رئاستى لتحرير مجلة روز اليوسف ان قمنا بحملة شديدة
ضد رئيس مؤسسة التعاون الانتاجى لما شسب تصرفاته من انحرافات
مؤكدة . . . واثناء اجتماع لامانة طليعة الاشتراكيين قال لى سامى شرف
سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات انه معجب جدا بهذه الحملة ،
وان عنده معلومات تؤكد صحة كل حرف فيها . . . واخذتني الدهشة لسماعى
هذا الحديث من شخص مسئول عرف الجميع عنه قربه من جمال عبد الناصر
فقلت له ختسائلا (ولماذا لا تقدمون هذا الشخص للتحقيق والمحاكمة ؟) . .
وقال سامى شرف همسا (هو احنا نقدر . . ده ساند المشير) !!

الى هذا الحد وصلت الامور . . مساندة المنحرفين وعجز جمال
عبد الناصر عن محاسبتهم . . ولا استطيع الادعاء بانها كانت صورة عامة
. . كما لا استطيع الادعاء بان كل المنحرفين كانوا يختبئون تحت عباءة
المشير . . ولكنى اشير فقط الى ان جمال عبد الناصر لم يعد مطلق السراح
فى توجيه القوات المسلحة او معرفة تفاصيل ما يدور فيها الا عن طريق
المشير اذا اراد او شمس بدران اذا سئل . . كما ان القوات المسلحة قد
تجاوزت دورها المعروف وهو حماية الوطن والانكباب على ذلك من ناحية
التدريب والانضباط العسكرى الى اداء مهمات مدنية ما كان يجوز لها ان
تقترب منها لو ان النظام كان قد استقر على اسس سليمة تحدد لكل جهة
اختصاصها .

ولعل هذا هو ما دفع جمال عبد الناصر الى التراجع عن تنفيذ ما ورد
فى الميثاق من ربط القوات المسلحة والشرطة ورجال القضاء بالاتحاد
الاشتراكى . . . فان تسييس القوات المسلحة يقتضى ان تكون قبضته عليها
كاملة ، دون وجود تناقضات او وجهات نظر متباينة بينه وبين المشير .

كما أن المشير لم يكن حريصا على نمو الاتحاد الاشتراكى ، ولم يكن
مؤمنا بأهمية تسييس الجيش ، فهو محبوب ومطاع بغير سياسة ، وليس
هناك من مبرر يدفع الى تفتيح عقول الجنود والضباط بدراسة السياسة
وما تفتح من آفاق وتخلقه من أفكار .

ولذا بقى نظام ثورة يوليو مثل نظم العالم الثالث التى تندفع من
صفوف القوات المسلحة فى حركات انقلابية . . . تعتمد عليها وحدها
لمساندة النظام ولا تخلق حزبا سياسيا قادرا على اكتساب ثقة الجماهير وثقة
الضباط والجنود أيضا .

وعلى قدر الخطوات الهائلة التى خطتها ثورة يوليو فى طريق
الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . . . وعلى قدر الانجازات الرائعة
التي أرسى أسسا متينة لاجتمع جديد ، وعلى قدر المكاسب التى أحرزها
أفراد البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة والفلاحين . . . فانها أبقت

القوات المسلحة أكثر المؤسسات تماسكا وتنظيما وقدرة في المجتمع .
ولذا شكل هذا الانفراد والتميز للقوات المسلحة قوة ضغط على
النظام ، جعلت قيادته السياسية أعجز من السيطرة عليها لتكون قوة
محاربة قادرة على أداء مسئوليتها الوطنية وكانت اسرائيل ترقب
وتعرف التناقضات الموجودة في قمة السلطة والتي لم تكن خافية على
المراقبين والراصدین . . . الذين وجدوا اهتمام القوات المسلحة يتشعب
بين التموين والنقل ومحاربة قلول الاقطاع والاخوان المسلمين بالإضافة
الى وجود ٧٠.٠٠٠ من شباب الجيل باليمن .

خيوط الامبريالية الامريكية

منذ رفضت مصر والدول العربية مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ ،
والامبريالية الامريكية تقترب من المنطقة لفرض سيطرتها ونفوذها عليها . .
ذلك ، بعد الهزيمة السياسية التي لحقت ببريطانيا وفرنسا بعد عدوان
١٩٥٦ ، وهما الدولتان صاحبتا النفوذ التاريخي .
لم تنتهج الامبريالية الامريكية نهج التدخل المباشر ، وانما أخذت
تتحين الفرص المناسبة لاقامة أنظمة موالية وخاضعة .

وكان الخلاف بين جمال عبد الناصر وخروشوف عام ١٩٥٩ فرصة
من هذه الفرص التي حاولت خلالها حكومة الولايات المتحدة أن تغير معالم
الوجه الامريكي الذي شوّهه التدخل في كوريا والهند الصينية والكونجو
وغیرها .

ولم يكن جمال عبد الناصر من الراغبين في مناطحة السياسة الامريكية
. . . بل كان حريصا على علاقات هادئة بين الدولتين . . . ورغم تجاربه
في السنوات الاولى للثورة لمحاولة الحصول على أسلحة للجيش ، وعجزه
عن تحقيق ذلك ، الا أنه لم ييأس من محاولة خلق علاقة طبيعية بين الدولتين .

وكانت الخطابات المتبادلة بين كنيدي وعبد الناصر دليلا على هذه
الرغبة ، ولكنها لم تمنع الامبريالية الامريكية من تنفيذ مخططاتها مثل
مساعدة السعوديين في اليمن ، وشن ما عرف باسم (حرب كומר) التي
أشرنا اليها ، وتقديم صواريخ هوك لاسرائيل ، وفي تشجيع ألمانيا الاتحادية
على امداد اسرائيل بالاسلحة والذبابات ثم قرارات البوندستاج (البرلمان)
باقامة علاقات مع اسرائيل في ١٢ مايو ١٩٦٥ الامر الذي أدى الى قطع
جميع الدول العربية (عدا تونس والمغرب ولبنان) لعلاقاتها الدبلوماسية
مع ألمانيا الغربية .

وقد علق شيمون بيريز على صفقة الاسلحة الالمانية بقوله :

(لقد تلقينا من المانيا الغربية خلال عدة سنوات أسلحة دون أن ندفع
ثمنها قدرها العرب بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار . . . ان هذه الاسلحة
قد سدت مجالا هاما في الدفاع عن البلاد وفي حملاتها العسكرية التي
تضمنت حرب الايام الستة) .

كانت مساعدات المانيا الغربية لاسرائيل والتي بلغت ٣٤٥٠ مليون مارك كاتفاقية تعويضات تتم بموافقة ومباركة حكومة الولايات المتحدة وتشجيعها .

ولم تلبث حكومة الولايات المتحدة أن أسفرت عن موقفها في امداد اسرائيل مباشرة بالأسلحة متجاوزة صواريخ هوك الدفاعية بعد اجتماع ليفي اشكول مع جونسون في أول يونيو ١٩٦٤ حيث تقرر امداد اسرائيل بالدبابات الامريكية مباشرة دون وساطة دولة أخرى .

ولم يكن اهتمام اسرائيل منصبا على الدبابات كأسلحة بقدر ما كان منصبا على فكرة الامداد المباشر وما تحمله من (مضمون سياسى) . ويمكن تلخيص نتائج تلك الزيارة كما ورد في كتاب (العسكرية الصهيونية - المجلد الاول)

١ — ان الولايات المتحدة سوف تقف خلف اسرائيل في الدفاع عن نفسها وانها لن تبقى مكتوفة الايدي اذا ما تعرضت للهجوم .

٢ — ان الولايات المتحدة سوف تساعد اسرائيل في حصولها على ما تحتاجه من دبابات وانها سوف تزودها بها مباشرة اذا لم تتمكن من الحصول عليها من مصادر أخرى .

٣ — الموافقة على اتخاذ الخطوات اللازمة بشأن المشروع المشترك الخاص بتحلية المياه بالطاقة الذرية ، كما انها تؤيد انجاز مشروع جونسون الخاص بتقسيم المياه (نهر الاردن واليرموك) بين اسرائيل والاردن .

ويعلق شيمون بريس على نتائج هذه الزيارة بقوله (ان زيارة واشنطن قد فعلت الكثير في سبيل تمزيق الحظر الامريكى على الاسلحة لاسرائيل ، وكما شاهدنا فانها بعد فترة قليلة مهدت الطريق لامداد أمريكا لنا بمعظم انواع الأسلحة كما مكنت اسرائيل من الاحتفاظ بميزان التسليح حتى بعد ذلك الحظر الذى فرضه ديجول في أعقاب حرب الايام الستة) .

ولذا كانت عین جمال عبد الناصر يقظة دائما لحركات الولايات المتحدة ، وخاصة بعد اغتيال كيندى وانتخاب ليندون جونسون رئيسا للولايات المتحدة الامريكية .

ووقعت بعض الاحداث التى أدت الى اضعاف الثقة بين واشنطن والقاهرة . . . مثل زيارة خروشوف الناجحة في مايو ١٩٦٤ ، وحرق بعض طلبة الكونجو للمكتبة الامريكية بالقاهرة ، عقب تدخل امريكى في الكونجو اثار احتجاج الافريقيين في مختلف الدول ، ورفض جمال عبد الناصر للطلب الذى تقدم به اليه السفير الامريكى لوشويس باتل مطالباً بالتعويض والاعتذار .

واسقطت إحدى الطائرات الميج المصرية بعد شهر من حرق المكتبة طائرة امريكية خاصة لاحد كبار رجال صناعة البترول في تكساس ، دخلت الاجواء المصرية بلا اذن وهى فى طريقها من ليبيا الى الاردن ، ولم

تستجيب لانذار طائرة الميج لها بالهبوط .
وتصادف أن كانت هناك مقابلة بين وزير التموين الدكتور رمزي
استينو والسفير الامريكى فى نفس يوم حادث سقوط الطائرة للمناقشة
فى موضوع مد اتفاق مصر بالقمح ، وقال السفير فى المقابلة التى
استغرقت خمس دقائق فقط انه يعتقد أن الوقت غير مناسب لمناقشة
جونسون فى هذا الأمر .

وجاء رد جمال عبد الناصر على موقف السفير سريعا ومباشرا فقد
خطب بعد أيام فى بور سعيد يوم عيد النصر ٢٣ ديسمبر ١٩٦٥ قائلا
(السفير الامريكى يقول أن سلوكنا غير مقبول ٠٠٠ طيب حنقول لهم
الى ما يعجبوش سلوكنا يروحوا يشربوا من البحر ٠٠٠ واذا ما كفاهمش البحر
الابيض يروحوا يشربوا من البحر الأحمر) .

وقال جمال عبد الناصر صراحة (اننى لست مستعدا لبيع استقلال
مصر فى مقابل ثلاثين أو أربعين أو خمسين مليون جنيه) .

كانت هذه الخطبة أول هجوم علنى صريح على أمريكا بعد فترة
هدوء امتدت سنوات ٠٠٠ وكانت أيضا بداية لضغط أمريكى متزايد على
مصر ٠٠٠ فرغم انه قد أعيد تجديد اتفاق تزويد مصر بالقمح ، الا انه تم
لمدة ستة شهور فقط ويفصل ما بين كل فترة وأخرى ستة شهور أخرى .

ووصلت مصر الى حد الاشراف على نقص شديد فى القمح ، ولجأ جمال
عبد الناصر للاتحاد السوفييتى ، فأصدر كوسيجين أوامره لبعض البواخر
السوفيتية المحملة بالقمح فى طريقها من كندا واستراليا الى الموانئ
السوفيتية بتغيير مسارها والاتجاه فورا الى الاسكندرية لانقاذ شعب
مصر مما قد يتعرض له نتيجة نقص القمح .

وهكذا بدأت حكومة الولايات المتحدة تباشر ضغوطها على مصر فى
أدق وأخطر ما يمكن أن يتعرض له الشعب ٠٠٠ وهو عدم توفر لقمة
العيش .

ولم تقتصر الضغوط الامريكية على هذه الحدود ، وانما امتدت
لتصل الى المشكلة الكبرى ٠٠٠ اسرائيل .

ووصل جمال عبد الناصر خطاب من جونسون فى ١٨ مارس ١٩٦٥
تضمن عدة تلميحات خطيرة فيها أن الاسرائيليين منزعجون من تصريحات
بعض الزعماء العرب المتشددة والمهددة لامن اسرائيل ووجودها ، وأن ذلك
قد يجبرهم على تحويل البرنامج الذرى السلمى الى برنامج آخر لانتاج
أسلحة ذرية ، كما تشير الى توريد الاتحاد السوفييتى أسلحة لبعض دول
المنطقة ، وتهدد صراحة ان الحكومة الامريكية سوف تمد اسرائيل
بالأسلحة ، وأنه اذا اثار عبد الناصر ضجة بشأن هذه الشحنات ، فسوف
تزيد أمريكا من مساعداتها لاسرائيل .

وكان جونسون قد أوفد افريل هاريمان وروبرت كومر (صاحب حرب

كומר هي اليمن) الى اسرائيل لطمأنة الاسرائيليين وبذل الوعود لهم .
وبعد هذا الخطاب خفضت مدة اتفاق تزويد مصر بشحنات القمح من
سنة شهر الى ثلاثة .

وصارح جمال عبد الناصر الشعب في احدى خطبه قائلا :

(اننا عند عام ١٩٥٩ حتى الآن اخذنا الف مليون دولار مساعدات
من أمريكا ، بل ان كل رغيين في البلد ، منهما رغي مأخوذ كمساعدة
من أمريكا ، فإذا قطعت أمريكا عنا هذه المساعدة — وهذا يمكن ان
يحدث — فماذا يكون وضعنا ؟ يجب ان نكون مستعدين لجابهة مثل هذه
المشاكل) .

ولكن تحركات الامريكيين وضغوطهم لم تتوقف ٠٠٠ فقد هاجمت
القوات اليمنية مقر النقطة الرابعة في تعز بعد اطلاقه طلقتين من البازوكا ،
وتبين انه ستار لفشيط المخابرات المركزية الامريكية ، بعد تصوير
المخابرات المصرية للوثائق الموجودة فيه .

ولم تنجح (الدبلوماسية الهادئة) التي طالب بها جونسون في نزع
بذور الشك والمرارة من صدر جمال عبد الناصر وهو يواجه الضغوط
الامريكية المتمثلة في مساعدة اسرائيل ، والملكيين في حرب اليمن ،
وسحب تزويد مصر بشحنات القمح .

ومع ذلك كلف زكريا محيي الدين بتشكيل الوزارة في أكتوبر ١٩٦٥
وقيل وقتها ان هذا الاختيار قد تم كمحاولة لتهدئة وتحسين الموقف بين
القاهرة وواشنطن ٠٠٠ ولكن زكريا محيي الدين اكد لى انه لم يلق أية
توجيهات من جمال عبد الناصر في هذا السبيل ، ولكنه بمبادرته عمل على
التهدئة مقتنعا بسياسة قبول (سخافات) الامريكان وعدم الرد عليها ،
مع التسليم بحقائق يصعب التغلب عليها في المرحلة — الآتية — فتؤجل
لمرحلة — مستقبلية — وانه حاول ان يفيد مصر على قدر الامكان من
هذه الدولة الكبيرة .

نجح زكريا محيي الدين في مد اتفاقية تزويد مصر بالقمح لمدة ستة
شهور ، ولكنه قال لى (ان مصادقة الامريكان لنا أمر شبه مستحيل ، لأن
البناء السياسى هناك يؤثر على استراتيجيتها ، وكانت اسرائيل خلال فترة
الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الاولى
للثورة ، عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقة ، خاصة واننا كنا نستجيب
بسرعة للاحداث بانفعالات تؤثر على مواقفنا) .

وأعلن جمال عبد الناصر أمام مجلس الامة عن تحسن العلاقات مع
امريكا ٠٠٠ وقام بدور الوسيط من أجل السلام في الحرب الفيتنامية ،
وعقدت محادثات ثنائية انتهت الى توقيع اتفاقية يوم ٣ يناير ١٩٦٦
بامداد مصر بمساعدة قدرها ٥٥ مليون دولار .

ونشأ جو معقول من الهدوء والمشاعر الطيبة كما يقول دمكجيان في
كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ، وصل غايته بزيارة أنور السادات رئيس
مجلس الامة في ذلك الوقت لواشنطن يوم ٢١ فبراير لتمهيد الطريق

لزيارة عبد الناصر نفسه الى أمريكا .
وكادت تطوى صفحة اعتقال الصحفي مصطفى أمين والدبلوماسي
الأمريكي اوديل في الاسكندرية بتهمة التجسس ، ولكن أحداثا أخرى وقعت ،
فدمرت ما تم بناؤه خلال شهرى يناير وفبراير .
أولا محاولة الملك فيصل اقامة حلف اسلامي تنضم اليه الدول
ذات الانظمة الرجعية التي تدور في فلك أمريكا ، في وقت كانت حرب اليمن
مازالت تشكل نزيها لمصر بمساعدة السعودية وأمريكا .

ثانيا زيادة المخاوف المصرية من قدرات إسرائيل الذرية واحتمال
توفر قنبلة ذرية عندها ، بينما عجزت مصر عن الحصول سوى على وعد
سوفيتي بالمساعدة .

ثالثا وصول معلومات عن بيع أمريكا لطائرات ودبابات
لإسرائيل الأمر الذي أظهر أن ضغوط أمريكا لم تقف وان محاولات
التهديد مع مصر ليست الا ستارا رقيقا لا يخفى الحقيقة .

رابعا رفض الشروط المشددة التي حاول (صندوق النقد
الدولي) فرضها لاقتراض مصر مبلغ ٧٠ مليون دولار والتي تتلخص في
تخفيض قيمة الجنيه المصري ، وزيادة الضرائب ، وخفض مصروفات
الحكومة ولم يكن سهلا على النظام قبول هذه الشروط في وقت كان
يعمل فيه على احتواء السخط الشعبي بعدم زيادة الاسعار ، مع الاهتمام
بميزانية الدفاع والتصنيع معا .

خامسا وصول الدور المتزايد للمخابرات المركزية الأمريكية الى
حد تدبير انقلاب ضد كوامي نيكروما في غانا (فبراير ١٩٦٦) بعد تصفية
سوكارنو في اندونيسيا خلال عامي ٦٥ ، ٦٦ ، وتزايد التدخل الأمريكي
في الدومنيكان وفيتنام ، الأمر الذي دفع محمد حسنين هيكل الى القول
في الاهرام عدد ٨ ابريل ١٩٦٦ ، ٢٧ يناير ١٩٦٧ بما يفيد بأن هجمة رجعية
امبريالية تزحف نحو العالم مستهدفة الجمهورية العربية المتحدة .
وصدر قرار بوقف أى رحلات اضافية للطيران الأمريكي والبريطاني
فوق مصر اعتبارا من منتصف فبراير ١٩٦٦ .

ومع كل ذلك كان جمال عبد الناصر حريصا على عدم الوصول
بالعلاقات المصرية الأمريكية الى نقطة الانفجار ، فدعا دين راسك وزير
الخارجية في ابريل ١٩٦٦ لزيارة مصر لبحث مشروع من أجل السلام ،
ولكنه لم يحضر لمشاغل حكومة الولايات المتحدة ومتاعبها في فيتنام وفي
الاستعداد للانتخابات .

ورغم صدور قرار الكونجرس الأمريكي في ١٤ يوليو ١٩٦٦ بوقف
المساعدات الغذائية لمصر الا بموافقة رئيس الجمهورية شخصيا ، فان جمال
عبد الناصر لم يعتبر ان الأمور قد وصلت الى نهايتها ، ووافق على زيارة
مدرعتين أمريكيتين لبور سعيد يوم ٢ سبتمبر ١٩٦٦ لأول مرة بعد
١٢ عاما .

وهكذا ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن جمال عبد الناصر كان ينهج

الاسلوب الآتى فى مواجهة الضغوط الامبريالية الامريكية :
أولا ... التمسك باستقلال مصر الوطنى ، ورفض كافة الضغوط
الاقتصادية نظير أية مساعدات .
ثانيا ... الحرص على عدم تدهور العلاقات الى الحضيض ،
او وصولها الى منطقة الانفجار بمختلف الوسائل التى يملكها .
ثالثا ... عدم التردد فى مصارحة الشعب بكافة الاخطار والمتاعب
القائمة لاعتماده المطلق على الجماهير فى مواقفه الوطنية .
وما كاد عام ١٩٦٧ يقبل حتى وصلت الضغوط الامريكية الى
ذروتها ، فلم تعد هناك مساعدات غذائية ، واستقر جونسون فى مقعده
رئيسا للجمهورية ، وتضاعف تسليح اسرائيل .

مواجهة الضغوط :

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا بالتاكيد فى وقوع النظام تحت
مطارق الضغوط الخارجية والداخلية ... ولكن اصراره على الاستقلال
الوطنى والتقدم الاجتماعى ، دفع كافة القوى المعادية للتجمع ، وتنسيق
اهدافها لهدم النظام والاطاحة بقائده .

● الانفصال السورى وما تبعه من حساسيات افشلت محادثات
الوحدة الثلاثية ، وجعلت نتائجها شديدة التواضع مقارنة بطموح انصار
الوحدة العربية .

● التورط فى اليمن نتيجة للتنسيق الامريكى البريطانى السعودى
الاردنى لمساندة حكم الائمة الشديد الرجعية .

● مواجهة اعداء التقدم الاجتماعى والاشتراكى الذين تحركوا ،
مثل الاخوان المسلمين ، وفلول الاقطاع .

● عجز النظام عن حل كثير من المشاكل الداخلية نتيجة اعتماده
المطلق على حكم فردى ينقصه تنظيم حزى وكادر قيادى ووعى
اشتراكى .

● كل هذه الضغوط كانت تؤثر على قدرة النظام فى البقاء
والاستمرار محتفظا ببريق انتصاراته السابقة ، وشخصية زعيمه الساحرة
المؤثرة فى مواجهة الضغوط والمؤامرات الامبريالية والصهيونية
التوسعية .

سنوات الصعود توقفت ، وبدأت سنوات الجمود ... القدرة
الثورية على حل المشاكل بالطرق الادارية استنفذت غايتها ، وبقيت
المشاكل تحت السطح متراكمة .

ولكن النظام لم يقف جامدا أمام هذه الضغوط ... ولم يستكن
الى ما وصل اليه بل اعتبر ذلك مقدمة للاطاحة به .

وفى محاولة للتغلب على المشاكل الداخلية ومواجهة ما تعرض له
من ضغوط ، بدأ جمال عبد الناصر محاولة ، اعطاء تنظيمه السياسى
(الاتحاد الاشتراكى العربى) دفعة من الحيوية بتكوية طليعة الاشتراكيين

وتشكيل المكاتب التنفيذية ، وتعيين على صبرى أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي بعد أن كان رئيساً للوزراء ، وهو في ذلك الوقت كان موضع ثقة جمال عبد الناصر ، فهو أول من وصل الى هذا المركز الكبير متخطياً جميع الضوابط الاحرار مما جعله موضع حسد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ويلاحظ أن استقالة عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم قد تمت أثناء رئاسته للوزارة .

ولا يمكن التقليل مطلقاً من أهمية التغيير الذي طرأ على الاتحاد الاشتراكي فهو لأول مرة يبدأ في مباشرة عمله على أساس سياسي وفكري واضح بعد فترة جمود فرضت عليه عندما كان حسين الشافعي أميناً عاماً له وخلال هذه الفترة أيضاً نشطت منظمة الشباب واستوعبت أعداداً كبيرة لقنت أفكار الميثاق وخطب جمال عبد الناصر في معسكرات للتدريب في حلوان ومرسى مطروح وأبو قير ، وتخرج فيها جيل بدأ يهتم بالسياسة ويرتبط بها لأول مرة منذ عام ١٩٥٤ .

والى جانب التغيير الذي حدث في الاتحاد الاشتراكي والذي جاء تفصيلاً في الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) حدث تغيير أيضاً في الوزارة فجاء زكريا محيي الدين رئيساً للوزراء وهو صاحب خبرة غير منازع فيها فيما يتصل بشئون الأمن ووزارة الداخلية ، وهي شئون هامة بعد حوادث الاخوان وفلول الاقطاع ، كما انه كان مهتماً بامور الادارة وما يصحبها من رغبة في التغلب على اثقال البيروقراطية ، واعطاء الوحدات الانتاجية فرصة العمل على أسس اقتصادية متحررة من العمالة الزائدة والقيود السياسية .

كما ان تعيين زكريا محيي الدين رئيساً للوزراء كان محاولة من جمال عبد الناصر لتخفيف الضغوط الامريكية على النظام فانه رغم أن زكريا محيي الدين قد أكد لى أن توجيهات جمال عبد الناصر لم تتضمن ذلك صراحة ، الا ان انطونى ناتنج في كتابة (ناصر) يقول أن الامريكيين كانوا يعتبرون زكريا موالياً لهم وانهم كانوا يعتبرون على صبرى معادياً لهم .

ونجح زكريا محيي الدين خلال فترة رئاسته للوزراء في تثبيت قواعد الأمن ، وفي الحصول على معونة قمح من أمريكا لمدة ٦ شهور ، وبدأ بعقد مؤتمر للقادة الاداريين لمحاربة البيروقراطية .

ولكن وزارة زكريا محيي الدين لم تعمّر طويلاً . . . فقد أوقف الامريكيون الامداد بالقمح ، ويعمل ناتنج ذلك بقوله ان الحصول قد ضرب في أمريكا وانهم اضطروا لاعطاء الهند مزيداً من الحبوب تفادياً للمجاعة ، ولكن عبد الناصر اعتبر ذلك منهم اتباعاً لسياسة (القط والفار) وكذلك فان زكريا محيي الدين كان يجنح للانكماش بدلاً من التوسع والتنمية .

خرج زكريا محيي الدين من رئاسة الوزراء بعد ١١ شهراً فقط ليتولاها المهندس صدقي سليمان الذي أشرف على بناء السد العالي ، والذي لم يكن من الضوابط الاحرار . . . واعتبر جمال عبد الناصر أن رئاسة جونسون للولايات المتحدة ستظل فترة مساندة لإسرائيل ، رغم كافة

محاولات التهدة والاتصالات الخلفية التي قام بها بعض المسؤولين وغير المسؤولين مثل علوى حافظ عضو مجلس الأمة الذي نشر مذكراته في جريدة اخبار اليوم يوم ٣١ أغسطس ١٩٧٦ ويظهر فيها أن جمال عبد الناصر لم يتردد في الاتصال بجونسون من أجل الهدوء والسلام في المنطقة وليس من أجل الخضوع أو الاحتواء تحت المظلة الامريكية .

وفي مواجهة للضغوط المحيطة بادر جمال عبد الناصر باتخاذ خطوات هامة في مجال السياسة العربية ، فدعا الى مؤتمر للقمة العربية بعد اعلان اسرائيل قرب استكمال المرحلة الاولى من (مشروع المياه القومي) الذي استطاعت به حجز نصف مياه نهر الاردن .

عقد المؤتمر الاول الذي دعا اليه جمال عبد الناصر بالقاهرة في يناير ١٩٦٤ واشتركت فيه ١٢ دولة عربية أعلنت (ان تحويل مجرى نهر الاردن عدوان خطير على المياه العربية واضرار بالغ بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه) وأعلنت أيضا تشكيل (قيادة موحدة لجيوش الدول العربية) ووافق المؤتمر أيضا على انشاء (منظمة التحرير الفلسطينية) .

كان انعقاد مؤتمر القمة خطوة نحو ضمور الخلافات العربية ، وظهور وحدة جديدة ضد التحركات الاسرائيلية التي ظهرت في كثافة الاشتباكات الاسرائيلية على الحدود السورية والتي بلغت بعد مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد بالاسكندرية في ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ ، ١٤ عدوانا خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر التاليين مباشرة .

أعلن المؤتمر الثاني (ان الهدف القومي هو تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيوني والالتزام بخطة العمل العربي المشترك مع استخدام جميع امكانيات العرب ، وحشد طاقاتهم وقدراتهم لمواجهة تحديات الاستعمار والصهيونية واصرار اسرائيل على المضي في سياستها العدوانية والتنكر لحقوق عرب فلسطين في وطنهم) .

نتائج مؤتمر القمة لم ترق ابدا الى مستوى القرارات لقصور جدية بعض الدول العربية . . . ومع ذلك زاد تدفق الاسلحة الغربية وخاصة الامريكية على اسرائيل ، فوافقت حكومة الولايات المتحدة على تزويد اسرائيل بطائرات (سكاي هوك) ، وتمادت الهجمات الاسرائيلية على الاردن ، واستنكر موشى ديان سياسة (ضبط النفس) ضد تحركات بعض الفدائيين بدأت مع تكوين (حركة التحرير الوطني الفلسطيني) في أول يناير ١٩٦٥ .

وعقد مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء ، وأسفر عن (ميثاق التضامن العربي) واقرن ذلك بمزيد من التسليح الامريكي لاسرائيل حيث وصلتها دبابات باتون .

وجدت اسرائيل في هذه المؤتمرات التي لم تسفر عن شيء جدي لصالح العرب ذريعة لاثارة الدول الغربية ضد ما أسمته التحركات العربية المعادية في ظروف مواتية بالنسبة لها بعد أن اطمأنت للدعم السياسي والعسكري المباشر من الولايات المتحدة ، وبعد ان استكملت استعدادها للحرب وشكلت قوة ضاربة تهيب لها القدرة على شن حرب خاطفة .

الباب الثاني

الهزيمة

(أن أمريكا واسرائيل قررتا عام ١٩٦٥
أن التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي
غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ...
وأن الوسيلة هي هزيمته في حرب محدودة
تفقد ثقة العرب واحترامهم) .

الصحفي الامريكى انتونى بيرسن

المجلة الامريكية - بنتهاوس

الفصل الاول

خطوات نحو المصيدة

(كان يجب وجود ٨٠ ألف جندي مصري في سيناء لقبول في
الوزارة) .

موشى ديان ١٩٦٧

لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع في الجزائر كما كان محسباً له ان
يجتمع . لم تثمر المؤتمرات الثلاثة السابقة سلاماً في اليمن ، ولا خطة ايجابية
لمواجهة تحركات اسرائيل المعادية . . . ولم تضع حداً للتمزق العربي .
العوامل التي دفعت جمال عبد الناصر للدعوة الى مؤتمر القمة ، وفي
مقدمتها ما جاء في مؤتمر رؤساء اركان حـرب الجيوش العربية ، من أن
الاضاع الموجودة في الدول العربية تؤثر على العمل العسكري ، وأن قرار
انشاء القيادة العربية الموحدة الذي صدر عام ١٩٦٠ لم ينفذ حتى ديسمبر
١٩٦٣ وهو الشهر الذي وجه فيه جمال عبد الناصر الدعوة لمؤتمر القمة .

هذه العوامل تعرضت لتغيرات كبيرة . . . وبعد أن وقف جمال
عبد الناصر يخطب في عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٤ بعد انعقاد المؤتمر الأول
قائلاً : (لم نجد أبداً أية صعوبة في تصفية الخلافات ، وكان الكل ميالاً
لتصفية هذه الخلافات لمواجهة خطر اسرائيل وعدوان اسرائيل وطلعنا بخطة
عمل موحدة) . . . وقف بعد ذلك في الاحتفال بعيد الوحدة أيضاً عام

١٩٦٦ يهاجم بعض الملوك والرؤساء بعد صمت وهدوء استمر عامين كاملين ، عقد خلالها ثلاثة اجتماعات للقمة في القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، وزار جدة في محاولة لاقرار السلام في اليمن .

هاجم حركة الملك فيصل لمحاولة انشاء حلف اسلامي ، وأشار الى ما نشرته الصحف الامريكية من أن واشنطن قد كلفت الملك فيصل وشاه ايران لانشاء هذا الحلف وذكر أن ايران قد فتحت فرعاً للوكالة اليهودية في طهران ، وأن بن جوريون عقد محادثات مع رئيس وزراء ايران في مطار طهران .

كما هاجم بورقيبة الذي نادى بالتفاوض مع اسرائيل ، بعد أن كان قد أعلن في مؤتمر القمة الأول استعداد تونس لارسال وحدات من جيشها تقف على حدود فلسطين .

لم يستطع جمال عبد الناصر أن يكظم غضبه من تحركات الامبريالية ، والمتجسدة في تكوين حلف اسلامي ، حاول الملك فيصل الادعاء بأنه كان قراراً من قرارات المؤتمر الثالث في الدار البيضاء والحقيقة أن الأمر لم يكن يعدو حديثاً عارضاً طلب فيه من الملك فيصل أن يستنهض المسلمين أثناء الحج لنصرة قضية فلسطين ، كما يتصل الرئيس اللبناني شارل حلو بالفايكان لنفس الهدف .

تفجرت الخلافات من جديد بين الانظمة الرجعية ، وبين الانظمة الوطنية التقدمية .

وكان قد حدث انقلاب في سوريا ضمن اطار حزب البعث أطاح بأمين الحافظ ، ووصلت الى الحكم مجموعة نور الدين الاتاسي وصلاح جديد ويوسف زعين وابراهيم ماخوس وبعد شهرين من الانقلاب صدر بيان من القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث في ٤ أبريل ١٩٦٦ يقول (أن مؤتمرات القمة فيها عودة الى العمل التقليدي ازاء تحرير فلسطين وتضليل للشعب العربي ، ومحاولة لاجهاض أي حركة ثورية لتحرير فلسطين ، وهي سياج يحمي الرجعية من غضبة الجماهير انه تهرب من المعركة وانهازامية) .

كان البيان تعريضاً غير مباشر بالقاهرة بدعوى التهرب من المعركة ، وتعريضاً مباشراً بالرياض باعتبارها الرجعية التي تحميها مؤتمرات القمة . وبدا واضحاً أن فترة الهدوء العربي قد انتهت بعد وصول الجناح اليساري من البعث الى مقاعد الحكم في سوريا ، بانقلاب عسكري فوق التقاليد الحزبية .

واصل جمال عبد الناصر هجومه على الرجعية العربية في خطاب عيد الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٦ قائلاً (هادنا الرجعية على أساس أنها تشترك في وحدة العمل من أجل فلسطين) ثم أشار الى أن مؤسسة أمريكية قد أخذت من السعودية ٥ ملايين جنيه للقيام بدعاية مضادة لمصر في أمريكا ، كما انه وزعت منشورات أثناء الحج ضد النظام في مصر وأنه توجد في السعودية بعثات عسكرية أمريكية وبريطانية . ثم حسم جمال عبد الناصر الموقف بقوله انه لا يستطيع الجلوس مع

القوى الرجعية فى مؤتمرات قمة قادمة ، وان الجمهورية العربية المتحدة لن تذهب وانه سيطلب من الجامعة العربية تأجيلها الى أجل غير مسمى .
وأرسل محمود رياض وزير الخارجية خطابا بذلك الى الجامعة يوم ٢٥ يوليو .

وهكذا لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع الذى كان محددا له أن ينعقد فى الجزائر يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٦ . وكتبت السعودية مذكرة تقول فيها (فى حالة الاخذ بمبدأ التأجيل فان المملكة العربية السعودية ترى نفسها مضطرة لتجميد كافة التزاماتها تجاه مؤسسات المؤتمر) .
طويت صفحة مؤتمرات القمة ، واستبدلت بناء على اقتراح عبد الخالق حسونة بمؤتمر لوزراء الخارجية يوم ١٠ سبتمبر فى دورة مجلس جامعة الدول العربية العادية ، وحضره وزراء خارجية مصر والسودان وسوريا والعراق ولبنان والكويت واليمن فقط أما بقية الدول العربية فمثلتها السفراء .

اجتمع وزراء الخارجية العرب بعد أيام من احتفال الحكومة الاسرائيلية بافتتاح الكنيسة الجديد فى القدس ، وكان ذلك « تدشيناً لاختيار القدس عاصمة لاسرائيل رغم قرارات الامم المتحدة » .

حضر هذه الاحتفالات وزراء وممثلون لواحد وأربعين دولة .
ولم يأخذ مؤتمر وزراء الخارجية الا قرارا يعلن فيه (ان الامة العربية اذ ترفض التسليم بالامر الواقع المتمثل فى قيام اسرائيل بفلسطين المحتلة ، تؤكد أن مدينة القدس عربية باعتبارها جزءا من فلسطين العربية ، وأن القدس الجديدة جزء لا يتجزأ من بيت المقدس) .

ولكن الفدائيين الفلسطينيين كان لهم أسلوب اخر فى العمل ، هو شن الهجمات داخل اسرائيل . . . كانت منظمة فتح (حركة التحرير الوطنى الفلسطينى) قد تشكلت فى أول يناير ١٩٦٥ وبأشرت أعمالها الفدائية بلا تنسيق مع الانظمة القائمة فى تشكيل عسكري باسم (العاصفة) . . . ومنظمة (الصاعقة) التى تكونت فى أحضان النظام السورى وتحت رعايته .

ازداد نشاط الفدائيين الامر الذى يذكرنا بما حدث عام ١٩٥٥ عندما فقدت اسرائيل ٢٥٨ شخصا قبل العدوان الثلاثى ، ولكن الامر يختلف لانه لم تكن هناك قوات طوارئ دولية على حدود مصر واسرائيل تحد من نشاط الفدائيين أو تمنعه . . . كما أن العلاقات العربية لم تكن قد وصلت الى هذه الدرجة من التنافر بعد وضوح الفرق فى الاختيار بين الانظمة الاجتماعية . . . فقد كانت مصر وسوريا تعلنان الاشتراكية ، بينما يحرص الملك حسين على نظامه المعادى للاشتراكية .

كان الفدائيون ينطلقون الى داخل اسرائيل من الحدود السورية بموافقة ضمنية من النظام ، ومن الحدود الاردنية بغير موافقة النظام .
وكانت اسرائيل توجه غاراتها الانتقامية ضد سوريا .

اتفاقية الدفاع المشترك : مصر والاردن :

كانت العلاقة بين القاهرة والنظام البعثى الجديد فى دمشق تقترب عن

ذى قبل ٠٠٠ فقد كانت هناك عقبات كثيرة تعترض طريق عودة العلاقات الطبيعية بين الدولتين ، نتيجة الاخطاء التي ارتكبت فى عهد الوحدة ، وما خلفته من حساسيات وشعور متبادل بعدم الثقة ٠٠٠ ولكن النظام البعثى الجديد كان يشق طريقه نحو التقدم ، فقد اتخذ عدة خطوات هامة مثل تأمين البنوك وشركات التأمين ، وسيطرت الدولة على التجارة الخارجية والصناعات الرئيسية والثروات المعدنية بما فى ذلك البترول ٠٠٠ واتجه فى السياسة الداخلية نحو التعاون مع القوى الوطنية والديمقراطية ومن بينها الحزب الشيوعى السورى وكان ذلك تطورا ملحوظا فى هذا المجال ٠٠٠ كما ان النظام قد اتجه فى سياسته العربية الى التقرب من القاهرة ، وأظهر مزيدا من الثقة بجمال عبد الناصر ، كما أن بعض قادته حرصوا على خلق علاقات شخصية وطيدة مع الشخصيات التقدمية المصرية ، وأذكر أن ابراهيم ماحوس قد لعب فى ذلك دورا ملحوظا ، زامن رصيد النظام السورى عند النظام المصرى وعناصره التقدمية ، كما اتجه الى التقارب مع الجزائر أيضا حيث كان نور الدين الأتاسى وابراهيم ماحوس يعملان طبيبين هناك مع قوات الثورة الجزائرية ٠٠٠ وفى السياسة الخارجية تقارب النظام من الدول الاشتراكية، ووقع عقدا مع الاتحاد السوفيتى لانشاء سد الفرات ، وهو مشروع يعطى دفعة قوية للاقتصاد السورى .

بدأت الحساسيات فى الذوبان تدريجيا بين مصر وسوريا ، وطففت الى السطح حوادث الاعتداءات الاسرائيلية ردا على هجمات الفدائيين .
وصل الى القاهرة وفد وزارى سورى فى يونيو ١٩٦٦ لأول مرة منذ ثلاث سنوات لأجراء مناقشات سياسية .

والتقى جمال عبد الناصر مع زعماء البعث الجدد فى موقفهم المشترك من الرجعية العربية الحاكمة .

وكان الجفاء قد عاد يحكم العلاقات مرة أخرى بين القاهرة وعمان، ومضت فترة اللقاء بعد مؤتمرات القمة واعتراف الأردن بجمهورية السلال فى اليمن كسحابة صيف ٠٠٠ فقد ظهر الملك حسين بمظهر الملتصق بالحماية الامريكية ، ورغم قرار مؤتمر القمة بالاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين الا انه اتخذ موقف العداء من أحمد الشقيرى ، وفرض قيودا على حركة الفلسطينيين فى الضفة الغربية ، وأصدر قرارا يحرم حمل الاسلحة فيها الا على جنود الجيش والشرطة ، الامر الذى يحول دون تكوين قوات مسلحة فلسطينية .

كان الملك حسين يرى فى حمل الفلسطينيين للأسلحة والسماح لهم بالتسلل الى اسرائيل خطرا يهدد نظامه ، ويخلق ازدواجية ولاء فى دولة واحدة ٠٠٠ ولكن الدول التقدمية (مصر وسوريا والجزائر) لم تشاركه هذا الرأى وأخذت موقف المساندة لمنظمة تحرير فلسطين .

ولم يكن ذلك يعنى أن جمال عبد الناصر يرى أن تحرير فلسطين يمكن أن يتم فوراً عن طريق القتال بالاسلح ، فهو فى مواقفه وتصريحاته منذ عدوان ١٩٥٦ كما يقول الكاتب الاسرائيلى (اليزير بييرى) فى كتابه (ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى) (انتهج سياسة تفادى المجابهة المباشرة السريعة مع اسرائيل) .

صحيح أن بعض تصريحات عبد الناصر كانت تتحدث عن الحرب مع إسرائيل مثل تصريحه لندوب إذاعة وتليفزيون كولومبيا في ١٢ يوليو ١٩٦٥ الذي قال فيه (الحرب هي الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية) . ولكنه لم يكن يعنى الاندفاع اليها ، بل كانت مثل هذه التصريحات تلم في حدود حرصه على الاحتفاظ بزعامته الشعبية ورغبته في أن تظل القضية ملتهبة وليست خامدة .

ويقول (اليزير بييرى) في كتابه أيضا ان عبد الناصر خلال سنوات طويلة كان حريصا على عدم مناطحة إسرائيل الا اذا توافرت له ثلاثة عوامل :

- ١ - تفوق عسكري عربى .
 - ٢ - تحقيق الوحدة والتضامن العربى .
 - ٣ - عزل إسرائيل عن القوى الغربية .
- ويقول محمد حسنين هيكل في مقال له بعنوان (لمصر ... لا لعبد الناصر) ان جمال عبد الناصر كان حريصا كل الحرص فيما يتعلق بالصدام المسلح مع إسرائيل لعدة أسباب :

١ - كان يرى أن الصدام المسلح مع إسرائيل لابد فيه من حساب احتمالات التدخل الأمريكى ، وهو احتمال قائم يستهدف فرض الهزيمة على العرب اذا استطاع أو سلبهم ثمار النصر اذا استطاعوا . واذن فان نجاح الصدام المسلح فى رأيه كان مرهونا بظرف دولى وعربى ملائم تكون فيه القوة الأمريكية مصابة بالشلل أو يمكن اصابتها به .

٢ - كان من رأيه ان القوات المسلحة المصرية تحتاج على الاقل الى خمسة عشر عاما تستوعب فيها سلاحها الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ، ولم يكن يقيس هذه المدة بتاريخ أول صفقة سلاح سنة ١٩٥٥ وانما كان يقيسها ابتداء من سنة ١٩٥٧ ومن هنا ، فقد كانت الفترة المحتملة للصدام المسلح فى تقديره هي الفترة ما بين سنة ١٩٧٢ وسنة ١٩٧٥ .

٣ - وحتى يجرى هذا الوقت وتسنع فرصته فقد كان جمال عبد الناصر يعتقد اعتقادا راسخا أن إسرائيل نمو دخیل وسط الجسد العربى، وأن مقاطعتها واحكام الحصار من حولها وتشديد الضغط عليها كل يوم سوف يؤدي الى حبس الدم عن خلاياها ومن ثم الى ضمورها وسقوطها وهو ما عبر عنه بسياسة (السنطة وشعرة ذيل الحصان) .

ويؤكد هذه الصورة موقف جمال عبد الناصر من مشكلة تحويل إسرائيل لمجرى نهر الاردن داخل اراضيها ، والمناقشات التى دارت حول ذلك فى عهد الوحدة كما جاء تفصيلا فى الباب الثانى من الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب) .

لم تكن عند جمال عبد الناصر اذا رغبة فى الانزلاق الى الحرب قبل ان يستعد لها تماما ، ويقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان لهجة بعض تصريحاته لا تدل على تغيير فى موقفه الاستراتيجى من إسرائيل . ويدلل ناتنج على فكرته هذه بالقول انه بعد التغير الذى حدث فى سوريا ، وعجز جمال عبد الناصر خلال السنوات السابقة عن ضرب النظام السورى او عزله ، فانه لم يجد بديلا سوى الارتباط بالنظام البعثى الجديد حتى يتفادى سحب العرب الى حرب ثالثة مع إسرائيل ، حيث ان الغرب ما كان ليجد فرصة مناسبة لضربه اكثر من توريطة فى حرب مع إسرائيل

تكون سوريا هي البادئة بها مما يجعل الرأي العام العالمى يأخذ موقفا معاديا للعرب .

ولم يكن امام جمال عبد الناصر من خيار آخر . . . ففي دمشق نظام تقدمى جديد يشهد بدور مصر وعبد الناصر . . . ويحرص على تحسين العلاقات مع القاهرة . . . وهو ما افتقده جمال عبد الناصر منذ الانفصال .

ونظام البعث فى دمشق تميز ايضا بمغالاته فى الظهور بمظهر يسارى قد تبدو فيه بعض المغالاة المقصودة او غير المقصودة . . . ولكن فى حدود الهجوم على الرجعية العربية التى كان يهاجمها عبد الناصر ايضا ، والتى كان واثقا من انها تدبر له مع الامبريالية العالمية كميناً جديداً ، بعد ان عجزت اليمن عن استنزاف دماء النظام . . . وتراجع عدد القوات هناك ليصبح ٢٠.٠٠٠ بدلا من ٧٠.٠٠٠

العلاقات الجيدة ، والرغبة فى حد اندفاع المغالاة عند السوريين كان حافزا لجمال عبد الناصر على الارتباط مع النظام السورى بشكل يمنعه من توريث العرب فى اندفاعات غير محسوبة .

كان الاسرائيليون قد قاموا بغارة انتقامية ضد سوريا فى سبتمبر ١٩٦٦ ردا على ضربهم لمنشآت اسرائيلية اقيمت على ارض منزوعة السلاح تبعا لاتفاقية هدنة ١٩٤٩ .

وكان الاسرائيليون يرفضون فى عناد مناقشة مبدأ اقامة هذه التحصينات فى لجنة الهدنة المشتركة منذ بدأ انشاؤها عام ١٩٥١ ، وعندما اثار النظام البعثى الجديد هذه المشكلة كان جواب اسرائيل فى صورة تحذير باعتبار سوريا مسئولة عن كافة هجمات الفدائيين الفلسطينيين او غيرهم فى المستقبل وقال اسحق رابين رئيس الاركاز فى ١١ سبتمبر (المعارك التى على اسرائيل خوضها ضد سوريا انتقاما للغارات التخريبية انما تستهدف النظام السورى . . . هدفنا هو القضاء على هذا النظام) .

وعلى الجانب الاخر كان نور الدين الاتاسى قد استقبل شوان لاي فى صيف ١٩٦٦ ، وحاول ان يعزله عن صداقته الناشئة مع مصر ومع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى . . . ولكن الاتاسى لم يستجب لهذا الاسلوب الذى سبق ان اتبعه شوان لاي مع جمال عبد الناصر عام ١٩٦٥ عند بقاءه فى القاهرة فترة قبل انعقاد مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى فى الجزائر والذى تقرر الغاؤه بعد حركة التصحيح التى قام بها هوارى بومدين فى ١٩ يونيو .

أبلغ نور الدين الاتاسى مصر بما سمعه من شوان لاي ، واستجاب الى نصيحة موسكو بالاقتراب من النظام الوطنى التقدمى فى مصر . . . وسعد جمال عبد الناصر بان الخطوة الاولى للاقترب جاءت من الجانب السورى فوافق فوراً على ان تبدأ محادثات بين رجال اركان الحرب فى الدولتين ، وتم تبادل السفراء بين القاهرة ودمشق عقب انقطاع طال عهده منذ الانفصال فى اكتوبر ١٩٦٦ وفى يوم ٤ نوفمبر وقعت اتفاقية دفاع مشترك تعتبر ان الهجوم على دولة هو هجوم على الاخرى .

وكان جمال عبد الناصر واعيا بان هذه الاتفاقية قد تحمل له توريطا غير مطلوب ولذا كتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام قائلا (هذا الميثاق لا يلزم القاهرة بالتدخل اوتوماتيكيا لصد كل غارة انتقامية ضد سوريا) .

ومع ذلك يعتبر جان لاكوتير ان الجمهورية العربية المتحدة قد تورطت مع النظام البعثي الجديد في سوريا رغم تجارب الوحدة ، لتطرف قادته ومفهومهم لمعنى المسئوليات . . . ويتمادى لأكوتير فيقول (يمكننا القول بان حرب الايام الستة انما بدأت في ٤ نوفمبر ١٩٦٦) .

والحقيقة انه كان من اشد الامور صعوبة ان يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا وانعزاليا من القضية الفلسطينية التي ظلت تعتبر محورا للحركة السياسية العربية ، والتي دعا هو من اجلها الى عقد مؤتمرات القمة ، ثم انسحب منها عندما شعر أن الرجعية الحاكمة تتآمر ضده خلال التهدة التي فرضتها .

وكان هناك سبب آخر يدفع جمال عبد الناصر دفعا الى توقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا ، وهو دوره التاريخي البارز ، وزعامته السياسية التي تأثرت بهزيمة الانفصال ، وعدم الوصول الى نتيجة حاسمة في حرب اليمن ، ومصرع عبد السلام عارف وتعيين اخيه عبد الرحمن وهو شخصية ضعيفة تردى الموقف السياسي في العراق خلال حكمه الى حد تشردم وتمزق القوي السياسية عدا البعث في العراق الذي كان يدبر خطته للوصول الى الحكم .

كان صعبا ان يرفض العرض السوري للدفاع المشترك . . . وقد وجد فيه محاولة للتخفيف من تطرف النظام في دمشق ، ومحاولة لتغيير مفهوم المسئولية عندهم كرجال دولة . . . وحذرهم من ان القاهرة لن تكون ملزمة اوتوماتيكيا بالرد على كل غارة انتقامية اسرائيلية . . . ومع ذلك كانت الاتفاقية - رغم ضرورتها - خطوة نحو المصيدة .

الاردن . . . والمصيدة :

وبعد ايا . من توقيع الاتفاقية قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين قرب الحدود السورية ، وفضل ليفي اشكول عدم اختبار جدية الاتفاقية في ايامها الاولى . . . واختار مكانا اخر لغارته الانتقامية . . . قرية السموع الاردنية يوم ١٣ نوفمبر . . . ربما تحاشيا لخسائر قد يتعرضون لها في الهجوم على مواقع الجولان الحصينة .

هاجمت قوة اسرائيلية من المدرعات والطائرات القرية الاردنية في نفس اليوم الذي وصل فيه الى عمان الجنرال أيوب خان رئيس جمهورية الباكستان ، اكبر الدول الاسلامية عددا .

أسفرت الهجمة عن تدمير ١٢٥ منزلا ، ٢٨ قتيلا ، ١٣٤ جريحاً في غارة استمرت اكثر من ست ساعات .

وانفجرت المظاهرات في الاردن . . . في الضفة الغربية والشرقية ، وعمال الهتافات ضد الملك حسين الذي كان قد اغلق مقر منظمة تحرير

فلسطين في عمان بالشمع الاحمر .. واهتز موقف الملك الذي لم يتدخل جيشه في مقاومة الغارة .

وتحرك الاسطول السادس لحماية عرش الملك كما نشرت جريدة نيويورك تايمز يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٦ ، وأشارت الى انه اتخذ مراكزه في شرق البحر الابيض لانزال جنوده عند طلب الملك حسين .

وفجرت غارة الاسرائيليين على قرية (السموع) حملة دعائية هائلة ضد مصر وجمال عبد الناصر ، بدأت بمؤتمر صحفي لوصفي التل رئيس وزراء الاردن يوم ٢١ نوفمبر القى فيه اللوم على الجمهورية العربية المتحدة لان (مسئولية التدخل الجوي لحماية جنوب الاردن تقع على سلاح الطيران المصري) حسب قوله .. وعلى القيادة العربية الموحدة لانها (لم تطلب الى الجيوش العربية التحرك لنجدة الاردن) .. وعلى الجمهورية العربية السورية (لان سلاح الطيران كان بوسعه ان يقصف الاهداف الاسرائيلية الحيوية ويخفف الضغط عن الاردن) .. وعلى احمد الشقيري لانه لم يفتح جبهة ثانية في سيناء بتحريك جيش التحرير الفلسطيني المرابط في قطاع غزة) .

كان هذا الهجوم امتدادا لحملات الدعاية المضادة للجمهورية العربية المتحدة وجمال عبد الناصر التي تبنتها اذاعة الاردن والسعودية والتي كانت تتهم النظام المصري بانه ارتضى لنفسه موقف السلبية من القضية الفلسطينية ، وانه يحمي نفسه خلف جنود قوات الطوارئ الدولية المنتشرين على امتداد الحدود المصرية ، وانه سمح للاسرائيليين بعبور خليج العقبة وانشاء ميناء ايلات الذي يصله ٩٥ ٪ من بترول اسرائيل الوارد من ايران وذلك بالتنازل بعد عدوان ١٩٥٦ عن تواجد القوات المصرية في شرم الشيخ والسيطرة على مداخل الخليج عند جزيرتي تيران وضافير .

ظلت الاذاعة الاردنية والسعودية تضرب على هذه النغمة المستفزة التي تحاول استثارة النظام المصري ، وتدفعه الى اتخاذ خطوات غير محسوبة للقتال مع اسرائيل في توقيت غير مناسب .

ولكن النظام لم يندفع الى ما كانت تبتغيه هذه الاذاعات .. قال جمال عبد الناصر بعد غارة السموع في خطاب امام مجلس الامة (بالنسبة لجبهة الاردن لابد من تسليح سكان القرى الامامية ، ولو بالقدر الذي يمكنهم من الدفاع عن النفس والقيام بدور المعوق حتى تصل النجدة العسكرية النظامية ... ان اى جيش لا يستطيع ان يحمى جبهة واسعة كجبهة الاردن امام عدو غادر كالعدو الاسرائيلي بدون نظام للدفاع يعتمد على تسليح اهل القرى الامامية ... هذا هو رايانا في العدوان الاسرائيلي على قرية السموع .

مازال جمال عبد الناصر حذرا وحريصا على عدم الاندفاع الى المصيدة المفتوحة .

وكان للحكم في سورية راي آخر أصدره في بيان سياسى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٦ قال فيه (الحل العملى الموضوعى هو لقاء القوى التقدمية

بهدف قيام حرب شعبية شاملة . . . وانه يجب تشكيل جبهة تقدمية في القطر العربي الاردني . . . وان حرب التحرير الشعبية هي التي تستطيع ان تطيح بالعرش الهاشمي وتذك اسرائيل من جذورها ، وان الحل هو الاستمرار في الثورة الى ان يزول العرش الخائن من الوجود . . . اليوم تحرير الاردن . . . وغدا تحرير فلسطين .

ولا شك ان هذه البيانات كانت عاملا من العوامل المؤثرة على جمال عبد الناصر ، والتي تظهره بطريقة غير مباشرة في مظهر الذي يتبع (سياسة ناعمة) ازاء اسرائيل . . . ولكنه مع ذلك استطاع حتى هذه المرحلة ان يستوعبها هي واذاعة الاردن والسعودية .

وامام هذا الموقف المشتت دعا الفريق على على عامر قائد القيادة العربية الموحدة ، مجلس الدفاع العربي للاجتماع في ٧ ديسمبر ١٩٦٦ . بعد حملة التشهير التي شنها المسئولون في الاردن ضد القيادة الموحدة وتخليها عن مسئوليتها القومية في حادث قرية (السموع) .

وكانت اجتماعات المجلس فرصة للمناقشة واثارة القضايا المختلف عليها . . . فقال الفريق على على عامر ان حادث قرية (السموع) هو عدوان محدود لا يستهدف الاحتلال . . . ثم شرح مخالفات الحكومة الاردنية لتوصيات القيادة العربية من حيث التسليح والتجنيد وبناء المطارات وانشاء الاسراب الجوية ، وعدم السماح للقوات العراقية والسعودية بالدخول ، ورفض تمركز مقاتلات عربية في الارض الاردنية .

وقال محمود رياض وزير الخارجية ردا على اتهامات الاردن في مذكرة رسمية تقدمت بها تطلب سحب قوات الطوارئ الدولية من قطاع غزة وسيناء لان وجودها على الارض العربية (يشكل عائقا يحول دون تنفيذ خطط القيادة العربية الموحدة) كما جاء في نص المذكرة .

وقال محمود رياض (قوة الطوارئ الدولية لا تشكل اي قيد على الجمهورية العربية المتحدة او على حريتها في العمل الذي تراه مناسبا . ونستطيع ان نطلب سحب هذه القوات في اي وقت نشاء) .

الاردن تمارس سياسة الضغوط الدعائية والنفسية على النظام المصري حتى في المذكرات الرسمية وفي جلسات الجامعة العربية . . . واصبح سحب قوات الطوارئ الدولية موضوعا مثارا نحت البحث منذ اواخر عام ١٩٦٦ .

وكشف احمد الشقيري بعض مواقف الحكومة الاردنية من جهة قرارات القيادة العربية الموحدة ، اذ رفضت ما عرضته القيادة من توريد طائرات سوفيتية مقاتلة من أحدث طراز واصرت على شراء طائرات امريكية (قديمة مجددة) حسب تعبيره ويبلغ ثمنها ثلاثة اضعاف ثمن الاولى وتورد بعد مدة تتراوح بين سنتين وثلاث . . . وأشار أيضا الى رفض المساعدات ومنع القوات العربية المسلحة او الجوية من الدخول الى الاردن تنفيذا لقرار القيادة .

واعلن خطة القيادة التي تنص على ، (مسئولية كل دولة في رد غارات العدوان عليها طالما لم يؤد ذلك الى احتلال جزء من اراضيها) كما اشار الى رفض حكومة الاردن اعلان التجنيد الاجباري ليتمكن تكوين جيش احتياطي يستدعى عند الحاجة .

الخلافات في مجلس الدفاع العربي حادة ، والقيادة العربية الموحدة قاصرة عن القيام بواجباتها في التعبير عن القدرة والقوة الحقيقية لجماهير الامة العربية ، والنظم السياسية متنافرة النظرة رغم موافق الدفاع المشترك .

اثر غارة قرية السموع على موقف الاردن ، فقبلت دخول ٢٠٠٠٠ جندي سعودي الى اراضيها وظلت على موقف الرفض من دخول القوات العراقية التي ظلت تنتظر عاما كاملا في منطقة الرطبة على الحدود الاردنية ، مما جعل مؤثر القمة الثالث في الدار البيضاء يوافق على سحبها بعد ان (اصاب معداتها التلف وهبطت روح رجالها المعنوية) كما تقول كلمات تقرير القيادة العربية الموحدة بالحرف الواحد .

صرح ابا ابيان بقوله (ان الغارة قد جعلت الموقف يستقر) . . . واعلن الجنرال موشي ديان يوم ٨ يناير ١٩٦٧ (ان الخطر الوحيد هو قيام انقلاب في الاردن يطيح بالملك حسين ، فانه عنصر الاستقرار الوحيد في منطقتنا ، واختفاؤه عن المسرح سيكون له نتائج خطيرة علينا .

وظل الملك حسين سادرا في اسلوبه . . . يشدد هجماته على النظام في القاهرة ، ويسحب اعترافه بجمهورية السلال في اليمن قائلا في وليمة اقامها للملك فيصل في ١٢ فبراير بعمان انه لن يسكت على حمام الدم الذي يجري في اليمن . . . ويلتقى بالحاج أمين الحسيني الذي زار الاردن في اول مارس .

الملك حسين يؤدي دوره في تناسق تام مع ملك السعودية فيصل ويرفض الاثنان ارسال مندوبيهما لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربي الذي عقد في القاهرة في ١٢ مارس ١٩٦٧ ، والذي تلا فيه الفريق على على عامر تقريراً موجزا استغرق خمس دقائق فقط طالب فيه المجلس ان (يبت في امر القيادة العربية الموحدة حتى لا تبقى بدون عمل ، وان تصارح الدول العربية الامة العربية بالحقيقة . . . وان قوات الدعم العربية لم تدخل الاردن ، وان عددا من الدول العربية لم تف بالتزاماتها المالية . . . وان توقف الدول عن سداد التزاماتها سوف يؤدي بالوضع العسكري الى موقف خطير) ثم صرح المجلس بقوله (ان استمرار هذه الاوضاع لا يمكن القيادة من تنفيذ المهمة التي اقرها مجلس الملوك والرؤساء في الاسكندرية) .

كان رئيس اركان حرب الاردن والسعودية في القاهرة ، ولكنها رفضا حضور اجتماع مجلس الدفاع العربي .

وانتهى الاجتماع الى مطالبة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية

والعسكرية ، وتحدد شهر يوليو موعدا للاجتماع القادم .

سوريا .. والمصيدة

فى يوم ٧ ابريل شنت القوات الجوية الاسرائيلية غارة على سوريا اسقطت فيها ٦ طائرات ميج سورية ... بينما اذاعت الحكومة السورية انها اسقطت ٥ طائرات اسرائيلية ، وسقطت لها اربع طائرات ... ولم يكن ذلك صحيحا .

وقد أثارت هذه الغارة معارضة داخل اسرائيل ... ليس لانها حدثت ، ولكن لانها تمت باستخدام عدد كبير من الطائرات . ولانه أعلن ان العملية تمت عن قصد وترتيب .

ويروى الصحفى الاسرائيلى شلومو نيكدمون فى كتابه (ما قبل ساعة الصفر) قصة النقد الذى وجهه الى الحكومة بنجوريون وشيمون بيريز وما قاله ديان من (ان جيش الدفاع كان يجب عليه الا بدفع بمثل هذا العدد الكبير من الطائرات صوب دمشق) ... واضاف بأنه كان من رايه ضرورة تحديد عملية الرد بنفس حجم العدوان السورى ، وعدم توسيع العملية حتى دمشق ميثاق الدفاع المشترك لم يدفع القاهرة الى اتخاذ خطوات اكثر من ارسال الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية الى دمشق يوم ١٠ ابريل . وانقضت الفسارة التى قامت بها اسرائيل ردا على ضرب المدفعية

السورية للمزارعين حول بحيرة طبريا ، دون أن تحرك شيئا في رقعة الشطرنج القسائية .

ولم يأخذ النظام السوري الذي خسر ٦ طائرات دفعة واحدة هذه الغارة مأخذ الجد ، ويقارن بين حالته العسكرية وحالة الاسرائيليين . . . بل انه واصل هجماته بالمدفعية لاكتساب مظهر البطولة أمام نظام عمان المتربص ، لم يشأ القادة السوريون أن يركنوا الى الصمت والقاء التهم على الآخرين كما فعل الملك حسين ، بل انهم اختاروا طريق الاستمرار في الرد واطسلاق الفدائيين .

واتسمت تصريحات القادة الاسرائيليين بالعنف . . قال الجنرال اسحق رابين (لن يعرف نظام في الشرق الأدنى الايمان والاستقرار ما لم تقلب حكومة دمشق) ولح كما يقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب (حرب الايام الستة) بأن قواته تستطيع مهاجمة دمشق والاطاحه بحكم نور الدين الاتاسي .

وخطب رئيس الوزراء ليفي اشكول في نادي ايدار في تل ابيب قائلا (نظرا للاعتداءات السورية المتكررة والتي بلغت ١٤ اعتداء في الشهر الماضي ، نرى انفسنا مجبرين على اتخاذ اجراءات حاسمة تفوق تلك التي اتخذناها في ٧ أبريل الماضي) .

لم يدرك النظام السوري الاخطار الحقيقية التي تتهدده من تصريحات الزعماء الاسرائيليين . . بل لعله أدركها ووجد أن النجاة منها لا تكون في الهدوء والتقاعد ، وانما في الصمود والمواجهة .

ولا يمكن لأحد أن يعيب على نظام - أي نظام - دفاعه عن نفسه ووطنه بأسلوب القتال والمواجهة . . ولكن ما يمكن ان يعاب عليه ، هو أن تكون نظرتة قاصرة ومحدودة على ظروف خاصة وليست شاملة . . وأن تكون حركته عفوية ومن باب ردود الفعل بدلا من أن تكون مدروسة ومنسوجة في خطة استراتيجية سليمة .

كانت عين النظام السوري في حركته على الجبهة الداخلية التي تحركها وتهزها تحركات الامبريالية . . مثال ذلك المقال الذي نشرته مجلة عسكرية محدودة التوزيع بقلم صفي ضابط مجهول يدعى ابراهيم الكلاس يهاجم فيه الاسلام ، والتقطت ذلك جريدة رجعية في بيروت فأعادت نشر المقال ، وعقب على ذلك الشيخ حسن حبنكة من على منبر الجامع الأموي في خطبة الجمعة وبعدها أغلق التجار الكبار محالهم وأعلنوا الاضراب وردت الحكومة السورية بالعنف على المتآمرين فاعتقل الشيخ حبنكة وظهرت في شوارع دمشق وغيرها الدوريات العسكرية وفصائل العمال المسلحين . . ومثال ذلك أيضا محاولة الانقلاب الذي قام به الرائد سليم حاطوم والذي أثبتت التحقيقات صلته بأجهزة المخابرات الامبريالية ثم هربه وبعض زملائه الى الخارج ، وظهوره فجأة بعد العدوان الاسرائيلي متسللا الى الاراضي السورية ، ثم اعتقاله ومحاكمته أمام محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام هو وشريكه في المؤامرة بدر جمعة ونفذ فيهما حكم الاعدام فورا .

وكانت عين النظام السوري في حركته أيضا على دعاية عمان المستفزة والمتربصة لردود فعل الحكومة السورية على غارات الاسرائيليين .
وكانت عين النظام كذلك على المظهر الذي تود ان تظهر به المجموعة السورية الحاكمة وسط صفوف حزب البعث بعد الانقسام الذي حدث فيه والدور اليسارى المميز الذي تريد ان تنفرد به .

وكانت عين النظام أخيرا على القاهرة وجمال عبد الناصر . . تريد تحسين العلاقات وتوثيقها دعما للنظام في الداخل وفي الوطن العربي . . مع اتخاذ منهج سياسى خاص لايجعل شخصية عبد الناصر تطفئ على قادة سورية الجدد ، الامر الذي كان يدفعهم الى اتخاذ مواقف سياسية متطرفة لم تنضجها مسئولية الحكم الذي بدأت ممارستها لهم منذ فبراير ١٩٦٦ فقط .

ولذا كانت بعض حركات وتصريحات قادة النظام الجديد تعتبر خطوات نحو المصيدة ، رغم النوايا .

مصر . . والمصيدة

الضغوط التي تعرض لها النظام في مصر لم تدفع جمال عبد الناصر الى اتخاذ خطوات اندفاعية غير محسوبة لمناطحة اسرائيل . . كان حريصا حتى ذلك الوقت على التمسك باستراتيجيته التي تجعله يختار الوقت والظروف المناسبة لجولة جديدة .

ورغم ماقامت به الامبريالية الامريكية وخاصة في عهد جونسون من ضغوط مباشرة في اليمن (حرب كומר) ومن مساعدة للنظام السعودي والملكيين في القتال الدائر هناك . . ورغم التغير الحاسم في قرار امداد اسرائيل بالاسلحة الامريكية مباشرة . . ورغم الضغوط الاقتصادية ومنع القمح . . فان جمال عبد الناصر لم يقطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا مطلقا وهو الذي قطعها مع انجلترا وألمانيا الاتحادية وفرنسا لأسباب أبسط من ذلك . . ولم يقطع جسور الاتصال بينه وبين المسئولين في واشنطن سوا عن طريق الخطابات المتبادلة مع كنيدي ثم جونسون ، او خلال بعض الاتصالات السرية .

لم تتجاوز ردود فعل عبد الناصر دائرة التصريحات الشديدة والهجمات اللفظية .

ولكن موقف الجمهورية العربية المتحدة الصريح في مساندة حركة التحرير القومى في جنوب اليمن وشبه الجزيرة العربية كان يسبب انزعاجا شديدا ومتزايدا للسياسة الامريكية والبريطانية معا ، ذلك ان ما تحويه أرض شبه الجزيرة من ثروة بترولية هائلة ، هو أمر لايمكن التفريط فيه لما يمكن أن يلحقه ضياعها من خسارة فادحة للرأسمالية العالمية .

أرغم نضال الشعب اليمنى ومساندة القاهرة له بريطانيا على قبول أنفض الأشياء الى قلبها وهو اعطاء وعد باجلاء قواتها عن عدن في أوائل ١٩٦٨ .

ومع ذلك عقد اجتماع قمة افريقي محدود في القاهرة حضره يومئذ
ونيريري وولد داه ومندوب عن سيكوتوري وهي الدول التي قطعت علاقتها
مع بريطانيا لسياستها في روديسيا ، واتخذ المؤتمر قرارا بضرورة الاسراع
في جلاء بريطانيا عن الجنوب العربي .

وهكذا تضاعف حقد بريطانيا على مصر ، وخاصة بعد حرب السويس
التي اعترفت بريطانيا بخسارتها لأول مرة في المائة وخمسين عاما الاخيرة .
ورغم ان نصرا نهائيا لم يتحقق في اليمن ، الا ان الوضع بالتاكيد كان
قد استقر للنظام الجمهوري الذي اصبح قادرا على الدفاع عن نفسه . وتعرض
النظام السعودي لتدخل شديد بعد زيارة الملك سعود لليمن في ٢٣ ابريل
١٩٦٦ ومعه المشير عامر وأنور السادات ، ودعوته للشعب السعودي برفض
الانصياع لحكومته قائلا : (انني استنكر كل الاستنكار دينا وعروبة هذه
المذبحة التي راح ضحيتها ابناء الشعب اليمني) .

الاتجاه المعادي للامبريالية في شبه الجزيرة العربية اصبح مثيرا لقلق
الدوائر الامبريالية ، ودافعا لها الى البحث في أسلوب لتحطيم النظام الثوري
التقدمي في مصر باعتبارها السند الرئيسي لهذا الاتجاه .
وتحركات بعض العناصر المضادة للنظام في الداخل مدفوعة او غير
مدفوعة بخيوط امبريالية . . الجهاز الارهابي للأخوان المسلمين ، فلول
الاقطاعيين المتهربين من قانون اصلاح الزراعي ، البرجوازية المقاومة للاتجاه
نحو تطبيق الاشتراكية .

ولما كان النظام في مصر حتى ذلك الوقت قد عجز عن تكوين جهاز
تنظيمي له صفة حزبية ، يملأ الفراغ السياسي . . واعتمد في حركته على سحر
شخصية الزعيم ورصيده التاريخي الكبير ، والاجراءات الادارية الحاسمة ،
فانه اخرج من (جرابه) مرة أخرى المباحث الجنائية العسكرية التابعة للشرطة
العسكرية ، والتي كان دورها قد ذبل وانحسر بعد انتهاء محاكمات الاخوان
المسلمين في نهاية ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ ثم انتهاء فترة الانتقال ١٩٥٦ .

عادت المباحث العسكرية تطفو فوق السطح مرة أخرى بعد عشر سنوات
تقريبا ، وتؤدي دورا في مطاردة الاخوان وفلول الاقطاعيين والمهربين وتجار
السوق السوداء ، والمهملين والمنحرفين في ميادين الخدمات مثل النقل العام
والجمعيات الاستهلاكية وغير ذلك من الامور البعيدة عن اختصاصها .

ولم تكن تحركات المباحث الجنائية العسكرية تتم تحت اشراف الواعي
المباشر لعبد الحكيم عامر نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ، الذي انتهج
أسلوبا ناعما جديدا في حياته الخاصة بعد الانفصال ومحاولة تخديد
اختصاصاته في مجلس الرئاسة ثم استقالته وعدم قبولها ، في الوقت الذي
تعددت فيه مسؤولياته ونشعبت الى الحد الذي يصعب معه على فرد واحد
ان يباشرها بنجاح . . بينما هو مسئول فيه عن تنظيم وتدريب وقيادة القوات
المسلحة ، التي يحارب الالوف من ابنائها في اليمن .

كانت مسؤوليات عبد الحكيم عامر تمتد من قيادة القوات المسلحة الى
اشراف على رجال الطرق الصوفية ، الى رئاسة اتحاد الكرة ، الى رئاسة لجنة

تصفية الاقطاع ، وأخيرا الى رئاسة هيئة الرقابة العليا للدولة التي شكلت في ٧ مايو ١٩٦٦ وضمت على صبرى وعباس رضوان وعبد المحسن ابو النور وكمال رفعت وشمس بدران وعبد المجيد شديد ، والتي اعتبرت مسئولة عن ترشيح وتعيين كبار المسؤولين في أجهزة الدولة ومؤسساتها وشركاتها . ولذا انفرد شمس بدران مدير مكتبه بمباشرة المسئولية الحقيقية لحركة المباحث الجنائية العسكرية ، وأراد جمال عبد الناصر مكافأته على جهده ، فعينه وزيرا للدفاع في وزارة صدقي سليمان (سبتمبر ١٩٦٦) ، وهو الضابط الذي لم تتجاوز معلوماته معلومات ضابط برتبة يوزباشى قبل الثورة ، انخرط في العمل مع قيادة حركة الجيش ، دون ان ينمى معلوماته بأى نوع من انواع الدراسات العسكرية ودون أن يتخرج في كلية اركان الحرب ، او يدرس دراسات عليا تجعله متابعاً للتطور العلمى الحديث فى عالم التسليح والتدريب والتكنولوجيا .

كان تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع تدشيناً لوضع قائم وتأكيداً لسلطته التي استمدتها من علاقته بعبد الناصر وعامر ، ولكنه فى نفس الوقت كان ميرا لكثير من علامات الاستفهام . . . اذ لا يمكن ان يدعى أحد بأنه الاختيار المناسب فى وقت تتعقد فيه الامور وتتشابك فى الجبهة الداخلية ، وتبدو فى الافق ضغوط أزمة خارجية ، ويدرك جمال عبد الناصر انه يواجه تحدياً امبريالياً خطيراً . . . وفى الوقت الذى كان فيه عبد الحكيم عامر ايضا قد ابتعد عن متابعة التطورات الحديثة فى القوات المسلحة وفقد اهتمامه بمتابعة المناورات والتدريب على الاسلحة العصرية .

لم تعد قيادة القوات المسلحة بعد تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع واستمرار عبد الحكيم فى منصب نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة فى المستوى الذى يمكن القول فيه بانها تقادرف على توجيه وتدريب وتحريك الجنود فى الوقت والمكان المناسب لمواجهة أى هجوم اسرائيلى . . . خاصة وان جمال عبد الناصر كان قد فقد اهتمامه ايضا بالقوات المسلحة منذ عام ١٩٦٢ بعد خلافة مع عبد الحكيم عامر ، وأنر ان يترك له المسئولية كاملة . . . وهو ما لا يمكن لاحد ان يقر جمال عبد الناصر عليه . فهو فى النهاية الرجل المسئول طالما ينولى منصب القائد الاعلى للقوات المسلحة .

ولكن تعقيدات العلاقات الشخصية . . . والحذر من حركة غير محسوبة من القوات المسلحة . . . والارتكان الى العناصر التي اعتاد جمال عبد الناصر على التعامل معها . . . والتي كان صعبا بل مستحيلا أن تنقض عليه لدوافعها الشخصية المقننة برئاسته . . . وعلاقتها الوثيقة به رغم ما كان يشوب الجو من غبوم وخلافات . . . هذه العوامل دعت جمال عبد الناصر الى جانب رسوخ جذور هذه الشخصيات ومساندة علاقتها مع قادة الجيش الى انقائهم فى مناصبهم الحسابية المسئولة .

وتد صادف هذا التعيين حفصا فى ميزانية القوات المسلحة . يقول عنه الفريق صلاح الحيدى فى كتابه « شاهد على حرب ٦٧ » انه « اجل انشاء تشكيلات جديدة ومطارات هامة كان من المقرر انشاؤها . وخفف من

نفقات تدريب القوات الموجودة فعلا ، وفي عدد ساعات تدريب الطيارين واستغنى عن تكملة الوحدات بالافراد والمعدات التى كانت تنقصها ، وما الى ذلك من الامور التى تؤثر حتى في كفاءتها . . . وكانت هذه هى المرة الاولى في تاريخ القوات المسلحة التى تنفذ فيها هذه التخفيضات بطريقة جدية .
هذا الخفض في ميزانية القوات المسلحة يدل على ان جمال عبد الناصر لم يكن يرتب عدوانا ، او هجوما على اسرائيل . . . وانما كان يوفر أقصى ما يمكن من اموال لتنفيذ خطة تنمية ناجحة .

ويدل ايضا على ان جمال عبد الناصر لم يكن قد دخل بعد دائرة الشعور بخطر عدوان يتهدد مصر . . . ولعله كان على يقين من أنه طالما هو متمسك باستراتيجيته التى تمنعه من الانزلاق والتورط ، وطالما هناك قوات طوارئ دولية على الحدود ، فان خطر الحرب بعيد . . بعيد .

ولكن علاقات مصر مع امريكا كانت نتأزم ولا تنفرج . . وتفرض على نظام الحكم في مصر ان يكون أكثر يقظة واستعدادا . . . وهو الامر الذى لا يتناسب مع خفض ميزانية القوات المسلحة .

كان لوشيوس باتل السفير الامريكى السابق فى القاهرة قد قال أمام لجنة الشئون الخارجية ما نشرته وكالات الانباء والصحف المصرية يوم ٦ ابريل ١٩٦٧ « من الصعب ان يجد الانسان شخصا معاديا للخطط الامريكية اكثر من عبد الناصر » .

وعلق سناطور يورك هيكتلور قائلا « موقف امريكا يتراوح بين الارتفاع والهبوط كأنه قطعة من الفلين طافية فوق الامواج . . وينبغى حسم الموقف بصورة او بأخرى » .

وكان السناتور واين مورس أكثر صراحة في الاجتماع عندما قال « ان عبد الناصر يمثل تهديدا لمصالح امريكا ليس في منطقته فحسب بل وفي العالم أجمع » .

ولم تنقضى ايام على هذا الاجتماع حتى حدث الانقلاب العسكري اليميني في اليونان يوم ٢١ ابريل ١٩٦٧ والذي اعتبر مؤشرا لاقترب التحركات الامبريالية من المنطقة .

وكانت مصر وقتها تتعرض لحملة اشاعات منظمة سرت في المجتمع بنشاط شديد حول اخطار يتعرض لها الاطفال من حقن يحقنون بها في المدارس ، وما أحدثه ذلك من قلق وذعر دفع الحكومة الى تقديم قضية للمحكمة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٧ ، وهى امور وأساليب كانت قد تجاوزتها الثورة بعد انقضاء اشهرها الاولى ، وما صاحب اعتقال السياسيين ومحاكمات الغدر والثورة من شائعات .

محاولات الامبريالية أصبحت أكثر وضوحا لهن المجتمع من الداخل ، وحصاره بالانقلابات العسكرية في المنطقة .

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى تقريرا من أمين شاعر الذى كان سفيرا في بلجيكا ، وقبل ذلك كان مديرا لمكتبه ثم مسئولا في المؤتمر الاسلامي ،

وعضوا منتدبا بمؤسسة أخبار اليوم عندما كان محمد التابعي رئيسا لمجلس
الادارة .

قال لي أمين شاكرا تفاصيل هذا التقرير المثير الذي اشار اليه ناتج في
كتابه « ناصر » .

قال أمين شاكرا ان هنري سباك ابلغه أنه بعد انتقال مقر حلف الاطلنطي
من باريس الى بروكسل ، استدعت الحكومة الامريكية سفراءها في غرب
أوروبا لشرح نتائج خروج فرنسا من الحلف العسكري .
هنري سباك رئيس اتحاد دول غرب أوروبا ونائب رئيس وزراء ووزير
خارجية بلجيكا والذي يعتبر « مهندس أوروبا » الذي أسهم في انشاء حلف
الاطلنطي والسوق الاوربية قال لأمين شاكرا ان خروج فرنسا عسكريا من
الحلف يمثل نقطة تحول غير محدود في الاستراتيجية وأنه يمثل بداية النهاية
لعهد الاحلاف ، وان على أمريكا تهيئة نفسها لذلك بعد ما بدأ ديجول يشر
وخاصة اثناء زيارة بعض دول أوروبا الشرقية بأن أوروبا للاوربيين من الاطلنطي
الى الاورال .

وروى سباك لأمين شاكرا ماقاله دين راسك وزير خارجية أمريكا من
ان أمن أوروبا سوف يتعرض لصعوبات في المرحلة القادمة ، وحذر من قوة
السوفييت وشرح أهمية الشرق الأوسط وشمال افريقيا في حماية غرب أوروبا
مما يفرض مسئولية تأمينها - بمعنى اخضاعها للنفوذ الامريكي .
وقال وزير خارجية أمريكا ان العقبة الرئيسية في تحقيق هذا الهدف
هو جمال عبد الناصر الذي ساءت علاقته بأمريكا بعد سحب تمويل السد
العالي ، والذي فضح سياسة أمريكا الامبريالية الا أخلاقية ، وقال ما تخرج
السوفييت والكتلة الشرقية عن قوله كما قال أدلاي ستيفنسون :
وقال هنري سباك لأمين شاكرا ان قرارا قد صدر عن الاجتماع بأن
جمال عبد الناصر يجب ان يذهب لان المنطقة لن تخضع للنفوذ الامريكي طالما
هو موجود وذلك لما يخلقه من صعوبات امام السياسة الامبريالية ، وردد
ما قاله جو براون محافظ كاليفورنيا من أن صوت العرب له تأثير اكبر من
راديو موسكو على الدول النامية .

وقال له سباك أيضا ان جونسون يميل بطبعه الى النتائج التي وصل
اليها المنتجون والمخابرات المركزية الامريكية . . وذكر سباك أنه سيحاول
تفسير الامور لهم بشكل آخر ولكن امله قليل في تغيير هذا القرار .
وطالب هنري سباك من أمين شاكرا ان يبلغ جمال عبد الناصر بتهدة
الموقف والا يعرض نفسه لجموح جونسون وأن يتحاشى اثارته حتى تنتهي مدته
لانه لن يرشح نفسه للرئاسة مرة ثانية .

دار هذا الحديث وكتب أمين شاكرا تقريره في فبراير ١٩٦٦ ، وأشار
فيه الى أنه ليس هناك من سبيل الا ضرب الجيش لاسقاط النظام ، وان
وسيلتهم في ذلك هي اسرائيل ، وان حلف الاطلنطي يشارك في ذلك فقد
سمح للطيارين الذين انهموا مدة خدمتهم بالعمل في اسرائيل كما أنه اخلى
سبيل الطيارين الذين هم من أصل يهودي .
يقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب « حرب الايام الستة » تأكيدا

لهذه الخطة ، وتوضيحا بأن أمريكا كانت قد بدأت ممارسة أسلوب جديد في المنطقة :

« رأى رجال العهد الأمريكى الجديد ان عليهم التحول الان نحو ملوك البترول فى العالم واعتبروهم « معتدلين » . . وهكذا دعى الملك فيصل لزيارة أمريكا فى يونيو ١٩٦٦ ، واثناء وجود العاهل السعودى فى واشنطن اجتمع اليه الرئيس جونسون واعلمه ان القادة العرب لا يفهمون شيئا من السياسة الأمريكية فى الشرق الاوسط . . ونبه فيصل بدوره الرئيسى جونسون على انه لا يجوز الاعتماد على عبد الناصر ، فقد وقع فى احضان الشيوعية التى تزوده بالاسلحة » .

احصل الأمريكيون دم النظام المصرى ، واحصل فيصل دم النظام وعبد الناصر ايضا .

وكانت تصل الى جمال عبد الناصر انباء تؤكد هذه الحقيقة ، وكانت التحليلات جميعا تشير اليها ، وقد كتب محمد حسنين هيكل ١١ مقالا اسبوعيا تحت عنوان « نحن وأمريكا » كانت فيه اشارات واضحة للاخطار التى يتعرض لها النظام .

وفى اواخر ابريل استدعى الملك حسين الفريق عبد المنعم رياض الذى كان يعمل وقتها فى القيادة العربية المشتركة وابلغه ان لديه معلومات عن خطة يسهم فيها النظام الجديد فى سوريا مع بعض القوى الخارجية لجر جمال عبد الناصر الى مصيدة الحرب ، وطلب منه ان يبلغ هذه المعلومات الى جمال عبد الناصر .

ولما لم يكن هناك سبيل اتصال مباشر بين عبد المنعم رياض وجمال عبد الناصر فقد كتب تقريراً بذلك رفعه الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة مطالبا رفعه الى القائد الاعلى للقوات المسلحة . ولكن رغم خطورة التبليغ فان عبد المنعم رياض لم يتلق اجابة على تقريره . . وتصادف ان التقى به محمد حسنين هيكل فأبلغه بالموضوع من شدة قلقه وحرصه على ان يعرف جمال عبد الناصر هذه المعلومات ليدخلها عند تقديره للموقف كما قال لى هيكل .

وقابل جمال عبد الناصر عبد المنعم رياض . . . ويبدو ان الثقة وقتها كانت ضعيفة أو منعدمة بالملك حسين ، فلم تستمر الاتصالات . . . ربما اعتقادا من عبد الناصر بأنها محاولة من الملك حسين للايقاع بينه وبين النظام القائم وقتها فى سوريا .

ويقول أمين شاكى ايضا انه بعد ان عين وزيرا للسياسة قابل جمال عبد الناصر فى شهر مايو ١٩٦٧ ، وابلغه ان حلف الاطلسي يقيم جيش اسرائيل بنسبة ٨٥٪ من الكفاءة المطلوبة ، بينما يقيم جيش مصر بأقل من ٣٠٪ .

وقال جمال عبد الناصر لأمين شاكى (ولكنى لن احارب) . وقال له أمين شاكى الذى افادته صلتته الشخصية ببول هنرى سبباك فى توسيع افق نظراته العامة للامور (ولكن الجانب الاخر سيحارب) . ويبدو ان جمال عبد الناصر لم يأخذ هذه المعلومة اتي جانب التقرير السابق لأمين شاكى ، كما لم يأخذ تبليغ الملك حسين مأخذ الجد . . تماما

كما فعل عندما تدفقت عليه المعلومات عام ١٩٥٦ من جهات مختلفة تحذر من هجوم بريطاني فرنسي مشترك ، مستبعدا أن يقدم ايدن على هذه الخطوة المدمرة .

وكذلك لم يكن جمال عبد الناصر حتى هذا الوقت قد أدرك خطورة الخطة والمؤامرة المدبرة ، ولم يكن يتصور أن شراسة الامبريالية وضراوتها يمكن ان تدبر خطة لتحطيمه بدفعه داخل المصيدة .

نشر الصحفي الامريكي أنتوني بيرسن في المجلة الامريكية « بنتهاوس » مقالا جاء فيه « ان امريكا واسرائيل قررتا عام ١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ، وان الوسيلة هي هزيمته في حرب محدودة تفقده نقة العرب واحترامهم » .

كل الظروف القائمة تشير الى أن خيوط مؤامرة امبريالية تنسج حول مصر في هدوء ... وان الانزلاق نحو المصيدة يتوقف على ردود فعل الزعيم الوطني الذي امتحنته التجارب والمواقف السابقة .

اسرائيل ... والمصيدة

(لقد استغرق الامر من القوات البرية والطيارين عشر سنوات للاستعداد للدقائق الثمانين الاولى من الحرب) ... هذه الكلمات التي قالها شيمون بيريز نائب وزير الدفاع الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ تعبر عن حقيقة الدور الذي لعبته الحكومة الاسرائيلية .

عشر سنوات وبضعة شهور كانت قد مضت منذ انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة بعد العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ... وخلال هذه الفترة حدثت في مصر واسرائيل احداث تمس القدرة العسكرية .

تعرضت الجمهورية العربية المتحدة لمأساة الانفصال التي اسقطت التنسيق والقيادة الواحدة - وليست الموحدة - لطرفي الكماشة المحيطة باسرائيل ، واضعفت بالتالي القدرة على وضع خطة واحدة بقيادة واحدة تنفذها وحدات القوات المسلحة لدولة واحدة .. وبعد عام واحد انشغلت القوات المسلحة المصرية بحرب اليمن التي لم تحسم في أسابيع او شهور كما كان متوقعا ولكنها امتدت عدة اعوام في ظروف متتالية غير مواتية خسرت فيها ... ١٠٠٠ قتيل وكثيرا من الجرحى .. وتعرضت القوات المسلحة لامور كان يجدر بها ان تكون بعيدة عنها ، مثل ابقاء بعض كبار القادة في مناصبهم رغم اخطائهم الجسيمة مثل قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود الذي ضربت طائراته على الارض في اكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦ ، واتخذ قرار بابعاده ثم أصر عبد الحكيم عامر على بقاءه .. واستمرار المشير عامر في منصبه قائدا عاما للقوات المسلحة وان كان قد تغير اللقب ليصبح (نائب القائد الاعلى) وذلك بعد مسئوليته عن مأساة الانفصال ، ثم اتجاهاه الى حياه بعيدة عن الروح العسكرية القتالية مع مضاعفة مسئولياته في أمور مدنية تستهلك طاقته وتركيزه كما ذكرنا .. وأخيرا تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع وهو لا يملك مؤهلات الفهم العميق لوسائل القتال الحديث ، فقد توقفت دراسته تماما منذ كان

يوزباشى فى ليلة ٢٣ يوليو .

وفى الجانب الآخر كانت اسرائيل تستعد لجولة قادمة ، بعد اجبارها على الانسحاب دون تحقيق اى غرض استراتيجى هام ، سوى انشاء ميناء ايلات والحصول على حق الملاحة فى مضيق تيران .

قال ديان امام الكنيست فى مارس ١٩٥٧ (ان الفشل العسكرى ترتب فى حقيقة الامر على هزيمة سياسية لم يكن امام اسرائيل الا ان تتجرعها حتى الشمال وتنسحب من كل الاراضى التى احتلتها) .

ولذا بدأت اسرائيل رسم سياستها الحربية على اساس قدرتها العسكرية الذاتية ، واصبحت مؤسسة الدفاع متحكمة ومسيطره على سياسة الدولة ، ووضع موسى ديان برنامجا يقضى بتعزيز القوات الجوية ودعم القوات المدرعة باعتبارها اقوى اسلحة تمثل القوى الضاربة فى الحرب التقليدية الحديثة ، كما ركزت اسرائيل اهتمامها على الابحاث الذرية ، ونجح شيمون بيريز فى ان يمد التعاون الفرنسى فى مجالات التسليح لتبادل الابحاث العلمية والفنية الخاصة بالطاقة الذرية .

وركزت اسرائيل سياستها واستراتيجيتها على اساس :

١ - الحصول على احدث الاسلحة وخاصة من اكبر مصادرها قدرة وتطورا (الولايات المتحدة الامريكية) .

٢ - الحصول على ضمانات لامنها من الدول الغربية .

وفى هذا السبيل نجحت بخطوات متلاحقة :

أولا : كانت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى رحبت بمشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ والذى كان يقضى بتحويل ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشترك .

ثانيا : واصلت اسرائيل علاقاتها الطيبة مع فرنسا حتى بعد وصول ديغول الى الحكم (يونيو ١٩٥٨) ، فحصلت منها على صفقة من طائرات الميراج ، تكررت أيضا بعد زيارة بن جوريون لباريس (يونيو ١٩٦٠) ويونيو ١٩٦١) .

ثالثا : استطاعت اسرائيل الحصول على اسلحة من المانيا الاتحادية بضغوط امريكية ووافق برلمان المانيا الغربية على ذلك فى ديسمبر ١٩٦٢ ، وتدفقت الاسلحة والدبابات على اسرائيل حتى فبراير ١٩٦٥ عندما اضطرت المانيا الاتحادية الى اعلان وقف تصدير الاسلحة بعد غضب الدول العربية واعتراضها بعد ان كانت قد صدرت لما قيمته ٥٠٠ مليون دولار حسب تصريح شيمون بيريز . . وقد عوضت المانيا ذلك باقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فى ١٢ مايو ١٩٦٥ وامدادها بمعونات اقتصادية وصناعية هائلة .

رابعا : وصلت اسرائيل الى هدفها وقمة نجاحها بالحصول على اسلحة امريكية مما اعتبر تغييرا حاسما فى الموقف الامريكى ، بدأ ذلك بصفقة صواريخ هوك التى مزقت الحظر الامريكى ثم تبع ذلك الامداد بالدبابات والمدرعات وأخيرا طائرات « سكاي هوك » فى مايو ١٩٦٦ ، واصبحت الولايات المتحدة بعد ذلك المورد الرئيس للأسلحة التى تحتاجها اسرائيل ، كما ضمنت تأييد الولايات المتحدة فى الوقوف خلف اسرائيل بصفة واضحة ونهائية .

وهكذا مضت السنوات العشر في محاولات دائبة وناجحة لتحويل اسرائيل الى ترسانة حربية قادرة على (الاعتماد على قوتها الذاتية) مستندة اساسا في سياستها الخارجية مع الولايات المتحدة زعيمة الدول الامبريالية .
ووصلت اسرائيل الى واحدة من خمس دول في المنطقة تملك جيوشا تزيد عن ١٠٠.٠٠٠ وهي باكستان وتركيا وايران المرتبطة بالخلف المركزي (بغداد سابقا) .. ثم مصر .

ولكن موقف اسرائيل كان يسبق غيرها في نسبة المجندين الى عدد السكان ، اذ بلغت عام ١٩٦٠ كما ورد في احصائيات اوردها (هاروتيز) في كتابه (البعد الحربى في سياسة الشرق الاوسط) .. بلغت ١٤٤ فى الالف بينما كانت فى مصر ٦ فى الالف ، ١١ فى الالف فى سوريا ، ٢٢ فى الالف فى الاردن .

هذه النسبة تلقى على اسرائيل عبئا كبيرا لا تستطيع تحمله لمدة طويلة ... وقد ظهر ذلك جليا في المشكلة الاقتصادية التى تعرضت لها اسرائيل فى نهاية عام ١٩٦٦ بعد انتهاء اتفاقية التعويضات مع المانيا الاتحادية التى وقعت عام ١٩٥٢ وبلغت مجموعها ٣٤٥٠ مليون مارك صرفت اساسا على دعم وتطوير الصناعة ووسائل النقل البرى والبحرى وزيادة مصادر الطاقة .
بلغ العجز فى ميزان التجارة الخارجية لاسرائيل ٥٠٠ مليون دولار ، وارتفع عدد العاطلين الى ١٠٠.٠٠٠ عاطل اى اكثر من ١٢ ٪ من القوى العاملة فى ذلك الوقت ... واصبحت الحرب هى الحل الانسب للتخلص من هذه المشاكل الاقتصادية .

الوسائل العسكرية جاهزة ، ولكن الذريعة لشن الحرب هى التى تحتاج الى تدبير .. تماما كما كان الموقف قبل العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ عندما قال بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون (لم تغير ازمة السويس شيئا من خطط اسرائيل التى كانت تستهدف على اية حال ، ولكنها سهلت لها اصعب الامور وهو السلاح والحلفاء) .

كانت ازمة السويس هى مبرر العدوان الاسرائيلى عام ١٩٥٦ ، ولكن الموقف مع بداية ١٩٦٧ يختلف ... فقوات الطوارىء الدولية تشكل حاجزا على الحدود فى مصر .. واية حرب تقوم بها اسرائيل على الدول المجاورة لا تحقق غرضها الا اذا استهدفت تدمير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة .

ولذا بدا التفكير فى ذريعة تدخل بها اسرائيل الحرب لتحقيق اهدافها وهى ... تدمير الجيوش العربية ، والتوسع الاقليمى ، وفرض السلام الاسرائيلى واسقاط الانظمة التقدمية فى الوطن العربى وفى مقدمتها النظام المصرى .

الحدود المصرية مغلقة ولا توجد اية اشتباكات يمكن ان تكون مبررا للهجوم .. والاردن تعرضت لغارات انتقامية اسرائيلية ، ولكن نظامها لا يشكل خطرا على اسرائيل ، وهو على علاقة غيرة ودية مع النظام المصرى مما قد لا يدفع النظام الاخير الى التحرك .

وبقيت سوريا .

وركزت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية خطتها على ان تكون سوريا هي الذريعة التي تؤدي الى الحرب .

كانت الظروف مواتية لذلك ، فالمقاومة الفلسطينية كانت تتحرك الى داخل اسرائيل عبر الحدود السورية . وكانت سوريا تقوم بتنفيذ مشروعات المياه التي تعمل اسرائيل على احباطها بشتى الوسائل بما فيها العمل العسكري وكانت مواقع الجولان الحاكمة على الاراضي الاسرائيلية المنخفضة هدفا من اهداف الحرب الاسرائيلية تعتقد المؤسسة العسكرية (بوجود حساب قديم يلزم تسويته مع الجيش السوري الذي لم يكف . . . مستغلا ميزة طبوغرافية . . عن ملاحقة وضرب المستعمرات الزراعية التي يشرف عليها من اعلى الهضبة) كما ورد في كتاب العسكرية الصهيونية كانت هذه هي النقط المعلنه التي اعتمدت عليها اسرائيل لزيادة التوتر وخلق مبررات الحرب في المنطقة .

واستجابت الدول العربية لهذا المخطط تدريجيا . فاشتعلت اساليب الدعاية التي روجت لبعض كلمات التقطها الاسرائيليون مثل (تدمير اسرائيل والقضاء اليهود للبحر) واتخذوا منها دليلا على عدوانية العرب . ، وجسدوا الخطر الذي يتعرض له له الاسرائيليون الامر الذي اتاح للمؤسسة العسكرية تشديد قبضتها على الجماهير هناك ، وعسكرة المجتمع ، ووضع كافة الافراد من سن ١٨ الى ٥٥ تحت سلطة جهاز التعبئة في المؤسسة العسكرية .

هذا رغم ان احدا من المسؤولين الحقيقيين في الدول المجاورة لم يصدر عنه مثل هذه التصريحات المستفزة والمسيئة معا .

ووجد اصحاب التدبير الاسرائيلي فرصتهم اوفر وافضل بعد عقد اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا . . . فقد اصبح جذب النظام المصري الى المعركة اكثر احتمالا عن ذي قبل .

وظهرت معالم التدبير بين اسرائيل والولايات المتحدة في النشاط السياسي الكبير . . حتى انه في شهر مارس ١٩٦٧ زار اسرائيل في وقت واحد كل من ووشيوس باتل مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط وجنوب آسيا ، والذي ذكرنا تصريحاته المعادية للقاهرة امام لجنة الشئون الخارجية بعد انتهاء عمله سفيرا لأمريكا في مصر . . وهارولد ساندوز مستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الاوسط . . وتاونسند هوبز من وزارة الدفاع الامريكية .

كل العوامل التي تؤدي الى احكام الخطة وتجهيز المصيدة أصبحت جاهزة . . . وبقي انضاج المبرر وتحديد التوقيت المناسب .

السوفييت . . . والمصيدة

منذ طلب جمال عبد الناصر اسلحة من الحكومة السوفيتية عام ١٩٥٥ لكسر احتكار السلاح الغربي وحظر تصديره لمصر ، وللاتحاد السوفيتي في المنطقة وجود تدعيم بالمساعدات الاقتصادية والصناعية .

وخلال عدوان ١٩٥٦ قدم بولجانين انذاره الشهير الذى كان اول الاسباب الرئيسية فى وقف العدوان الثلاثى ، وانحسار موجته حتى الانسحاب الكامل .

ورغم تعثر العلاقات السياسية بين مصر والاتحاد السوفيتى ، واعتقال مئات الشيوعيين فى مصر عام ١٩٥٩ ، الا أن الامداد بالسلاح لم يتوقف تماما مثل التعاون الاقتصادى ، والموافقة على تكملة مراحل السـد العالى .

والخبراء العسكريون السوفييت لم يدخلوا مصر مع السلاح ... فقد كان هناك خوف وحساسية من التعامل مع اكبر دولة شيوعية ، ولذا اعلنت صفقة السلاح أولا على أنها من تشيكو سلوفاكيا .

قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى انه بدأ ارسال عدد محدود من الضباط الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٥٧ اى بعد اكثر من عام ونصف على توقيع الاتفاقية ، وبدأ وصول الاسلحة .. وامعانا فى السرية والتخفى ذهب الضباط باسماء مستعارة تحاشيا للمخابرات الامريكية .. وبدأ وصول الخبراء السوفييت فى اواخر ١٩٥٨ باعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط حيث اشتركوا فى اعادة تنظيم القوات وزرع العقيدة الشرقية فى القتال . وكتب الفريق صلاح الحديدى فى كتابه (شاهد على حرب ٦٧) يقول انه كان لوصول الشحنة الاولى من السلاح السوفيتى رنة فـرح واغترباط فى الاوساط العسكرية لنجاح القيادة السياسية فى تحطيم احتكار بيع الاسلحة بصرف النظر عن مصدرها الجديد .

وكتب ايضا يقول (ويسجل تاريخ هذه الفترة بعد وصول الشحنات الاولى من الاسلحة الحديثة وعلى رأسها الدبابات ٣٤ وطائرات الميج ، عدم وصول خبراء من الكتلة الشرقية ليساعدوا فى تفهم الاسلحة وشرح تشغيلها واستخدامها ، واكتفى بالكتب والنشرات التوضيحية المرافقة للأسلحة والمترجمة الى الانجليزية .. وتقتضى الدقة فى تسجيل تاريخ هذه الفترة أن أذكر وصول عدد محدود جدا من الخبراء التشيكو سلوفاكيين فى السـلاحين البحرى والجوى) .

ويفسر صلاح الحديدى ذلك بقوله (اكاد أجزم أن فكرة استخدام الخبراء السوفيت فى القوات المسلحة المصرية على مستوى واسع ، واتباع الاسلوب الشرقى — كما كنا نسميه — فى تكتيكات وتنظيم هذه القوات ، لم تخطر على أذهان المسئولين الا بعد الاعتداء الثلاثى) .

الظروف اذا هى التى دفعت الى كسر حاجز الحساسية والاستعانة بالخبراء السوفييت ، ومع ذلك ظل هؤلاء فى معزل عن الاندماج فى حياة الضباط الاجتماعية ، وظلوا على حرص شديد فى تغليف عملهم بالصمت حتى لايساء الى موقفهم من العناصر المعادية المتربصة بالتعاون الناشئ بين الدول الاشتراكية ودول التحرر الوطنى والتى يمكن أن توجه اليهم تهمة ترويج الدعاية الشيوعية ، فى وقت كان قانون العقوبات ومازال يعتبر الشيوعية جريمة يحاكم عليها الانسان .

حرص الخبراء السوفيت على أن يلتزموا بأداء واجبهم المطلوب منهم دون

تجاوز لحدوده ، ولو شعروا بنوع من العزلة عن المجتمع وما قد يتبع ذلك من ضيق وشعور بالوحدة .

ويؤكد الفريق صلاح الحديدي هذه الحقيقة فيقول (كان موقف الخبراء السوفيت وتصرفاتهم في الفترة حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ فوق كل شبهة ترمى الى اتهامهم بالتدخل فيما لا يعنيهم ، وكان لا يعنيهم الا اجادة عملهم واضفاء روح الجدية على انجازاتهم العسكرية ، شأنهم في ذلك شأن شعوب الاتحاد السوفيتي الذين يقدسون عملهم ، فلم يحاولوا الحصول على سلطات او نفوذ قد ينفر القادة او الضباط منهم ، بل كانوا من الناحية الواقعية تحت قيادة المناطق والقيادات يلبون اية مهمة يكلفون بها ويشرحون — مخلصين — ما يطلب منهم ابداء الراى فيه متقنين في عملهم ، على جانب كبير من اللباقة في تعاملهم مع الضباط) .

لم تكن القبضة العليا في القوات المسلحة المصرية للخبراء السوفيت وانما كانت للقيادة المصرية التي ترسم الاستراتيجية وتتخذ الموقف وتصدر القرار .

وكان التعاون قاصرا على المباحثات والمناقشات وتبادل المعلومات التي تتم بين القيادات السياسية او العسكرية على المستويات المختلفة . ولا شك انه كان من مصلحة الاتحاد السوفيتي الاستراتيجية والسياسية أن يكون كل من النظام المصري والنظام السوري متماسكا ، وقادرا على الثبات في مواجهة الضغوط الامبريالية ، وحريصا على عدم التورط في مصيدة اسرائيلية .

وأى نجاح واستقرار سياسى واجتماعى للنظامين لابد وأن ينعكس ايجابيا على الاتحاد السوفيتي الصديق الذي يقدم المساعدات العسكرية والاقتصادية فى سخاء واضح .

ولاشك ايضا ان الاتحاد السوفيتي كان يعرف حقيقة قدرات القوات المسلحة المصرية والسورية ايضا . . . ويعرف نقط القوة والضعف فى كل منها ويدرك ان الدخول فى قتال غير محسوب هو أمر ينذر بخطر شديد .

لم يكن من مصلحة الاتحاد السوفيتي اشتعال الحرب فى المنطقة بأى حال من الاحوال . . . وكان حرصه على السلام وخشيته على النظامين المصرى والسورى باعثا له على ان يكون فى يقظة دائمة للمنطقة .

ولذا فانه عندما ابلغت موسكو القاهرة ودمشق بأن هناك حشودا اسرائيلية على الحدود السورية لم يكن ذلك من قبيل المبالغة او التمويه ، ولم يكن يعنى أكثر من اتخاذ الحذر مما يدبر ، وليس الاندفاع الى مايدبر فعلا .

اقترن هذا التبليغ بتحذيرات اسرائيلية عدوانية ، ابتداء من رئيس الوزراء حتى أعضاء الكنيسة ، وصرح رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلى بأنه قادر على مهاجمة دمشق واسقاط الحكومة السورية ، وفى ٩ مايو وقبل أى تحرك عربى منحت لجنة شئون الامن فى الكنيسة سلطات كاملة للحكومة للقيام بعمليات عسكرية ضد سوريا ، مما أظهر جدية التهديد .

ولم يكن ممكنا للخطة الاسرائيلية ان تنجح دون اثارة الشعور بالخطر

الموجه لسوريا ، حتى يلهب الموقف ، ويدخل في دائرة ردود الفعل ، ولذا فانهم قاموا بحشد قواتهم لاثارة الانتباه اليها ، ثم قاموا بتحريكها الى الجنوب حيث كانت النية مبيتة على توجيه الضربة الرئيسية . . . وذلك بعد ان أدت دورها الخداعي .

ولا يلغى هذه الحقيقة ما قامت به اسرائيل من دعوة بعض المراقبين بما فيهم السفير السوفيتي الذي رفض الدعوة ، لمشاهدة الحدود والتأكد من عدم وجود حشود حولها . . . فان قدرة القوات الاسرائيلية على الحركة السريعة كفيلة بتغيير موقع القوات من مكان الى آخر في أيام . . . بل في ساعات .
لم تكن هذه الحشود وهما أو خيالا كما حاولت بعض الدعايات الغربية تصوير الموقف في محاولة لتبرئة اسرائيل ، والاساءة للموقف السوفيتي ، الذي تبين مع سريان الاحداث انه كان حريصا أشد الحرص على ألا يتسورط النظام المصري ويكون البادى بالاعتداء .

ويشير أمين هويدى الذى عين وزيرا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ مباشرة فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) الى هذه الواقعة قائلا :

(وقد وقف الكثيرون عند هذه النقطة وخرجوا باستنتاجات كثيرة اقلها ان الاتحاد السوفييتي دفعنا دفعا الى هذا الموقف حتى يستغله ضمن اطار سياسته العالمية . . . ولكن لعل في هذا الاستنتاج ظلما فادحا للاتحاد السوفييتي ، ولعله أيضا قفزة طويلة فوق الحقائق . . . لأن من يرجع بالذاكرة الى تلك الايام يجد ان المسرح السياسى فى المنطقة كان يوحى بأنه قابل للاشتعال) .

ويذكر أمين هويدى العوامل القائمة وقتئذ وهى دور اذاعات الاردن والسعودية . . . والزيارات الكثيفة التى قام بها مسئولون امريكيون وبريطانيون لكل من عمان والرياض وتل ابيب . . . والتهديدات الاسرائيلية المتكررة ضد النظام السورى .

كان الاتحاد السوفييتي حذرا تماما من الوقوع فى مصيدة حرب عالمية ، فهذا امر لم تعد تحتمله الدولتان العظميان بعد التطور الرهيب فى اسلحة الدمار الذرية . . . وكان حريصا على ألا تندفع مصر فى مصيدة الخطئة الامبريالية .

الايقاع السريع

كان ايقاع الاحداث سريعا ، وكانت بعض القرارات مشيرة ومفاجئة . كانت أزمة الاعتداء فى اليمن على مقر النقطة الرابعة ، قد أدت الى توجيه الحكومة الامريكية انذارا للحكومة اليمنية تطلب قبوله يوم ٢٧ ابريل فى ظرف ٢٤ ساعة والا سحبت الاعتراف بها . . . ورفض السلال الاحتجاج والانذار (ولتفعل امريكا ما تشاء) حسب البيان الذى أصدره .
كانت الازمة تشكل تحديا للنفوذ الامريكى ، وخاصة أنها قد حدثت اثناء وجود الملك سعود مع المشير عامر واثور السادات فى اليمن ، وتوجيههم خطبا ودعاية مثيرة ضد النظام السعودى المساند من امريكا .

وكانت الحركة الثورية في اليمن الجنوبية تشكل تهديدا صريحا لبقائه
اي نفوذ استعماري في جنوب شبه الجزيرة العربية الطائفية على بحر من
البترو

وخطب جمال عبد الناصر في عيد العمال اول مايو قائلا ان اسلحة امريكا
الثلاثة هي الضغط الاقتصادي ، ونشاط المخابرات والحرب النفسية ...
وقال (ان لدينا اشربة مسجلة لرجال المخابرات الأمريكية في القاهرة) .
وفي يوم ٩ مايو سافر الملك فيصل لزيارة لندن حيث قوبل بهظاهرت
معادية من الطلبة العرب ، في الوقت الذي كان يطالب انجلترا فيه بعمل
عسكري قوى لانهاء الثورة في الجنوب كما نشرت الصحف البريطانية .
وكانت اذاعات الاردن والسعودية ، رغم التبليغ السري الذي همس
به الملك حسين لعبد المنعم رياض طالبا رفعه لجمال عبد الناصر ليكون على
حذر من خطة تدبر ضده كانت هذه الاذاعات مازالت تواصل حملتها
الدعائية ضد مصر وتتهم النظام فيها بالتهادن مع اسرائيل .

وكانت الاردن قد اصدرت طابع بريد نشرت صحيفة الاهرام صورته
في الصفحة الاولى يوم ٥ مايو ٦٧ وهو يحمل هذه الكلمات (الملكة الاردنية
الهاشمية ثم صورة جونسون وتحتها هذه الكلمات (بناء السلام العالمى) .
توافرت عند جمال عبد الناصر المعلومات الآتية :

- ١ - قرار الكنيست يوم ٩ مايو باعطاء الحكومة الاسرائيلية حق القيام
بعمليات عسكرية ضد سوريا .
- ٢ - تواجد جشود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية .
- ٣ - تهديدات أشكول ورايين الصريحة ضد النظام السوري ،
وحديثهم عن الزحف الى دمشق .
- ٤ - تقارير السفير السوري في موسكو صلاح الطرزي الذي يقول
ان مصادر موثوقا بها قد اكدت له ان الهجوم على سوريا قد تحددت له الفترة
من ١٦ مايو الى ٢٢ مايو .

ضاعف من اثر هذه المعلومات في نفس جمال عبد الناصر معاناته من
هجمات الدعاية الاردنية والسعودية التي اتهمته باتباع سياسة ناعمة
مع اسرائيل وضاعف من أثرها أيضا شعوره بأنه لا يمكن أن يلتزم
الصمت الى الابد وهو مرتبط مع سوريا بمعاهدة دفاع مشترك وضاعف
من أثرها أخيرا حرصه على أن يبقى في موقعه التاريخي أملا للامة العربية
في معركتها التحريرية .

ولذا تصرف جمال عبد الناصر في حدود ما تأثر به . . . رفض يوم ١٥
مايو طلبا تقدمت به بعض قطع الاسطول السادس الامريكى لزيارة بعض
الموانئ ، مشيرا في رفضه الى تصريحات ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل
التي أعلن فيها صراحة (ان امن اسرائيل يعتمد في حمايته على وجود
الاسطول السادس الامريكى) .

واصدر يوم ١٣ مايو قرارا بحشد قوات مصرية في سيناء تاهبا
واستعدادا .

ولكن جمال عبد الناصر لم يقدم على هذه التصرفات بعقلية المقامر ،
بقدر ما اقدم عليها بعقلية السياسى المناور .
عندما زار ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا القاهرة يوم ١٦ مايو
بعد ابلاغ سوريا يوم ١٤ مايو دول مجلس الامن بالمؤامرة ضد سوريا واعلانها
بانها ستواجه اى عدوان اسرائيلى بكل طاقاتها ، قال له جمال عبد الناصر
— حسب روايته لى — ان الجمهورية العربية المتحدة قد حشدت قواتها
فى سيناء ليكون فى هذه المظاهرة العسكرية رسالة الى اسرائيل تجعلها
تعاود التفكير .

وقال لى ماخوس ان جمال عبد الناصر قد اوضح له ان قدرة السوفييت
على المساعدة المادية قد تكون محدودة . . . وان مساعدتهم قد لا تتجاوز
التأييد المعنوى والسياسى ، وربما انذار امريكا واسرائيل ، ولذا فان على
النظام السورى ان يضبط اعصابه ولا يدفع الامور الى نقطة الخطر ، لانه
— حسب تعبير عبد الناصر — (لا يريد ان يقفل باب التراجع وراء اسرائيل)
وقال عبد الناصر لماخوس ايضا (اريدكم ان تلمسوا دقة الموقف ،
وعلينا ان نعالجه باعصاب باردة بعيدة عن اى استفزاز) .

واكد لى ماخوس انه ابلغ جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة حرص
النظام السورى على عدم الانزلاق فى مخطط امبريالى ، وان سوريا لا تطلب
من مصر الاندفاع الى قتال غير محسوب العواقب .

وكان هذا دليلا على ان جمال عبد الناصر كان يتصرف حتى هذه اللحظة
التي اعلن فيها حالة الطوارئ والاستعداد القصوى باعصاب هادئة . . .
وان اخبار الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية مهما تنوعت مصادرها
لم تكن لتجعله ينزلق الى دخول المصيدة .
ولكن اسرائيل تريد للموقف ان يزيد اشتعالا .

فى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وهو يوم الذكرى التاسع عشر لتأسيس
اسرائيل ، حدث عرض عسكري فى منطقة القدس الاسرائيلية التى كانت تعتبر
ارضا منزوعة السلاح بناء على قرارات الهدنة ، قالت عنه صحيفة الجارديان
البريطانية (انه كان خاليا من اية طائرات فى السماء ، ولا توجد دبابات
او اسلحة متطورة من التى تعتمد عليها اسرائيل فى العرض العسكرى) .
كان واضحا ان العرض العسكرى فى القدس هو نوع من الاستفزاز
. . وان غياب الاسلحة المتطورة كان يعنى انها هناك فى الحشود على
الحدود .

واذاعت وكالة الانباء الفرنسية يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ تصريحاً لليفى
اشكول قال فيه :

واضح للحكومة الاسرائيلية ان بؤرة (الارهابيين) مركزة فى سوريا ،
ولكننا وضعنا مبدأ بان نختار الوقت والمكان المناسب لصد المعتدى . . ويبدو
ان سوريا قد اصبحت رأس حربية العرب فى حربهم ضد اسرائيل . . ولكن
السوريين يعرفون قوتهم المحدودة ، وانه ليس بدون سبب ان تلعب سوريا
دورا لمصلحة الدول الكبرى ، ولكن هذا لا يخيفنا) .

وقال ايضا (انه من المحتم ان تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل اذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل) .
سوريا تصرح بانها (لن تغلق الحدود في وجه الفلسطينيين الراغبين في استعادة بلادهم السليبية) .

والجمهورية العربية المتحدة تصدر بيانا يقول انها (سوف تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السوري لعدوان يهدد ارضه وسلامته) .

وتتجاوز المظاهرة العربية حدود الكلمات . . وفجأة تختفى من الصحف العناوين الرئيسية التي تتحدث عن الثورة في جنوب اليمن ، وتظهر اخبار اعلان حالة الطوارئ والاستعداد القصوى .

ويقرر جمال عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية التي ركزت عليها الدعاية لانظمة الحكم الرجعية والتي ابقت الحدود المصرية هادئة لمدة اكثر من عشرة اعوام .

ولكن تعليمات جمال عبد الناصر لم تكن تقضى بسحب قوات الطوارئ الدولية كلها ومن جميع مواقعها .

قال لي ماخوس انه اثناء مقابلته لجمال عبد الناصر ابلغه ان خطته تقضى بان تبقى قوات الطوارئ الدولية في غزة وشرم الشيخ ، وأن تنسحب فقط من الخط الواقع بين (طابا ورفح) .

خطاب الفريق اول محمد فوزي رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة الى قائد قوات الطوارئ الدولية والذي صدر يوم ١٥ مايو ونشر في صحف اليوم التالي يقول :

(احيطكم علما بانني اصدرت تعليمات الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بأي عمل عدواني ضد اي دولة عربية ، وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا في سيناء على حدودنا الشرقية ولضمان امن قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نقط المراجعة على حدودنا اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فورا .

وقد اصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن) .

الخطاب خال تماما من تحديد القوات التي يجب انسحابها ، ومن المراكز التي يسمح لها بالبقاء فيها ، على اساس الاتفاق على ذلك كما رسم عبد الناصر خطته .

ولكن يوثانت ابلغ القاهرة عن طريق محمد عوض القونى مندوب مصر في الامم المتحدة بناء على نصيحة من مساعده الامريكي رالف بانش (ان عمل قوات الطوارئ هو مهمة سلام لا تنجزا) .

وقد وضع هذا الرأي جمال عبد الناصر في موقف محير ، فقد اصبحت مجبرا على الالتزام بكلمته في سحب القوات . . ويشير اصعب الاتهام الى رالف بانش الذي احاطت علامات الاستفهام بنصيحته ، وهو الذي يعرف المنطقة لسابق خبرته بها عندما كان مندوبا للامم المتحدة .

وقد فسر جمال عبد الناصر ذلك بعد فوات الاوان فى حديث ادلى به الى الصحفى الفرنسى اريك رولو المصرى الاصل نشرته صحيفة الموند يوم ١٩ فبراير ١٩٧٠ وقال فيه :

(لم ارد شن الحرب سنة ١٩٦٧ والقادة الاسرائيليون يعرفون ذلك جيدا ، لم يكن فى نيتى اقفال خليج العقبة بوجه السفن الاسرائيلية ، لم اطلب الى يوثانت ان يسحب قوات الامم المتحدة من غزة وشرم الشيخ المشرف على مدخل الخليج لكن فقط من جزء من الحدود الممتدة من رفح الى ايلات . . . الا ان امين عام الامم المتحدة قرر - بناء على نصيحة موظف امريكى كبير فى المنظمة - سحب جميع هذه القوات ليضعنى فى موقف المجرى على ارسال القوات المصرية الى شرم الشيخ واقامة الحصار وهكذا وقعنا فى الفخ الذى نصب لنا) .

رؤية جمال عبد الناصر لحقيقة الموقف تأخرت ثلاث سنوات حتى نشر هذا الحديث على الراى العام العالمى .
انه فعلا كان يدخل المصيدة منساقا تحت ضغوط ظروف لم يحسن تبينها ولم يجد حساباتها .

خطاب رئيس الاركان يطلب سحب القوات بلا تحديد . . وسكرتير هيئة الامم يصر على سحبها جميعا .

كان صعبا . . بل شديد الصعوبة . . ان يتراجع جمال عبد الناصر . . فانه عندئذ كان يخسر كل شئ ، وتنهال على رأسه كل الاتهامات .

ولذا كتب محمود رياض وزير الخارجية خطابا من ٦٧ كلمة يطلب فيه من يوثانت سحب قوات الطوارئ الدولية من الاراضى المصرية ومن غزة . . صدر الخطاب يوم ١٧ مايو بعد يومين من خطاب الفريق اول محمد فوزى . . وبعد ساعات فقط اصدر يوثانت اوامره بسحب قوات الطوارئ جميعها دون الرجوع الى مجلس الامن او الى هيئة الامم المتحدة التلى كانت منعقدة فى ذلك الوقت .

وقوات الطوارئ الدولية التى طلبت مصر سحبها لم تكن تتجاوز ٣٤٠٠ جندي من كندا والبرازيل والهند ويوغوسلافيا والنرويج والسويد والدانمرك ، استقرت داخل الاراضى المصرية بعد ان رفضت اسرائيل تواجدها على اراضيها بعد الانسحاب من سيناء .

وكانت قيادة قوات الطوارئ الدولية قد طالبت بعدم وجود قوات مصرية لمسافة عشرة كيلو مترات من الحدود ، حتى يتيسر لها فصل القوات العربية عن الاسرائيلية فصلا تاما .

وافق النظام المصرى على عدم وجود قوات مسلحة مصرية فى هذه المسافة حتى تتوافر لرجال البوليس الدولى حرية العمل كاملة . . وهكذا انتقلت حدودنا اوتوماتيكيا عشرة كيلو مترات الى الغرب . . وفى هذه المساحة كان السكان المدنيون من العرب الرحل يخضعون اداريا للسلطة المصرية ، ولكن الامر كان يحتاج الى تنسيق مع قوات الطوارئ اذا حاول رجال الامن المحلى فى سيناء القيام بواجبهم .

هذه المسافة الطويلة افقدت القوات المسلحة المصرية فرصة استكشاف

الارض ومعرفة خواصها ومراقبتها . . وظلت الاراضى الاسرائيلية بعيدة تماما عن الرؤية المصرية .

وكانت القوات الكندية هى المسئولة عن كافة التحركات الجوية لقوات الطوارئ وكذلك القيام بدوريات المراقبة من الجو فى بعض الاحيان . . وقد تقاسمت لذلك مطار العريش مع القوات الجوية العربية . . ومعروف ان كندا عضو فى الكومنولث البريطانى ، وتربطها علاقات جوار طيبة مع الولايات المتحدة .

كان بعض العسكريين المصريين يشعرون بمرارة من فقدانهم السيطرة على بعض اراضيهم ، ولكنهم كانوا يقدرون أيضا أن ذلك يتم فى سبيل الهدوء والاستقرار ، خاصة وان قوات الطوارئ لم تكن بالحجم او التسليح الذى يتيح لها فرصة منع احد الاطراف من الاعتداء على الطرف الاخر بالقوة . كان واجبها محدودا بالمراقبة وابلاغ السكرتير العام بما يدور على الحدود مع تأمين المزارعين للعمل فى سلام فى ارضهم الملاصقة للحدود . انسحبت القوات بأمر يوثانت خلال ايام قليلة .

وانهالت الانتقادات على يوثانت الذى عجل بتصرفه هبوب العاصفة . كتب سولزبرجر كبير محررى الشئون الخارجية فى النيويورك تايمز يقول : (استخدم يوثانت منزلته الدولية لتشجيع عاصفة لابد وان تنتهى بالحرب آجلا او عاجلا) .

ونشرت الاهرام يوم ٢٠ مايو عناوين كبيرة : محاولات مستميتة من جانب امريكا وبريطانيا وكندا واسرائيل للضغط على يوثانت ولكنه تمسك بنقطتين :

- ١ — حق مصر لا ينازع فى سحب قوات الطوارئ .
- ٢ — هو وحده الذى يملك الرد على طلب مصر .

ويبدو انه كان هناك (قصر نظر مصرى) لم يتبين الحقيقة خلال الايقاع السريع للاحداث . . فالدول التى اعدت المؤامرة وجهزت قواتها للعسودان تهاجم يوثانت لانه اسرع بسحب القوات ، مع ان ذلك كان حلما من احلامها ، وهدفا من اهم اهدافها حتى تظهر فى مظهر الدول الحريصة على السلام . . والقاهرة تدافع عن يوثانت لانه اسرع بالاستجابة الى طلبها ، وساعد على اعطاء القوة للمظاهرة العسكرية التى بدأتها فى سيناء .

وقال جمال يوم ٢١ مايو لضباط احد مواقع القوات الجوية المتقدمة (ان يوثانت تصرف بحكمة ووعى ونزاهة) .

كان انسحاب قوات الطوارئ الدولية نقطة تحول كبيرة فى الموقف . . وكان واجبا على جمال عبد الناصر ان يعيد تقدير موقفه بعد اضطرابه الى ارسال قوات مصرية الى شرم الشيخ ، وهو الامر الذى لم يكن قد هيا نفسه له ، والذى يخرج بالمظاهرة العسكرية عن ان تكون رسالة الى اسرائيل ، كما قال لبراهيم ماخوس .

ولكن الايقاع السريع للاحداث يبدو انه لم يخلق فرصة للتأمل والمراجعة .

نشرت الصحف المصرية يوم ١٩ مايو اخبارا تقول ان القوات

الاسرائيلية تكثف بأقصى سرعة الى الجنوب . . وقالت الاهرام ان الحشود المتجمعة امام سوريا (تذوب) . وقدرت الحشود بثلاث فرق اسرائيلية . وفي نفس اليوم ظهرت تصريحات عنيفة للمشير عامر أدلى بها للمحرر السياسي للاهرام قال فيها :

(لا ينبغي لاحد ان يساوره الشك في ان الجمهورية العربية المتحدة ستضرب بكل قوة أى محاولة للعدوان ، وانه قد آن الآوان لوضع حد لسياسة التبعج والغرور التي يتصرف بها العدو الاسرائيلي) .

قال عامر ايضا (ان تحرك قواتنا يقلب موقف العدو الاسرائيلي راسا على عقب) .

وتمت بعض التحركات . . الفريق أول محمد فوزى سافر الى دمشق . . والفريق أول عبد المحسن مرتجى عين قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع اسرائيل . . وتم الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن . . وهوارى بومدين يعلن تأييده المطلق لاجراءات مصر وسوريا .

وزار المشير عامر المواقع المتقدمة يوم ٢١ مايو . . وهو اليوم التالي لاعلان اسرائيل حالة التعبئة العامة واستدعاء الاحتياط . ورفضت القاهرة اقتراحا بدعوة مجلس الدفاع العربى لانها (ليست على استعداد لمناقشة خطط الموقف الخطير الراهن مع الرجعية او بحضورها) .

وحافظ الاسد وزير الدفاع وقائد سلاح الطيران السوري يعلن (ان القوات المسلحة اتمت استعداداتها والقوات الجوية فى المستوى الذى يمكنها من القيام بواجبها على اكمل وجه) .

وفي نفس هذا اليوم ٢١ مايو عقد اجتماع للجنة التنفيذية العليا برئاسة جمال عبد الناصر ، حضره المشير عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وانور السادات وحسين الشافعى ، وصدقى سليمان رئيس الوزراء .

قال لى صدقى سليمان ان الاجتماع قد عقد فى صالون منزل جمال عبد الناصر دون جدول اعمال او تحضير . . وانه عندما عرض عليهم جمال عبد الناصر قراره باغلاق خليج العقبة لم يعترض احد منهم مطلقا . . وكان الصمت هو تعليقهم الوحيد .

لم يتحدث الا صدقى سليمان الذى تساءل بحسن نية عما اذا كانت تقارير المعلومات والمخابرات تظهر الصورة واضحة ، وعما اذا كانت احتمالات قفل خليج العقبة قد درست دراسة عميقة واقعية . . وكان الجواب من جمال عبد الناصر مختصرا بالايجاب .

يقول صدقى سليمان انه يلوم نفسه لوما شديدا على عدم دخوله فى مناقشة صريحة حول القرار .

وقد أكد حقيقة ما رواه لى صدقى سليمان ، ما قاله جمال عبد الناصر نفسه بعد الهزيمة للشهيد عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى عندما سأل عن السر وراء قفل خليج العقبة فقال له ان الوحيد

الذى ناقش الامر معه كان صدقى سليمان .

واكد لى زكريا محيى الدين حقيقة ما دار فى هذا الاجتماع ، وفسر عدم تساؤلهم او مناقشتهم للقرار بانهم كانوا على ثقة من جمال عبد الناصر ، وان حضور المشير وموافقته يدل على الاطمئنان لقدرة القوات المسلحة . ويشير امين هويدى فى كتابه (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) الى حديث دار بينه وبين صدقى سليمان اثناء عمله معه وزيرا للدولة فيقول : (ابدت قلقى الشديد من تصعيد الموقف ، بل وابدت عدم ثقى فى بعض القيادات العسكرية الموجودة ، وعدم قدرتها على مواجهة الموقف ، فكان رد رئيس الوزراء بهدوئه المعروف عنه (والله يا امين الرئيس شايف ان وجود قوات الطوارئ الدولية زى الدمى لازم يفتح) .

ولا شك ان اتخاذ هذا القرار الخطير .. فى هذا التوقيت الحرج .. وبمثل هذا الاسلوب المنعزل البعيد عن حيوية المؤسسات السياسية والديموقراطية ، وهو أمر يدل على ان نظام الحكم كان اوتوقراطيا يعتمد على جمال عبد الناصر اعتمادا كاملا .. وان الثقة به - عن قناعة او مبالاة - كانت مطلقة حتى من اقرب زملائه له ، الذين تقاعسوا عن مناقشته ، او ارتضوا قراره بلا تعقيب .. وهم الذين كانوا يملكون وحدهم او قبل غيرهم بحكم الدستورية فى السلطة ، وبحكم الزمالة القديمة فى العمل .. فرصة الحوار معه ومناقشته .

وبدلا من الانجراف السريع وراء تخطئة القرار تخطئة كاملة ، علينا دائما ان نقدر الظروف المادية والمعنوية التى كانت قائمة .. والاهداف الكامنة فى صدر عبد الناصر عند اتخاذ القرار ..

كتب مكسيم رودنسون فى كتابه (اسرائيل والعرب) ان عبد الناصر لم يصدر هذا القرار لمجرد الاعتراف بحقوق مصر فى خليج العقبة ، وانما لاجبار اسرائيل على التفاوض فى كل ما نجم عن حرب ١٩٤٨ ، والوصول الى (حلول وسط) فيما يتعلق بقضية اللاجئين وتسوية مشاكل الحدود

ولكن انطونى ناتنج يعتبر ان هذا الاستنتاج بعيد عن الحقيقة ويقول انه نتيجة لاتصالاته بعد الناصر يميل الى الشك فى ان عبد الناصر كان ينظر الى الامور بهذا الشكل ، وانه كان يتحرك برد الفعل اكثر مما يتحرك بالفعل .

والواقع ان اسرائيل كانت امامها عدة طرق مفتوحة للحل بعد اتخاذ القرار لو انها كانت تستهدف الوصول الى حل سلمى فعلا وهى :

١ - مواصلة الاتصالات الدبلوماسية والتركيز عليها رغم عدم جدواها المؤكد فى ذلك الوقت .

٢ - اختبار جدية قرار الحصار المصرى بارسال مراكب اسرائيلية خلال مضائق تيران ومعرفة رد الفعل المصرى .

٣ - محاولة القيام بعملية عسكرية محدودة لفتح المضائق لقواتها .

٤ - شن حرب وقائية .

وواضح ان طريق الحل الرابع كان اقرب الحلول الى تفكير قادة المؤسسة العسكرية الذين اعدوا خططهم لذلك منذ اعوام طويلة .
والحرب الوقائية تحتاج الى مبررات وذرائع هي التي ركزت عليها الحكومة الاسرائيلية لتوريط العرب فيها في وقت غير مناسب لهم .
وتمادت بعض تصريحات التهديد لاسرائيل دون حساب دقيق لظروف الموقف ، ودون تقدير لرد فعل ذلك على سكان اسرائيل الذين تجعل منهم هذه التصريحات عجيبة سهلة في يد قادة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

ويقول هزبر دمكيان في كتابه (مصر في عهد ناصر) :
ان حشد القوات العربية على حدود اسرائيل منح الصقور هناك فرصة فريدة لاشعال حرب شاملة تجاوبت مع مشاعر السكان) .

اعلن جمال عبد الناصر القرار يوم ٢٢ مايو اثناء زيارته لموقع القوات الجوية المتقدم ، معلنا اغلاق خليج العقبة وحظر الملاحة الاسرائيلية او مرور المواد الاستراتيجية . . . وهاجم في الاجتماع زعماء الحلف الاسلامي الذين لا يوقفون شحن البترول الى ايلات .

ويفسر جمال عبد الناصر في هذا الاجتماع رد فعله على تصريحات اشكول ورابين التي ذكروا فيها (انهم سيقومون بعمليات حربية ضد سوريا من اجل احتلال دمشق واسقاط النظام السوري) ووصف هذا التصريح بقوله : (ان هذا التصريح - الذي صدر يوم ١٣ مايو - تصريح وقح جدا الواحد لما يقرأه يعتقد هؤلاء الناس قد وصل بهم التبجح والغرور الى الحد الذي لا يمكن السكوت عليه) .

ما زالت دمشق عند عبد الناصر المدينة العزيزة التي ألهمت قلبه بالحب يوما ما . . . وما زالت طبيعته المصرية الاصيله ترفض الرضوخ للتصريحات المهينة للكبرياء

ويفسر عبد الناصر لضباط القوات الجوية التطور السريع للاحداث فيقول : (انه لم يكن هناك تفكير قبل يوم ١٣ مايو في اتخاذ أى اجراء على اساس ان اسرائيل لم تكن تجرؤ على مهاجمة أى بلد عربى) ، ولكن وصلت في هذا اليوم معلومات تفيد بحشد ١١ او ١٢ لواء وان هناك نية عمل عدوانى ضد سوريا يوم ١٧ مايو ، واتصلنا بأخواننا السوريين فوجدنا عندهم نفس المعلومات ، ولذا ارسلنا فوزى الى دمشق يوم ١٤ ، وقررنا ان احنا ندخل المعركة من اول دقيقة) . . .

قرار قفل خليج العقبة الذى اتخذ فى هذا الاجتماع فوق ارض سيناء هز العالم بعنف شديد ، ووضح ان الامور تتطور بايقاع اسرع من المتوقع ، وان شبح الحرب يقترب ولا سبيل لدفعه .

قفل خليج العقبة يعنى القبض على رقبة اسرائيل . . . وهى لن تترك نفسها لتموت بين يدي المصريين .

صحافة العالم تنشر (ان الحرب مع اسرائيل قد تنشب فى أى لحظة) . . . والدعاية الغربية تصور التحركات المصرية فى صورة عدوانية . . . وجوتسون يكتب الى كوسيجين بان تتعاون امريكا وروسيا على مواجهة

الازمة ٠٠ ويقترح السوفيت على جورج براون وزير الخارجية البريطاني اثناء زيارته الى موسكو عقد مؤتمر ثنائى مع امريكا لفرض تسوية للموقف .

ويصل يوثانت سكرتير الامم المتحدة الى مصر فى اليوم التالى مباشرة - ٢٣ مايو - ويجتمع ٤ ساعات مع جمال عبد الناصر ، اعطى له فيها وعدا بأن يدعو اسرائيل الى الامتناع فى اثناء بذل الجهود الدبلوماسية النشطة عن ارسال سفنها للمرور عبر مضيق تيران ٠٠ على ان تسمح السلطات المصرية بمرور كافة السفن الاخرى المتجهة لاسرائيل دون تفتيش . وفى يوم ٢٥ مايو ٦٧ طار شمس بدران وزير الحربية المصرى الى موسكو ٠٠ وطار ابا اييان وزير خارجية اسرائيل الى باريس ولندن وواشنطن .

بدأت رحلة ابا اييان فجر يوم ٢٤ مايو دون ان تشير الصحف الى تحركاته واكتفت بالقول انه غادر البلاد لرحلة اعتيادية . قابل ابا اييان ديجول الذى قال له :
- لا تبدأوا باطلاق النار .

وناقش مع المسئولين البريطانيين فى لندن (الوضع فى الشرق الاوسط) وظهرت صحيفة التايمس يوم زيارة اييان للندن - ٢٥ مايو - بعنوان رئيسى يقول :

- (يوم آخر بلا قتال فى الشرق الاوسط) .
وفى واشنطن وضعت اللمسات النهائية للخطة ، وقال جونسون لايبان .
- (ان العلم الازرق والابيض يجب ان يمر فى المضائق) .
وصرح اييان فى طريق عودته الى اسرائيل بباريس يوم ٢٧ مايو بقوله :
(لا يمكن للسلام ان يتعايش مع حصار غير مشروع) .
وعندما سئل (هل انت متفائل ؟) .
اجاب (ان الشجاعة امر صعب)

عاد اييان الى تل ابيب ، وهو الوزير الخبير المتمرس بعد ان تعرف على حقيقة موقف الدول الغربية من قضية مساندتها للحكومة الاسرائيلية .
وزيارة شمس بدران لموسكو فى هذه الفترة الحرجة يعطى لها اهمية قصوى ويدفع الى مناقشة نتائجها بتركيز شديد .

واذا تغاضينا عن قدرة شمس بدران على تحمل مسئولياته كوزير لحربية مصر ، فى وقت كان أبعد ما يكون فيه عن متابعة التطورات العلمية الحديثة لوسائل القتال ، وفى مستوى محدود وصلت اليه تجاربه ودراساته ، فاننا مع ذلك يجب ان نقف عند هذه الزيارة لما احاط بحديث شمس بدران فى مجلس الوزراء بعد عودته من علامات استفهام وتعجب .

قال لى الدكتور مراد غالب سفير مصر فى موسكو والذى حضر مباحثات شمس بدران مع جريتشيكو وكوسيجين انه ارسل تقريراً شخصياً الى جمال عبد الناصر عن نتائج الزيارة وما ورد فيها من تحفظ سوفيتى على بعض الخطوات التى اتخذت ، والتى قد تدفع الى التورط فى حرب غير محسوبة النتائج .

ارسل مراد غالب التقرير مع حمدي عاشور محافظ الاسكندرية الذي كان يقوم وقتها بزيارة للاتحاد السوفيتي ، وذلك خشية منه ان يكون شمس بدران لم يدرك تماما صحة الموقف السوفيتي وتقديرا من السفير المصري لما يحيط بالموقف من اخطار .

وعندما صدر بيان الزيارة لم يتجاوز ما ورد فيه عن العبارات التقليدية ، وهي (ان محادثات دارت حول مسائل تهم البلدين في اجتماع يتسم بالود والصداقة) .

ويذكر ان شمس بدران قد اجاب على تساؤل في مجلس الوزراء المصري عما اذا كانت مصر قد ادخلت في حساباتها وجود الاسطول السادس الامريكي في شرق البحر الابيض المتوسط ، بقوله (انه لو تدخل سنحطمه) .

ويروي امين هويدى زميل شمس بدران في مجلس الوزراء حيث كان وقتها وزيرا للدولة في وزارة صدقي سليمان في كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) :

(في زيارة السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ الى موسكو اكدت له القيادة السوفيتية اكثر من مرة عن املها في عدم تصعيد الموقف والاكتفاء بما حصلنا عليه من انتصارات . . هذه حقيقة لا جدال فيها .

وكان السفير الروسى في القاهرة يقوم بمثل هذا التاكيد ايضا . ثم ما قيل عن ان الاتحاد السوفيتي وعد السيد شمس بدران بالتدخل في حالة اى عدوان على مصر بعيد عن الحقيقة بل تؤكد الصحافة السوفيتية ان اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي يؤكد المرة تلو الاخرى بعدم تصعيد الموقف والعمل على تعزيز الانتصارات السياسية التى حصلنا عليها دون التورط في القتال) .

ويعلق امين هويدى على ذلك بقوله ان ما قاله البعض من ان معلومات موسكو عن الحشود السورية كانت كالزيت الذى يوضع فوق النار يتنافى مع هذه الحقيقة ويقول (ومن يريد ان يدفع الامور لا يستبدل الزيت بالماء ليصبه على النيران) .

ويكمل جان لاكوتير هذه الصورة في كتابه (عبد الناصر) بقوله (سافر شمس بدران ليطلب اسلحة جديدة ، الا انه اصطدم بانتقاد كومـسسـيجين — للاخطاء المؤسفة — التى ارتكبتها مصر : عرض عضلات في سيناء ، تصار تيران واوصى رئيس الحكومة السوفيتية بالا تتضمن (المعدات الحربية) الممنوع مرورها ، البترول الضرورى لتسوين اسرائيل ، كما اوصى وزير الدفاع السوفيتي بالانسحاب التدريجى للقوات المراقبة في سيناء .

يثبت من هذا ما ذكره انطونى ناتنج ايضا في كتابه (ناصر) ان عبد الناصر لم يستشر السوفيت قبل قفله خليج العقبة ، وان آخر ما كان يمكن للسوفيت ان يطلبوه هو صدام عبد الناصر مع القوات الامريكية الامر الذى يمكن ان يسحبهم هم الاخرين الى ميدان المعركة . كانت نواب حلف راسو على حذر شديد من الخطوات الاندفاعية

التي تتم في الشرق الاوسط ، فاعلن حالة التأهب والطوارئ في نفس اليوم الذي صدر فيه قرار جمال عبد الناصر بقفل مضيق العقبة .
ويقول ناتنج ان شمس بدران قد أخطأ في نقل وجهة نظر السوفيت المعارضة للحرب . واعتقد ان تأييدهم لمصر يتجاوز طبيعته ويمتد الى الحد الذي يورطهم في حرب ثالثة .

وفي كتاب (ملف الحرب) الذي أعده (تيم هيوث) تسجيل لاحاديث عبد الناصر التليفزيونية التي اجراها مع انطوني ناتنج والنائب العمالي كريستوفر مايهيو يوم ٣ يونيو واذيعت في السادسة من مساء ٥ يونيو بعد بداية العدوان .

سأل ناتنج قائلًا :

(في محاولة للنظر الى المستقبل فان روسيا قدمت كميات كبيرة من الاسلحة والدبابات والمطارات لمصر عدا الاموال والمساعدات الاقتصادية وبناء السد العالي وقدمت مع الصين مساعدات من القمح .. ووزير حريبتك قال ان روسيا قد وافقت على مساعدة مصر ضد اسرائيل .
هل يعنى كل ذلك ان حرية الحركة لمصر قد اصبحت محدودة كدولة محايدة ؟)

واجاب عبد الناصر :

اننا اخترنا سياسة عدم الانحياز .

تحدثت في بعض كلماتي عن زيارة وزير حريبتنا لموسكو ولكنني لم اقل انهم قالوا انهم سيكونون معنا اذا نشبت الحرب مع اسرائيل .. لا .. طبعاً
اننا نرحب بالفكرة وذلك لاننا لانريد ان نجابه ١٩٥٦ أخرى اما عن الحياد وعدم الانحياز فنحن أحرار ١٠٠٪ .

ويؤكد ذلك صحة استنتاج السفير مراد غالب وحرصه على ابلاغ جمال عبد الناصر حقيقة الموقف السوفيتي كما سبق أن ذكرت .. وقد اكد لي مراد غالب ان الاتحاد السوفيتي كانت له استراتيجية واضحة معروفة لمصر لاتسمح له بالموافقة على الهجوم على اسرائيل كما لا يوافق على الهجوم على مصر .
ويروي الفريق اول محمد فوزي قصة شمس بدران تفصيلاً فيقول :

كان الوزير شمس بدران قد كلف بمهمة للسفر الى موسكو في الاسبوع الاخير من شهر مايو ومعه وكيل وزارة الخارجية في ذلك الوقت السيد أحمد حسن الفقي . وانضم اليهما في موسكو سفيرنا هناك الدكتور مراد غالب وتم لقاء كالمعتاد والهدف هو دعم جديد ، اسلحة للقوات المسلحة .. المهمة انتهت سريعاً ، مثل باقى المهام الأخرى . وأثناء عودة الوزير شمس كان وزير الدفاع السوفيتي جريتشكو يودعه . حصلت لفظة تقليدية بكلمة مجاملة خبط على كتفه للمجاملة .. وشدوا حيلكم احنا وياكم .. حاجة من هذا القبيل .

وعاد الوزير شمس ومعه زميله وكيل وزارة الخارجية ومعهم المظروف الذي به محضر الجلسة .. الوزير شمس بدران اتجه رأساً من المطار الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وقال له جملة .. ما معناه ان الحكومة السوفيتية والقوات المسلحة السوفيتية معنا .

لقد فهم شمس بدران هذا من اللهجة العاطفية التقليدية .. لحظة
المجاملة .. التي أعلنت من وزير الدفاع في توديعه بالمطار .
هذه الجملة خدعت بعض الشيء في الفكر او الذهن لدى الرئيس جمال
عبد الناصر وكان رد فعلها هو تشديد الاعلام فقط .. يعنى كان ساعتها وراها
فيه خطبة للرئيس عبد الناصر مع احد التجمعات الشعبية .. فالخط الاعلامي
زاد في لهجته نتيجة لتأثير هذه الجملة .

ثم اتضح بعد ذلك أن الظرف الرسمي الاكيد الذي يحتوى جلسة
موسكو لم يطلع عليه الرئيس جمال عبد الناصر الا في ١٣ يونيو لسنة ١٩٦٧ .

لم يقرأه جمال عبد الناصر الا في ١٣ يونيو الظرف فضل مقبول واتسلم
من وكيل الوزارة احمد حسن الفقى لمكتب جمال عبد الناصر وفيه محضر
جلسات الوزير شمس مع القيادة السوفيتية ومكتوب على الظرف « عاجل
جدا ويسلم » ولم يفتح الظرف . ولما فتح الظرف وقرئ لم يوجد بالمحضر
الرسمى أى اشارة سياسية او معنوية ، أو أدبية عن المساعدة او التأييد في
الصراع اللى حصل في ذلك الوقت اطلاقا .. كله كلام على التسليح حتا خدوا
كذا حيدونا كذا .. حاجة زى كده ..

وأقول هذا للتدليل على الارتجال الشفوى غير الدقيق وتأثيره على الذهن
وعلى الفكر .

ويستطرد قائلا : ثم دعى مجلس الوزراء الى الاجتماع .. وحضره الوزير
شمس بدران وكان فيه تساؤل عن احتمال دخول امريكا مع اسرائيل كمساعدة
مباشرة في الصراع اللى موجود وخاصة ان الاسطول السادس موجود في البحر
الابيض . فرد شمس على الوزراء ردا تهكميا اسقط النقاش .. اسقط
النقاش يعنى الترجمة الى وصلت لى منقوله عن هذه الحالة .. انه « أوقف
النقاش » يعنى معناها أيه هو الاسطول السادس ؟ .. يعنى يطلع ايه
الاسطول السادس ؟ .. وذكر التفصيل .. وقال : ده احنا بطيارتين تي
يوم ١٦ أس .. وزورقين لنشات صواريخ .. قال نعمل مش عارف أيه ..
وهكذا توقفت المناقشة في مجلس الوزراء .. وهذه يمكن ان نضعها تحت
عنوان المبالغة المضللة في قدرتنا العسكرية بالنسبة للحقيقة ، تشابها مع
الخط الاعلامي عن القوات المسلحة .

ولكن شمس بدران يتحدث بنفسه عن حقيقة ما دار خلال رحلته الى
موسكو فيقول في حديث مع مجلة الحوادث عدد ٦ سبتمبر ١٩٧٧ .
(في حفل الغداء الذى أقامه لنا جريتشكو تحمس أحمد حسن الفقى
وكيل الخارجية وعضو الوفد فقال في أحد الأنخاب (ان الشعب شديد
الحساسية لمواجهة العدوان الاسرائيلي . وانه لن يتردد في التضحية بابنه
في معركة ضد الامريكيين .. ودب الفزع في الحفل . وقام الضباط الروس
يخطبون محذرين من تصعيد الموقف ، فوقفت وقلت لهم : نحن لا نرغب فى أية
مواجهة مع امريكا . بل أؤكد لكم اذا مرت السفن الاسرائيلية فى حماية الأسطول
الامريكي فلن نتعرض لها)
ويقول شمس بدران ايضا :

(عندما التقيت بكوسجين قال لي : لقد حصلتم على نصر سياسي كبير ويجب ان نعمل على تخفيف حدة الموقف الآن .

ويذكر ايضا ان جريتشكو قال له وهو يودعه في المطار :
(شدوا حيلكم .. الاسطول السادس نزل مشاة أمس في كريت ولكنه عاد وسحبهم لان أسطولنا في البحر الابيض مزود بصواريخ وأسلحة نووية ، واذا حدث هجوم عليكم من الاسطول السادس فابعثوا لنا بإشارة ستجدوننا عندكم في المكان الذي تحدّدونه .. الاسكندرية أو بور سعيد .

واذا كان هذا هو ما حدث فعلا .. فانه لا يمكن ان يعتبر تشجيعا على القتال أو ارتباطا في معركة مصير .

ويذكر شمس بدران ان المشير عامر قد استدعاه بعد التنحي وأبلغه ان هيكمل ومراد غالب يقولون ان مانقله شمس لعبد الناصر (كان غلط) .
والدليل ان الروس قد ابلغوا مراد غالب (ان الاسطول السوفيتي يراقب الاسطول السادس وانهم لم يشاهدوا تدخلا أمريكيا)

وهذا يتناقض تماما مع ما ذكره شمس ولم يدون رسميا في محضر المحادثات .. ومراد غالب مصدر ثقة لاجادته للغة الروسية حيث أمضى ١٢ عاما سنغافيرا في موسكو .

الامر المؤكد .. ان خطأ ما قد حدث فيما نقله شمس بدران ، وفي عدم اطلاق جمال عبد الناصر على المحضر الرسمي للمحادثات .

ولكن جمال عبد الناصر كان واثقا فيما يبسّدو من ان اسرائيل لن تهاجم ، في ذلك يقول ناتنج ايضا (وفي محادثاتي معه أثناء هذه الايام الحرجة ، بدا عبد الناصر مقتنعا انه يستطيع ركوب العاصفة والسيطرة عليها اذا لم يقدم لاسرائيل مزيدا من الاستفزازات)

ولذا حرص جمال عبد الناصر في محادثاته مع يوثانت على ان يجنح الى تهدئة الموقف .. ولكن اسرائيل كانت قد اعدت خططها للهجوم ورفضت اقتراح يوثانت الذي قبله جمال عبد الناصر والذي كان يقضى بتوفير (فترة تنفس) يمارس فيها جهوده الدبلوماسية النشطة على ان تسمح السلطات المصرية بمرور السفن المتجهة الى اسرائيل دون تفتيش ، على ان تمتنع السفن الاسرائيلية عن المرور الى حين الوصول الى تسويه .

وشجع عبد الناصر على هذا الموقف تأكيد الامريكيين له - كما يقول ناتنج ايضا - بأن اسرائيل لن تطلق الطلقة الاولى .

وفي يوم ٢٦ مايو نشرت الصحف مطالب الحكومة الامريكية لتسوية الموقف والتي تلخص في :

١ - ان الولايات المتحدة الامريكية ترى ان تظل قوات الطوارئ في غزة وشرم الشيخ حين صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة

٢ - ألا تتوجه أية قوات مسلحة الى شرم الشيخ ، لا بعد ان تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة اعلانا رسميا بتأكيد حرية الملاحة في مضيق تيران .

٣ - ألا تدخل الى غزة أي قوات مسلحة .

٤ - ان تظل الامم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الادارة فى قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة .
٥ - أن تعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الاسرائيلية فى مواجهتها الى مواقعها الاصلية .
ولم يكن معقولا ان تستجيب القاهرة لهذه الطلبات بعد الخطوات التى اتخذتها . . ومع ذلك ظهرت جريدة الاهرام يوم ٢٨ مايو تحمل عنوانا رئيسيا يقول (جونسون يناشد القاهرة ضبط النفس) .

وفى نفس اليوم عين زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة الشعبية وعقد جمال عبد الناصر مؤتمره الصحفي الشهير الذى بدا فيه عصيبا لانه كان قد ابلغ قبله بعدة ساعات ان ثلاثة سباط قد وقعوا أسرى فى يد اسرائيل اثناء قيامهم بالاستكشاف ، أجاب فيه على سؤال لستيفن هاربر محرر الديلى اكسبريس الذى سأله قائلا :
لقد مررتم كانسان بمرحلة ضغط كبيرة فى اثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ فهل تجدون من السهولة بمكان نحمل أعبائها كانسان أكبر سنا مما كان عليه قبل ١١ عاما ، أم انكم تجدونها اصعب شأنا . وكيف تستريحون من مشاكلكم ؟

وأجاب عبد الناصر بأن الديلى اكسبريس تهاجمه يوميا ثم قال (بالنسبة للسن انا ما عجزتش ولسه ما بلفتش ٥٠ سنة . وانا مش خرف زى مستر ايدن بأى شكل من الاشكال) .

وفى يوم ٢٩ مايو توجه أعضاء مجلس الامة برئاسة انور السادات الى قصر القبة لاعطاء جمال عبد الناصر تفويضا كاملا لمواجهة الموقف . . وكان هذا حدثا جديدا فى تاريخ الحياة السياسية اذ ينتقل ممثلو الشعب جميعا من قاعتهم الى قصر الرئيس . . ثم يقدمون له تفويضا يعتبر كل فرد منهم مسئولا عنه مسئولية ضمنية .

هذا بدلا من المطالبة بمناقشة الموضوع من كافة جوانبه ومحاولة التعرف على حقيقة الاخطار التى يتعرض لها الوطن

وفى نفس اليوم توجه عبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم لمقابلة جمال عبد الناصر . . وهم أعضاء مجلس الثورة الذين قدموا استقالاتهم خلال السنوات الثلاث السابقة . والذين كانوا قد أرسلوا له مذكرة يشرحون فيها الموقف ويعرضون أن يكون لهم موقع فى أى قتال محتمل .

قال لى كمال الدين حسين ان المقابلة لم تمتد طويلا . . ثلث ساعة فقط . وضح فيها ان جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الجيش المصرى ولذا فقد اعتقد انه لن يجرؤ على اعلان الحرب .

وقال لى حسن ابراهيم ان جمال عبد الناصر كان واثقا من أن شبح الحرب مازال بعيدا ، فقد قال لهم (أنا لن أحارب) . . وقال أيضا (لست أنا الذى سيأخذكم الى تل أبيب . : انه من سيأتى بعدي) ولكنه قال (أنا عاوز ألهم شرم الشيخ) .

وعندما سألته حسن ابراهيم عما اذا كان سيتترك الاسرائيليين يوجهون لنا الضربة الاولى قال : (ان امامهم ستة اسابيع) .
ولكن حسن ابراهيم يعدل اقواله في كتاب (الصامتون يتكلمون)
فيقول ان عبد الناصر ابلغه بان امام اسرائيل ٦ او ٧ أشهر) .
وقال لي عبد اللطيف البغدادي ان المقابلة قد أثبتت ان جمال عبد الناصر لم يكن يدخل التحرك السريع نحو الحرب كعامل رئيسي ، وانه كان يعتقد أن المعركة ليست قريبة . وانه وزملاءه قد قاموا بتجسيد الاخطار أمامه .
ويقول ناتنج في كتابه (ناصر) عن هذه المقابلة ان جمال عبد الناصر قد قال لزملائه انه ليست هناك مناسبة لمثل حديثهم الانهزامي الذي كان يفسر فقط الضعف في قواننا المسلحة ، ويقول انه عندما سأل البغدادي عن موقف السوفييت . ردد له جمال عبد الناصر ماقاله شمس بدران عن استعداد السوفييت لمساعدة مصر للنهاية حتى ولو تورطت في حرب عالمية جديدة .
وقال لي حسن ابراهيم أيضا انه أرسل له مذكرة أخرى بتاريخ أول يونيو .

كانت هذه المقابلة من المقابلات النادرة التي أتيح لجمال عبد الناصر ان يسمع فيها آراء صريحة بلا خوف او تردد من زملاء قدامى أتيحت لهم فرصة العمل معه ١٢ عاما وأكثر قبل ان يبتعدوا عن المسئولية والحياة العامة . . .
ولكنها ظلت مع ذلك كنوع من الاستشارة فقط .
الايقاع السريع للاحداث يظهر شبح الحرب في الأفق ، ويجعل منع الانزلاق اليها أمرا عسيرا

موقف القوات المسلحة

أمر بديهي ان تكون عين جمال عبد الناصر على القوات المسلحة عند تفكيره في اتخاذ أى قرار .
وصحيح انه كان قد فقد اهتمامه ورغبته للتدخل والاشراف على شئون القوات المسلحة تفصيليا ، منذ أن نشأ الخلاف بينه وبين المشير عامر بعد الانفصال . . ولكنه يظل مع ذلك القائد الاعلى للقوات المسلحة .
وحرب اليمن أو العملية ٩٠٠٠ كما كان اسمها الحركي كانت لا تزال قائمة . . صحيح ان حجم القوات قد انحسر هناك بعد ان كان قد وصل كما يقول الفريق صلاح الحديدي (شاهد على حرب ٦٧) بعد أن ازداد (حتى فاق في وقت من الاوقات حجم القوات الموجودة داخل حدود الجمهورية ، فتأثرت بذلك الخطط الموضوعة عن سيناء لعدم توافر القوات اللازمة ، بل تأثر حجم القوات المتمركزة في مواجهة القوات الاسرائيلية) .

ويعلل صلاح الحديدي ذلك بقوله (ان الامتيازات الضخمة التي منحت للقوات المشتركة في حرب اليمن كانت مغرية الى حد بعيد لجميع الرتب) .
كانت حرب اليمن غير ذات قيمة حربية علمية أو فنية لانها كانت أقرب ما تكون الى عمليات تأديبية وبوليسية ضد قوات الملكيين المتحركة . . ولذا فلم تكن القوات المسلحة المصرية مهياة من ناحيه التدريب لحرب تصادمية مع جيش عصى مثل الجيش الاسرائيلي .

كان التدريب قد وصل الى مستوى فرقة مشاة أو مدرعة ولكنه هبط عام ٦٦/٦٧ ليتم على مستوى سرية فقط في المنطقة الشرقية المسئولة عن سيناء .

وكانت القوات الجوية أيضا رغم امدادها بأحدث الطائرات العالمية غير مؤهلة لأداء واجبها حسب تطور الحرب الحديثه ، وذلك لاصرار صدقي محمود على أن تظل القوات الجوية ذات قيادة خاصة ، وفي وقت فرض فيه التطور حتميه انضمام فروع القوات المسلحة المختلفة تحت قيادة واحدة وهكذا غلبت الفكرة الانفصالية في وقت كان دمج الفروع شرطا رئيسيا لدخول أية معركة .

وكان الدفاع الجوي بعيدا عن المستوى المطلوب ، اذ انه حدثت عدة اختراقات للمجال الجوي منذ اعلان حالة الطوارئ ، ولم يمكن اعتراض الطائرات المخترقة كما قال صلاح الحديدى (نتيجة عدم يقظة أفراد الدفاع الجوي ، أرضيين وجويين وخضوعهم للحياة الروتينية السائدة وقت السلم)

معظم هذه النواقص وغيرها لم تكن خافية على عيون المسئولين في القوات المسلحة ولكنهم كانوا أعجز عن الوصول بهذه القوات الى المقدرة القتالية المطلوبة . . . ولاشك ان الخلافات التي كانت قائمة بين القائد الاعلى (جمال عبد الناصر) ونائبه (المشير عامر) كانت من أهم الاسباب التي أدت الى ضعف القوات . . الى جانب انه لم تكن لها استراتيجيه قتالية واضحة ، ولم ترسم لها أهداف جديدة للوصول اليها . . هذا الى أن الوضع الاقتصادي للدولة كان قد فرض خفضا في ميزانية القوات المسلحة عام ١٩٦٦/٦٧ أما عن الاستفادة من خبرة السوفييت فاني أنقل ماكتبه الفريق صلاح الحديدى في كتابه :

أما عن الخبراء السوفييت وما بذلوه من جهد طوال مدة تزيد عن العشر سنوات فلاشك انهم قد أفادوا فائدة كبيرة ، وكانت أعيادهم المتزايدة عاما بعد عام . وقد انتشرت في كل الاسلحة ، ومعظم التشكيلات والوحدات تعمل بنفس الاسلوب المرسوم لها ، وتتدخل بالقدر المحسوب لدفع القدرة القتالية للقوات المسلحة ، ولكن رؤى منذ عام ١٩٦٤ تخفيض هذه الاعداد ، ورسمت السياسة لتنفيذ ذلك) .

ويستطرد صلاح الحديدى قائلا (وفعلا تناقصت أعداد الخبراء سنة بعد سنة حتى كانت الاشهر الاولى من عام ٦٧ ف وقعت اتفاقية في موسكو لينخفض بمقتضاها عدد الخبراء السوفييت الى أقل عدد ممكن) هذا ولم يكن مصرحا للخبراء السوفييت بالذهاب مع الوحدات او التشكيلات الى سيناء ، رغم الايقاع السريع للاحداث ، وظهور شبح الحرب في الأفق .

وعندما صدرت تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة بإعلان حالة الطوارئ بحيث تتخذ كافة القوات حالة الاستعداد الكامل اعتبارا من الساعة ١٤٠٠ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وإعلان التعبئة وحشد القوات في جبهة سيناء طبقا للخطة الدفاعية قاهر . . تبين ان التعبئة قد أصبحت مجبرة على

تعديل خططها للظروف القائمة ، كما يقول تحليل أعدته شعبة البحوث العسكرية عن أسباب النكسة .
فوجئت القوات المسلحة بالتعبئة وهناك نقص بلغ ٣٧٪ من الضباط و ٣٠٪ من الرتب الأخرى . . زاد في القوات الميدانية حتى وصل ٤٠٪ في الضباط و ٤٤٪ من الرتب الأخرى .

ويقول أحد القادة المسئولين في ذلك الوقت إنه (فيما بين ١٥ مايو و ٤ يونيو ١٩٦٧ كان قد تم صدور أوامر استدعاء وتعبئة وإنشاء بلغ عددها ٢٠١ منها ٨٢ أمرا تضمنتها خطة تعبئة القوات المسلحة الموضوعية مسبقا و ١٩ أمرا بإنشاء لم يسبق وضع خطة تعبئة له .
لم تكن هناك خطة تعبئة موضوعية لعام ١٩٦٧ ولذا عندما أعلنت حالة الطوارئ وتطلب الأمر استدعاء ١٢٠.٠٠٠ فرد احتياط ، رفعت التعبئة نسبة الاستدعاء الى ١٥٠٪ ومع ذلك لم يلب الطلب سوى ٨٢.٠٠٠ أى بنسبة تخلف ٣٢٪ .

وقد دفعت قوات الاحتياط بمجرد تعبئتها الى مسرح العمليات المنتظر في سيناء فزادت عن نصف اجمالي القوات المحتشدة في سيناء ١٣.٠٩ ضباط ٨٠.٦٥٠ رتب أخرى من جملة ١٣٠.٠٠٠ فرد تم حشدهم في سيناء .
لم يكن هناك تدريب شامل على استدعاء قوات الاحتياط ، ولم يكن هناك تمرين سنوي لجنود الاحتياط ، كما انه لم يكن هناك فرز دقيق لخبراتهم السابقة ، الأمر الذي أحدث أخطاء جسيمة في توزيع الجنود على الأسلحة والواجبات المختلفة . . بل وتواجد في الميدان حولي ٢٠٠ فرد يرتدون ملابسهم المدنية في اللواء ١٢٥ مشاة احتياط الذي بلغ ٨٠٪ في الحملة الميكانيكية و ٩٧.٥ في المدفعية .

وفي اختصار . . كانت القوات المسلحة غير مهيأة لهذا الاستدعاء المفاجيء . . ولم يكن في خاطر قادتها ان حربا سريعة يمكن أن تنشب في جبهة سيناء .

ومع ذلك لم يعترض قائد واحد من قادة القوات المسلحة . . حسب تأكيد أمين هويدى وزير الحربية بعد النكسة .

انصرف القادة لتنفيذ التعليمات بحشد القوات ، واستمرت هذه العملية ثلاثة أسابيع ، تتكشف فيها الأخطاء ولا يقاومها احد . تصدر فيها الأوامر بسحب قوات الطوارئ من خليج العقبة ، ولا يشير أحد الى النقص الموجود .

قال الفريق عبد المحسن مرتجى في حديث لمجلة آخر ساعة انه اعترض على تحرك القوات المصرية الى شرم الشيخ . . وكان الاجدر أن يتم الاعتراض على سحب قوات الطوارئ .

ويقول الفريق مرتجى ان المشير عامر قد صرح له بأن العمل سياسى وليس عسكريا .

ربما تكون قد حدثت اعتراضات أو ابدت بعض ملاحظات . . ولكن الواقع ان عجلة القوات المسلحة كانت قد بدأت تدور في اتجاه المعركة . . .

وانشغل جميع القادة بتنفيذ واجباتهم .. وربما تصور البعض منهم ان المعركة بسيطة وهينة ، فقد طلب أحد كبار القادة من مدير إحدى دور الصحف الاستعداد لطبع كروت يريد يرسلها الجنود الى أهلهم بعد الوصول الى تل أبيب .

ويؤكد هذه الحالة النفسية ما كتبه أمين هويدى فى كتابه عند مناقشته أن القوات المسلحة كانت مستعدة للقتال فى حدود ظروفها المتاحة وقيادتها القائمة فهو يقول بعد اعتراضه على القول بأن القوات المسلحة لم تكن مستعدة للقتال :

(بل نجد ان ذلك يتعارض كله مع ما أكدده السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ فى مجلس الوزراء ، وعلى مسمع من كل أعضاء المجلس فى رده على سؤال موجه من أحد الزملاء عن الموقف اذا تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية بأن القوات المسلحة كفيلة بمواجهة الموقف .. ولم يكتف بذلك بل اتبع رده بضحكة لازلت اسمع رنينها فى أذنى وأخال ان كل الزملاء مازالوا يذكرون) .

ومع ذلك فان حديث جمال عبد الناصر مع زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ، وقوله لانتونى ناتنج كماورد فى كتابه انه لا يتصور ان اسرائيل وحدها دون معاونة جوية أمريكية وبريطانية يمكن ان تلحق ضررا بالغاً بالقوات الجوية المصرية الذى يجعل بعدئذ تقدم القوات الاسرائيلية فى سيناء معرضا للهجمات الجوية المصرية .. كما ان عبد الناصر استبعد إمكانية هجوم اسرائيل فى جبهتين او ثلاث جهات .

كان موقف جمال عبد الناصر يدل على استبعاده للمعركة حتى هذه اللحظة ، ويدل أيضا على توافر قدر من الثقة فى القوات المسلحة .. وعندما قال ناتنج لعبد الناصر قبل ٣٦ ساعة من الهجوم الاسرائيلى ان لديه معلومات تلقاها من لندن تفيد بأن اسرائيل قادرة على ان تقوم وحدها بما قامت به طائرات (كاتبرا) البريطانية عام ١٩٥٦ ، رفض عبد الناصر تصديق ذلك ، مشيرا الى ان طائرات النقل الاسرائيلية تواصل خلال الاسابيع الماضية نقل قطع طائرات الميراج من مصانع (داسو) بفرنسا لتركيبها فى اسرائيل .

وقال عبد الناصر له ان اجهزة المخابرات قد أكدت له ان طائرات الميج والسوخوى أفضل من كل ما تملكه اسرائيل . ويشير ناتنج الى انه بعد مقابله لناصر عقب النكسة قال له عبد الناصر انه بعد حديثه السابق معه توجه فوراً لمقابلة المشير عامر فى مقر القيادة وأبلغ قادة القوات المسلحة بأن يتوقعوا هجوماً اسرائيلياً خلال ساعات ... ولكن كان الوقت متأخراً .

ويقول رودلف رونسون تشرشل فى كتاب (حرب الايام الستة) :

(كان عبد الناصر يكون فكرة خاطئة عن قوة اسرائيل الحربية نظراً للمعلومات غير الأكيدة التى كانت تزوده بها مخابراته المتفككة ، وليست هناك من أسباب واهية توضح لنا ان عبد الناصر كان يسعى فعلاً للتسبب بصراع

مسلح) .

ولكن مما لا شك فيه انه بعد ان اندفعت عجلة الامور فى ايقاع سريع . . افلتت الخيوط من يد جمال عبد الناصر ، وأصبح واضحا تماما ان المعركة قادمة لا ريب فيها .

العرب . . . فى المعركة

كانت انظار العالم تتجه الى مصر ، وقد عبرت الاهرام عن ذلك بقولها (العالم مأخوذ بمفاجأة التحرك السياسى والعسكرى المصرى وسط الازمة الخطيرة فى الشرق الأوسط) .

ومنذ وصلت الانباء عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية وزيارات المسئولين المصريين لسوريا لاتنقطع . . سافر محمد فوزى رئيس الاركان يوم ١٤ مايو ، وسافر بعد ذلك زكريا محيى الدين يوم ٣٠ مايو الى بغداد ودمشق والجزائر .

حرص جمال عبد الناصر منذ البداية على الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن فور اتخاذ قرار سحب قوات الطوارئ الدولية .

وقد حضر الى مصر رئيس اركان الجيش الجزائرى ، الذى حمل اقتراحا من هوارى بومدين بارسال قوات جزائرية ، فوافق جمال عبد الناصر على ذلك يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وكانت هذه المبادرة تعبيرا من الثورة الجزائرية عن فهمها العميق لطبيعة المعركة بين قوى التحرر الوطنى والامبريالية والصهيونية . والاف الاميال التى تفصل الجزائر عن سيناء لم تمنع قيادتها من القيام بواجبها القومى .

وخلال هذه الفترة كانت الجزائر تستعد لاستقبال السياسيين العرب المشتركين فى الندوة التى بادر هوارى بومدين بالدعوة اليها ، وحضرها لأول مرة فى تاريخ العرب الحديث ، ممثلون لمختلف القوى والتنظيمات السياسية فى الدول العربية ، واجتمع فى قاعة واحدة ممثلون للاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، وحزب البعث فى سوريا ، والاحزاب القومية المتناثرة فى العراق والاحزاب الوطنية فى المغرب العربى . . . الى جانب الاحزاب الشيوعية فى السودان ولبنان وسوريا والاردن .

عقدت (ندوة الاشتراكيين العرب) فى جو يخيم عليه شبح الحرب . . ومع ذلك كان هناك شعور سائد بان الموقف سوف ينقد فى اللحظة الاخيرة . اذكر ان فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعى الاردنى قد حضر سريعا للمشاركة فى الندوة بعد افتتاحها ومتسائلا عن مصير الخطوات التى نندفع اليها فى مصر .

واذكر ايضا ان هوارى بومدين صرح بقوله ان الجزائر سوف تقف مع مصر وسوريا بلا اى تحفظ .

انتهت الندوة ووصلنا القاهرة مساء ٢ يونيو ١٩٦٧ .

كانت هناك دول عربية تقدر خطورة الموقف ، وتتحرك مع مصر . . مثل السودان واليمن والعراق والجزائر الى جانب سوريا . ولكن الموقف فى سوريا كان مختلفا عنه فى مصر .

كانت الخطوات والاجراءات على الجانب المصرى واضحة لسحب قوات الطوارئ الدولية . . . بينما تغيرت الامور على الحدود السورية ، فقد نشرت الاهرام يوم ١٩ مايو ان (القوات الاسرائيلية تتدفق بأقصى سرعة الى الجنوب والحشود المتجمعة امام سوريا — تذوب —) .

ولذا يقول امين هويدى فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ٦٧) ان الفريق محمد فوزى رئيس الاركان عاد بصورة مختلفة عما ورد فى التقارير السوفيتية . . . والحقيقة انه وصل سوريا بعد اعلان مصر لحالة الطوارئ ، وانتهاء الدور الخداعى للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية .

كما ان امين هويدى يقول ان عبد الكريم الجندى رئيس الشعبة الثالثة (المخابرات) فى الجيش السورى قد تساءل فى دهشة (لماذا كل هذه الضجة التى تثيرونها فى القاهرة ؟ ليست هناك حشود) وذلك عند مقابلته للوفد الذى كان يرأسه زكريا محيى الدين .

كان ذلك فى ٣٠ مايو بعد ان كانت القوات الاسرائيلية قد تحركت فعلا الى الجنوب لاداء الواجب الملقى عليها فى خطة العدوان .

وتأكد لى ان السوريين بعد ان — ذابت — الحشود من امام حدودهم كانوا اكثر هدوءا ولم تكن بهم رغبة للاندفاع . . . فقد قال لى ابراهيم ماخوس وزير الخارجية السورى فى الخرطوم وهو يجلس خارج قاعة مؤتمر القمة الذى رفضت سوريا الاشتراك فيه بعد الهزيمة (أننا لم نطلب من مصر ان تحارب من اجلنا . . . ولم نتخذ من الخطوات ما يعطى لاسرائيل مبررا للهجوم) .

ويقول امين هويدى ان السلطات السورىة قد اتخذت موقفا فاترا اثناء المباحثات التى تمت مع زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت .
ولكن لم يعد هناك من سبيل لوقف التضامن العربى .

وكان اشد المواقف مفاجأة . . . وصول الملك حسين الى القاهرة يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ بعد اتصالات سرية استمرت ثلاثة ايام ولم يذع نبأ وصوله الا بعد ساعتين ونصف بعد الاتفاق معه فقد اسفرت الزيارة عن اعلان اتفاقية دفاع مشترك وقعها جمال عبد الناصر والملك حسين .

وتشكلت جبهة شرقية أوكلت قيادتها للفريق عبد المنعم رياض .
وانتهت الاتفاقية الخلافات المعلنة بين الاردن ومنظمة التحرير ، فسادر أحمد الشقيرى مع الملك حسين عائدا الى عمان على نفس الطائرة .
كان تغير الموقف مفاجئا وباعثا على الدهشة .

خطب جمال عبد الناصر فى اول مايو ٦٧ ناعتا الملك حسين بانه خادم وعميل للامبريالية . . . وانه يخدع الجماهير والامة العربية .
واذيع بيان سوري مصرى مشترك يوم ٢ مايو يقول (ان الملك حسين قد جعل من بلده حامية للأسلحة الاستعمارية ومعسكرا لعصابات المرتزقة المدربين) .

واعلن راديو دمشق يوم ١٥ مايو (اضربوا العرش العميل وحلفاءه الصهيونيين وسادته الامبرياليين) .
وكانت سوريا تدفع الى الاردن بعد ان تأزمت الامور بقوات تقوم بغارات تخريبية وضلت قمتها يوم ٢١ مايو عندما أعلنت اذاعه عمان ان حادثة قد

وقعت على نقطة (الرمثا) على الحدود المشتركة في الواحدة والنصف ظهرا وأدت الى مصرع ٣ سياح اجانب ، ١١ اردنيا ، وجرح ٢٨ اردنيا وذلك نتيجة لانفجار لغم في سيارة سورية عبر الحدود . . . واعلنت قطع العلاقات مع سوريا .

لم تلفت هذه الحادثة انتباه الراى العام الذى كان مشغولا بتحركات القوات الاسرائيلية والمصرية . .

كتب بيتر هوبكيرك مراسل التايمز فى القاهرة يوم ٣٠ مايو يقول (كان لقاء الرجلين عبد الناصر وحسين مفاجأة شديدة للشعب المصرى وللأجانب فى مصر) .

وتبادل عبد الناصر وحسين كلمات الترحيب الودية الشديدة التى طوت صفحة الاتهامات والسباب المتبادلة . . . واذاع راديو عمان ترحيبا بزيارة حسين للقاهرة والوصول لاتفاقية الدفاع المشترك ، وهو الذى كان يتهم النظام المصرى منذ ايام قليلة بالتعاون مع الصهيونية والماركسيه .

تحسنت العلاقات مع مصر ، ولكنها لم تتحسن مع سوريا . ويقول أحد الذين عرفوا بما دار فى المباحثات السرية التى امتدت ٦ ساعات ان الملك حسين كان يبدو فى مظهر من يريد الا يفشله شرف القتال مع رفاقه العرب فى حربهم ضد اسرائيل .

ولا شك ان الملك حسين كان فى وضع شديد الحرج . . فالوضع يلتهب يوما بعد يوم ، والموقف يشير الى ان قتالا عربيا اسرائيليا على وشك ان يبدأ . . لا أحد يستطيع التنبؤ بنتيجته . . ولا يمكن للملك حسين ان يتخلف عنه ، حتى لا يتعرض عرشه للانهييار ، وهو محاط بدول معادية له شخصيا مثل مصر وسوريا والعراق . . وفى بلده مئات الآلاف من ابناء فلسطين .

اعتقد الملك حسين ان اتفاقية الدفاع المشترك هى طوق نجاه ينقذه عن طريق الارتباط بمصر فى مواجهة النظام السورى الذى واصل هجومه على النظام الاردنى والملك رغم عقد الاتفاقية باعتباره بؤرة للخيانة والمؤامرة .

ويشير تحقيق نشره الكاتب الصحفى الأمريكى (انطونى بيرسون) فى مجلة بنتهاوس عن قضية الباخرة (لييرتى) سستعرض له فيما بعد . . يشير تحقيق بيرسون الى انه بعد اتفاق الولايات المتحدة واسرائيل على اسقاط جمال عبد الناصر ابلغت حكومة الولايات المتحدة الملك حسين بذلك ، وخيرته بين البقاء على الحياد او المخاطرة بنظام حكمه .

قال لى محمد حسنين هيكل ان الشهيد الفريق عبد المنعم رياض كان قد تلقى رسالة سرية من الملك حسين بهذا المعنى وطلب ابلاغها الى جمال عبد الناصر ، ورفع الفريق رياض الرسالة الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة ، كما سبق ان ذكرت .

ولكن القلق اصاب الفريق رياض لعدم وصول رد على هذه الرسالة من عبد الناصر رغم خطورة ماورد فيها من تهديد صريح له ولنظام حكمه . ودبر هيكل لقاء بين عبد الناصر وعبد المنعم رياض . . الذى شرح له

مضمون الرسالة والتي كانت تتضمن ان الحكومة الامريكية قد دبرت خطتها مع بعض عناصر النظام الحاكم في دمشق

ولذا تحفظ جمال عبد الناصر على هذه الرسالة لانها وردت من الملك حسين اولا ، ولانه اعتبرها محاولة للوقعية بينه وبين نظام الحكم في دمشق ثانيا ، ولانه لم يعد يملك مفتاح الموقف وحده بعد تطور الاحداث وتلاحقها في ايقاع شديد السرعة .

وكان للاتفاقية انعكاسات متعددة .

الاتفاقية لم توضح ما بين النظام الاردني ومنظمة التحرير . . وعودة الشقيرى مع الملك حسين لم تكن خاتمة الخلافات . . فالملك حسين كان مستعدا لمشاركة مصر في حربها ضد اسرائيل ، ولكنه لم يكن مستعدا للسماح لآلاف الفلسطينيين المسلحين بدخول الاردن ، لاعتقاده بعدم فائدتهم للجيش الاردني من جهة ، ولانهم سوف يصحون عنصر تهديد لنظامه من جهة اخرى . . ولذا فقد رفض الملك حسين عرض احمد الشقيرى بادخال . . . جندي من جيش التحرير الفلسطيني ولو كانوا تحت قيادة اردنية . . وكل ما وافق عليه هو اعادة فتح مكتب منظمة تحرير فلسطين في القدس والذي كان قد أغلق منذ بدا الخلاف مع الشقيرى .

واعلنت السعودية وقف مساعداتها العسكرية الى الاردن ، بعد ان خذلت تعاونهما السابق ، ووضع الملك حسين يده في يد عبد الناصر .

وحاولت اسرائيل عن طريق اتصالات خاصة ان تقنع الملك حسين بالتراجع عن موقفه . . ولكن الملك حسين رفض ذلك كما يقول انطوني ناتنج اما انطوني بيرسون فيقول في تحقيق (بنتهاوس) ان اسرائيل كانت تدبر خطة لجر الاردن للمعركة اذا كان الملك حسين قد تردد في ذلك .

اما العراق فقد أخذت جانب التأييد للاتفاقية التي تسمح لقواتها بالدخول والوقوف على الحدود الاسرائيلية .

ولم ترحب الجزائر كثيرا بعقد الاتفاقية .

وفي مؤتمر صحفي عقده الملك حسين يوم ٤ يونيو قال ان زيارته للقاهرة هي تعبير عن علاقات التضامن الطبيعية بين العرب ضد عدو مشترك . . وعندما سئل عن موقف الاردن من سوريا ، قال ان الاردن يريد ان يزيل كل الخلافات امام الخطر المشترك . . وفي المؤتمر هاجم الملك حسين بريطانيا وخيرها بين معاداة العرب جميعا او معاداة اسرائيل .

وعقب المؤتمر الصحفي مباشرة اتصل جمال عبد الناصر بالملك حسين واخبره بانضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك .

وانضمت العراق يوم ٤ يونيو ، واذاغ راديو بغداد ان العراق قد قررت فرض الحصار على أى شحنة بترول الى أى بلد يساند العدوان المدبر ضد أية دولة عربية .

وهددت الكويت بوقف شحن البترول في حال وقوف الدول الغربية الى جانب اسرائيل .

. . وقد هبطت النسبة التي عبرت قناة السويس أثناء هذه الفترة الى

٦٠٪ من البترول العربي بعد ان كانت ٨٠٪ خلال الاحد عشر عاما السابقة وهكذا وحد (الخطر المشترك) معظم الدول العربية . . . ولم يستطع الملك حسين ان يبقى في موقفه المنعزل .

وقد كان لعقد اتفاقية الدفاع المشترك مع الاردن بطريقة مفاجئة اثر كبير في تخطيط اسرائيل ، فقد اعطى لها مبررا اضافيا للهجوم ، وساعدها في شن حملة دعائية عالمية تظهر العرب في مظهر المتربصين للعدوان ، كما منحهم فرصة توسيع نطاق ضربتهم المنتظرة لاكتساب مزيد من الاردن العربية . سارعت الاتفاقية في دفع عجلة الحرب وبددت كل احتمال للتسوية السلمية .

احكمت الدول العربية الحصار على اسرائيل وخاصة بعد السماح بدخول القوات العراقية الى الاردن . . واصبحت ازمة الشرق الاوسط تهدد بالانفجار بين لحظة واخرى . وكانت في مصر قوات من الجزائر والسودان . . وفي الاردن قوات من العراق والسعودية .

وشكلت تصريحات عبد الرحمن عارف التي قال فيها للجنود العراقيين مودعا لهم سينتقمون لشهداء ١٩٤٨ وانهم بارادة الله سيلتقون في يافا وحيفا . . . واذاعات الشقري التي تحدثت عن تصفية (اليهود) والقائمهم في البحر . . . واذاعة دمشق التي اكدت انها لن تتراجع في مساعدة الفدائيين للتسلل داخل اسرائيل . . . شكلت فرصة دعائية هائلة لاسرائيل . فقد سجل الاسرائيليون هذه الاذاعات واتخذوا منها دليلا على رغبة العرب المحيطين بهم في العدوان ، وجعلوا منها ستارا مضللا يخفي حقيقة تدبيراتهم .

ولا شك ان هذه التصريحات كانت متعجلة ومضللة وغير مسئولة ، فانه رغم الاتفاقيات التي تمت بين الدول العربية في آخر لحظة ، فانه لم تكن هناك استراتيجية عربية ولا قيادة عربية واحدة مهيمنة . كان لقاء سياسي هام بين الدول العربية يمكن ان يعتبر بداية لوضع خطة سياسية وعربية متناسقة مبنية على الظروف الموضوعية القائمة . . . ولكن اندفاع الاحداث جعل من هذه الاتفاقيات امورا صورية لا تترجم قدرات العرب الحقيقية .

ولذا واجه العرب الخطر صفا واحدا ، ولكن بعقليات متباينة واهداف متعددة . . . ولم يصلوا حتى لحظة العدوان الى استراتيجية شاملة موحدة .

نحو الانفجار

كان واضحا ان فرصة التسوية قد ضاعت ، وان الحرب وشيكة الوقوع .

وتوافرت لاسرائيل كل الظروف الملائمة لتنفيذ خطتها . . فاتخذت المؤسسة العسكرية من ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والاردن ذريعة تمارس بها ضغوطها ، وارتفعت الاصوات تطالب بعودة بن جوريون الذي استقبل

لأول مرة عدوه السابق مناحم بيجين الذى يمثل أقصى التطرف الصهيونى
واتفق الاثنان على ضرورة الحرب .

وبذا توحدت معظم الفئات السياسية فى اسرائيل ، وانحصر الخلاف
حول الجهاز اللازم لإدارة الحرب وتولى مسئوليتها .

ورفض ليفى اشكول فكرة عودة بن جوريون الى الوزارة قائلا :
(ان وجود جوادين عجوزين - يقصد نفسه وبن جوريون - لا يستطيعان
جر عربة واحدة سويا ، فاما أنا واما هو)

وبعد مداولات طويلة بين الاحزاب الاسرائيلية استقر الامر على تعيين
موشى ديان وزيرا للدفاع ، ومناحم بيجين وزير دولة . . . وكان هذا دليلا على
ان حكومة ليفى اشكول قد استقر رأيها على الحرب ، وأنها تعين دايان
وزيرا للحربية استجابة لمشاعر الشعب الاسرائيل المؤيدة له .

وكان ديان قبل ذلك قد ذهب الى المنطقة الوسطى مع قائدها الجنرال
ناركسين للتفتيش على قواتها . وفرض نفسه خلال حركة سياسية وعسكرية
نشطة . أثبتت انه كان ينسق خطته مع بعض أفراد المجموعة الحاكمة . . .
قال ديان (كان يجب وجود ٨٠ ألف جندي مصرى فى سيناء لقبولى فى
الوزارة) . . . ولاشك ان ديان كان أحد الذين خططوا لاستجلاب هذا العدد
الكبير من الجنود الى سيناء .

ويقول رودلف وونستون تشرشل ان قرار بدء العدوان قد اتخذ فى أول
يونيو ١٩٦٧ بعد تعيين دايان ، وأن ميثاق الدفاع المشترك المصرى الاردنى كان
هو السبب المباشر لذلك .

ولما كان وصول ديان الى منصب وزارة الدفاع يشير مؤكدا الى استعداد
اسرائيل لبدء القتال ، وهو ما عبرت عنه الاهرام بقولها (انقلاب صامت فى
اسرائيل يأتى بوزارة حرب) ، فان أول عمل قام به كما جاء فى كتاب تشرشل
(حرب الايام الستة) كان هو :

(خداع العالم على أمل ان يأخذ زمام المفاجأة الضرورية جدا لاسرائيل
والحصول على نصر مقابل أقل عدد ممكن من الضحايا المدنيين ، ومن هنا
نقد أشيع فى اسرائيل على أوسع نطاق ان القوات الاسرائيلية التى مر
اسبوعان على حشدتها فى الصحراء والتى تنتظر بفارغ الصبر وبلى وتطالب
الحكومة بإعطاء أمر الهجوم . . . ان هذه القوات سوف يسرها ان تعلم ان
الحكومة التى دخلها موشى ديان قد قررت الا تبدأ الحرب ، وقد حاولوا بذلك
اظهار ديان وكأنه مجرد (شخصية مدنية) لا يمتاز على غيره من المدنيين
الا بأنه محل ثقة لا أكثر) .

وفى مساء ٢ يونيو قام أحد مؤلفى كتاب (حرب الايام الستة)
بمقابلة موشى ديان فى داره بضواحي تل أبيب بصفته مراسلا لمجلة (نيوز أوف
ذى وورلد) وقال له :

(من الخطأ فى تصورى ان يقال ان اسرائيل قد فاتها القطار ، وانها لم
تعد قادرة على التحرك ، فبالعكس ان مصر الحرب يمكن ان يتقرر فى الجو
حيث الوضع الاستراتيجى لا يزال كما هو تقريبا) .
ولكن ديان واصل عملية التغطية قائلا :

(قلما تتلون الاشياء فى حياتنا باللون الاسود وحده أو الابيض وحده اذ غالبا ما تكتسب الاشياء لونا رماديا ، فمن الصعوبة جدا أن نقطع بإمكانية التفوق الجوى لطرف على الآخر) .

ولزيد من الخداع قال ديان فى مؤتمر صحفى مساء السبت ٣ يونيو (ان وقف الرد العسكرى على الحصار المصرى المضروب حول مضيق تيران قد فات ، ولكن التنبؤ بما يمكن أن تؤدى اليه الجهود الدبلوماسية لا يزال سابقا لاوانه . . . لقد اختارت الوزارة قبل دخولى فيها طريق العمل الدبلوماسى ، ولا بد ان نتيج للوزارة فرصة اختبار امكانيات هذا الطريق) . ووزعت على الصحف يوم ٤ يونيو صور للجنود الاسرائيليين وهم فى حالة استرخاء على شاطئ البحر ضمن (عملية مدبرة وجزء من خطة رامية لتضليل الراى العام العالمى) .

احكمت الخطة الخداعية تماما ، وظهرت صحف اسرائيل يوم ٥ يونيو تحمل قرارات مجلس الوزراء فى امور بعيدة تماما عن الحرب ، مثل الموافقة على الاتفاق الثقافى بين اسرائيل وبلجيكا او الاتفاق بين اسرائيل وبريطانيا على تحديد الاساليب التى يجب اتباعها فى حال حدوث اختلافات عسكرية وتجارية .

وفى الجانب المقابل كانت اسرائيل قد رتبت عملية خداعية اخرى . اثناء زيارة ابا ايبان للولايات المتحدة توجه الى الخارجية الامريكية بلا موعد يوم ٢٦ مايو وطلب مقابلة دين راسك فى الحال ، قائلا ان الموقف اخطر من أن يتحمل المجادلات الدبلوماسية لان (اسرائيل ستتعرض للهجوم والتدمير اليوم) . وكان ايبان لا يزال فى وزارة الخارجية عندما استدعى والت روستو سفير مصر مصطفى كامل ، الذى حمله رسالة من جونسون الى عبد الناصر طلب تبليغها له فورا ، وذلك كما قال جمال عبد الناصر للطلبة المبعوثين اثناء اجتماعه بهم فى ١٦ مايو ١٩٧٠ .

كانت هذه الرسالة هى الرسالة الثانية خلال ايام . . . الاولى سلمت يوم ٢٣ مايو من السفير الامريكى ريتشارد نولتى الذى خلف لوشىوس باتل والذى لم يكن قد قدم أوراق اعتماده بعد — ولم يقدمها بعد ذلك ايضا — ولذا قدم رسالة جونسون الى محمود رياض .

كانت الرسالة تقول (ان الهدف الاسمى والارفع) هو تجنب القتال . وفى نفس اليوم استدعى السفير المصرى الى وزارة الخارجية الامريكية حيث سلمه يوجين روستو رسالة مماثلة وقال له (ان امريكا ابلغت اسرائيل صراحة ، انها ستناهض أى هجوم على أى دولة عربية) . وكان ذلك فى اليوم السابق لوصول يوثانت .

الرسالة الثانية تختلف فى لهجتها عن الرسالة الاولى . . . بينما لم تمض ثلاثة ايام فقط .

كانت الرسالة قائمة على تبليغ الاسرائيليين باحتمال هجوم مصرى فى نفس الليلة ٢٦ مايو ، وقال جونسون فى رسالته انه اذا هاجم المصريون وسددوا الطلقة الاولى فان من شأن الحكومة الامريكية ان تتخذ موقفا شديدا

للغاية من مصر وانها لن تسمح بحدوث ذلك في الوقت الذي يجرى فيه الامين العام للأمم المتحدة اتصالاته .

وفي نفس الليلة توجه السفير السوفيتي ديمتري بوجداييف الى منزل جمال عبد الناصر على غير موعد وطلب ايقاظه في الثالثة صباحا ، وحين استقبله عبد الناصر أوضح له أنه تلقى أوامر من القيادة السوفيتية بأن يقابله فوراً وان يبلغه أن الأمريكيين اتصلوا بالكرملين وأبلغوا الروس ان لدى اسرائيل معلومات تفيد أن المصريين سيبدأون الهجوم مع أضواء الفجر الاولى .

وقال السفير للرئيس انه يناشده ألا يقوم بتنفيذ خطته لان الطرف الذي يطلق الرصاصه الاولى — مهما يكن — سيصبح في وضع سياسي لا يمكن الدفاع عنه ، ولذا فان السوفيت — كأصدقاء — ينصحون مصر بعدم اطلاق الطلقة الاولى واجاب عبد الناصر بأنه لم يصدر أوامره بالهجوم ، وأنه ليست هناك خطة للهجوم هذا الصباح .

نجحت اسرائيل بذلك في خلق شعور دولي عام بأن خطة العدوان كانت ستتحرك من جانب مصر .

وقد حرص جمال عبد الناصر في تصريحاته ومؤتمره الصحفي بعد ذلك على القول (بأننا لن نطلق الرصاصه الاولى ، ولن نكون البادئين بالهجوم) مخاطباً بذلك الراى العام العالمى ، وجونسون والقيادة السوفيتية وديجول ايضا الذى حذر الطرفين من اطلاق الطلقة الاولى .

واعتقد عبد الناصر بذلك انه قد كسب المعركة السياسية ، وان الموقف ليس مستعصيا على الحل بالاتصالات والمفاوضات السلمية .

ويشير الفريق صلاح الحديدى في كتابه الى واقعة غريبة ، وهى ان التوقيت الذى طلبت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من مصر عدم القيام بالضربة الاولى (كان هو نفس التوقيت الذى حددته القيادة العامة بمصر لاتهام استعدادات القوات الجوية توطئة لضربة فجائية ضد قوات العدو الجوية) .

اذا صح ما رواه صلاح الحديدى فان معنى ذلك ان القوات المصرية الجوية كانت منذرة ومستعدة للقتال قبل العدوان بعشرة ايام على الاقل . ولكن لم يثبت ان هناك أوامر هجومية قد صدرت للقوات المصرية ، وان الخطة الدفاعية (قاهر) كانت مازالت هى المنفذة ، عدا بعض طلعات قامت بها الطائرات النفائة المصرية التى كانت تعبر اسرائيل من العريش الى البحر الميت في ٤ دقائق وهى مدة غير كافية للاشتباك وكان ذلك جديدا في حركة القوات الجوية المصرية التى لم تخترق المجال الجوى الاسرائيلى منذ الانسحاب من الاراضى المصرية بعد عدوان ١٩٥٦ .

واتهام الاستعدادات لا يعنى بالضرورة بدء الهجوم . كان حبل الامل لم ينقطع بعد ورغم رسالة جونسون فان يوثانت ارسل رسالة برقية اخرى يوم ٣٠ مايو نشرها محمد حسنين هيكل

فى مقال له بعنوان (٠٠٠ لا لعبد الناصر) نشر فى جريدة الوطن الكويتية يوم ٢٢ أبريل ١٩٧٦ .

الرسالة تشير الى ما قاله يوثانت امام مجلس الامن يوم ٢٦ مايو من انه يطلب قسحة من الوقت لتخفيف التوتر ويقول :

(وبالذات وبدون طلب اى تعهدات منكم او حتى رد فاننى اعرب عن الامل فى ان تمتنعوا خلال مدة اسبوعين من لحظة استلامكم هذه الرسالة عن اى تدخل فى الملاحه الاسرائيلية عبر مضيق تيران .
وفى هذه الخصوص فهل لى ان اخطركم وفى كل الاحوال ان لدى من الاسباب ما يجعلنى افهم انه فى الظروف العادية فانه ليس متوقعا أن تحاول اى باخرة اسرائيلية عبور مضائق تيران خلال مدة الاسبوعين المحددين) .

اعطت هذه البرقية الايحاءات التالية :

١ - ان هناك (فترة تنفس) مدتها اسبوعان يمارس فيها يوثانت جهده الديبلوماسى السلامى .

٢ - ان قوله بعدم مرور بواخر اسرائيلية ، هو امر يؤكد صلته باسرائيل واخذ موافقتها .

٣ - كانت حركة يوثانت مطلوبة من جونسون بناء على رسالته الاولى .

٤ - لا شك ان يوثانت كان على صلة بالدول العظمى الممثلة فى مجلس الامن .

وهذات انفاى عبد الناصر بعد هذه الرسالة ، واعتقد ان مناورته السياسية قد نجحت ، وان الاخطار التى حملتها للمنطقة قد تجمدت او هى فى سبيل التجمد الذى سبق ان لعب دور الوسيط بين عبد الناصر وبين جوريون عام ١٩٥٦ .

وزاد من هذا الشعور عنده وصول روبرت اندرسون فى اليوم التالى لتسليم رسالة يوثانت - اول يونيو ٦٧ - والوصول الى اتفاق على ايفاد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية لمقابلة جونسون يوم الثلاثاء ٦ يونيو .

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين فى الخارج اثناء اجتماعهم به فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ وهو يستعيد درس الهزيمة .

(قبل ٥ يونيو الامريكان بلغونى انهم يضمون كيان الدول فى المنطقة وانهم سيعارضون اى عدوان وفى يوم من الايام طلبوا سفيرا فى واشنطن وقالوا له ان عندهم اخبار اننا حنهام اسرائيل وان وزير خارجية اسرائيل موجود فى المبنى ذاته فى وزارة الخارجية وطلبوا انهم يبلغونى فى الرسالة ان امريكا بتصمم على اعلان كيندى الى هوه خاص بالتحفظ على الوضع فى المنطقة كما هو ومجابهة اى عدوان . .

وبعد ذلك حصل العدوان وكان من الواضح بالنسبة للامريكان انه فى وقت الحرب اذا كانت اسرائيل هى المنتصرة فان امريكا ستتنامى كلية البيان الى هيه اعلنته ، واذا كانت الدول العربية هى المنتصرة ، فامريكا

ستصمم على البيان الى قائلته والخاص بوحدة هذه المنطقة وعدم تغيير
الوضع بالنسبة لحدود المنطقة .

وتفجر هذا الشعور فجأة بمراقبة ما حدث في اسرائيل ، ووصول
المؤسسة العسكرية الى مواقع النفوذ ، وتعيين دايان وزيرا للدفاع
الاسرائيلي .

وشعر جمال عبد الناصر ان اخطارا تتجمع في الافق ، وان الخيوط
التي كان يمسكها قد افلقت من يديه ... وان الموقف قد تحول ليصبح
خطيرا ... خطيرا .

وفي ذلك اليوم استقبل عبد الناصر النائب البريطاني كولستون فرمايهيو
الذي سأل (ان لم يهاجموا .. هل تدعهم وشأنهم ؟ فأجاب عبد الناصر (ليس
في نيتنا مهاجمة اسرائيل) .

وقرر جمال عبد الناصر عقد مؤتمر عسكري سياسي مساء يوم ٢ يونيو
حضره معه المشير عامر وزكريا محيي الدين وانور السادات وحسين
وحسين الشافعي وعلي صبري وقادة القوات المسلحة :

وقد حدد جمال عبد الناصر رؤيته للموقف في هذا المؤتمر كما يلي :
١ - الظروف الدولية تحتم عدم اتباع استراتيجية عدوانية (حتى
لا نضحى بموقف امريكا وباقي الدول الكبرى منا ، ولا سيما بعد ان اعلن
الجنرال ديغول ان فرنسا ستقف ضد البادئ بالعدوان) وذلك تبعا لما ذكره
الفريق صلاح الحديدي احد الذين حضروا هذا المؤتمر .

٢ - حدد اختيارين امام اسرائيل ... اما قبول الامر الواقع ، او شن
حرب وهو ما يتوقعه بنسبة ١٠٠٪ وخاصة بعد تشكيل وزارة الحرب ..
وحدد موعد قيامها بعمليات هجومية في مدة يومين او ثلاثة (اي ٤ او ٥
يونيو) ... وقد بنى ذلك على ان اسرائيل لا بد ان تقوم بهجومها قبل وصول
قوات الجيش العراقي الى الاردن ، وكانت قد بدأت التحرك فعلا وكان
ينتظر وصولها خلال يومين .

٣ - شرح عبد الناصر تصوره للمعركة بانها (ستقوم على اساس
توجيه اسرائيل ضربة جوية ضد قواتنا ودفاعنا الجوي حتى يتم ثلثها
واخراجها من المعركة ... وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى هذه
الضربة ، واتخاذ ما يلزم لتقليل خسائرها الى الحد الادنى حتى يمكننا بعدئذ
توجيه ضربة رادعة ضد قوات العدو الجوية .

ويروي الفريق الحديدي ما دار في هذا المؤتمر الهام من مناقشات
فيقول :

(وهنا ساد الوجوم غرفة الاجتماع واعتري العسكريين نوع من
القلق والصمت قطعه قائد القوات الجوية ، موضحا ان تحول استراتيجيتنا
العسكرية من الهجوم الى الدفاع سيؤثر تأثيرا كبيرا على موقف القوات
الجوية ، وان الفرق سيكون كبيرا بين الحالتين لان الروح المعنوية لقواته
ستتأثر كثيرا في حالة الانتظار لتلقى ضربة اسرائيل ، وانه يفضل لو كان من
الممكن عدم تغيير الوضع عما هو عليه ... وكانت اجابة الرئيس الراحل
على هذا التعليق اجابة طبيعية ، اعتبرت ان كتب الاستراتيجية من البديهييات

فى هذا الفن . . . اذ تعتبر أن استخدام الأجهزة العسكرية يكون لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة ، وأن هذا الاستخدام هو استمرار للعمل السياسى ولكن بوسائل أخرى ، ومعنى هذا خضوع العسكريين الكامل للقرارات السياسية للدولة) .

ويقول الحديدى أيضا أن المشير عامر قد قال (إذا بدأنا الضربة الجوية الأولى فلن تقف الولايات المتحدة الأمريكية منتظرة الأحداث بل ستتدخل ضدنا بقوتها العسكرية ، بينما لو بدأت إسرائيل هذه الضربة فلن تتدخل أمريكا بقوتها .

لقد دخل حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى حتمية قيام إسرائيل بالضربة الجوية وهى أول اجراءات العملية الوقائية من وجهة نظر إسرائيل .

ووجه الرئيس عبد الناصر الكلام الى الفريق اول محمد صدقى محمود، وتم نقاش حول :

١ - الخسائر المحتملة .

٢ - امكانية الرد بضربة مضادة .

وقد قدر الفريق اول صدقى الخسائر المنتظرة بعشرة الى ١٥٪ ولكنه قال ان هذا يعتبر فقدا للمبادأة . . وان هناك احتمال تكسيح القوات الجوية أتصور اننى متذكر كلمة قالها بانجليزيه « كريبل » Cripple

وتطورت المناقشة الى الاستحسان ملاقة الضربة الجوية من إسرائيل بدلا من فقد عطف العالم ، وخاصة أمريكا التى قد تميل الى الدخول فى صف إسرائيل فى حالة المبادأة من جانبنا .

واتفق فى آخر المناقشة فى هذا الموضوع بالذات على اتخاذ الاجراءات الوقائية الضرورية للتقليل من تأثير الضربة الجوية الأولى .

وافق المشير عبد الحكيم عامر على ذلك وقال للفريق اول صدقى محمود :

« ادرس هذا الموضوع وأبلغنى بالاجراءات التى ستتخذها بخصوص تأمين القوات الجوية ضد الضربة الأولى من إسرائيل . »

وانتهى الاجتماع بتأكيد من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه يعلم تماما الخطوات التى تتخذها إسرائيل داخليا وخارجيا فى مثل هذه الاحداث . متمثلا بما تم فى سنة ١٩٥٦ . مفاجأة عسكرية . حرب قصيرة . نقل المعركة الى أرض العدو .

قال جمال عبد الناصر هذا الكلام وهو شئ مكتوب فى الكتب . وفى صباح يوم ٣ يونيو أخطر الفريق اول صدقى بامكانية التغير ، وبالأوضاع التى رآها مناسبة فى هذه الحالة . وذكر نقل القوات . . . المقاتلات القاذفة غالبا . . . او المقاتلات الى مطار كبريت .

وعلق صلاح الحديدى على ذلك تعليقا صائبا يلقي به مسئولية جسيمة على قادة القوات المسلحة عموما ، وقادة القوات الجوية خصوصا اذ يقول : (وكان من الطبيعى ان تتخذ عدة قرارات عسكرية فى أعقاب هذا المؤثر تنفيذاً للوضع السياسى الاخير ، وكان ضمن هذه القرارات ضرورة

اخلاء المطارات الامامية في سيناء من الطائرات ، حتى لا تكون لقمة سائغة لطائرات العدو عند قيامها بالضربة الاولى ، وحتى هذا القرار المنطقي لم يكتب له التنفيذ) .

كان جمال عبد الناصر في هذا المؤتمر قد وصل الى قناعة كاملة حملها الى معاونه من العسكريين والسياسيين بأن الحرب واقعة ١٠٠٪ . . . وعندما يقرر رئيس الدولة والقائد الاعلى للقوات المسلحة ، فان الواجب كان يقضى على القيادات العسكرية والسياسية ان تتحرك بهذا المستوى من الفهم ومن تقدير المسؤولية .

القيادات العسكرية تحملت عبء تجهيز القوات المسلحة للمعركة . اما بالنسبة للشعب . . . فان الامر كان غريبا وشاذا . . . فمعروف ان الحروب الحديثة لا تتم بعيدا عن الرجل المدني في القرية او المدينة . . . وانه من الواجب تجهيز افراد الشعب للدفاع عن وطنهم في اماكن اقامتهم او مراكز عملهم . . . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق .

افراد الشعب يتابعون الاخبار في الصحف والاذاعة يستبد بهم القلق ، وتحيط بهم التساؤلات ، وليس عندهم من عمل يقومون به ، او جواب يهدىء صدورهم .

والمناطق الحيوية . . . حلوان وشبرا الخيمة والمحطة الكبرى وكفر الدوار والموانىء تركت جميعا بلا حماية شعبية . . . وجاء تعيين زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة الشعبية متأخرا فقد ظهر القرار في صحف يوم الاحد ٢٨ مايو ١٩٥٦ وكان زكريا قد سبق له ممارسة هذا الواجب اثناء عدوان ١٩٥٦ ، ولكن الوقت الآن كان متأخرا جدا .

كان مراسلو الصحف الاجنبية يلحون في السؤال عن التناقض الهائل بين تصريحات المسئولين التي تؤكد قيام الحرب . . وبين الحياة العادية للناس في المجتمع وكأنهم لا يواجهون خطرا رهيبا . وكانوا يتساءلون عن الفرق بين الحالة في اسرائيل حيث اختفى الشباب . . . وبين مصر حيث ترك الشباب في الشوارع بلا واجب او مسئولية .

نشرت الصانداى تايمز رسالة لمراسلها فيليب نائيل يوم ٢٧ مايو يقول فيها :

(ليس في القاهرة مايوحى بأن هذه الدولة على حافة الحرب فزيارات السياح اليومية للاهرام لم تنقطع ، والمقاهى والمطاعم ممتلئة بروادها . وكثير من المصريين في نادى الجزيرة الرياضى يلعبون الجولف ويسبحون ويعرضون اجسامهم لحرارة الشمس) .

اما مراسل صانداى تايمز في تل ابيب دافيد دايدج فقد نشر في اليوم نفسه رسالة تقول : (تكتيكيا لاتزال اسرائيل تقوم بتوازن على حافة الحرب ولكن اى زائر غريب لتل ابيب يمكن ان يتصور الحرب قد قامت بالفعل . ففى مراكز جمع الدم يقف المتطوعون على النواصى فى طوابير طويلة وفى

الضواحي يقوم تلاميذ المدارس بحفر الخنادق) .
كانت الجماهير في مصر بعيدة تماما عن جو المعركة وروحها . . وكان
الاتحاد الاشتراكي سادرا في اجتماعاته غير المثمرة . . وكانت الحكومة قد
عقدت مؤتمرا مشتركا بين الوزراء والمحافظين يوم ٢٩ مايو أصدر عدة قرارات
إدارية من التي تتعثر في طريق البيروقراطية .

أمانة طليعة الاشتراكيين التي كان مفروضا انها قلب الحركة السياسية
في الاتحاد الاشتراكي وجهازه السياسي لم تجتمع ولم تناقش الموقف ، ولم
توضح أبعاد الاخطار التي تهدد مصر .

وعندما عدت من ندوة الاشتراكيين العرب في الجزائر هرعت الى
شعراوي جمعة أمين التنظيم وزملائي أعضاء الأمانة ، فوجدت انهم يتوقعون
الحرب ، ولكنهم كالحيارى لا يعرفون ماذا يفعلون .

وعندما طالبت باجتماع عاجل للأمانة ، كانت المشاكل الإدارية قد
أحاطت بالزملاء في مناصب السلطة ، فباتوا أكثر انشغالا بها عن الدور السياسي
الذي يجب أن يقوموا به .

كانت هذه الصورة توضح بكل تأكيد ان جمال عبد الناصر لم يكن راغبا
تماما في شن حرب أو تدمير اسرائيل ، وانما كان يقوم بهندسة نصر سياسي
غامر فيه بالوصول الى حافة الهاوية ، ولم يستطيع ان ينقذ نفسه في اللحظات
أو الايام الاخيرة . . فقد كانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بضقورها
المتعطشة للحرب قد أعدت المصيدة للنظم التقدمية في مصر وسوريا بالتعاون
مع المخابرات المركزية الامريكية .

وكانت رغبة جمال عبد الناصر في أن (يلهف) شرم الشيخ على حشد
تعبيره لزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين قد دفعته الى خيوط المصيدة
الصهيونية الامبريالية المشتركة ، ولم يعد قادرا على الفكك منها رغم
استخدامه لكل خبرته السياسية .

كانت الخطوات نحو المصيدة قد اكتملت .

وكانت اسرائيل على وشك تنفيذ خطتها الهجومية التي أطلقت عليها
ساكوديا (الحمامة) .

الفصل الثاني

هزيمة عسكرية . . . بلا اعلام بيضاء

ان حرب ابناء النور ضد اولئك الذين
حاولوا اغراقنا فى الظلام قد انتهت .
« جنرال رابين »

« خسرنا معركة .. ولم نخسر الحرب »

جمال عبد الناصر

اطلقت (الحمامة) جارحة شرسة مثل صقر لينقض على فريسته ..
بدأت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تنفيذ خطتها المرسومة التى اختارت
لها الاسم الكودى الوديع ..

انطلقت اول موجة من الطائرات الاسرائيلية من قواعدها صباح الاثنين
٥ يونيو فى تمام الساعة الثامنة الا ربعا ، او التاسعة الا ربعا بتوقيت
القاهرة .. واتجهت حسب توقيت دقيق نحو ١٩ مطارا فى سيناء والقنال
والدلتا والصعيد .

واثناء الموجة الاولى للهجوم الاسرائيلي كان هناك حادث درامى مثير ..
طائرة المشير عبد الحكيم متجهة الى مطار (بير تماذا) فى سيناء ومعه قائد
القوات الجوية وقائد الدفاع الجوى ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ،

وعدد من كبار القادة ، وعدد من رجال الاعلام والمصورين ، كان مفروضا ان يكون واحدا منهم لولا اختلاف في الترتيبات الادارية والمواعيد .
طائرة المشير في الجوفريسة سهلة للمهاجمين . . وفي مطار (بيرتمادا) ينتظر كبار القادة الذين حضروا من مواقعهم بطائرات هليكوبتر لحضور المؤتمر الثاني للمشير في سيناء بعد اعلان حالة الطوارئ والتأهب القصوى .
ميز الطيار الطائرات الاسرائيلية وهي تقصف احد مطارات منطقة القناة فغير اتجاهه وابتعد بطائرته ، ولاحظ ذلك قائد القوات الجوية فدخل على الطيار في كابينة القيادة يستفسر منه عن سبب تغيير مساره ، وشاهد بنفسه الطائرات الاسرائيلية ، فأمر الطيار بالعودة الى مطار القاهرة الدولي بدلا من مطار الماظة . . وذلك حسب رواية الفريق صلاح الحديدي الذي كان مديرا للمخابرات الحربية في ذلك الوقت .

وعاد الفريق صدقي محمود الى المشير عامر ليبلغه بهذا الخبر المفاجيء . . .
واتفق الاثنان على ان ترد القوات الجوية بالهجوم تبعا لخطة تبادلية موجودة .
ولكن ركاب الطائرة لم يعرفوا جسامه التدمير الذي تعرضت له المطارات والطائرات اثناء تحليقهم في الجو . . والاشارة التي ابلغت للقوات الجوية من طائرة المشير وهي في طريق العودة لم تكن ذات اثر .
هبطت طائرة المشير في مطار القاهرة الدولي . . لم يكن في استقباله احد . . وهرع الى مقر القيادة العامة في مدينة نصر راكبا سيارة تاكسي قديمة ومعه العدد الذي استطاعت السيارة القديمة ان تحمله .

وفي نفس الوقت تقريبا كان كبار القادة تحت قيادة الفريق مرتجى قد تجمعوا في قاعدة المليس ينتظرون هبوط طائرة المشير . . وعندما لاحت في الافق طائرات اسرائيلية تطير على ارتفاع منخفض تدمر الممرات والطائرات وتقصف المخازن وغرفة العمليات . . وتبدد شمل الحاضرين واذهلتهم المفاجأة .

ولم تكن طائرة المشير وحدها هي التي كانت تحلق في الجو . . كانت هناك طائرة اخرى تحمل حسين الشافعي ، ومعه طاهر يحيى نائب رئيس وزراء العراق متجهة الى مطار فايد غرب القناة .
صحب وجود هذه الطائرات في الجو صدور تعليمات الى دفاعنا الجوي بالا يطلق نيرانه . . اي يكون مقيدا .

وهنا يثور تساؤل خطير عن الاسباب التي دعت المشير الى القيام بهذه الجولة في نفس التوقيت الذي حدده جمال عبد الناصر في مؤتمره مع القوات الجوية كموعده محتمل للهجوم الاسرائيلي .

وقد علل لي الفريق اول محمد فوزي رئيس هيئة اركان الحرب وقت العدوان ، ذلك بأنه كان نوعا من تحدى قيادة القوات الجوية لقرارات وآراء جمال عبد الناصر ، ومحاولة لاثبات وجهة نظرهم الخاصة .

كما قال لي ايضا ان ذلك يرجع الى ثقة المشير عامر المطلقة بمعلومات المخابرات الحربية والتي تبين انها كانت خاطئه ومضللة منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ويدلل على ذلك المخابرات قد قدمت تقريرا في ٢٧ يوليو ١٩٦٧ بعد انتهاء العدوان تقول فيه ان قوات العدو تزيد ٥٠٪ عن تقاريرها السابقة .

كما ان تحليل المخابرات الحربية لعملية احتلال العدو لبعض المواقع الامامية في الساعة الواحدة من صباح ٥ يونيو استعدادا كان (تدعيم وتقوية الدفاعات في الخط الاول) .

ولذا فان وصول هذه المعلومات متاخرة اذ عرضها على شفيق على المشير في الساعة السابعة صباحا اي بعد ٦ ساعات من ارسالها وثقة المشير في تحليل المخابرات وتحدي قيادة القوات الجوية لرأى عبد الناصر في موعد الهجوم ٠٠ كل هذا أدى الى طيران المشير في الثامنة من صباح نفس اليوم ٠٠ وتعريض نفسه للخطر ٠٠ وترك القوات المسلحة بلا قيادة فعالة في أدق لحظات الخطر .

وأوقف قليلا لنقل مارواه الفريق اول محمد فوزي حول تقارير المخابرات الحربية لتكتشف انها كانت « من أهم نقاط الضعف التي زيفت الحقيقة وخذعت القيادة العسكرية والسياسية معا » .
يقول الفريق اول محمد فوزي :

ودعونا نستعرض ما كانت ترسله المخابرات الحربية من يوم ١٥ مايو .
١ - يوم ١٥ مايو - مازالت هناك تجمعات عسكرية اسرائيلية في المنطقة الشمالية من ٥ الى ٧ لواءات ٠٠ وهذا خطأ .
٢ - يوم ١٧ مايو - الروح المعنوية للشعب الاسرائيلي منخفضة وهناك حالة منتشرة من الخوف والتساؤل في اسرائيل .
٣ - يوم ١٩ مايو - الاحداث التي جرت في المنطقة قد قللت من فرص اسرائيل في تحقيق المبادأة ودفعتها الى اتخاذ موقف التريث والانتظار .
٤ - يوم ٢١ مايو - ظهر نشاط نقل جوى الى الجنوب . الظروف ليست مناسبة لشن عمليات شاملة نظرا لفقد عامل المبادأة والمفاجأة ، علاوة على حاجتها للدعم العسكري الخارجى .

٥ - يوم ٢٤ مايو - الفريق صلاح مرتجى قائد الجيش الميدانى يقرأ تقرير المخابرات الحربية عن مقارنة القوات مدرعاتنا ٣ - مدرعات العدو ١ مشاتنا ٣ - مشاة العدو ١ قواتنا متفوقة كلها بنسبة ١ الى ٣ ٠٠ نحن ثلاثة والعدو ١ .

يوم ٢٤ مايو - كلام عن تغيير قادة الفرق واللواءات .
يوم ٢٦ مايو - اخطر تقرير مضلل عن اهتمام اسرائيل بمنطقة ايلات ووصول قوات اضافية (٣ لواءات مدرعة - ٢ لواء مشاة - ١ كتبة دبابات) .
يوم ٢٧ مايو - زيادة نشاط العدو تجاه الجنوب . تعزيز بلواء ٠ وهذا استمرار فى الخطأ .

يوم ٢٨ مايو - موضوع عن اسر مجموعة عمليات مدفعية . كانوا ثلاثة ضباط أو اثنين ٠٠ تاهوا واسروا .

يوم ٢٩ مايو - أمر المشير عبد الحكيم عامر بفتح مركز قيادة متقدم في الميثان ، وتحريك عربات القيادة كلها الى هناك وكانت عربات ضخمة .
يوم ٣٠ مايو - تأكيد عن نشاط العدو فى وادى الحران ، وادى نصاب

المعين • المحور الجنوبي • تعليمات من هيئة عمليات قيادة الجيش الميداني بتأمين الاتجاه التعبوي الجنوبي •

يوم أول يونيو - أكد مكتب مخابرات العريش ان عزم العدو وشيك على القيام بعمليات تعرضية ضد الاتجاه الجنوبي ، واحتمال اسقاط جوى معاد جنوب الكنتيلا • والتقرير يؤكد شن عملية هجومية ضد الاتجاه الجنوبي •

يوم ٢ يونيو - اسرائيل لن تقوم باى عمل عسكري تعرضى ، وان الصلابة العربية الراهنة ستجبر العدو وبلاشك على ان يقدر العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع الحرب فى المنطقة •

ويعلق الفريق اول محمد فوزى على ذلك بقوله :

اننى اقول ان هذه التقارير مفضلة جدا • وقد انتشر هذا التخريب بين القوات فى ذلك الوقت • وتأثيره طبعاً فى الاتجاه المعاكس • خداع وتضليل • تقاعس وبلبلة • اسرائيل لن تهجم • تقليل درجة الاستعداد تلقائياً ، وقد حدث هذا من قوات او من قادة •

وهنا يجب ان نلاحظ ملاحظة هامة :

ان تقرير المخابرات الحربية موضع الثقة الكاملة من المشير يقول فى ٢ يونيو ان اسرائيل لن تهجم • • هذا فى نفس الوقت الذى كان فيه تحذير من الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية على ان الهجوم سيتم !!

ولم تكن هناك طلعات استطلاع متوافرة كثيرة ، لكى تؤكد او تنفى كلام المخابرات الحربية • وخرجت طلعة استطلاع واحدة او طلعتان فى الجنوب لتعرض موضوع الحشد • وجاءت منها صور عن العقبة وليس عن ايلات • • والطلعة الثانية لم تؤكد التأكيد المضبوط • • ومع ذلك • • فقد تم التصديق على تقرير المخابرات بأن هناك حشداً موجوداً كما قدره بثلاثة لواءات مدرعة واثنتين لواء مشاة ميكانيكى وواحد كتيبة دبابات وعززت بلواء آخر •

وهنا ينبت الشك فى الصدر لاختيار اسرائيل هذا التوقيت • • فمن المحتمل أن تكون بعض المعلومات قد تسربت الى العدو • • أو ان تكون بعض الاشارات قد التقطت ، واختير التوقيت للهجوم بناء على ذلك •

واقع مثير • • كل قيادات القوات المسلحة سواء فى القاهرة أو الجبهة بعيدة عن مواقعها • • ومصدومة بالهجوم الاسرائيلى المباغت •

وعندما وصل المشير عامر الى مقر القيادة ، وقبل ان يصل قادة وحدات سيناء الى مواقعهم ، كان كل شىء قد انتهى تقريباً ودمرت معظم قواتنا الجوية • وعندما ارسلت قيادة القوات الاردنية التى كان يرأسها الفريق اول عبد المنعم رياض اشارة الى القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادة القوات الجوية ، تبلغها بما سجلته شاشات الرادار من قيام موجات متتالية من الطائرات الاسرائيلية ، لم تثمر هذه الاشارة شيئاً ، فقد كان مفتاح الشفرة قد تغير صباح ٥ يونيو ، ولم يتمكن من استقبالها فى القاهرة من فك رموزها فوراً • • وعندما حلت الشفرة كانت قد وقعت الواقعة •

ويشير الفريق صلاح الحديدى ماسبق ان اشار اليه الفريق اول فوزى حول هجوم قوات اسرائيلية على موقع متقدم عند الحدود فى (ام بسيس)

واستيلائها عليه بعد اشتباك قصير بالنيران في الساعة والنصف صباح ٥ يونيو ٠٠ ويقول ان قائد الموقع قد ارسل ما ابلغته به نقط المراقبة ليلة ٥/٤ يونيو (الساعة الواحدة صباحا) من وجود تحركات غير طبيعية للقوات الاسرائيلية ٠٠ ولكنه علم فيما بعد ان هذه الاشارة لم تعرض على قائد الجيش في سيناء الا بعد ظهر يوم ٥ يونيو . لانه كان مشغولا في الصباح باستقبال المشير ٠٠ ويقول ان الانذار لو وصل في موعده لكان هناك احتمال بتغيير الموقف .

وكانت هذه هي الحالة لحظة البدء في تنفيذ خطة (الحماية) . . كل الظروف مهيأة لتحقيق اهدافها . . والى جانب هذا الاضطراب الشديد في مواقع القيادات ، وصدمتها من مفاجأة الهجوم هي بعيدة عن مراكز رئاستها . فان كتاب (حرب الايام الستة) يضيف عوامل جديدة وضعها الاسرائيليون في تقدير موقفهم لتحديد انسب توقيت للهجوم :

١ - تجاوز فترة الفجر والصباح الباكر التي تكون الطائرات المصرية فيها في حالة انذار وجاهزة للتخليق خلال خمس دقائق .

٢ - الهجوم عند الفجر يجبر الطيارين الاسرائيليين على النهوض عند منتصف الليل اما تأخيرهم الى التاسعة فيترك لهم فرصة الراحة والنوم حتى الرابعة صباحا .

٣ - التأكد من ارتفاع الضباب الذي يغطي دلتا النيل في الصباح الباكر معظم الايام .

٤ - التاسعة الا ربعا هو الموعد الذي يتحرك فيه الضباط المصريون عادة الى مواقعهم فيكون الهجوم مفاجأة لهم .

ولكن كل هذه العوامل التي اثارها تشرشل تدليلا على حسن اختيار ودقة التوقيت الاسرائيلي ما كان لها ان تنجح هذا النجاح الساحق لو كانت القيادة العليا للقوات المسلحة ، قد اخذت تعليمات جمال عبد الناصر باحتمال الهجوم يوم ٥ يونيو مأخذ الجد ، وأعدت خطتها على هذا الاساس .

لم يكن مفهوما ان يتحرك نائب القائد الاعلى المشير عامر في طائرته وبغير حراسة الى مطار متقدم في سيناء في نفس اليوم الذي يتوقع فيه الهجوم .

ولم يكن مقبولا ان يسهر ضباط القاعدة الجوية في انشاص في حفلة ساهرة ليلة ٥/٤ يونيو تغنى فيها المطربة شريفة ماهر .

ولم يكن طبيعيا وقد تحددت استراتيجيات الدولة في التزام خطة دفاعية ان يندفع الى سيناء مايزيد عن ٨٠٠٠٠ جندي البعض منهم في ملابس مدنية، وعدد من الوحدات تنقصه الحملة والاسلحة ٠٠ وان تظل الطائرات رابضة على الارض في المرات الجوية للمطارات الامامية في سيناء .

وعندما وصل المشير عامر الى مبنى القيادة العامة انتقل مباشرة الى الدور السفلى من المبنى الكبير الشديد الوضوح للطائرات المهاجمة .

يقول الفريق اول محمد فوزي ان المشير قد طلب من الفريق اول صدقي محمود معلومات عن القوات الجوية

وقد اجاب الفريق اول صدقي بذكر الحقيقة عن القوات الجوية بعد

انتهاء الضربة ، وكان لذلك تأثير عنيف على المشير شخصيا ، كما ان الفريق اول صدقى نفسه كان متأثرا كذلك .

ولا شك ان هذه الكارثة قد تسببت من قصور شديد فى الدفاع الجوى وهو امر لم يكن مجهولا ولكنه كان مهملا .
ويؤكد الفريق اول محمد فوزى ذلك بقوله :

(من ناحية قصور الدفاع الجوى عن ملاحقة الطيران المنخفض حصلت اشارة لهذا الموضوع ، وكتب تقرير او نصيحة من الاتحاد السوفيتى بعد زيارة كبيرة جاءت الى مصر . . . وللأسف حتى تقريرهم لم يطبع ولم يوزع . . . بل ولم يترجم وبقي مختبئا . . . فكان النقص فى الدفاع الجوى معروفا . . . ولم يكن فى فكر القيادة احتمال بأن العدو سوف يصل الى أهدافه على الارتفاع المنخفض الذى وصل اليه يوم ٥ يونيو وبعد هذا اليوم .

ويروى الفريق صلاح الحديدى قصة مادار فى هذه اللحظات فيقول :
بدأت الاتصالات مع قائد الجبهة وقائد الجيش الميدانى لتفهم المواقف وانوقوف على آخر المعلومات ، وكان المشير شخصيا هو مركز هذه الاتصالات ، واضطر فى بعضها الى التعامل راسا مع القادة الرؤوسيين لعدم وجود قادتهم فى مراكزهم اما لعدم وصولهم بعد من المطار - الذى كانوا يستعدون فيه لاستقبال المشير - او لوجودهم فى مكان آخر للتعرف بأنفسهم على الموقف وسير الامور .

كانت هيئة القيادة التى تكون المستشارين فى مختلف الشئون وعلى رأسهم رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة ، تحتل الغرف المجاورة ، عاكفة على تجميع المعلومات عن الموقف للامام به . ثم تقديم الاقتراحات المناسبة نوطئة ليتخذ القائد العام قراره فى ضوء هذه الدراسة ، ولكن هذا الاسلوب السليم الذى سبق التدريب عليه ، والذى يعتبر احدى الثمرات الهامة التى جنيناها من الدراسات النظرية فى اكااديميات ومعاهد الاتحاد السوفيتى ، بالاضافة الى ما بذله الخبراء السوفييت ليكون هذا الاسلوب تقليديا وتلقائيا فى التشكيلات والقيادات لم يلبث ان توقف نظرا لتضارب المعلومات التى كانت تصل الى القائد العام من جهة والى مستشاريه من جهة اخرى ، بالاضافة الى تدخل بعض كبار الضباط - الذين لا يشغلون وظائف رسمية ترتبط ارتباطا عضويا بالمعركة - وكان معظمهم فى غرفة المشير ، تدخلوا بعيدا عن المسئولية . .
كل هذا بجانب التغير السريع الذى كان يطرأ على المواقف فى الجبهة ، جعل المشير تدريجيا غير قادر على اتباع الاسلوب العلمى السليم فى ادارة المعركة ، وصار هو فقط وبمفرده مصدرا للمقرارات دون الرجوع الى مستشاريه ، بل وفى كثير من الاحيان لم يكن هؤلاء المستشارون يعلمون بهذه القرارات الا بعد فوات الاوان وعن طريق المصادفة فى معظم الاحيان .

تعطى هذه الصورة التى رسمها احد كبار قادة القوات المسلحة دليلا على ان القيادة العامة لم تكن فى مستوى الكفاءة لادارة حرب وطنية .
ولم يكن ذلك أمرا مفاجئا . كما انه لم يكن نتيجة لما حدث من أخطاء فقط . . ولكنه كان خطأ كبير بدأ عند ترقية عبد الحكيم عامر من رتبة صاغ الى لواء دفعة واحدة فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة .

ثم ظهور هذه الفئة من الضباط المقربين الى المشير الذين افسدوا الانضباط العسكرية بصلاتهم الخاصة .. واخراج عدد كبير من الضباط الاكفاء للعمل خارج الجيش في الوزارات المختلفة للتخلص من شخصياتهم المحبوبة او المؤثرة وضياح حرب ١٩٥٦ بلا محاسبة للمقصرين وخاصة قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود الذي فقد قواته الجوية للمرة الثانية .. والانزلاق في حرب اليمن دون وقفة تأمل وحساب للاستلزام الذي ساد القوات المسلحة ، ودفع الضباط الى السعي وراء الكسب والمنفعة الشخصية .. ثم الاستمرار في تغليب الولاء على الكفاءة الى الحد الذي وصل به شمس بدران ووزيراً للحربية وابتعد عن مواقع القيادة بعض من حصلوا على دراسات عليا في اكااديميات الاتحاد السوفييتي .

لم تكن الحالة المضطربة التي واجه بها عبد الحكيم عامر الموقف جديدة او شاذة .. فقد سبق أن تم الانفصال عام ١٩٦١ بين يديه وهو في دمشق .. ومع ذلك فقد ظل في موقعه معتمدا على حب الضباط له لما كان يفدقه عليهم بلا حساب او نظام .. والواقع ان شخصية عامر بقدر ما كانت عامرة بالعواطف الانسانية ، كانت فاقدة للمؤهلات التي تجعل منه قائدا عسكريا .

وكان رد الفعل الاول عن العدوان في مصر هو ماأذاعه راديو القاهرة في العاشرة الاخمس دقائق بعد خمسة واربعين دقيقة من اذاعة اسرائيل التي قالته : (القوات الاسرائيلية تهاجم طابورا مصريا مدرعا يتحرك نحو اسرائيل) وقالت اذاعة القاهرة (أيها المواطنون : اليكم انباء هامة .. بدأت اسرائيل هجومها على الجمهورية العربية المتحدة ، وقواتنا تواجه العدو وسنوافيكم بالاختبار فيما بعد) .

أذيع بيان القاهرة بعد ان سمع السكان اصوات انفجارات القنابل في مطار غرب القاهرة وانشاص ثم مطار القاهرة الدولي ، وسمعها معهم المسئولين .

كان جمال عبد الناصر في منزله .. وكان كل المسئولين ايضا . عندما سمعت اول اصوات للقنابل اتصلت تليفونيا بشعراوي جماعة بصفته أمينا عاما لامانة طليعة الاشتراكيين ، لاستفسر منه عن حقيقة الموقف ، وأتعرّف على مايجب علينا ان نعمله .

كان شعراوي جماعة قد تلقى خبر الغارات قبل ذلك بدقائق ، ولم يكن يعرف واجبا واضحا لطليعة الاشتراكيين او للاتحاد الاشتراكي ، ويبدو أن واجبه كوزير للداخلية قد اخذ كل انتباهه .. وعندما قلت له اني ساذهب الى مقر الامانة في مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وافق .. وأسرعت الى هناك فلم أجد الا بعض الموظفين الاداريين الذين التفوا هم الاخرون حول مذياع يتحرك بين محطة القاهرة واسرائيل .

ولم تكن هذه الحالة من الاضطراب غريبة او شاذة ايضا .. بل كانت طبيعية ، حيث لم يتشكل التنظيم الطليعي او الجماهيري على اسس حزبية وسياسية سليمة ، تتيح له قدرا من الديمقراطية الداخلية ، وتوفر له واجبات اساسية وتوحد بين اعضائه في ايدولوجية اشتراكية واضحة ، وتؤهل له لمواجهة معركة وطنية يفترض فيها ان يكون في مركز القيادة للجماهير .

ولم يقتصر هذا الموقف على الاتحاد الاشتراكي .
رئيس الوزراء محمد صديقي سليمان لم يسمع بالحرب الا وهو في
سيارته متجها من منزله في الهرم الى رئاسته مجلس الوزراء ، ولاحظ تجمع
الناس ، ولما سال السائق علم ان هناك غارة :
قال لي صديقي سليمان انه عندما سمع ذلك اتجه الى القيادة العامة
للقوات المسلحة .

لم يكن هناك تدريب على المعركة يقضى بإبلاغ رئيس الوزراء في أي مكان،
حتى في العربية التي يتوفر لها جهاز تليفون .
وفي القيادة العامة للقوات المسلحة كان الموقف مضطربا . . أصيبت
القيادات العليا بصدمة شديدة من الضربة المفاجئة التي ألحقت بقواتنا الجوية
خسائر قاتلة .

يقول حسن ابراهيم انه عندما سمع نشرات الاذاعة وأصوات القنابل
اتجه الى منزل زميله عبد اللطيف البغدادي ، ومن هناك قرب الظهر اتصل
بجمال عبد الناصر الذي كان لا يزال في منزله ، وأبلغه استعدادهما للعمل
في أي مكان تفرضه المعركة ، فطلب منه جمال ان يتصل بالمشير .
وتوجه الثلاثة : البغدادي وحسن ابراهيم وكمال حسين الى القيادة العامة
حيث قابل المشير في مكتبه ومعه شمس بدران والفريق اول علي علي عامر .
قال لي البغدادي انه لما استفسر عن الموقف من المشير قال له في غيظانه
(زفت وانهم خسروا كل الطائرات في لحظة واحدة) . . ومع ذلك فقد قال
للبغدادي ان هناك خطة للقتال بدون غطاء جوي .

وعندما حضر جمال عبد الناصر كان مطمئنا وهادئ الاعصاب حسب
رواية البغدادي . . ولكنه عندما بدأ السؤال عن موقف قواتنا ، انكر المشير
علمه بحقيقة الخسائر قائلا انه لا يوجد بيان كامل بذلك . . ثم لما بدأ قراءة
مذكرة قدمها له شمس بدران عن سير الأحداث فوجيء بأن خان يونس قد
سقطت وان الاتصال مقطوع برفح . . وطلب من عبد الحكيم عامر معرفة الموقف
بالدقة من اجل اتخاذ موقف بالنسبة لقرار مجلس الامن الذي كان سينعقد
في نفس الليلة .

وقال البغدادي ان عبد الحكيم تظاهر بانهماكه في الرد على التليفونات
الخمس التي كانت تضج بالرنين ويتبادلها هو وشمس بدران ، ولما قال له
جمال عبد الناصر (فضي لي نفسك شويه يا عبد الحكيم) لم يرد عليه واستمر
في انشغاله بالتليفونات

وفاض الامر بجمال عبد الناصر ، ولم يجد سبيلا سوى الخروج من
القيادة العامة للقوات المسلحة تاركا المسؤولية للقائد العام .

وارتبط هذا الموقف بما قاله لي الفريق اول محمد فوزي من ان صلة
جمال عبد الناصر بالقوات المسلحة قد حددت بعد تقديم المشير استقالته عام
١٩٦٢ عقب تقديم عبد الناصر لمشروع قانون الى مجلس الرئاسة يحد من
اختصاصاته ويجعل سلطة تعيين قادة الكتائب في القوات المسلحة ومأموري
المراكز في الشرطة من اختصاص المجلس وليس المشير منفردا .

منذ ذلك الوقت وعقب اجتماع ٦٠ من كبار الضباط في مركز القيادة

العامه بكويرى القبة واحتجاجهم على استقالة المشير ومطالبتهم ببقائه ، ورضوخ جمال عبد الناصر للامر الواقع لصلته الوثيقة بالمشير اولا ، وثقته بأنه لا يفكر فى القيام بانقلاب مضاد .

منذ ذلك الوقت تغيرت الامور فى قمة القوات المسلحة وصدر قرار يحدد اختصاصات القائد الاعلى (جمال عبدالناصر) فى امرين اثنين فقط هما ترقية الضباط الى رتبة الفريق والفريق اول وحضور البيانات العملية والمنلورات التى يدعى اليها ، والتى يكون قد سبق اعداد بروفات لها .

كان جمال عبدالناصر بعيدا فعلا عن رؤية القوات المسلحة ومعرفة دقائق الموقف فيها ، ومستوى التدريب للقادة والجنود .

ولذا لم يكن خروجه من القيادة موقفا انفعاليا ، ولكنه كان نتيجة طبيعية لما استقرت عليه الامور ، وما ارتضاه من صمت على ما يدور فى القوات المسلحة .

قال صدقى سليمان ان جمال عبد الناصر بعد ان استمع الى الاخبار من المشير قال : (يله بينا ٠٠ خلينا نسيب المشير يتصرف)

وعند خروجه التفت الى عبد الحكيم وقال له : (طلع حاجة للبرايده) . وكانت الاذاعة قد بدأت تعكس الجو السائد فى القيادة منذ الصباح ٠٠ ويقول الفريق اول فوزى ان شمس بدران وعلى شفيق كانا يصدران بيانات وتعليمات . . ليس للقيادات ولكن للاذاعة .

اذاعت فى العاشرة والنصف اننا اسقطنا ٢٣ طائرة للعدو . وفى الحادية عشرة وعشر دقائق ارتفع رقم الطائرات التى اسقطناها الى ٤٢ طائرة .

وفى بيان الحادية عشرة وتسع وثلاثين دقيقة اعلن عن اثبتباك ارضى وارتفع رقم طائرات العدو ليصبح ٤٤ طائرة ، وسقطت لنا طائرتان فقط ونجا الطياران .

فى الحادية عشرة وثلاث وخمسين دقيقة اذيع اول بيان من القيادة العليا للقوات المسلحة ، يتحدث عن غزو اسرائيل شامل بدأ فى التاسعة صباحا ، وذكر ان الطائرات الاسرائيلية قد هاجمت مطارات سيناء والقناة وغرب القاهرة ، وقال البيان ان اسرائيل قد بدأت هجوما شاملا فى كل الميادين وان هذه الحقيقة قد اصبحت واضحة .

وفى الواحدة وثلاث واربعين دقيقة اذيع بيان وصل به عدد الطائرات المسقطه الى ٧٠ طائرة .

وفى الثامنة و١٧ دقيقة مساء اذيع بيان يحدد عدد الطائرات المسقطه بانها وصلت ٨٦ طائرة

كانت المبالغة الشديدة هى المحور الرئيسى للبيانات ، التى حجبت الحقيقة عن الشعب بالتمويه والخداع .

واذا كانت الحقيقة قد حجبت فى البداية عن القائد الاعلى للقوات المسلحة . . فانه كان طبيعيا ان تحجب ايضا عن جماهير الشعب .

ويمكن القاء المسئولية كاملة على القيادة العامة المنهارة . . التى لم تواجه الامور بجدية ومسئولية وطنية بعد مؤتمر ٢ يونيو الذى حدد فيه جمال

عبد الناصر موعد الهجوم .. والتي خشيت مواجهة القائد الاعلى بما يحملها الخزي والعار .

عندما علم جمال عبد الناصر بحقيقة الموقف تماما ، كان الجيش المصرى قد فقد قواته الجوية كلها تقريبا للمرة الثانية خلال ١٢ عاما ، ولم تعد المعركة سهلة .. بل لم تعد ممكنة .

القيادات العسكرية غرقت فى دوامة الاوامر المتناقضة ، وفقدان الحزم ، وضعف شخصية القائد .

والقيادات السياسية غائبة لا تعرف لها دورا تلعبه .
وخطه العدوان مستمرة لا تتوقف

تحديد الموعد ... ٥ يونيو

كتب مراسل (واشنطن بوست) يقول :
(اتخذ القرار بالهجوم على الدول العربية فى وقت متأخر من الليل فى الاجتماع الذى عقده مجلس الوزراء الاسرائيلى يوم ٣ يونيو ، اى قبل ٣٦ ساعة من الهجوم)

وتحديد الموعد كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل :

١ - الاتفاق الذى تم بين عبد الناصر وأمريكا على اساس محاولة تفادى الازمة سياسيا عن طريق سفر زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية الى واشنطن يوم ٦ يونيو ، وكان عبد الناصر بالتاكيد مخلصا فى رغبته ، ولا يريد ان اصور او اتهم جميع الاطراف فى الولايات المتحدة بانها كانت متواطئة مع الحكومة الاسرائيلية فى تخدير مصر بتحديد موعد هذه الزيارة لخلق نوع من الاسترخاء النفسى عند القيادة المصرية .. فقد صرح دين راسك وزير خارجيه الولايات المتحدة بعد العدوان انه ربما قد ساعد فى الضغط على الزناد ببلاغ اسرائيل عن زيارة زكريا محيى الدين ، فى الوقت الذى كانت اسرائيل فيه غير مستعدة لاعطاء اى تسوية دبلوماسية فرصة سلب خطتهم لنزع جمال عبد الناصر من موقعه ..

ويقول ناتنج فى كتابه (ناصر) ان اخبار زيارة زكريا محيى الدين لواشنطن قد اثارت اكبر قلق فى تل ابيب التى خشيت ان تؤدى علاقه زكريا محيى الدين الطيبة مع واشنطن الى اتفاق فى وسط الطريق ينقذ جمال عبد الناصر من المصيدة ، ويضع الحكومة الاسرائيلية فى مأزق امام جماهيرها بعد ان صعدت الازمة الى حدودها القصوى مركزة على الخطر الماحق المؤكد من التهديدات الغربية .

ولذا حرصت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية على قطع الطريق للوصول الى حل للازمة بالبدء فى العدوان فى اقرب وقت ..

٢ - كان توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن يوم ٣ مايو هو المبرر الذى استندت اليه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لتنفيذ خطتها العدوانية ، فقد اثارت الراى العام المحلى والعالمى ضد العرب وصورتهم فى صورة المتربصين لآبادة اسرائيل . وكان ذلك حافزا على سرعة وصول موشى ديان الى منصبه . (ليقود الشعب ضد الحصار الذى تفرضه الدول العربية المجاورة)

ولم يكن خافيا على اسرائيل ان الجيش الاردنى محدود القوة والتسليح لا يملك الا طائرات بريطانية قديمة من طراز هنتر ، ولكن اسرائيل وجدت في توقيع الاتفاقية تحقيقا لحلم من احلامها في الاستيلاء على الضفة الغربية ، حيث يعيش بقايا الشعب الفلسطيني في المدن او المخيمات .

كما ان اسرائيل اسرعت في تحديد موعد الهجوم بعد توقيع الاتفاقية نظرا لخشيتها من دخول الجيش العراقي المسلح تسليحا لا بأس به بأسلحة سوفيتية ، قذائف مدافعها يمكن ان تصل الى قلب تل ابيب من الحدود الاردنية . وطائراتها تعبر اسرائيل الى البحر الابيض في ٥ دقائق . وكان هذا هو العامل الذي وضعه جمال عبد الناصر في تقدير موقفه عند مناقشة تحديد موعد الهجوم الاسرائيلي مع القيادات العسكرية والسياسية في المؤتمر الذي عقد يوم ٢ يونيو ١٩٦٧

استفاد الاسرائيليون من الحركة السياسية العربية الى الحد الاقصى ، وجعلوا منها شبحا يهدد أمن بلدهم ، وجعلوا يضخمون التصريحات العربية العدوانية التي صدرت من بعض البعيدين عن المسؤولية الحقيقية لجعلوا منها المبرر الرئيسي للاسراع في الهجوم .

٣ - ساعد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في تحديد موعد الهجوم نقتهم و يقينهم من ان جمال عبد الناصر لن يطلق الاولى كما صرح بذلك اسحق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي لجريدة الموند في فبراير ١٩٦٨ عندما قال انهم كانوا يعلمون ان عبد الناصر لا يريد الحرب وان القوات التي دفع بها الى سيناء - فرقتان - لم تكن كافية . . ولذا توافرت لديهم حرية اختيار التوقيت دون ان يكونوا تحت ضغط احتمال قيام القوات العربية بهجوم شامل مستمر . . اصبحت الوقت ملكا لهم .

ولم يعد هناك من شرط لتحديد الموعد الا رغبة اسرائيل في تفادي الوصول الى عمل دبلوماسي يؤدي الى تسوية سياسية لازمة . . الامر الذي بجهض خطة (الحمامة) .

القتال على ثلاث جبهات

منذ ان اجبرت اسرائيل على الانسحاب بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وهي ترسم استراتيجيتها على اساس (الاعتماد على القوة الذاتية) حتى تتفادي أي تورط او تبعية لسياسة الدول الغربية ، بعد ان ادت مشاركتها في العدوان الثلاثي الى ان تصبح (دولة سنيئة السمعة) .

كانت السياسة الجديدة تقتضي خلق وتكوين قوة عسكرية متطورة ، واعادة تشكيل القوات المسلحة على اساس جديدة .

تولى مسؤولية تنفيذ السياسة الجديدة (حاييم لاسكوت) رئيس الاركان الذي خلف موسى ديان عام ١٩٥٨ ، والذي وضع مأسماه (برنامج الردع) ، الذي بدأت اسرائيل في تنفيذه عن طريق الحصول على احدث الاسلحة وخاصة في مجال القوات الجوية والصواريخ والمدفعية والمدركات .

يقول كتاب (العسكرية الصهيونية) ان اسرائيل قد اعتنقت المبدأ الذي

يقضى (بأن الهجوم هو الشكل الرئيسى للأعمال الحربية ، حتى يمكن حماية الاهداف الحيوية ، والتغلب على - ضحالة - العمق الاستراتيجى ، وبالتالي دعم عناصر الامن القومى الاسرائيلى، وكان لابد ان تعتنق اسرائيل مبدا عسكريا محددا بالنسبة لشكل عملياتها ، ويدور هذا المبدأ حول ضرورة نقل العمليات الحربية الى ارض العدو منذ بدايتها) .

واهتم وايزمان الذى عين قائدا للقوات الجوية عام ١٩٥٨ ايضا خلفا لدان تلكوفسكى باختيار الطائرات المناسبة لتحقيق هذا الهدف ، وصرح عام ١٩٦٣ بقوله :

(فى حالة الحرب مع العرب فان افضل وسائل الدفاع هو تجنب العمليات فوق ارض اسرائيل ، والعمل على تهديد دمشق ، واحتلال الضفة الغربية والاندفاع نحو قناة السويس ، فلواتكتفت اسرائيل بالدفاع عن تل ابيب فسيكون ذلك انتحارا جماعيا ، اذ ليس امامها اى عمل استراتيجى برى . لذلك فان العمل الاستراتيجى يجب ان يكون هو العمق الجوى)

هكذا حدد وايزمان فى عام ١٩٦٣ الاستراتيجية الاساسية لعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .

كانت اسرائيل قد رسمت خطتها (الحماية) على اساس الاعتماد الكامل على النفس ، مقدرة تعاطف الدول الغربية معها فى موقفها من قفل خليج العقبة راسمة سياستها الدعائية على اساس الظهور فى مظهر المدافع عن نفسه امام خطر التدمير .

يقول تشرشل فى كتابه (حرب الايام الستة) :

(كانت قيادة الجيش الاسرائيلى العليا مقتنعة ان اكبر خطر يهددها هو مصر ، ونظرا لضيق حدود اسرائيل ، ولكثافة سكانها ، لم يكن الاسرائيليون يجهلون ضرورة نقل المعركة الى خارج ارضهم : يجب ان يخرجوا جميعا ويجابهوا العدو فى سيناء) .

احتلت التهديدات الاردنية والسورية المرتبة الثانية .

فى لحظة بدء الهجوم الجوى على مصر لم يكن يحصى سماء اسرائيل سوى ١٢ طائرة وانطلقت بقية الطائرات التى تكمل ٤٠٠ طائرة لتنفيذ الخطة فى موجات متتالية بلغت ١٧ موجة ، وانتهت من اداء واجبها فى ثلاث ساعات الا عشر دقائق ، سجل فيها الطيارون ارقاما قياسية فى سرعة اعادة تعبئة الطائرات بالوقود والذخيرة .

ومن بين ٣٤٠ طائرة مصرية صالحة للعمل دمرت على الارض ٣٠٠ طائرة .

ولم تقتصر الخسارة على الطائرات وحدها ، ولكنها لحقت بالطيارين ايضا الذين تدربوا فترات طويلة وقام بعضهم بعمليات بطولية رائعة .

وخلال التركيز على ضرب المطارات المصرية لم تتحرك القوات الجوية السورية والاردنية بالسرعة والكثافة اللازمة للاحاق الضرر باسرائيل التى كانت سماؤها شبه مفتوحة لايدافع عنها الاعداد محدود من الطائرات . حاولت بعض الطائرات السورية ضرب مصفاة البترول فى حيفا وقصف

مطار ماغادو بالقنابل ، ولكن الطائرات الاسرائيلية لحقت بها ودمرتها قرب دمشق ، بعد ان الحقت باسرائيل اضرارا جسيمة .

وبعد التدمير السريع للطائرات المصرية . استدارت القوات الجوية الاسرائيلية لتدمير الطائرات السورية . .

وقصف الطيران الاردني مطارا اسرائيليا دمر فيه طائرة تقفل ، ورد الاسرائيليون على هجوم الطيران الاردني المحدود العدد ، فقصفوا مطار عمان والمفرق والحقوا بهما اضرارا فادحة .

وفي صباح ٦ يونيو قصف الطيران العراقي نائانيا فرد الاسرائيليون بتدمير قاعدة ه ٣ القريبة من الحدود الاردنية .

في مسار ذلك اليوم كانت ٤١٦ طائرة حربية لاربعة دول عربية قد دمرت وهي جميعا رابضة على ارض المطارات عدا ٢٤ طائرة اسقطت اثناء المعارك في الجو .

وخسرت اسرائيل ٣٧ طائرة .

كان ضياع القوات الجوية مؤشرا لنتيجة المعركة .

وكان دليلا على ان خطة العدوان الاسرائيلي قد اختبرت وجهزت منذ وقت طويل اولا . وانها اعتمدت على القوة الذاتية ثانيا .

اصبحت القوات المسلحة المصرية في سيناء عارية من الغطاء الجوي . .

واصبحت سوريا والاردن مكشوفة السماء .

وبدأت القوات الجوية الاسرائيلية في ممارسة دور جديد . هو الهجوم على القوات المسلحة في خنادقها ، او معسكراتها . . وبدأت القوات البرية هجومها بعد نصف ساعة من القيام بأول غارة .

كانت غزة اول هدف للجيش البرية الاسرائيلية ، حوصرت المدينة بينما هاجمت المدرعات خان يونس ورفح والشيخ زويد في معارك عنيفة ، ادت الى قتال مستمر في الشوارع لمدة يومين .

وسقطت العريش ايضا بعد مقاومة باسلة .

وبدأ هجوم اسرائيلي في منطقة ابو عجيلة . . ورغم فقدان المساعدة الجوية الا أن وحدات كثيرة حاربت ببسالة ، وقاومت في عناد .

والسير وراء احداث المعارك لا يعطى صورة صحيحة لقدرة القوات المسلحة القتالية ، ذلك انها كانت تتحرك بلا رأس تقريبا ، فقد أصيبت القيادة العامة بنوع من الاضطراب والفوضى . الذي ادى الى تشابك الاوامر ، وخلق جو من اليأس ، وسيطرة روح الهزيمة .

كانت صدمة المشير عامر بفقدان القوات الجوية اكبر من ان تستوعبها قدرته ، واكثر من ان يواجه الموقف بعدها في ثبات وشجاعة .

ومع ذلك تركزت الامور كلها عنده . . ويوضح الفريق صلاح الحديدي اثر ذلك فيقول :

(وصلت الفوضى نتيجة اتباع هذا الاسلوب ان قرارا تاريخيا ضخما وهو قرار الانسحاب والجلء عن سيناء بكافة القوات ، قد اتخذ دون الرجوع الى المستشارين والمحترفين ، بل ظلوا جاهلين به فترة من الوقت حتى احسوا برد فعله عن طريق المصادفة ، فحاولوا الاخذ بزمام الموقف دون جدوى) .

قال لي ضابط كبير مسئول في هيئة العمليات انهم سمعوا ان قرارا بالانسحاب قد صدر دون ان يعلموا به وانهم كتبوا مذكرة للمشير بوجهة نظرهم ، ولكنه لم يطلع عليها الا بعد ساعات نتيجة لتعذر مقابلته وهو في غرفة لا تبعد عنهم اكثر من امتار قليلة .

والمشير عامر لم يصدر قرار الانسحاب وحده دون الرجوع الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر . . اتفق الاثنان على ذلك .

قال لي زكريا محيي الدين ان قرار الانسحاب كان صحيحا . . ولكن طريقة تنفيذه كانت خاطئة . . ويقول اعضاء مجلس القيادة البغدادي وكمال حسين وحسن ابراهيم (انهم نصحوا عامر يوم ٦ يونيو باشتباك مدرعاتنا مع مدرعات العدو لان الالتحام يحيد الطيران الاسرائيلي . . . ولكن الوقت كان قسداً . .

وهنا لابد من الاشارة الى ان وجود اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين في مكتب عبد الحكيم عامر ليدلوا بملاحظات وتعليقات غير مدروسة كان يلقي عليه عبثاً عصيباً يدفعه الى المبالغة في تصرفات يحاول بها ان يظهر في مظهر القائد العام الذي لم تقعه الهزيمة . . والواقع ان تواجدهم كان اضافة الى حالة الارتجال السائدة .

كان أمراً بديهياً وطبيعياً ان ينفذ الانسحاب خلال اجراءات القتال الطبيعية . . فالمعروف ان الانسحاب هو مرحلة من اعقد مراحل القتال تحتاج الى ثبات ودقة في التنظيم .

ولكن الحالة النفسية التي سادت القيادة العامة ، وانفراد المشير باصدار القرار ، ادى الى (هرجلة) تنظيمية ، جعلت الامر بالانسحاب يصل الى بعض قادة التشكيلات المقربين من المشير قبل ان يصل الى القيادات المسؤولة . ويقول الفريق اول محمد فوزي :

وفي يوم ٦ يونيو استدعاني المشير بعد الظهر ، وقال لي : عاوز خطة عاجلة لانسحاب القوات غرب (القناة) وجلست مع الفريق انور القاضي واللواء تهاى وكتب الاخير ورقة بحضورنا بها خطوط عامة جدا عن امكانية واسلوب انسحاب القوات من سيناء الى غرب القناة ، تسحب القوات على ثلاث مراحل . . وهذا يستغرق ثلاثة ايام باربع ليال .

عدنا بعد عشرين دقيقة الى المشير الذي كان في انتظارنا واقفا على المكتب ، وحافظ رجله فوق المقعد . واقف وساند دماغه على ايده وعلى كوعه . وقرا اللواء تهاى الراى سريعا على المشير .

وهز المشير راسه بعدم الموافقة على الراى وقال : (ثلاثة ايام واربع ليالى يا فوزي . . انا اصدرت امر الانسحاب خلاص . .

وانصرف داخلا الى غرفة النوم التي كانت ملاصقة لكرسى المكتب متأثرا جدا . . يعنى دخلته الى الاودة ماكانتش عادية . . واحد متعب . . منهك . . منهار بيخلص من الموقف الى هوه فيه . واستدار ودخل الاودة موطى لدرجة اننى افكرت انه تعبان عاوز سرير . . يعنى واحد عاوز يرقد .

• • انهيار بالجملة • •

وبعد ذلك جاءت بلاغات من سيناء وطريق العريش عن اجراء انسحابات فردية ارتجالية • ثم علمت بتدخل كل القيادات واجهزة الامن ، شمس بدران على شفيق ، الشرطة العسكرية ، المخابرات الحربية • • كلهم تدخلوا في تبليغ أوامر فردية بالانسحاب - حسب هواء وبأسلوبه • الى غرب القناة •

وحدث انهيار لجميع القادة والافراد الموجودين في القيادة بعد انهيار المشير • •

ثم تمت زيارة الرئيس عبد الناصر الى المشير في غرفة نومه ، واستغرقت الزيارة دقائق • وخرج الرئيس متجهما بدون توقيع المشير كالعادة •

وحدث اول انسحاب من فرقة اللواء نصار • الفرقة الثالثة بدون ان يخطر قيادته • لا قائد الجيش ولا قائد الجبهة ولا التشكيلات المجاورة • بدأ الانسحاب ليلة ٧/٦ ارتجاليا ومنفردا تاركين معداتهم وأسلحتهم الثقيلة •

وحاول قائد الجيش تنظيم الانسحاب باصدار اوامر منها تمركز الفرقة الرابعة المدرعة في المضائق لتغطية الانسحاب حتى الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو •

لقد فقدت السيطرة نهائيا على القوات المسلحة ، كما فقدت الاتصالات • •

حدث انهيار • •

وعلم بعد ذلك ان تشكيلات تماسكت واستمرت متماسكة وبالذات في ام قطف لغاية بدء الانسحاب • ويصحح في الكونتلا ايضا •

وفي يوم ٧ يونيو استدعاني المشير عند الفجر •

قال لي عن صعوبة الاتصال التليفوني ، وطلب مني ان اذهب بنفسى ، واحاول الابقاء على القوات ، وبصفة خاصة الفرقة الرابعة المدرعة على خط المضائق ، بدلا من انسحابها غرب القناة •

• • محاولة مستحيلة • •

اصطحبت معى اللواء مصطفى الجمل • والسكرتير العسكرى ، وتوجهنا الى معسكر الجلاء في الاسماعيلية حيث وجدت قائد الجبهة الفريق اول مرتجى والفريق صلاح محسن واللواء احمد اسماعيل ولواءات اخرى كثيرة • • معظمهم أو كلهم • عرضت المحاولة على القادة جميعا ، فذكروا لي استحالة التنفيذ لقوات الوقت • وبحثت عن قائد الفرقة الرابعة المدرعة فلم اجده • وكنت قد علمت ان بعض عناصر الفرقة الادارية قد وصلت الى الهاكستب مساء يوم ٦ يونيو ، واقد أمرتها قبل مغادرتي القاهرة بالعودة الى الاسماعيلية •

فشلت مهمتى • وتم الاتصال مع المشير بواسطة الفريق اول مرتجى الذى اقنعه باستحالة هذا الوضع • ثم اتصل بى المشير في نفس المكالمة وأمرنى بالعودة • •

وعلمت قبل قيامى مباشرة انه تم اتصال تليفونى بين المشير وبين الرئيس عبد الناصر وقد طمأنه المشير على امكانية احتلال المضائق بقوات من الفرقة الرابعة المدرعة •

واسترسل الحديث بينهما في اخذ رأى الرئيس •

وكان رد الرئيس عبد الناصر : اشمعنى جى تاخذ رأيى دلوقتى .
والرئيس عبد الناصر ، يشير فى هذا الرد الى عدم اخذ رايه فى امر
الانسحاب . لقد كنت اعرف ان اتصالا جرى بين الرئيس عبد الناصر والمشير
عبد الحكيم عامر فى شأن الانسحاب . . ولكن الحديث الذى تم فى الاتصال
سمعته من الرئيس عبد الناصر فيما بعد وهو يشرح انهيار المشير عقب
النضربة الجوية » .

واختلطت الامور الى الحد الذى جعل الانسحاب يتم الى الغرب دون
تحديد خط دفاعى جديد . . كان معروفا لجميع القادة ان خط ممرات متلا والجدي
هو انسب الخطوط للمقاومة وعدم تحول الانسحاب الى حالة الذعر والفوضى .
وما يذكره الفريق الحديدي يعطى صورة واضحة للحالة التى كانت سائدة
فى القيادة فهو يقول :

« كانت انباء الاشتباكات فى سيناء تصل الينا فى القاهرة مشوشة وغير
كاملة . . وربما كانت ايضا متناقضة وغير سليمة . . اذ لم يكن هناك اسلوب
ثابت لنشر معلومات عن الموقف بطريقة منظمة على القيادات فى باقى الجبهات) .
ويقول ايضا :

(استشرى القلق والتوتر فى التشكيلات المرؤوسة كانعكاس طبيعى لما
اعترى قيادتنا الكبرى من شطط وشلل فكرى) .
بدأت الوحدات والتشكيلات تنسحب وحدها دون تنسيق ، تعتمد كل
وحدة على اوامر قائدها . . ووصل بعضها الى القاهرة مباشرة . . وقد اختارت
مثلا احدى الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات حديقة قصر الطاهرة معسكرا
لها . بينما اتجهت وحدات اخرى الى معسكراتها القديمة .

تضاربت الآراء والأوامر . . وانسحبت الوحدات والتشكيلات فى ظروف
شديدة القسوة من الناحيتين المادية والنفسية . . ولاقى الجنود عذابا
أثناء انسحابهم عبر سيناء فى شمس يونيو الحارقة . . وتعرض الجيش لمهانة
حقيقية من العدو الذى تحقق له انتصار اضخم كثيرا مما كان يحلم به .
ولو ان القيادة العامة للقوات المسلحة كانت فى مستوى المعركة . ولم
تفقد سيطرتها . . لتمكن للجنود ان يواصلوا القتال فى ظروف افضل ، رغم
عدم وجود غطاء جوى . . ولتمكن لهم الانسحاب الى خطوط دفاعية لا تصل
بالاسرائيليين الى الشاطئ الشرقى لقناة السويس . . وذلك حتى تتمكن القيادة
السياسية من الوصول الى حل ينقذ الوضع من الانهيار .

ولكن ما حدث كان هزيمة نفسية مدمرة ، كما كان هزيمة عسكرية مخجلة
ومن المؤسف ان القوات المسلحة لم تكن تنقصها الاسلحة الحديثة القادرة
على مواجهة الاسلحة الاسرائيلية . . ولم يكن الجنود فى حالة من التمزق
والانهيار مثل بعض ضباط القيادة العامة . . بل كانوا متأهبين للقتال فعلا .

المشكلة كانت فى ضباط الرتب العليا الذين استكان معظمهم الى حياة
بعيدة عن الروح العسكرية الصادقة . . وكانوا فى اعماقهم لا يتحمسون للثورة
ولا يؤمنون بالاشتراكية ، ولذا فقدوا - الى حد كبير - حسهم الوطنى
واستعدادهم لاداء واجبهم العسكرى .

كان الميثاق ينص على دخول رجال القوات المسلحة الى الاتحاد الاشتراكي والتفاعل مع الحياة السياسية للجماهير .. ولكنهم ظلوا بعيدا عن ذلك بدعوى التخوف من دخول الجيش في السياسة ، الامر الذي ترك فراغا هائلا في الوعي الوطنى والسياسى ، ولم يفسر للضباط او الجنود حقيقة دورهم في حماية الوطن والثورة والتقدم الاجتماعى .

ولايجوز التهوين من اهمية الحافز والشعور الوطنى عند المقاتلين .. كما انه لايجوز التقليل من اثر الثغرة الاجتماعية الهائلة التى ظلت باقية بين ضباط الرتب العليا وبين صغار الضباط والجنود ، والتى لم تنجح الثورة الا فى التقليل منها بأمور ثانوية وشكلية سواء فى الناحية الفكرية او الاجتماعية . خلال حكم الثورة تجددت نوعية صغار الضباط . وامكن لابناء الطبقة العاملة والفلاحين ان يدخلوا الكلية الحربية .. ولكن عملية التجديد لم تصل الى القيادات العسكرية العليا التى تحولت مع الوقت ورسوخ المصالح الى فئة لاتهم كثيرا بواقع المجتمع وتطوره .

ظلت عقلية ضباط الرتب العالية جامدة وغير مستنيرة من الناحية الاجتماعية او السياسية .. ولم تصل مطلقا الى المستوى الذى وصلت اليه القيادة السياسية للثورة .. كان جمال عبد الناصر اكثر استنارة ووعيا .. ولكنه لم يفلح فى رفع مستوى القيادات العسكرية الى الحد المطلوب فى قيادة معركة تحرير وطنى ضد الامبريالية .

كان هذا سببا من اسباب الفشل والهزيمة .. ولكنه لم يكن السبب الوحيد ..

أمريكا .. ووقف اطلاق النار

انتقلت آثار الهزيمة من ارض المعركة الى قاعات الامم المتحدة ومجلس الأمن .

الصورة الحقيقية للخسائر لم تكتمل امام جمال عبد الناصر الا مساء ٥ يونيو بعد مغادرته القيادة بعد ظهر نفس اليوم ، وسؤاله لعبد الحكيم عامر عن حقيقة الموقف حتى يستعد لمواجهة مجلس الأمن ، وتهرب المشير من الاجابة كما ذكر عبر اللطيف البغدادي .

كان حجم الخسارة كبيرا يصل الى حد الفاجعة ، وقيل لعبد الناصر انه لم يكن فى وسع الاسرائيليين وحدهم تحقيق هذا الانتصار ، وأن الامريكيين لابد وقد ساعدوهم بطريقة مباشرة .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ان جمال لم يكن مستعدا لقبول هذا القول على علاته ، وانه أراد تأكيدا يثبت هذه الاقوال .

وجاءت تقارير من القوات المسلحة تؤكد ان طائرات أمريكية قد حلقت فوق مصر ، وأن اتجاه الهجوم للغارات الجوية كان من الشمال وليس من الشرق .. بما يعنى مشاركة الاسطول السادس . وكان الفريق عبد المنعم رياض أحد الذين أبلغوا عبد الناصر باشتراك

طائرات أمريكية بريطانية فى العدوان على مصر وذلك خلال محادثة تليفونية بين القاهرة وعمان .

وتجاوبت هذه المعلومات مع فكرة جمال عبد الناصر التى تستبعد تماما قدرة القوات الاسرائيلية وحدها على تدمير القسوات الجوية المصرية فى مدة لا تتجاوز ثلاث ساعات . فاجرى اتصالا هاتفيا مع الملك حسين يوم ٦ يونيو سجلته مخابرات ياريف الاسرائيلية كما ورد فى كتاب جولييان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) وفى المكالمات اتفق الاثنان على توجيه الاتهام لأمريكا ، وقد اذاعت اسرائيل تسجيلات لهذا الشريط فى مؤتمر صحفى بعد يومين من التقاطه .

وأكد هذه الحقيقة فى نفس عبد الناصر مقابلة تمت بينه وبين السفير السوفيتى على غير موعد يوم ٧ يونيو يبلغه فيها ان كوسيجين قد تلقى رسالة من جونسون على الخط الاحمر تقول ان طائرتين أمريكيتين اضطرتا للمرور فوق المواقع المصرية لانقاذ الباخرة الأمريكية (ليبرتى) التى هاجمها الاسرائيليون ، وقد اراد جونسون من كوسيجين ان يبلغ عبد الناصر ذلك ليكون دليلا على صدقه

كانت هذه هى المرة الثانية التى يستخدم فيها الخط الاحمر بين واشنطن وموسكو .

المرة الأولى التى استخدم فيها الخط الاحمر خلال هذه الازمة كانت فى الثامنة من صباح ٥ يونيو بتوقيت واشنطن . ولم يكن قد استخدم قبل ذلك منذ تربيته فى ٣٠ اغسطس عام ١٩٦٣ الا فى تحية العام الجديد او فى رسائل الاختبار التى تتم كل ساعة .

الرسالة الاولى كانت من كوسيجين ، وقد اسرع نيكسون كما نشرت مجلة (تايم) الى الاجتماع مع وزير الدفاع روبرت ماكنامارا ووزير الخارجية دين راسك ورد سوف الذين كانوا معه فى البيت الابيض لحظة تلقى الرسالة . وكانت رسالة كوسيجين تقول (ان الدولتين العظميين يجب ان تتفاديا الصراع والصدام فى هذه الازمة . وان الاتحاد السوفيتى لا يخطط للدخول فى مواجهة ولكنه سيفعل ذلك اذا تدخلت الولايات المتحدة .

وفورا اجاب جونسون ومرافقوه على الرسالة قائلا ان الولايات المتحدة لاتنوى التدخل فى المشكلة .

وحرصا من جونسون على الظهور بهذا فانه بادر بارسال الرسالة الثانية عبر الخط الاحمر ، والتى يطلب فيها من كوسيجين ابلاغ جمال عبد الناصر بدور الطائرتين الأمريكيتين ، وكأنه بذلك يريد أن يطمئن الاتحاد السوفيتى على الموقف الأمريكى ، ويخفى عنه حقيقة التواطؤ والتآمر المستتر .

أكدت هذه الرسالة الثانية اذن واقعة عبور طائرات أمريكية مقاتلة فوق الاجواء المصرية .

ولم يكن جمال عبد الناصر فى حال يسمح له بقبول التبرير الأمريكى ولذا فانه عندما بلغ الامر عنده مرحلة اليقين بادر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا لأول مرة فى تاريخ الثورة رغم تأزم العلاقات بين الدولتين فى اكثر من مناسبة .

كان في ذلك تأكيد لحقيقة المشاركة الامريكية في العدوان . وتصعيد للموقف بما يرضى الجماهير التي قد تقبل الهزيمة من دولة كبرى ولا يستطيع تصورهما من دولة صغرى . . . واطلقت الاذاعة أغنية عبد الحليم حافظ التي أذيعت عدة مرات وكانت تقول (ولا يهملك باريس من الامريكان باريس . . . حواليك أجدع رجال)

وأذاعت دمشق تسجيلا مع طيار اسرائيلي اسقطته الطائرات السورية اعلن فيه ان ١٧ طائرة فولكان بريطانية قد انتقلت من قاعدة (اكرونيرى) البريطانية في قبرص الى اسرائيل قبل العدوان بعشرة أيام بهدف ضرب القواعد المصرية والسورية .

وقال الملازم الطيار الاسرائيلي ان طائرات كانت تتجه من قبرص لتضرب اهدافا مصرية وسورية ثم تعود الى مواقعها .

وقامت في معظم العواصم العربية مظاهرات ضد القنصليات البريطانية والامريكية ، وأوقفت العراق ضخ البترول ، وأغلقت سوريا ولبنان خط الانابيب . وأوقفت كل من الجزائر والعربية السعودية وليبيا والبحرين وقطر والكويت شحن البترول الى الدول التي تساعد اسرائيل .

وكان رد الفعل الامريكي تصريحاً لروبرت ماكلوسكى الناطق الرسمي للبيت الابيض قال فيه :

— ان هذه الاتهامات عارية تماماً من الصحة ، وهي مخترقة من اساسها .

وفي مجلس العموم البريطاني وقف هارولد ويلسون رئيس الوزراء ووصف الاتهامات العربية بأنها كاذبة قائلاً (كانت حاملة طائرتنا على بعد ألف ميل من منطقة القتال) .

لم يتحدث ويلسون عن حاملات الاسطول السادس . . . ولم يتحدث ايضا عن الباخرة ليبرتي .

والباخرة ليبرتي لعبت دوراً هاماً في العدوان ، فهي تابعة للاسطول السادس الامريكي ومجهزة بأحدث آلات الالتقاط والتجسس الاليكترونية وكانت تقف خارج المياه الاقليمية المصرية مباشرة في مواجهة غزة . ورسالة جونسون الى كوسيجين تقول ان الطائرات الامريكية قد حلقت فوق المواقع المصرية مضطرة وهي في طريقها لانقاذ (ليبرتي) من الهجمات الاسرائيلية .

وقد ظلت علامة الاستفهام قائمة تلاحق الدور الذي قامت به هذه الباخرة ، وتحاول كشف الاسباب التي أدت الى مهاجمتها من جانب الطيران الاسرائيلي . . . ولم ينكشف هذا السر تماماً الا بعد سنوات ، تماماً مثلما انكشفت خطة التآمر البريطاني الفرنسي الاسرائيلي للهجوم على مصر عام ١٩٥٦ بعد خمس سنوات من حملة السويس ، وذلك عندما نشرت مجلة (بنتهاوس) عام ١٩٧٦ كتاباً للصحفي المعروف انتوني بيرسون .

واضطرار الطائرات الامريكية للتحليق في الاجواء المصرية هو امر غريب في ذاته ، فحاملات طائرات الاسطول السادس كانت تراقب الوضع عن كثب وليبرتي كانت قريبة منها ايضا ، الامر الذي لا يخلق مبرراً مقنعاً لعبور الطائرات الامريكية في الاجواء المصرية .

ويقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب حرب الايام الستة :
(يجب الا يغيب عن بالنا الدور الذي لعبته هذه الحاملة (ليبرتي) فقدمت
لاسرائيل خدمات في مجال الرصد مما كشف القناع عن وجه امريكا
المتحيز .. وشاركت المراكز البريطانية في العملية واوعزت الى محطاتها في
جبل ترودس في قبرص بمراقبة الوضع بدقة متناهية)
ولكن الغموض ظل يحيط بهجوم زوارق الطوربيد والطائرات الاسرائيلية
ضد الباخرة .

وكما جاء في الكتاب السوفييتي (اطلاق الحمامة) فان الحادث التراجيدي
والمريب في الوقت ذاته لم يحرك فضول الصحافة الامريكية التقليدية ،
فالحكومة والمؤسسات الامريكية المختلفة لا تبخل في العادة بالكلمات كلما كان
الامر يتعرض للخسارة في ارواح العسكريين والمدنيين الامريكيين .. لكن
هذا الحادث لم يثر الا الصمت المطبق .. فالعواصف والزوابع لم تهب على
الذين تسببوا في هذه الخسارة الكبيرة .

ظل الصمت مثيرا للدهشة والتساؤل الى ان مزق الكاتب الصحفي
انتوني بيرسون الستار عن الاسرار التي ادت الى حادث السفينة .

يقول بيرسون (ان الحكومتين الامريكيتين والاسرائيليه قررتا في عام
١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي غير ممكن بسبب شعبيته
وقوة مركزه .. وأن الوسيلة الوحيدة للتخلص منه هي هزيمته في حرب
محدودة تفقده ثقة العرب واحترامهم ، وتمهد السبيل لتولي حكومه مواليه
للعرب توقف المد الثوري الذي كان يهدد النظم الصديقه للعرب في المنطقة .
لذلك اتفق الطرفان على ان تقوم اسرائيل بشن حرب محدودة ضد مصر
وجدها لتشمل الاردن وسوريا ، واستدرجت امريكا واسرائيل عبد الناصر
الى المصيدة » .

ساعد على بلورة هذا القرار في امريكا مستشارو جونسون من اليهود
المؤيدين لاسرائيل : ارثر جولدمبرج في الامم المتحدة . ووالتر روستو
مستشار الامن القومي . ويوجين روستو في الخارجية .

(ولكن اسرائيل امام النصر السريع كانت قد قررت عدم الالتزام
باتفاقها مع امريكا وانتهاز فرصة الحرب لتوسيع رقعتها لتشمل الضفة
الغربية والجولان وكل سيناء)

ويقول الكاتب ان اسرائيل كانت مطمئنة الى ان كل المعلومات
التي تصل الى امريكا حليفتها مصدرها المخابرات الاسرائيلية (موساد) وحدها
وعندما وجدت سفينة التجسس (ليبرتي) في منطقة العمليات قررت اغراقها
لتنفرد وحدها بتنفيذ مخططاتها التوسعية .

ويؤكد هذا انه رغم الاتفاق على مؤامرة واحدة الا ان المصالح
الاسرائيلية لا تذوب وتخضع تماما للمصالح الامريكية .. ولذا حرصت امريكا
على ارسال ليبرتي حتى ترصد أي تجاوز من جانب اسرائيل .

أصبحت (ليبرتي) مصدر كشف لمحاوله اسرائيل الانفلات من خيوط
المؤامرة المشتركة حيث كانت تسجل كل الاشارات .. وكان على ظهرها كما
جاء في كتاب (اطلاق الحمامة) بحارة يتكلمون العربية والعبرية .

ويقول الكاتب ان الهيكل الاساسى لنخطة وضعتة لجنة امريكية اسرائيلية مشتركة ضمت من جانب اسرائيل موسى ديان وبيجال آلون وشمعون بيريز وعازرا وايزمان رئيس العمليات وموردخاي هود قائد الطيران ، وانتهت الى ان افضل الحلول هو قيام اسرائيل بشن حرب محدودة على مصر لاتتعداها الى الاردن او سوريا .

ولما كشفت (ليبرتى) حقيقة الرسائل المتبادلة فى مصر واسرائيل ، وأسلوب تزوير المحادثات بين مصر والاردن عن طريق جهاز أمريكى اليكترونى نادر .

قررت اسرائيل ضرب هذا الجاسوس الذى يفصح تامرها . . وكان ان انطلقت الطائرات وزوارق الطوربيد لمهاجمة ليبرتى التى تبين من فحصها بعد ذلك انها تعرضت الى ٨٢١ اصابة مباشرة من الصواريخ او الرشاشات الثقيلة ، وانها نجت من الفرق بفضل مهارة قائدها بعد ان خسر طاقمها ٣٤ قتيلًا ، ٧٥ جريحًا ، وبيعت الباخرة بعد ذلك (خرقة) بعد ان سلمت الى وزارة التجارة الامريكية .

وأسرعت اسرائيل بتقديم اعتذار رسمى عن الحادث ، وأسرعت امريكا أيضا بقبول الاعتذار .

وكان يمكن لهذا الحادث ان يغرق فى بحر من الاسرار حتى لاتنكشف المؤامرة المشتركة ، لولا اصرار أهل بعض القتل من الضباط والجنود على الحصول على تعويضات كبيرة .

صرح متحدث رسمى باسم البنتاجون قائلا (يمكن تفهم امكانية وقوع الحادث نتيجة خطأ بشرى)

ولكن البحارة الذين رست بهم السفينة بعد الحادث فى ميناء تاليتا بمالطة أخذوا يتحدثون عن تجربتهم الرهيبة . . وقال جندي امريكى يهودى من بروكلين للصحفيين انه انتزع نجمة داود التى يضعها فى سلسلة على صدره وقذف بها الى البحر .

رفض أهل الضحايا المبلغ الذى قرره الحكومة وهو ٩٠٠٠ دولار ورفع والد احد الضحايا قضية امام محكمة العدل الدولية بلاهاى ضد الحكومة الاسرائيلية مطالبا بمبلغ ٥٠ مليون دولار . . ولكن القضية لم تنظر بناء على ضغط سياسى من الحكومة الامريكية كما يقول الكاتب الغربى . واستطاع والد أحد الضحايا ان يواصل الضغط حتى وصلت قيمة التعويض لابنه ربع مليون دولار .

ويتساءل الكاتب الذى تحدى نفى ديان بأن الهجوم كان متعمدا فى مؤتمر صحفى اذيع بالتليفزيون - فى النهاية (هل كان أمام الحكومة الامريكية خيار آخر غير ان تتستر على جريمة اسرائيل بضرب ليبرتى حتى لاينفضح دورها فى المؤامرة الكبرى؟)

وسواء صبح مانشرته مجلة (بنتهاوس) او لم يصح . . فمما لا شك فيه ان قصة ليبرتى سوف تكشفها الايام كاملة بكل تفاصيلها . . ولكنها فى كل الحالات تظهر بما لايقبل الجدل انه كان هناك تعاون وثيق وتخطيط مشترك بين المخابرات المركزية الامريكية والحكومة الاسرائيلية .

قطع العلاقات الدبلوماسية وتوجيه الاتهام لامريكا وبريطانيا بالمشاركة في العدوان لم يوقف القتال . . المأساة كانت تدور على أرض سيناء . وفي يوم ٧ يونيو توفرت فرصة لوقف اطلاق النار . . وكانت القوات الاسرائيلية لم تصل بعد الى شاطئ القناة ، وان كانت قد احتلت في مساء ذلك اليوم جميع اجزاء الضفة الغربية ، وسقطت القدس وجنين ورام الله وبيت المقدس وبيت لحم وحبرون واريحا .

يقول الكاتب انتوني بيرسون ان يوجين روستو في وزارة الخارجية قد استدعى السفير الاسرائيلي في هذا اليوم وأبلغه طلب الحكومة الامريكية بوقف الهجوم ، حتى تظل الخطة الاسرائيلية في حجمها المتفق عليه . عندما وجد الملك حسين انه لم يعد يملك سوى شرق الاردن طالب بوقف اطلاق النار ، واستجاب الاسرائيليون لذلك .

أما في الجبهة المصرية فقد صرح موسى ديان قائلاً : (لم تعد هناك أية عقبة تقف في طريقنا لكي نصل بقواتنا الى قناة السويس ولكن هذا ليس هدفنا ، لاننا لانسعى الى التورط في مشاكل دولية) .

كان الاتحاد السوفييتي قد اذاع مذكرة من موسكو موجهة الى اسرائيل يطالب فيها بوقف اطلاق النار (والا فان الاتحاد السوفييتي سوف يعيد النظر في موقفه تجاه اسرائيل ويتخذ قرارا يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية مع هذه الدولة التي يتعارض نشاطها مع الدول المحبة للسلام)

كانت طلائع القوات الاسرائيلية قد وصلت الى مشارف القناة عند القنطرة ، ولكن موسى ديان اصدر اوامره اليها بأن تعود الى الوراء اربعين كيلومترا .

كانت حكومة اسرائيل حتى هذه اللحظة - فيما يبدو - تريد ان تبقى القناة التي أغلقتها مصر باغراق بعض المراكب فيها يوم ٦ يونيو خارج النزاع طالما هي قادرة على الوصول اليها في اي وقت تشاء .

وأعلنت حكومة اسرائيل يوم ٧ يونيو انها على استعداد لوقف اطلاق النار بشرط ان تقبل الاردن وسوريا والعراق ومصر ذلك ، وغادر ابا اييان وزير الخارجية مدينة القدس ليعلن ذلك في الامم المتحدة . المدهش ان الرفض جاء من جانب الحكومات العربية غير الاردن التي فقدت الضفة الغربية .

كان ممكنا حتى هذه اللحظة الاحتفاظ بجانب كبير من الارض ، وانقاذ أعداد هائلة من الجنود الهائمين على وجوههم في صحراء سيناء ، ومنع الهزيمة من ان تكون كاملة ومشينة لكل دول المواجهة .

رفضت مصر قرار مجلس الامن في وقت كانت فيه كل دول مجلس الامن (قد قررت وقف اطلاق النار بغير شرط ولا موعد ولا حكم ولا اداة وبغير اشارة الى معتدى او معتدى عليه) كما جاء في كتاب جوليان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) .

وليس لهذا الموقف من تبرير سوى الامل في وصول امدادات سريعة تنقذ الموقف العسكري من الانهيار ، وتحفظ للقوات المسلحة المصرية قدرتها على الحركة من جديد .

ولكن الموقف كان اصعب واعقد من ان تنقذه اسلحة جديدة ، كطوق
نجاة . . لان العيب في البداية لم يكن في نقص الاسلحة ولكنه كان في نقص
قدرات القيادة العليا ، وفي ضعف روح معظم ضباط الرتب الكبيرة .
ضاعت فرصة قبول وقف اطلاق النار تحت ضغط رفض بعض الدول
العربية لقبول الامر الواقع ، وصعوبة التسليم بالهزيمة القاسية .

كان ألوف القتلى يتساقطون فوق صحراء سيناء من طلقات الرصاص
أو العطش وضربة الشمس . . وكان الاحياء يتعرضون لمهانة الهزيمة من
القوات الاسرائيلية التي صورت ذلك في افلام سينمائية كانت ترسلها يوميا
الى التليفزيون في مختلف دول اوربا لتعرض على الجماهير التي بهرها النصر
المفاجيء السريع ، الذي سبقته دعاية مدروسة ضخمة تظهر اسرائيل في مظهر
الدولة الوديعه المعرضه لهجوم جيرانها العرب من اجل تدميرها والقاء اليهود
في البحر .

والمندوب الامريكى جولد برج الذى أعلن في الامم المتحدة في اليوم
الاول للحرب ان الولايات المتحدة لا تعرف من بدأ القتال ، عاد فغير رايه
وتبنى الرواية الاسرائيلية التي ظلت تزعم في تبجح أن مصر هي التي بدأت
الهجوم ، وذلك كرد فعل للموقف المصرى من أمريكا الذي أثار عليها معظم
الدول العربية فقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها ، ولم تبق لأمريكا علاقات
الا مع المملكة العربية السعودية وتونس ولبنان والكويت فقط .
ومع ذلك كانت حكومة الولايات المتحدة لا تريد لخطه التآمر مع الحكومة
الاسرائيلية ان تنكشف تماما . . وكان الامر حتى هذه اللحظة يؤخذ بالقرينة
ولا يؤخذ بالمعلومات التي ظهرت فيما بعد .

وأدت الفرصة الضائعة في قبول وقف اطلاق النار الى تردى الموقف
العسكرى وانهيار جبهة القتال انهيارا كاملا . . ولم تفلح الخمسون طائرة
الجزائرية التي وصلت وشارك بعضها في القتال في تغيير شيء من الواقع
المؤسف .

وانتشرت القوات الاسرائيلية المسلحة في كل سيناء . . واندفعت
قوات موسى ديان حتى وصلت الى ضفة القناة فلم تجد هناك أوامر منه او من
اسحق رابين رئيس الاركان تقضى بوقوف القوات في مواقع لا تدفعها الى
التورط في مشاكل دولية - وشن اكبر هجوم بالدبابات فجر يوم ٨ يونيو .
كانت وقفة القوات الاسرائيلية تعنى انتظار انهيار النظام في مصر ،
واختفاء جمال عبد الناصر ، والوصول الى موقف يفرض فيه الاسرائيليون
شروطهم للصالح .

عبر ديان عن ذلك بقوله :
لقد حققنا أهدافنا السياسية والأمن من هذه الحرب ، الا انه يتعين علينا
التأكد من الطريقة التي نعرف بها ما يجب ان نعمل ، حتى لا تتكرر الظروف
التي أدت الى هذا النزاع) .

ولكن الآمال الاسرائيلية لم تتحقق . . فقد بقى النظام المصرى قائما ،
وعلى رأسه جمال عبد الناصر . . ولم يستجب المصريون للاذاعة الاسرائيلية
التي حاولت اثارتهم ضد زعيمهم خلال الخمسة عشر عاما السابقة .

قبلت مصر قرار وقف اطلاق النار تحت ضغط الكارثة ، وجنود اسرائيل قد وصلوا شاطئ القناة ، ولم يعد هناك من الاسلحة او القيادات ، ما يمكن ان يمنعهم من الوصول الى القاهرة .
كان قبول وقف اطلاق النار صدمة شديدة للذيلوماسيين العرب في هيئة الامم المتحدة ، الذين توقعوا هجوما مصريا مضادا ، وتأثروا بأخبار الدعاية التي لم تصور الموقف على حقيقته .

أبلغ محمد عوض القونى مندوب مصر الدائم في هيئة الامم المتحدة سكرتيرها العام يوثانت بقبول مصر قرار وقف اطلاق النار في الوقت الذي كان (فيدرنكو) المندوب السوفييتي يهم بالمطالبة بانزال عقوبات على اسرائيل .

وبعد قبول مصر وقف اطلاق النار . أعلنت سوريا في الساعة الثالثة بعد منتصف ليله ٩/٨ يونيو وقف القتال .
وكانت القوات السورية قد تقدمت يوم ٦ يونيو مسافة ٢ كيلو ثم وقفت على أمل الاحتفاظ بالارض المكتسبة .
خلال ايام القتال لم تشترك القوات السورية في معارك برية بعد فقدان قواتها الجوية

وعندما رافقت مصر على وقف اطلاق النار . كانت سوريا يوم ٩ يونيو هي الدولة العربية الوحيدة المجاورة لاسرائيل التي لاتزال محتفظة بجيشها .
كان قبول وقف اطلاق النار فرصة لانقاذ هذا الجيش . . في وقت كانت القيادة السورية فيه غير مرحبة كثيرا بالتقارب بين مصر التقدمية والاردن الملكية . ولم يكن الملك حسين حليفا مرضيا عنه في دمشق كما كان الحال مع القاهرة .

ولكن التوقع السوري لم يتحقق لان ذلك كان يتعارض أساسا مع الخطة الاسرائيلية التي كانت تريد ان تفرد ذراعيها على الارض العربية بأقصى مدى يمكن ان تصل اليه . وخاصة هضبة الجولان التي تطل منها القوات المسلحة السورية على الارض الاسرائيلية .

كانت تحصينات الجولان أقوى من ان تخترق اذا قرر قادة السورية المقاومة حتى الطلقة الاخيرة - فقد كانت المواقع شديدة الدسنة والخط الدفاعي منيع .

قال لي عبد الحميد السراج انه منذ زمن بعيد . وعلى عهد الوحدة كانت الدبابات التي هي في ذاتها حصون متحركة . متحصنة في خنادق تتيح لها الوقاية والحركة معا .

يقول جولييان بيزانسون في كتاب (حرب اسرائيل الخاطفة) :
(في فجر اليوم التاسع من يونيو كان القليلون جدا في اسرائيل يرضون عن فكرة ان تنتهي الحرب . بغير ان يعود الامن الى الحدود الشمالية للبلاد)

ولذا فانه لم تكذ تنقضى ساعة على قبول سوريا لوقف اطلاق النار حتى أعلن الناطق الرسمي بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي فى السادسة والنصف من صباح ٩ يونيو ان السوريين قد استأنفوا عملية ضرب المزارع الجماعية بقنابلهم . وكأنهم يخلقون ذريعة لمواصلة القتال .
وكان هذا التصريح مقدمة لهجوم اسرائيلي شامل بدأ فى الساعة السابعة صباح ٩ يونيو .

وجاء فى نفس المصدر السابق ان الامر بالهجوم كان قد تأجل مرتين . . الاولى يوم ٧ يونيو حيث غطت السماء سحب كثيفة . . ويوم ٨ يونيو حيث كان موسى ديان يود ان ينتهى من الجبهة المصرية حيث كان قد بدأ الهجوم الشامل بالمدركات . . وأى عمليات فى سوريا تعنى تأخير انتهاء القتال فى الجنوب ، (وجعل الدول الكبرى تشعر بالامتناع فتزيد من ضغطها على اسرائيل) .

بدأ الهجوم الاسرائيلي وكان مفروضاً ان يتم على وجه السرعة ، قبل أن يفتيق العالم الى ان الهجوم يشن بعد قبول وقف اطلاق النار .
كان القتال يدور على هضبة الجولان . الاسرائيليون يصعدون والسوريون يدافعون . وقاعة مجلس الامن تسمع الاتهامات المتبادلة بين الدولتين كلا منهما هى التى استأنفت القتال

وتوصل مجلس الامن الى قرار جديد بوقف اطلاق النار
ثم جاءت خطبة جمال عبد الناصر التى أعلن تنحيه فيها بمثابة الصدمة للقوات السورية ايضا . . فتحولت لهجتها وبياناتها فوراً من أن الاسرائيليين ينسحبون ، الى اذاعة أن القنيطرة (٣٠ ألف ساكن) ودمشق قد سقطت بينما هى مازالت فى يد الجيوش السورية .

كان هذا التغيير المفاجئ ، فى لهجة البيانات مشيراً للتساؤل . فليس طبيعياً أن تحطم الاذاعة السورية معنويات الشعب والقوات المسلحة السورية باذاعة أخبار انهزامية غير صادقة .

قال لى ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا فى ذلك الوقت أن هذه البيانات كانت تصدر عن وزارة الدفاع التى كان حافظ الاسد وزيرها . وترسل مباشرة الى الاذاعة .

ويعمل البعض ذلك بأنه كان نوعاً من تجسيم الخطر للاستنجاد بالسوفييت الذين استخدموا الخط الأحمر مع واشنطن للمرة الثالثة يوم ٩ يونيو محذرين من أن استمرار الهجوم الاسرائيلي سوف يؤدى الى كارثة وحيث قرر السوفييت التدخل العسكرى . . وقد دفع هذا الانذار أمريكا الى تقريب الاسطول السادس .

وبعد أن أعلنت الهزيمة وتقرر الانسحاب فى الاذاعة . . انطفأت الروح المعنوية للمقاتلين السوريين الذين توافرت لهم مواقع جغرافية أشد حصانه ومناعة من القوات المصرية والاردنية وبدأوا الانسحاب فعلاً دون مبرر عسكرى قوى يدفعهم الى ذلك ، فقد كان الالتحام بين قواتهم المدافعة والقوات الاسرائيلية المهاجمة . مانعاً فى حد ذاته من استخدام الطائرات الاسرائيلية .

وفي يوم ١٠ يونيو سقطت القنيطرة في يد القوات الاسرائيلية ، واحتل الاسرائيليون الشرفه السورية المنيعه التي كانت تطل على ارضهم .
وقال الجنرال رابين للجنود الاسرائيليين في البيان اليومى الذى اصدره بعد وقف اطلاق النار :

(ان حرب أبناء النور ضد أولئك الذين حاولوا اغراقنا فى الظلام قد انتهت) .

وهكذا قلب الجنرال رابين الحقائق ، وجعل من المعتدين أبناء للنور .
ولكن التاريخ لا يكتبه المنتصرون فقط .. المهزومون أيضا لهم فى التاريخ سطور وتأثير

انتهت الحرب ، وغرق العرب فى الظلام .
واستطاعت دولة صغيرة يسكنها مليونان ونصف من السكان ان تهزم جيرانها العرب ، بعد أن تحولت الى أكبر ترسانة حديثة فى المنطقة .

ضاعفت اسرائيل مساحتها أربع مرات من الاراضى العربية . واحتوت مليونا ونصف المليون من المدنيين .. وضمت الى حدودها آبارا من البترول تكفى استهلاكها والتصدير أيضا .

سقط أكثر من ٢٥٠٠٠ جندي عربى قتيل و ٥٩٢٠ أسيرا .. بينما سقط ٦٧٩ جنديا اسرائيليا قتلى وأصيب منهم ٢٥٦٣ جريحا .. وبلغ عدد الاسرى الاسرائيليين ١٨ ، أسر منهم ٩ فى مصر .

وفى مقابل ١٣٠ دبابة دمرت لاسرائيل .. فقدنا ١١٠٠ دبابة منها ٣٠٠ فى حالة صالحة للعمل ، وفقدنا ١٥٠٠٠ عربة نقل .

الهزيمة بشعة ، والخسائر جسيمة .
ولكن الهدف الرئيسى .. من العدوان لم يتحقق .. لم تستطع خطة (الحمامة) رغم روعة انتصارها أن تسقط النظام التقدمى فى مصر أو سوريا ولم تؤثر أيضا فى النظام الملكى بالاردن .

نجحت الخطة عسكريا .. ولكنها لم تحقق بعد أهدافها سياسيا .
خسر العرب معركة .. ولكنهم لم يرفعوا الاعلام البيضاء .. لم يستسلموا .

الباب الثالث

رفض الهزيمة

(ناصر .. ناصر .. لا رئيس الا ناصر)
(مكتوب على سلاحنا .. عبدالناصر كفاحنا)

مظاهرات الشعب المصري
يوم ٩ يونيو ١٩٦٧

الفصل الاول

رفض الهزيمة

لا صلح مع اسرائيل
ولا اعتراف باسرائيل
ولا مفاوضة مع اسرائيل

قرارات مؤتمر القمة العربي
بالخرطوم اغسطس ١٩٦٧ .

على قدر ماكانت الهزيمة العسكرية صدمة مريرة وقاسية ، على قدر
ما عبرت الجماهير عن رفضها لهذه الهزيمة التى لم تشارك فى صنعها .

كانت مفاجأة شديدة لمعظم الناس الذين طالعوا العناوين الرئيسية
لصحف الصباح يوم ٩ يونيو تعلن عليهم قبول وقف اطلاق النار ، وهم الذين
عاشوا قبل ذلك بأيام فى حلم الانتصار ، وخدرتهم الدعاية المكثفة عن قدرة
قواتنا المسلحة ، ثم تابعوا البيانات الحربية التى لا تحمل شبهة الهزيمة .
وتعلقت أعين الناس بشاشة التليفزيون ، والتصقت اذانهم بأجهزة
الراديو ، وهم ينتظرون كلمة جمال عبد الناصر .

كان الناس حيارى يتساءلون عما حدث ، ويناقشون الامر فى لهفة
وجزع . وينظرون الى الغد فى قلق
وظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون .

كانت الامور عنده قد وصلت الى حد لم يتوقعه .. فهو فى حركته الى المصيدة لم يتوقع الحرب ، وعندما خرجت الامور من يديه وأصبحت الحرب أمرا محتوما لم يتوقع هذه الهزيمة السريعة المخجلة .. كان يتصور ان القوات المسلحة قادرة على الدفاع ولو تلقت الضربة الاولى ، ولم يتوقع لقيادتها هذا الانهيار .

أما الآن وقد ضاع كل شيء ، فقد اعتبر نفسه مسئولا عما حدث ، وقرر ان يتنحى عن سلطاته ، وان يضع نفسه تحت تصرف الجماهير . يقول محمد حسنين هيكل اقرب الصحفيين اليه ان عبد الناصر اتصل به يوم الخميس ٨ يونيو وابلغه بقرار التنحي ، وكان رأيه ان يتنحى لشمس بدران وزير الحربية ، حتى يجنب البلد مشكلة الصدام بين القوى السياسية والعسكرية .

كتب هيكل خطاب التنحي وترك محل الاسم فارغا لم يكتب شمس بدران .. وأوضح لجمال عبد الناصر - حسب قوله - عدم اقتناعه بالتنحي لشمس بدران . وبعد مناقشة استقر رأى على زكريا محيى الدين على أساس انه أقدم اعضاء مجلس القيادة الباقية ، وليس على أساس انه قريب من الغرب كما لاحقته الإشاعات .

كان غريبا ان يفكر جمال عبد الناصر فى ان يخلفه شمس بدران، وليس هناك من تبرير لذلك الا اعتقاده فى هذه اللحظة ان شمس بدران هو الشخص الوحيد القادر على قيادة القوات المسلحة لانه زرع ابناء دفعته فى معظم المراكز القيادية الحساسة .. ولكن هذا التفكير على اية حال كان بعيدا تماما عن سلامة تقدير الموقف لصالح مصر ومواجهة الكارثة التى حلت بها .

ظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون كما لم يظهر من قبل . انحزن العميق فى عينيه .. والنبرة الهادئة تعطى لكلماته عمقا وثقلا .. قال جمال عبد الناصر :

اقول لكم بصدق - ورغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها - موتفى فى الازمة - فاننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها ، ولقد اتخذت قرارا اريدكم جميعا ان تساعدونى عليه .. لقد قررت ان اتنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى وان اعود الى صفوف الجماهير أودى واجبى معها كأي مواطن آخر .. ان قوى الاستعمار تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها .. واريد ان يكون واضحا امامهم انها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر ! .

ويقول محمد حسنين هيكل انه كتب فى الخطاب (اننى مستعد لتحمل نصيبى فى المسئولية) ولكن جمال عبد الناصر عدل العبارة بخط يده لتصبح (اننى مستعد لان اتحمل المسئولية كلها)

انتهى جمال عبد الناصر من خطابه الذى بدأ فى الثامنة الا الثلث .. واستغرق ٢٠ دقيقة ، ولكنه فجر فى مصر والعالم الخارجى انعكاسات هائلة .

كان قرار التنحي رغم انه كان نتيجة طبيعية لانهيار القوات المسلحة وتصدد النظام معها ، مفاجئا تماما للجماهير ، التى فقدت فى هذه اللحظة التعيسة والحرجة من حياتها ، الزعيم الذى ارتبطت به منذ تحمل المسئولية ، والذى

عاشت معه أياما مجيدة تكفلها انتصارات وطنية . ومكاسب اجتماعية .
ومثل الغريق يكاد يفقد طوق النجاة . خرجت الجماهير والخطبة لم
تكتمل بعد الى الشوارع . . متجهة الى دار جمال عبد الناصر . . تصرخ طالبة
منه أن يبقى في موقعه .

وليس صحيحا ما يحسول بعض الادعاء القول به من أن المظاهرات
التي اجتاحت شوارع القاهرة كانت مدبرة من جانب الاتحاد الاشتراكي ،
فهو شرف لأعتقد أنه يمكن اسباغه في سهولة على هذا التنظيم ، الذي هو
أعجز من القدرة على تحريك الجماهير بهذه الصورة الحاشدة .

لم تخرج المظاهرات في القاهرة وحدها . . ولم تخرج في المدن فقط .
ولم تقتصر على الجمهورية العربية المتحدة . ولكن المظاهرات قد عمت معظم
مصر وبلاد الأمة العربية . . وفي هذا جواب على اصحاب هذا الادعاء .

كانت حركة الجماهير في هذه الليلة على امتداد الوطن العربي تعبيرا عن
احساسها بخطر يهدد ثورتها جعلها تندفع في صورة قد تبدو عاطفية وتلقائية
ولكنها في الحقيقة كانت ذات مضمون أعمق من ذلك . . كانت التاريخ في لحظة
وارادة الشعب في موقف . . تثبتت الجماهير بالزعيم الذي لحقته الهزيمة . .
ولم يكن الناس قد اكتشفوا بعد بشاعة الخسارة .

وكان عبد الحكيم عامر ينتظر أن يشير جمال عبد الناصر الى استقالته
معه . ولما لم يسمع ذلك اتصل تليفونيا بمحمد احمد السكرتير الخاص لجمال
عبد الناصر ، وطلب منه ان يدخل ورقة الى عبد الناصر وهو يذيع البيان يبلغه
فيها ان المشير سوف يذهب الى الاذاعة لاعلان استقالته . وقد اشار عبد الناصر
بعدم الذهاب ، وقد اختفت صورة عبد الناصر عن شاشة التليفزيون في هذه
اللحظات القليلة .

وتصادف ان كنت مع زميلي وصديقي صلاح حافظ نائب رئيس تحرير
روز اليوسف في ذلك الوقت نجوب القاهرة بحثا عن مسئول نعرف منه حقيقة
الموقف ، ومررنا على وزارة الارشاد طلبا لمقابلة محمد فايق الذي كان قد اتجه
ومعه كل الوزراء والمسؤولين الى منزل عبد الناصر . . ووجدنا على خشبة
وكيل وزارة الارشاد عند الباب الخارجي لدخل الوزير منتظرا حضور المشير
عامر . ثم حضر اليه بعض ضباط الجيش وابلغوه ان المشير لن يحضر ولن
يسمح له باذاعة استقالته بنفسه .

وعندما تبين للمشير انه قد يمنع من اذاعة استقالته أرسلها الى وكالة
الانباء ، فاذاعتها مع استقالة شمس بدران أيضا .

بعد دقائق من اذاعة بيان التنحي كانت الشوارع قد امتلأت بعشرات
الالوف الذين هرعوا الى دار عبد الناصر بمنشية البكري، وظلت القاهرة ساهرة
طوال الليل تنتظر اشراق الصباح . والليل مظلم والانوار مطفئة والجو رهيب
. . وطلقات المدفعية المضادة للطائرات هي الصوت الوحيد الذي يعلو على
صيحات الناس وهتافاتهم ومناقشاتهم .

كان ممكنا ان تحترق القاهرة في هذه الليلة التي خلت فيها من المسؤولين
الذين توجهوا جميعا الى بيت عبد الناصر ، الذي قبع في غرفة نومه يسمع
حشود الناس ، وهو يتناول حبة منومة تنقذه من الجهد وتوتر الاعصاب .
كانت الاوامر قد صدرت لوححدات المدفعية المضادة باطلاق بعض الطلقات

اشـعـارـا للناس بخطر ما يمكن ان يقدموا عليه من اعمال مرتجلة غير محسوبة .

ولكن عشرات الالوف تصرفوا بحكمة ووعي ومسئولية . . الهتافات تقول (ناصر ناصر . . لا رئيس الا ناصر) — (ارفض ارفض يازكريا ، عبد الناصر مايه الماية) — (سجل سجل ياسادات احنا اخترنا جمال بالذات) — (مكتوب على قلوبنا ، عبد الناصر محبوبنا) — (وحياة السد لأقول الجد . . بعد عبد الناصر مافى حد) — (ياامريكا لمى فلوسك عبدالناصر جاى يدوسك) (مكتوب على سلاحنا . . عبد الناصر كفاحنا) . . (ماتقوليش ماتقوليش . . عبد الناصر غيره مفيش) .

زكريا محيى الدين فوجيء تماما بتنازل جمال عبد الناصر له ، وصمم على الرفض وأصر على اذاعة بيان بذلك . . وكان بعض الافراد قد حاولوا الاعتداء على محمد فايق وزير الارشاد وهو يدخل بيت عبد الناصر اعتقادا منهم بأنه زكريا محيى الدين .

لم يتفرق الناس طوال الليل ، وأصبح واضحاً ومؤكداً ان الشعب يرفض تنحي عبد الناصر ، وأنه لابد من جديد في الموقف .

اجتمع مجلس الوزراء فى ساعة متأخرة من الليل ، وأصدر بيانا بالاجماع يطالب فيه بأن يبقى جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية وأذاعت الاذاعة بعد ذلك بيانا من جمال عبدالناصر الى المواطنين يناشدتهم فيه ان يحافظوا على الهدوء وان يعود كل منهم الى اداء واجبه .

ولكن الناس فى الاقاليم كانوا قد بدأوا يتجهون الى القاهرة ايضا . واجتمع مجلس الامة فى الصباح واتخذ قرارا ببقاء عبد الناصر فى موقعه رئيسا للجمهورية . . وفى الواحدة الا الثالث يوم ١٠ يونيو كان الناس قد احاطوا بالمجلس من كل جانب عندما افتتح انور السادات رئيس المجلس الجلسة قائلا : ان جمال عبد الناصر لا يستطيع الوصول من داره الى مجلس الامة بسبب الزحام الشديد ثم قرا انور السادات نص الكلمة التى ابلغها الرئيس بالتليفون الى أعضاء المجلس ويقول فيها :

انا لا استطيع الا ان امتثل لارادة الشعب ، وسوف اهبه كل قواى حتى النفس الاخير ، وسوف ابقى فى منصبى حتى تتم تصفية اثار العدوان ولا بد ان نستخلص الدروس مما حدث) .

هدأت أنفاس الشعب ، وبدأت جموعه تنصرف بعد ليلة حافلة بالقلق والحزن والتوتر .

وبقى جمال عبد الناصر فى موقعه . . لم تستطع الهزيمة على فداحتها أن تقتلعه من مكانه او تهدم نظامه . . وهكذا لم تحقق الحكومة الاسرائيلية هدفها تحقيقا كاملا ، فقد نجحت عسكريا ، ولكن اعلام العرب البيضاء لم ترتفع استسلاما .

طويت صفحة الهزيمة شديدة السواد ، لتفتح صفحة جديدة فى حياة الشعب يجابه فيها المستقبل ، ويعبر نقطة تحول تاريخية فى أزمة الشرق الاوسط . وما كان للشعب ان يستكين للامور كما كان الحال قبل ٥ يونيو ، فقد

افاقت الناس من صدمة الهزيمة . وما عادوا يركنون الى الصمت (طالما
عبد الناصر موجود) .
وكانت هذه هى بداية رفض الهزيمة

التغيير

ارتفع شعار التغيير منذ اللحظة الاولى .
وكانت القوات المسلحة قد اصبحت بلا قيادة . . . وعندما استجاب جمال
عبد الناصر لارادة الشعب واسترد تنحيه يوم ١٠ يونيو ، ذهب عدد من كبار
الضباط فى نفس اليوم الى المشير عبد الحكيم عامر يطلبون منه العودة الى
منصبه . وبعد نقاش طويل وعدهم بذلك ، فطلب اليه الضباط ان يتوجه
الى مكتبه فى صباح اليوم التالى . . . ولما وافقهم على ذلك قاموا بتوزيع
الشربات كما يقول أحد الذين حضروا هذا اللقاء .
ولكن المشير لم يذهب الى مكتبه فى اليوم التالى ، وأصر هو وشمس
بدران على البقاء بعيدا عن السلطة لانه حسب تعبيره (البلد خربت ولا يمكن
حتتحل الأزمة) .

ويقول شمس بدران أنه حاول اقناع المشير بالذهاب الى قريته
(اسطال) بمحافظة المنيا . تجنباً لجو المجاملات ونفاق الضباط الذين احاطوا به .
ولكن المشير لم يطق البقاء هناك طويلا .

يوم ١١ يونيو لم تكن فى القوات المسلحة فرقة واحدة كاملة التنظيم
ولم يكن هناك تشكيلات متماسكة . . . وكان الاسرائيليون على بعد ١١٠ كيلو
من القاهرة . . . ومدركات الحرس الجمهورى كانت قد اتجهت الى منطقة
القنال .

وبادر جمال عبد الناصر وقد عاد له نفوذه الكامل على القوات المسلحة
من جديد يجرى تغييرات جذرية فى القيادات العليا .

وسجل يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ بداية مرحلة جديدة .
وأعلنت اذاعة القاهرة فى نشرة الثانية والنصف يوم ١١ يونيو تعيين
الفريق اول محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة . ومدكور ابو العز قائدا
للقوات الجوية واحالة الفريق اول سليمان عزت قائد القوات البحرية ومحمد
صدقى محمود قائد القوات الجوية وزملائهما من نفس الرتبة احمد حليم امام
وهلال عبد الله هلال وعبد المحسن مرتجى ، وجمال عفيفى وانور القاضى .
واللواءات عبد الرحمن فهمى وعثمان نصار وحمزة البسيونى واسماعيل لبيب
الى المعاش .

(يلاحظ ان الجيش قد خلا بذلك من جميع الضباط الذين حصلوا على
رتبة فريق اول وان الاصدقاء المقربين للمشير قد ابعيدوا ومعهم اللواء
ذو السمعة القاسية السيئة حمزة البسيونى الذى اقترن اسمه بالتعذيب
عندما كان مديرا للمسجن الحربى .

كان هذا التغيير يعتبر حدثا هاما فى القوات المسلحة ، ولكنه وحده
لم يكن كافيا . . . فقد كان كبار الضباط يشكلون فئة متماسكة بعيدة عن روح

وأمال ثورة يوليو ٥٥ ولكنه كان بمثابة البداية ، حيث ان هؤلاء القادة قد استقروا في مراكزهم رغم أخطائهم التي احتسبت على بعضهم أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

ولم يقف التغيير عند حدود القوات المسلحة ، فقد ركز جمال عبدالناصر كل السلطات فى يده ٥٥ أصبح أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكى بدلا من على صبرى ٥٥ وأصبح رئيسا للوزراء فى نفس اليوم ١٨ يونيو ١٩٦٧ .

الوزارة الجديدة التي رأسها عبد الناصر كان فيها ١٨ وزيرا من الذين كانوا ضباطا فى القوات المسلحة ، عشرة مدنيين ، وهذا يعنى زيادة نسبة الضباط فى الوزارة عن وزارة صدقى سليمان التي سبقتها والتي كانت تضم ١٥ ضابطا ، ١٧ مدنيا من بينهم ٣ نواب وزراء .

مازال جمال عبد الناصر يعتمد على زملائه ضباط القوات المسلحة السابقين ٥٥ ولم يعد هناك نواب لرئيس الجمهورية ٥٥ أصبح زكريا محيى الدين نائبا لرئيس الوزراء ، وحسين الشافعى نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف والمثثون الاجتماعية ، وعلى صبرى نائبا للرئيس ووزيرا للادارة المحلية ، وصدقى سليمان وزيرا للصناعة والكهرباء والسد العالي .

وعين بعد ذلك عبد المحسن ابو النور أميناً مساعدا للاتحاد الاشتراكى وفى ٢٢ يوليو عين أمين هويدى وزيرا للحربية واقتصر عبد الوهاب البشرى على الانتاج الحربى ٥٥ وكان قد عهد الى أمين هويدى بالاشراف أيضا على ادارة المخابرات العامة بعد احالة صلاح نصر الى المعاش .

لم يكن هذا التغيير كافيا عند الجماهير التي أدركت مع الوقت وتكشف الحقائق ، ان الانهيار لم يكن كامنا فى القوات المسلحة وحدها ، ولكنه كان موجودا فى بقية الاجهزة والمؤسسات بدرجات مختلفة . وان بقاء الوجوه القديمة وتغيير مواقعها مثل قطع الشطرنج لا يعد فى ذاته تغييرا مقبولا عند الجماهير .

كانت الجماهير تتعطش الى تغيير تنمو فيه الروح الديموقراطية ، وتنطلق طاقات الجماهير ، وتشارك فيه الطبقة العاملة والفلاحون مشاركة حقيقية فى السلطة .

كانت الجماهير تتعطش الى تغيير حقيقى يمكنها من مواجهة كارثة الهزيمة والتغلب على آثارها .

ولكن التغييرات التي حدثت فى الاسابيع الاولى بعد عودة عبد الناصر لم تكن كافية لاشباع رغبات الجماهير .

ولم يكن التغيير يعنى مزيدا من تركيز السلطة فى يده فى وقت تضخمت فيه المسئوليات ، وأصبحت هناك هموم شديدة قاسية يتحملها الزعيم الذى أصر الناس على بقاءه فى قمة السلطة .

وكان ممكنا ان تختفى فى هذه الفترة أضخم الاسماء من موقع المسئولية دون ان يثور تساؤل او يهتز انسان .

وكانت الفرصة متاحة لبعث الحياة فى الاتحاد الاشتراكى وفى طليعة الاشتراكيين ٥٥ وقد حدث فعلا ان انضمت بعض الشخصيات الى لجنة القاهرة للاتحاد الاشتراكى التي كان امينها العام عبد المجيد فريد ٥٥ انضم اليها احمد

بهاء الدين وفتحى غانم ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور وعدد آخر من الشخصيات المعروفة مثل سيد يوسف وزير التعليم السابق وسمير حلمى وزير الصناعة السابق وغيرهم .

أدت هذه الاضافة الى بعث نوع من الحيوية فى اللجنة . . . ولكن ذلك لم يصل الى القاعدة . . كما ان تعيين عبد المحسن ابو النور خلفا لعلى صبرى فى منصب أمين مساعد كان مثيرا للدهشة والتساؤل .

عبد المحسن ابو النور لم يعمل بالسياسة من قبل ولم يكن مرشحا لذلك طوال خدمته التى استمرت فى القوات المسلحة حتى اصبح يتولى منصبا رئيسيا فى الجيش الثانى بدمشق على عهد الوحدة ، وبعد الانفصال عين فى أول وزارة شكلت فى ١٨ اكتوبر ١٩٦١ وزيرا للإصلاح الزراعى واصلاح الاراضى ، وبقي فى قطاع الزراعة نائبا لرئيس الوزراء فى وزارات على صبرى وزكريا محيى الدين وصدقى سليمان حتى عدوان يونيو ١٩٦٧ .

صدر قرار خاص فى ٥ أغسطس ١٩٦٧ ليصبح عبد المحسن وزيرا للدولة الى جانب كونه امينا مساعدا . . وكان هذا التعيين فى رأى الجميع مؤشرا للرغبة فى بقاء الاتحاد الاشتراكى على حاله من الجمود . . فلم تكن لعبد المحسن مزايا تؤهله لتولى هذا المنصب شديد الحساسية والمسئولية سوى انه ليست له (شلة) كما قيل فى ذلك الوقت .

ويبدو ان موضوع (الشلة) كان يؤرق عبد الناصر كثيرا منذ بدأت خلافاته مع المشير وشلته فى القوات المسلحة ، فاراد اشخاصا ليس لهم اصدقاء ، وليس عندهم طموح خاص لتكوين (شلة) .

والواقع ان الحياة السياسية فى مركز السلطة كانت تتأثر كثيرا لعدة عوامل شخصية فى الدرجة الاولى ومنها :

١ - أبناء الدفعة اى الذين دخلوا الكلية الحربية فى عام واحد وتخرجوا فيها معا وهؤلاء كانت تربطهم صداقة من نوع خاص وعلاقة اجتماعية وطيدة تستمر الى ما بعد التخرج .

٢ - الشلة وهم مجموعة الاصدقاء الذين تلقى بهم الظروف لاقامة علاقات اجتماعية حول هوايات خاصة فى أوقات الفراغ ومنها على سبيل المثال لعب القمار او تدخين الحشيش او الجرى وراء النساء .

٣ - علاقات النسب وهى تظهر غالبا كثمرة للتواجد فى عمل واحد يفرض علاقات اجتماعية تؤدى الى المصاهرة وبالتالي الى التماسك وتبادل المصالح .

كان ضمور امل التغيير الى الحد الذى يعين فيه عبد المحسن ابو النور مسئولا رئيسيا فى الاتحاد الاشتراكى ، صدمة لكل الذين التهب صدورهم بمأساة الهزيمة ، وما عادوا يطبقون الصمت .

أما أمانة طليعة الاشتراكيين التى كان مفروضا انها تمثل القلب فى الجهاز السياسى فانها توقفت عن الاجتماعات مطلقا ، وكانها أصيبت بسكتة قلبية .

كان التوقف عن الاجتماعات مؤشرا اكيدا بعدم الرغبة فى بعث النشاط فى (طليعة الاشتراكيين) التى كانت هى الامل فى أن تتحول الى حزب اشتراكى

حقيقى فى يوم من الايام .

وهكذا ضاعت فرصة التغيير . . بل لعلها كانت موجودة ولم يقدم عليها جمال عبد الناصر لان ذلك فى مضمونه كان يعنى التخلص من معظم الجهاز الذى اقامته الثورة على امتداد سنوات حكمها . . ويعنى ايضا اجبار عبد الناصر على اجتياز الطريق الصعب فى اقامة تنظيم سياسى على اسس حزبية يتوافر له كادر قيادى متمرس بدلا من الاستمرار فى الطريق الاسهل . . طريق الاعتماد على المعرفة والعلاقات الشخصية . فى تحديد الاسماء التى تتولى مراكز المسئولية .

كان عبد الناصر قد اصبح مرتبطا بهذا الجهاز الذى خلقه خلال سنوات حكمه . . والذى ضم افرادا من المخلصين ، وافرادا من الانتهازيين والمنحرفين . ولم تكن عيوب الاشخاص وانحرافاتهم خافية على جمال عبد الناصر ، ولكنه كان يحفظ بهم فى مراكزهم طالما انهم يظهرون الولاء لشخصه والخضوع لارادته . . ولعل معرفته بالعيوب والانحرافات واشعار اصحابها بذلك كان يدفعهم الى مزيد من اظهار الولاء ، والضعف فى مواجهته ، خشية افتضاح امرهم .

ولم يكن هذا فى طبيعته اسلوبا سليما لاختيار معاونين . فليس مفروضا ان يكون مقياس الوطنية ، هو درجة الولاء لشخص الزعيم وذوبان الارادة والرأى الخاص اثناء التعامل معه .

ولكن ١٤ عاما من افراد جمال عبد الناصر بالسلطة ، وتعاون هذا الفريق من الافراد معه ، قد جعله مستكينا وراضيا بهذا الاسلوب من اساليب الحكم . .

ولذا كانت المطالبة بتغيير جذرى ، ليس من تنقلات الافراد فقط ، وانما فى طبيعة تكوين النظام وقيادته بما يسمح بخلق نوع من التفاعل الديمقراطي الحى فى قمة السلطة ، وبين الجماهير . . كانت المطالبة بذلك اكثر مما يمكن لجمال عبد الناصر ان يقوم به ، وخاصة ان الهزيمة قد اطلقت اعداء النظام واعداء التقدم والاشتراكية من جحورهم ، وبدأوا حملة نقد وتشهير استغلوا فيها ما كانت تظهره الايام من فساد فى قيادة القوات المسلحة ، وما كان يلمسه الناس من بعض الفساد فى قطاعات أخرى .

موجة النقد والتشهير التى شنتها الطبقات المتربصة ، لاشك انها كانت عاملا من أهم العوامل التى ادخلها جمال عبد الناصر فى تقديره للموقف . . فهو يدرك اكثر من غيره مدى ما تعرض له النظام من شرخ ، وقسوة ما يواجهه من مستقبل فى مصر . . ويدرك ايضا انه قد اصيب بجرح نافذ يؤثر على صورته امام الجماهير .

خشى عبد الناصر ان يقدم على تغيير مجهول النتائج . . وآثر ان يمضى بأسلوبه القديم معتمدا على رجاله السابقين . عندما واجه الجماهير لأول مرة بعد الهزيمة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ اثناء انعقاد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى بقاعة احتفالات جامعة القاهرة . قال لهم فى صراحة : (انتى مسئول عن كل شىء) .

ولكن التصفيق احاط بكلماته . واطهر الامور فى ثوبها القديم . . وكان

شيئا لم يحدث .

كانت خطب جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة هي العامل الوحيد الذي يهدى غليان الجماهير . . . ويجب على بعض تساؤلاتها . . . ويجدد في نفسها الأمل .

كانت الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية في حيرة من أمر هذا الشعب الذي استوعب الهزيمة القاسية واحتفظ بالمسئول الاول عنها قائدا وزعيما في المرحلة القادمة ولذا فانهم حاولوا تمزيق الجبهة الداخلية مستندين الى بعض عناصر الطبقات الذابلة المتريبة ومعتمدين على الفراغ السياسي الذي لا يشغله تنظيم سياسي قادر على تعبئة الجماهير وحشدتها . قال جمال عبد الناصر لشعراوى جمعة بعد خطبة في مجلس الامة :

— اياك الخطبة دى تهدي الناس ولو شهرين

كان هناك سباق بين جمال عبد الناصر في محاولته لاعادة الاستقرار والهدوء في المجتمع . . وبين عوامل الاثارة والغليان المتجددة .

وقد حرص جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة على ألا يشعر الناس بضائقة اقتصادية ، فاهتم بالمواد التموينية ، وامتلات المجمعات الاستهلاكية بمعظم ما يحتاج اليه الناس بأسعار في متناول اصحاب الدخول البسيطة . وقد أسهمت الدول الاشتراكية في ذلك بتقديم معونات كثيرة هدية من شعوبها الى الشعب المصري في محنته .

كان التغيير عند عبد الناصر (قضية حائرة) تماما مثل (النفمة الصحيحة) التي يجب ان تمضى فيها الاذاعة واجهزة الاعلام .

الناس تعيش في اعتقاد انه يمكن رد الهزيمة في اقرب وقت ممكن . . وأن كل تضحية في سبيل هذا الهدف تهون .

ولكن مصر أصبحت بلا قوات مسلحة تقريبا . . الطيران ضاع والجيش تمزقت وحداته . . ومع ذلك فشعور الثار يتأجج في صدور الناس يقبلون الاظلام في الشوارع وعندما تضاء بعض الأنوار يعتقد البعض أن في هذا نوعا من التهاون أو التفريط . . الاذاعة تذيع الاناشيد والاغنيات الوطنية وعندما تذاغ اغنية عاطفية يقول البعض بأن هذا دليل على أن روح الثار قد خمدت وأن هناك اتجاها للاستكانة وقبول الوضع الراهن .

لم تصدر الحكومة منذ الثورة قذارات ترفع فيها أجور بعض الخدمات مثل المواصلات والتليفونات والبرقيات وغيرها وتفرض ضرائب جديدة ويقابلها الناس بهدوء . . . بل وترحب مثلما حدث في القرارات التي أصدرتها الحكومة في شهر يوليو ١٩٦٧ .

كان الشعب مستعدا للمساهمة بكل ما يملك من اجل استرداد كرامته واسترجاع أرضه ، وتغيير اسلوب النظام .

ولكن التغيير لم يتحقق فورا . . . ولن يتحقق أيضا بللمسة سنحرية .

البذرة وضعت في صدور الناس مع الهزيمة . . . وترددت في اقوالهم . . وأصبحت قضية النظام .

واذا كان عبد الناصر لم يحدث فى المجتمع التغيرات المنشودة . . فانه بدأ فى مواجهة الموقف بعد الهزيمة المشينة بصلابة واضحة ، واصرار على تحقيق ثقة الجماهير به . . .
وكانت خطوة البداية فى رفض الهزيمة . . . هى اعادة بناء القوات المسلحة .

اعادة بناء القوات المسلحة :

كان القادة السوفييت بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين قد أرسلوا خطابا الى جمال عبد الناصر يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ أعلن عنه أمام المبعوثين فى حديثه معهم يوم ١٦ يونيو ١٩٧٠ عندما قال انهم (طلبوا فيه أن نصمد ولا نستسلم وانهم مستعدون لتعويضنا — مجانا — عن جميع الاسلحة التى فقدناها فى حرب يونيو) .

كان هذا الخطاب هو بداية مساندة السوفييت بعد الهزيمة لجمال عبد الناصر ونظامه التقدمى . . . وكان وعدهم بالتعويض المجانى عن جميع الاسلحة التى فقدتها القوات المسلحة رغم ضخامتها هو نقطة الانطلاق لاعادة بناء القوات المسلحة بعد أن تمزقت وتشقت تشكيلاتها .

قال لى الفريق أول محمد أحمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية فى ذلك الوقت ان الاسلحة السوفيتية بدأت تتدفق بعد أيام من الهزيمة .

وسمعت أنور السادات يتحدث فى مجلس الامة مع طلبة كلية الهندسة اثناء فترة اعتصامهم فى فبراير ١٩٦٨ فيقول ان الاتحاد السوفيتى قد أقام جسرا جويا سريعا لتعويض القوات المسلحة المصرية فور الهزيمة بحيث كانت تهبط طائرة سوفيتية كل دقيقتين .

ويقول أمين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) :

(كانت مئات الطائرات قد بدأت فى الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفيتى . . . أحيانا تأتى فى قوافل جوية فى سياق مع الزمن فى الأيام الاولى بعد النكسة ، وأحيانا أخرى فى قوافل بحرية بعد ذلك . . . وبجهد محمود بدىء فى مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة فى عدد الطائرات . . . فالبعض يدرّبون فى الاتحاد السوفيتى ، والبعض الآخر يدرّبون هنا فى القاهرة) .

ووصل بودجورنى رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الى القاهرة يوم ٢١ يونيو بعد عشرة أيام فقط من رضوخ جمال عبد الناصر لارادة الشعب والعدول عن التحدى . . حضر بودجورنى ومعه زاخاروف رئيس أركان حرب الجيوش السوفيتية ، وعاد بودجورنى بعد انتهاء زيارته وبقي زاخاروف فى مصر لمدة تزيد عن الشهر لتقديم كل عون ممكن فى المراحل الشاقة لاعادة تكوين وتنظيم القوات المسلحة .

وكانت هذه الفترة فعلا من أقسى الفترات على نفسية الزعيم الذى اخطأت حساباته ، وخسر قواته المسلحة .

يقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان جمال عبد الناصر قد اعترف له بأن الاسباب التى تلت النكسة كانت تمثل له كابوسا مستمرا . فقد كانت الخسائر الشديدة فى الاسلحة والمعدات والرجال تجعل القاهرة مدينة مفتوحة وانه لو قرر الاسرائيليون الهجوم عليها فانه لم تكن هناك قوات مسلحة قادرة على صددهم .

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى انه وجد جمال عبد الناصر على غير عادته شاردا مهموما لا يكاد يتبين طريق المستقبل ، وانه حاول جاهدا خلال جلسته معه ان يشعره بثقة الجماهير به ، وأن يؤكد له ان خسارة المعركة الحربية رغم جسامتها لا تعنى النهاية للنضال ولا خاتمة النظام .

وقال لى محسن ابراهيم المسئول فى حركة القوميين العرب ان عبد الناصر فى هذه الفترة كان يبدو أكثر مرونة واستجابة للمناقشة . . . وانه كان حريصا على تلمس الطريق للخروج من الازمة .

وكان الاثنان قد قابلا جمال عبد الناصر ضمن مقابلاته لعدد من القادة والمناضلين العرب .

وفى الفترة التى بدأ فيها إعادة تكوين القوات المسلحة فكر جمال عبد الناصر فى احياء المقاومة الشعبية التى كانت مسئوليتها قد أوكلت الى زكريا محيى الدين، يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ الذى سبق له أن باشر هذه المهمة أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ولكنه فى هذه المرة لم يك يدرس اسلوب تكوين المقاومة الشعبية ويبدأ فى تحديد الخطوط العريضة لتنظيمها حتى كانت المعركة قد بدأت وانتهت .

اختار جمال عبد الناصر زميله السابق فى مجلس قيادة الثورة كمال الدين حسين الذى استقال عام ١٩٦٤ ليكون قائدا للمقاومة الشعبية . . وكانت له بها خبرة سابقة أثناء توليه مسئوليتها أثناء العدوان الثلاثى ١٩٥٦ فى مدينة الاسماعيلية .

ويقول كمال الدين حسين ان جمال عبد الناصر قد استدعاه وقال له ان الاسرائيليين يمكن أن يدخلوا القاهرة خلال أسبوع وطلب منه تولى مسئولية المقاومة . . . فاستمهل للتفكير . . . ولكنه طلب منه الجواب فى نفس اليوم .

وبعد تشاور كمال الدين حسين مع زملائه المستقلين جمال سالم وعبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم اتفق الجميع على أن يذهب اليه كمال حسين فى الموعد المحدد . وان يدخل معه فى مناقشة عن اعطاء الحريات للشعب مع الأمن والاستقرار دون أن يبلغه بالموافقة أو الرفض .

وذهب كمال حسين لمقابلة جمال عبد الناصر حيث ناقش معه تقريرا سبق أن كتبه كمال بعد الهزيمة من ١٥ صفحة ويقول فيه أن مفتاح الموقف فى يد أمريكا وليس فى يد الاتحاد السوفييتى وانه يجب أن نحسن موقفنا

معها وذلك بالنسبة للسياسة الخارجية ٠٠٠ وبالنسبة للسياسة العربية فيجب أن ننسى الماضي ونمد أيدينا لدول البترول دول الخليج والسعودية وايران ٠٠٠ نلم شمل العرب كلهم حتى يستخدموا سلاح البترول في الضغط على أمريكا ، كما قلت له أن مصر في حاجة الى أبنائها المقاتلين في اليمن ، وأنه يجب أن ننسحب من اليمن .

ويقول كمال الدين حسين انه واصل مناقشته مع عبد الناصر حول الأمن والحرية والديمقراطية من وجهة نظره ، وانتهى الامر الى عدم الاتفاق .

وصدر في نفس اليوم قرار بتعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية .

كان التجاء جمال عبد الناصر الى كمال الدين حسين في هذه المرحلة دليلا على أنه كان يعبر فترة ضعف نفسى يدفعه للاستعانة في مركز حساس من مراكز العمل الجماهيري الى زميل سابق له ظهرت اتجاهاته المعادية للاشتراكية التي انتهجتها الثورة ، وظهرت معارضته للواجبات والالتزامات الثورية التي تفرضها القومية العربية على ثورة يوليو .

كان ضيق الحلقة التي اعتمد عليها عبد الناصر في فترة حكمه هي السبب الذي يحد من حريته في الاختيار ٠٠٠ وربما تصور في هذه الفترة المضطربة أن عودة كمال الدين حسين الى الاضواء وهو المعروف بصلاته السابقة مع جماعة الاخوان المسلمين ، والمشهور باتجاهاته الدينية المحافظة أمر قد يرضى الطبقات والفئات المتربصة بالثورة والتي بدأت تنشيط في توجيه سهامها المسمومة منتهزة فرصة الهزيمة وما تكشف عنها من أخطاء وانحرافات .

لعبة التوازن مازالت مستمرة تفرض نفسها .

ورؤية كمال الدين حسين للموقف حسب ما ورد على لسانه في التقرير الذي رفعه بعد الهزيمة والذي أشرت اليه كما ورد في كتاب (الصامتون يتكلمون) تدل على رفض مطلق لكل لاتجاهات التقدمية ، ورغبة شديدة للتعاون مع الامبريالية الامريكية التي تحتضن الصهيونية التوسعية ، والتي تخضع لها الدول البترولية التي ينادى أيضا بتحسين العلاقات معها .

أما تعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية أيضا الى جانب عمله أمينا مساعدا للاتحاد الاشتراكي فهو اثبات بأن فرصة الاختيار كانت ضيقة جدا . . . وأنه لم تكن هناك نية جادة حقيقية لخلق مقاومة شعبية تنبع من ارادة الجماهير وتعبير عن اصرارها على التحرير .

ولكن ما حدث في المقاومة الشعبية يختلف عما حدث في القسوات المسلحة ، فقد كان العمل يسير بجدية شديدة في اعادة التسليح والتدريب والتنظيم .

انفصلت قيادة الدفاع الجوي عن قيادة القوات الجوية .

ويقول أمين هويدي في كتابه :

(تم تعويض كافة خسائرنا التي حدثت في يونيو ١٩٦٧ من الاتحاديين
السوفييتي من إدارات إلى مدفعية إلى صواريخ كما تم استكمال
النقص في بعض أنواع المدافع عن طريق الشراء من أسواق السلاح
العالمية ، وأخذت أسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل
من الاتحاد السوفييتي ، فعلاوة على الصواريخ سام ٢ ، سام ٢ التي كانت
مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ . سام ٧ مما كان سببا
في تدعيم القدرة القتالية لدفاعنا الجوي ، هذا علاوة على الوحدات
الليكترونية التي تعمل في المجالين الدفاعي والهجومى) .

ويؤكد جمال عبد الناصر ذلك للمبعوثين في حديثه معهم يوم
١٦ مايو ١٩٧٠ فيقول :

(فيه حاجات ما كناش نعرفها ادو هالنا ، والحقيقة بدون معونة الاتحاد
السوفييتي كنا حنكون كلية تحت رحمة اسرائيل . لان طبعا كان من السهل
عليهم أن يعبروا إلى الضفة الغربية من القناة ويتقدموا للقاهرة أما الآن
فهذا أمر مستحيل عليهم .

وقال جمال عبد الناصر أيضا انهم قد عملوا لنا نوعين من طائرات
المبج معدلين حسب طلبنا ٠٠٠ النوع الأول عام ١٩٦٨ والثاني تم
عام ١٩٦٩

باشر جمال عبد الناصر عملية إعادة بناء القوات المسلحة بنفسه ،
وعاد إلى تركيز اهتمامه عليها كما كان يفعل في سنوات الثورة الأولى
٠٠٠ واعتمد أساسا في عمله على الفريق أول محمد فوزي والفريق
عبد المنعم رياض الذي عين رئيسا لاركان الحزب وفريق من الضباط
خريجي الأكاديمية العسكرية السوفييتية في فرونز .

خلق فوزي في الجيش روحا من الجدية والانضباط والاهتمام
بالدرب وصدق التعاون والاستفادة من الخبراء السوفييت ، بعد أن كان
محظورا عليهم في عهد ما قبل الهزيمة أن يعبروا القناة إلى سيناء . فلم
يكن هناك خبير سوفييتي واحد في سيناء أثناء القتال والانسحاب .

موقف السوفييت :

إذا كان المثل العربي يقول (الصديق يعرف وقت الشدة) فقد عرف
العرب السوفييت وقت الشدة فوجودهم أصدقاء يقفون إلى جانبهم
بلا شبهة تردد .

يقول الفريق صلاح الدين الحديدي في كتابه (شهادتي على
حرب ١٩٦٧) :

(ان الاتحاد السوفييتي قام بلاشك بتقديم أكبر عون لنا منذ بدء
علاقاتنا به وشمل هذا العون كافة النواحي السياسية والاقتصادية
والعسكرية ولا استطيع ان اتخيل كم يكون موقفنا صعبا لو لم تكن هذه
العلاقة موجودة ووثيقة ولا سيما بعد تدمير معظم أسلحتنا وقواتنا الجوية

فى يونيو ١٩٦٧) .

ولكن التعاون مع السوفييت لم يقتصر على تقديم السلاح فقط
ولكنه امتد الى تقديم الخبراء والمستشارين بأعداد وفيرة بناء على طلب
جمال عبد الناصر والحاحه بعد الهزيمة .
كان جمال عبد الناصر قد وجد أن خروجه من كارثة الهزيمة لن يكون
الا بمزيد من الارتباط والتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

طلب من بودجورنى وزخاروف أثناء زيارتهما لمصر الخبراء
والمستشارين الى جانب السلاح ، ويقول ناتنج انه طلب وجودهم فى كل
لواء أو كتيبة لو أمكن ذلك .

قال لى حسنين هيكل انه عندما طلب جمال عبد الناصر من السوفييت
تولى مسئولية الدفاع الجوى أبلغه بودجورنى ان ذلك لا يتم الا ضمن اجراءات
دستورية ومعاهدة .

واقترح جمال عبد الناصر على بودجورنى عقد اتفاقية دفاع مشترك
بين مصر والاتحاد السوفيتى اذا كان الامر كذلك ، كما صرح بذلك للشهيد
المناضل عبد الخالق محجوب ، ولكن رد الاتحاد السوفيتى كان سلبيا
بالنسبة لعقد هذه الاتفاقية نظرا لحساباتهم الخاصة فيما يتعلق بقضية
الرفاق العالمى والتعايش السلمى التى كانوا يناضلون من أجل تحقيقها مع
الولايات المتحدة ضمانا لاستقرار السلام العالمى من جهة ولطبيعة
العلاقات بين الدول الاشتراكية ودول منطقة التحرر الوطنى التى لم تكن تسمح
حتى هذا الوقت بقيام هذا النوع من الانفاقيات .

ولكن رفض عقد الاتفاقية لم يثبط همة عبد الناصر فى طلب المزيد
من الاسلحة السوفيتية المتقدمة ومعها الخبراء والمستشارون .

ويقول ناتنج ان السوفييت قد رسموا حدود مساعداتهم فيما يقدمون
من أسلحة أو مساعدات تموينية أو اتفاقيات اقتصادية لان كوسيجين
قد صدم أثناء زيارته لجونسون بالشعور العميق المؤيد لاسرائيل فى أمريكا
عامة ، وفى جهاز حكم جونسون خاصة ، الامر الذى بعث الحذر والخوف فى
نفسه من احتمال تعرض الاتحاد السوفيتى لمواجهة مع الولايات المتحدة اذا
ما وافق الاتحاد السوفيتى على الارتباطات والاتفاقيات التى تطالب بها
مصر ومع ذلك يقول ناتنج ان حذر كوسيجين لم يحل دون امداد مصر
بما طلبته من أسلحة وخبراء ومستشارين جعلت دفاعات مصر تستكمل
بعد خمسة أشهر من الهزيمة . . .

وقد كلف جمال عبد الناصر الزعيم الجزائرى هوارى بومدين بالسفر
الى الاتحاد السوفيتى ، وكان قد أقام فى مصر بعد الهزيمة مدة تزيد عن
أسبوعين .

سافر هوارى بومدين الى موسكو يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ مع الرئيس
العراقى عبد الرحمن عارف ، ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق
الى رمضان) انها عندما قابلا بريجينيف قال لهما :
أؤكد لكما اننى امضيت هنا فى موسكو عدة ليال بلا نوم عندما كانت

ترد اليينا اخبار عن احتمال عبور اسرائيل للقناة . وكان واضحا ان هذا ليس أمرا سهلا عليهم لمساعدتنا للعرب وللراى العام العالمى . ولكن كان متصورا احتمال قيامهم بهجوم خاطف نحو القاهرة . وهر أمر يجلب العالم الى حافة الهاوية .

ويقول هيكل ايضا ان بريجنيف قد قدم للرئيسين بيانا بما أرسله الاتحاد السوفيتى الى مصر خلال اسبوعين وهو ما حملته ١٥ سفينة تبلغ حمولتها ٨٤ الف طن من المعدات الحربية الى جانب ١٥٠٠ خبير .

وقد بقى الماريشال زخاروف فى مصر بعد حضوره مع بودجورنى وكان يخفى وجوده فى مصر بلبسه ملابس مدنية ، كما ان الرقابة كانت تمنع نشر الصور التى يظهر فيها . . وكان زخاروف صريحا فى قوله ان الجيش المصرى ليس محتاجا الى السلاح بقدر ما هو محتاج الى التدريب .

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد استبقى زخاروف فى مصر حتى بداية شهر نوفمبر . . ثم يسافر الى موسكو الاياما قليلة لزيارة أسرته والتشاور مع الزعماء السوفيت . . وعندما انهى مهمته التى كلف بها ذهب الى جمال عبد الناصر ومعه ثلاثة جنرالات من الخبراء والمستشارين السوفيت وقال له ان مصر تستطيع الان ان تدافع عن نفسها ضد أى هجوم اسرائيلى مفاجىء .

ولم يقتصر موقف الاتحاد السوفيتى على امدادنا بالسلاح . ولكنه اتخذ مع كافة الدول الاشتراكية عدا رومانيا موقفا مبدئيا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل وتصادفت يوغوسلافيا ايضا فى اتخاذ هذا القرار .

وكان عدد كبير من القادة المسئولين فى هذه الدول الاشتراكية قد توافدوا على مصر لتقديم المعونات والمساعدات الاقتصادية التى تخفف من أثر صدمة الهزيمة .

ومع ذلك عقد حاولت بعض العناصر الرجعية تخريب العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى فى هذه المرحلة الحرجة . حتى تحرم مصر من اصدقائها الاوفياء . وتسقط غريسة فى يد الصهيونية التوسعية وراعتها الامبريالية الامريكية .

اطلق البعض شائعات بان سبب الهزيمة هو تخلى الاتحاد السوفيتى عن مساعدة مصر . وذلك قفرا فوق كل الحقائق . ومحاولة لايجاد مشجب تعلق عليه الكارثة . فى محاولة استعمارية صهيونية لتجريد النظام من كل مقومات الدفاع عنه .

ونشرت جريدة الاخبار مقالين يحملان هذه الشبهة . واذاعت لندن مضمون هذين المقالين فى مقدمة نشرة اخبارها بالعربية . . وكان منظرا مثيرا للدهشة ان ترسل وزارة الداخلية بعض جنودها لحراسة السفارة السوفيتية فى الدقى فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات السوفيتية تشكل

جسرا جويا يحمل الاسلحة والذخيرة والمساعدات الطبية والتموينية .
ولكن سرعان ما مضت هذه المحاولة الاستعمارية اسرع مما تمضى سحابة
الصيف . . . وبدأت تتكشف الحقائق . وفضحت خطة العناصر المعادية
للتورة من فلول الاقطاع والبرجوازية الكبيرة .

وليس هناك رد على هذه المحاولات ابلغ من ذلك الذى قاله جمال
عبد الناصر تعفيا على ارتفاع ميزانية القوات المسلحة من ١٧٠ مليون جنيه
الى ٥٥٠ مليون جنيه :

(رد طبعاً خارج منه موضوع السلاح . احنا ما بندفعش السلاح
الى احنا بناخده . ولكن جميع الاسلحة اللى بنستوردها من الاتحاد
السوفيتى بناء على اتفاقات . والدفع فيها مؤجل حتى بالنسبة للدفع اللى
كان مقرر علينا للاتحاد السوفيتى طلبنا منهم تاجيله) . .

قال لى امين هويدى وزير الحربية السابق ان مصر طوال عهد جمال
عبد الناصر لم تدفع تمما للسلاح الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ،
فخسائر عدوان ١٩٥٦ استعوضت بلا ثمن . واقتطاع السلاح بعد ذلك كانت
مؤجل وبوجه للناحية الاقتصادية . وخسائرنا الهائلة عام ١٩٦٧ لم يتقاضى
الاتحاد السوفيتى شيئا من ثمنها . وبدأ فى امدادنا بالسلاح دون دفع
تفديرا منه بظروفنا الاقتصادية بعد الانكسة .

هكذا كان موقف السوفيت معنا . .

قبل المعركة . . نصبح بعدم التورط . .

وبعد الهزيمة . . امداد بالسلاح والمعونات بلا تردد . . وقطع
للعلاقات الديبلوماسية والاقتصادية مع اسرائيل . . ثم تأييد مطلق بلا حدود
للحق العربى فى المجالات الدولية .

ومع ذلك فلا يمكن القول بان هناك تطابقا وتشابها كاملا فى الموقف
العربى والسوفيتى بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . . فلا شك ان للاتحاد
السوفيتى باعبارد احدى الدولتين العظميين حسابات خاصة تتعلق بالسلام
العالمى واثرد على الحضارة والبشرية وضرورة تفادى المجابهة فى حرب مع
الولايات المتحدة . . كما ان موقفه الاستراتيجى الواضح منذ البداية لم
يكن يمسس بتهديد تدمير اسرائيل او ازالتها من الوجود . وانما كان يقف مع
حق العرب فى تحرير ارضهم ومساعدة شعب فلسطين وتأمين كافة دول
المنطقة .

كما ان زعماء المنطقة لهم رؤية خاصة للمشكلة تدفعهم الى ضرورة
حلها فى سرعة قد يكون فيها نوع من الاندفاع غير المحسوب . . والذى قد
يكرر كارثة الهزيمة .

هذا الى جانب اختلاف النظم الاجتماعية . . فالنظام فى مصر لم يكن
شيوعيا . بل ان بعض قوانينه تحرم الشيوعية وتنظيمات الشيوعيين . .

والشيوعيون انفسهم كانوا فى المعتقلات لم يكتمل خروجهم منها
الا قبل العدوان بثلاث سنوات فقط . هى المدة الوحيدة التى خلت فيها
السجون والمعتقلات من المعتنقين للمبادئ الشيوعية منذ قامت حركة

الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .
ولذا فان نوعية العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة كانت تختلف
عن نوعية العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى .

اسرائيل والولايات المتحدة تطبقان النظام الرأسمالى . وحكومة
اسرائيل تعتمد فى وجود الدولة وضمان مستقبلها على العلاقة الوثيقة التى
تربط بينها وبين الدول الامبريالية والتى تدرجت من بريطانيا ، فرنسا حتى
استقرت فى احضان الولايات المتحدة التى تملك اكبر ترسانة حربية . والتى
يتوفر فيها نفوذ سياسى صهيونى قادر على التأثير فى اجهزة الحكم المختلفة
هناك .

اما العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى فانها تختلف من حيث
طبيعتها . فالنظام المصرى يشق طريقه فى محاولة للخروج من قيود
الاستعمار الجديد الى طريق غير رأسمالى يمكن ان يصل به مع الوقت الى
نظام اشتراكى . . . والعلاقة التى تربطه مع الاتحاد السوفيتى هى علاقة
التعاون المبدئية التى تربط بين شعوب الدول الاشتراكية وشعوب دول منطقة
التحرر الوطنى فى نضالها من اجل التحرر والاستقلال الوطنى . . . فليس
بين النظامين تشابه كامل فى النظرة الاجتماعية . ولا تربطهما علاقة عضوية
مثل العلاقة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة .

كان موقف السوفيت هو السند الاول لجمال عبد الناصر فى التثبيت
برفض الهزيمة تعبيرا عن ارادة الشعب .

أزمة المشير . .

كان العمل يمشى جادا وسريعا فى اعادة بناء القوات المسلحة . .
تغيرت معظم القيادات العليا التى كانت السبب المباشر فى الهزيمة . .
واظهر السوفييت تعاوننا مذهلا فى سرعة الامداد بالاسلحة والمعدات مع تقديم
الخبرة والمشورة .

واعطى جمال عبد الناصر لهذه العملية اسبقية أولى ، وجعل لها
افضلية على كل شئ . . . ولكن بعض المتاعب كانت تفرخ داخل صفوف
القوات المسلحة .

ابتعد عامر عن مركز القائد العام بعد ١٤ عاما الا ٩ ايام بالتحديد . .
رقى من رتبة صاغ الى لواء وعين قائدا عاما للقوات المسلحة مع اعلان
النظام الجمهورى فى مصر يوم ١٨ يونيو ١٩٥٢ وخرج من مكتبه ليقدم
استقالته يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ .

ولم يكن خروج المشير عامر من منصبه أمرا سهلا ، فقد احاط نفسه
خلال مدة قيادته بمجموعة من ضباط الرتب العليا الذين ارتبطوا به شخصيا
واستفادوا من علاقتهم به . . هذا الى جانب اتجاهاته المعروفة يفتقد على
كل من يلجأ اليه ، ويساعد كل من يقدر على مساعدته من أموال الدولة ،
حتى اصبح شخصية محبوبة بين الضباط .

ولذا كان ابتعاده عن منصبه يشكل صدمة عاطفية لعدد كبير من الضباط الذين لم يحسنوا في لحظتها تقدير الاخطاء التي وقع فيها ، او عمق المأساة التي دفع الوطن اليها . . . اما لانهم كانوا مشاركين فيما حدث . . . واما لان رؤيتهم للامور لم تكن ثابتة .

وكان خروج شمس بدران من القوات المسلحة في نفس اليوم مع المشير عامر يضيف مشكلة اخرى ، فقد كانت له سلطته الخاصة في الجيش النابعة من مسئوليته عن الامن ، وتعيينه لمعظم ابناء دفعته في مراكز قيادية حساسة .

عندما سمع ضباط الرتب العليا خبر تنحي جمال عبد الناصر والمشير عامر طالبوا بعودة الاثنين . . . وعندما سمعوا خبر عودة ناصر طالبوا بعودة المشير .

كان عبد الحكيم عامر قد خرج من القيادة العامة متوجها الى منزله في ثكنات الحلمية الجديدة ، وسمع خطاب تنحي عبد الناصر في سيارته . . . وتجمع الضباط في الطابق الاول بينما صعد المشير الى غرفة نومه يحيط به بعض اقاربه واصدقائه المقربين مثل صلاح نصر وشمس بدران .

وكان منزل عبد الناصر ايضا قد امتلأت حديقته وطابقه الاول بعدد كبير من المسؤولين والضباط ومنهم زكريا محيي الدين وانور السادات وحسين الشافعي وعلى صبرى وغيرهم .

وقال زكريا محيي الدين لجمال عبد الناصر :
— انت من حقا ان تقنحي ، ولكن ليس من حقا ان تعين رئيسا للجمهورية بدلا عنك . . . وانا لن اقبل هذا التعيين .

وصعد جمال عبد الناصر ايضا الى الطابق الثاني حيث اتصل به عبد الرحمن عارف وهواري بومدين اللذان فوجئا بخبر التنحي .
وفي اليوم التالي ١٠ يونيو كان جمال عبد الناصر قد عاد رئيسا للجمهورية وغادر المشير عامر منزله الرسمي في ثكنات الحلمية . . . ولم يذهب الى منزله الاخر المطل على النيل في شارع الطحاوية بالجيزة ، فقد كان كبار الضباط قد تدفقوا عليه يطلبون عودة عامر مع عبد الناصر .
ذهب المشير عامر الى منزل في شارع احمد حشمت كان معدا لزواج ابنة احد ضباط مخابرات القوات الجوية ، وذلك حتى يبتعد عن تجمعات الضباط واحراجهم له . . .

ساد الهرج والمرج من الضباط في منزل عبد الحكيم عامر في الجيزة وكانهم في شبه مظاهرة ، ولم ينصرفوا الا بعد ان خرج لهم الفريق صدقي محمود الذي كلفه المشير وقال لهم ان المشير سيتوجه في اليوم التالي الى مكتبه في القيادة العامة للقوات المسلحة .

وفي صباح اليوم التالي ١١ يونيو توجه عدد من كبار الضباط الى مبنى القيادة العامة مطالبين ايضا بعودة المشير طالما عاد الرئيس .

وزاد الموقف حرجا عندما خرجت سرية حراسة المشير في ثكنات الحلمية في عرباتها بقيادة الرائد احمد ابو نار ، وتحركت الى مبنى القيادة

العامه للقوات المسلحة هاتفة (ناصر . . عامر) .
وعندما بلغ الامر جمال عبد الناصر غضب لذلك كثيرا ، وكلف صلاح
نصر مدير المخابرات بالتحقيق فى هذا الموضوع . . وكلفه ايضا بان يركز
اهتماماته على الامن الداخلى الى جانب المباحث العامة .

ومع ذلك فقد حرص جمال عبد الناصر على ابلاغ عبد الحكيم عامر
حيث كان يقيم فى شقة شارع احمد حشمت بالزمالك تبا تعيين محمد فوزى
قائدا عاما . . وبدا المشير مرتاحا لهذا التعيين لانه رفع عن كاهله مسئولية
كان يريد التخلص منها ، ولو انه علق على ذلك - حسب رواية صلاح نصر -
بقوله : (اختيار غير موفق) .

قرر المشير ان يعتمد عن القاهرة بعد تعيين الفريق محمد فوزى قائدا
عاما للقوات المسلحة ، فسافر مع شمس بدران الى قريته (اسطال)
بمحافظة المنيا ، فى مساء ١١ يونيو ، وعندما علم جمال عبد الناصر بذلك
طلب منه العودة حتى لا تحدث بلبلة فى صفوف الجيش ، واستجاب عامر
لذلك وعاد الى القاهرة .

وكانت هناك لجنة قد تشكلت لاعادة النظر فى موقف كبار الضباط
برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية زكريا محيى الدين ومحمد فوزى القائد
العام ومدكور ابو العز قائد القوات الجوية واللواء ابو ذكرى قائد القوات
البحرية وصلاح نصر مدير المخابرات العامة ، وكاتم اسرار حربية .

واستقر رأى هذه اللجنة على اخراج عدد من القادة وما ان علم المشير
عامر بذلك حتى اعتبر القرارات نوعا من التصفية ، وقرر العودة مرة اخرى
الى قريته (اسطال) .

وبعد أيام عاد شمس بدران الى القاهرة ، واتصل بجمال عبد الناصر
مدعيا ان المباحث العامة تراقبه وقال له غاضبا كما قال صلاح نصر (انا
لست خائنا حتى اعامل هذه المعاملة غير الكريمة . . اننى لو اردت ان اعمل
انقلابا لعمليته وانا فى بيتى) .

غضب جمال عبد الناصر من هذه المحادثة التى تحمل روح التحدى فى
وقت لم تكن فيه تنظيمات الجيش قد استقرت على اسس جديدة سليمة ،
وكلف صلاح نصر بتهدة شمس بدران تفاديا لما يمكن ان يسفر عنه الموقف
فى هذا الوقت الحرج .

وعاد المشير ايضا الى القاهرة ، وتلمس جمال عبد الناصر خطرا فى
هذا التجمع ، وخاصة ان مجموعه من الضباط العاملين او الذين احيلوا
للتقاعد بدأوا يترددون على منزل المشير .

وكلف جمال عبد الناصر صلاح نصر بأن يعرض على المشير عامر اما ان
يكون نائبا اول لرئيس الجمهورية ، واما أن يغادر القاهرة الى قريته ويبقى
بها فى هذه الظروف .

رفض عامر العرض قائلا انه لا يود ان يكون تشريفاتى برئاسة
الجمهورية . . وانه لا يقبل ان يكون فى هذا المنصب بينما تتم تصفية الضباط
الذين عملوا معه ، ووثق بهم ووثقوا به . . وفضل العودة الى قريته .

كانت الاحوال قد توترت بين صديقي العمر ورفيقي الكفاح . . . ومع ذلك ظل جمال عبد الناصر حريصا على هذه العلاقة بعرضه منصب نائب رئيس الجمهورية على القائد الذي خسر المعركة بطريقة مهينة . . . وكان هذا دليلا على عدم الاطمئنان النسبي الى الموقف فى القوات المسلحة .
كان مفروضا ان يحاسب عبد الحكيم عامر على الموقف العسكرى عام ١٩٥٦ ولكنه لم يحاسب . . . ولم يوافق على خروج بعض معاونيه مثل الفريق صدقى محمود الذى دمرت قواته الجوية على الارض .
وكان مفروضا ان يحاسب على موقفه فى سوريا الذى ادى الى مأساة الانفصال التى قادها بعض اعضاء مكتبه اثناء وجوده فى دمشق . . . ولكنه لم يحاسب .

وكان مفروضا ان تقبل استقالته اثناء ازمة مجلس الرئاسة عام ١٩٦٢ عندما قدم عبد الناصر مشروعا بتحديد اختصاصاته . . . ولكن الاستقالة لم تقبل وظل المشير محتفظا بكل صلاحياته بل وزادت مسئولياته مع الوقت .

وليس هناك من سبب يعتبر تبريرا لهذا الموقف من جانب جمال عبد الناصر الا حرصه على علاقة الصداقة الوثيقة مع عامر . . . وثقته فى ان وجوده فى قيادة القوات المسلحة يضمن عدم حدوث تحركات مضادة داخل الجيش لحب الضباط للمشير ، ولاعتقاده بان المشير لا يمكن ان يفكر فى الانقضاء عليه .

ولكن احتمال حدوث حركة مضادة من جانب ضباط الرتب العليا المرتبطين بالمشير لم يعب أبدا عن ذهن جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد توتر الموقف بينه وبين عامر وبدران .

ولذا عرض على المشير منصب نائب أول رئيس الجمهورية ، وكرر العرض بوساطة صلاح نصر الذى سافر الى المنيا فى طائرة حربية خاصة ، وقابل عامر فى قريته اسطال . . . ولكن المشير رفض فى المرتين . . . ورفض عرضا اخر بالسفر الى يوغوسلافيا .

وبدأت العلاقة بين الصديقين تدخل مرحلة الازمة الشديدة عندما عاد عبد الحكيم عامر الى منزله فى الجيزة ، وتكالب عليه الضباط الذين احيلوا الى التقاعد ، واقام بعضهم عنده اقامة شبه دائمة .

وتصادف ان كانت هناك عربة للمخابرات تراقب جاسوسنا اجنبيا يسكن قريبا من منزل المشير ، ولحقها بعض الضباط المقيمين عنده فاعتقلوا طاقمها وادخلوه الى المنزل ، واتصل عامر بصلاح نصر غاضبا ومتسائلا ، وقد قال لى صلاح نصر ان هذه كانت حساسية مفرطة من عامر فى هذه الظروف ، وانه توجه اليه فورا مع رئيس هيئة الامن القومى لتوضيح الحقيقة له ، وقال ايضا انه لو طلب منه مراقبة المشير فى ذلك الوقت لقدم استقالته .

ولم يركن عبد الحكيم عامر فى منزله الى الهدوء ، ولكنه بدأ نشاطا مثيرا ، اذ طبع استقالته التى كتبها عام ١٩٦٢ وطالب فيها بتكوين حزبين وحرية ليبرالية وبدأ توزيعها على نطاق واسع فأرسلها الى اعضاء مجلس

الامة ورؤساء المؤسسات والصحف .

كما اتصل عامر بالسفير السوفيتى والقى تبعة الهزيمة على الاتحاد السوفيتى ، وكان ينوى طبع خطاب له يوزعه فى الخارج ، ولكن بعض اصدقائه نصحوه بالعدول عن ذلك فى اللحظة الاخيرة ، لما يمكن ان يثيره هذا الخطاب من متاعب فى وقت يعيد فيه السوفيت بناء القوات المسلحة .

كان الضباط المحيطون بعامر يشعلون صدره بالغضب ، ويثيرون الفتنة بينه وبين عبد الناصر ويجسمون له الصفائر .

ويبدو ان عبد الحكيم كان قد تأثر بهم الى حد بعيد . فلم تنجح محاولات التوفيق التى قام بها جمال سالم ومحمد حسنين هيكل وصالح نصر وغيرهم .

وحدث ان اصدر قائد المخابرات الحربية اللواء محمد احمد صادق قرارا باعتقال الصاغ جلال هريدى قائد قوات الصاعقة ، الذى كان يقيم منذ النكسة فى منزل المشير بصفة دائمة . . ونصبوا له كمينا بالقرب من منزل المشير ، وعندما حاولوا اعتقاله خارج المنزل صرخ مستنجدا بزملائه فى الداخل فهرعوا اليه ومعهم المشير يحملون اسلحة وقنابل يدوية . . ولكن عربة المخابرات اسرعت بالفرار قلاحها طلقات الرصاص .

اصبح الموقف غريبا وشاذا . . منزل المشير يتحول الى حصن مستقل داخل القاهرة ، لا يجرؤ احد على اقتحامه ولا تطبق عليه قوانين الدولة .

وعندما صدرت الاوامر بسحب الحرس الخاص للمشير ، اسرع باحضار حرس مدنى خاص من قريته . . ولكن الامور سويت وعاد اليه حرسه الرسمى .

كانت محاولات التخريب بين الرجلين مستمرة ، ولم يكن احد منهما يفكر فى لقاء الاخر لتسوية الخلاف .

وظل الحال كذلك الى ان اصيب صلاح نصر يوم ٣ يوليو بذبحه صدرية الزمته الفراش بمكتبه لمدة ستة اسابيع ، كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يسألان عليه خلالها . . وفى احدى هذه المرات ذهب عامر وعباس رضوان الى منزل عبد الناصر حيث تناولا معه طعام العشاء ، وبدا كما لو ان الامور قد تحسنت .

ولكن عملية اعادة بناء القوات المسلحة كانت تتم وسط موجة نقد شعبية للضباط الذين القيت عليهم تبعة الهزيمة ، والذين احاطت بهم النكات وكلمات النقد . . وقد ترك ذلك أثرا فى نفس المشير عامر الذى اعتبر نفسه راعيا للقوات المسلحة . . كما انه كان من الضرورى مساءلة الذين تسببوا فى الهزيمة . .

وكانت البداية قرارا باعتقال ومحاكمة كبار ضباط القوات الجوية . . الفريق صدقى محمود والفريق جمال عفيفى واللواء اسماعيل لبيب بتهمة الاهمال الجسيم .

واعتبر عامر هذا القرار طعنة لة ومقدمة لتصفية بقية اعوانه .

وتأزمت الامور الى الحد الاقصى . . ولم يعد امام جمال عبد الناصر من خيار . . الا الخضوع لهذا (الجيب العسكرى) السابق الذى يحاول

فرض ارادته من خارج السلطة .. او مواجهة صديق عمره بالحقيقة ،
واتخاذ موقف بعيد عن العاطفة .

وخلال ذلك كانت قد وصلت الى اللواء محمد احمد صادق مدير
المخابرات الحربية معلومات عن نشاط تامر تقوم به المجموعة المحيطة
بالمشير .. ورفع صادق المعلومات - كما قال لى - الى عبد الناصر وهو
فى حرج شديد .

ولم يعد هناك من سبيل الا اتخاذ موقف وصدور قرار .
واسـتـدعى جمال عبد الناصر عبد الحكيم عامر الى منزله يوم
٢٥ اغسطس لمواجهة زملائه المتبقين فى السلطة من اعضاء مجلس قيادة
الثورة .. زكريا محبى الدين وانور السادات وحسين الشافعى .. وعقدت
جلسة امتدت عدة ساعات تصارح الاثنان فيها بكل ما فى الصدور ..
وكانت كما ارادها جمال عبد الناصر (محاكمة سياسية) .

ولكن عبد الناصر كان قد اتخذ قراره قبل الجلسة بتحديد اقامة المشير
فى منزله بالجيزة واعتقال الضباط المقيمين هناك .. ولم يكن عند المشير
شبهة شك فى السبب الذى من أجله استدعاه عبد الناصر .. بل انه كان
يتوقع حلا للمشاكل ، فقد صارح صلاح نصر الذى صرح له الاطباء بمغادرة
الفراش بمكتبه يوم ٢٣ اغسطس بعد نوم استمر ٦ اسابيع .. صارحه بان
هناك احتمالا بأن يذهب الى مؤتمر الخرطوم مع جمال عبد الناصر يوم
٢٨ اغسطس .

ولكنه ما ان دخل المشير عامر منزل جمال عبد الناصر حتى اعتقل
سكرتيه العسكرى محمد طنطاوى ، وتوجهت قوات الى منزله بقيادة الفريق
محمد فوزى واللواء سليمان مظهر فاعتقلت المقيمين فيه وفى مقدمتهم
شمس بدران ، وهم الذين كانوا ينتظرون عودة المشير ومعه اخبار سارة
بالصلح والوفاق ، وقد اسهم عباس رضوان فى اقناعهم بالتسليم بهدوء
بعد محادثة له مع عبد الناصر .

اما فى بيت عبد الناصر بعد ان انتهت الجلسة واعلن عبد الناصر قراره
بتحديد اقامة عامر ، صعد الى الدور العلوى وذهب عامر الى الحمام حيث خرج
صائحا وهو يلقي بكوب ماء من يده بأنه قد انتحر .

قال لى امين هريدى انهم سرعوا الى عبد الناصر لابلاغه كلمات المشير ،
ولكنه لم ينزل معهم وقال انه اجبن من ان يفعل ذلك ..

قال لى الفريق محمد فوزى انهم قد استولوا من منزل المشير على
حمولة ثلاث عربات لورى أسلحة وانهم أخرجوا منه سريتين من جنود
الجيش كانتا مكلفتين بحراسته وانتقلتا معه من الحامية .. واخرجوا
أيضا ٢٠٠ من أبناء بلدة المشير .

ويقول أيضا ان المشير لم يغادر منزل عبد الناصر الا بعد أن اتصل
الفريق أول محمد فوزى بسامى شرف وأبلغه ان كل شيء قد انتهى وأن
القوات المسلحة قد سيطرت على المنزل ، وكانت الساعة الرابعة
صباحا تقريبا .

وخرج عبد الحكيم عامر معتقلا الى منزله وأوصله الى هناك زكريا
محبى الدين وحسين الشافعى ، أما انور السادات الذى بقى حزينا وصامتا

طوال جلسة المحاكمة السياسية فانه لم يذهب معهم فى العرية .
دخل عامر معتقلا الى منزله الذى أصبح خاليا الا من أسرته ،
ولا تربطه بالعالم الخارجى اية صلة فقد قطعت عنه حرارة التليفون واحيط
منزله بحرس جديد ، واعلنت بعد ذلك استقالة صلاح نصر مدير المخابرات
يوم ٢٧ اغسطس .

وبذلك انتهت صفحة فى حياة القوات المسلحة . . أصبح يتولى
قيادتها العامة ضباط جدد لم يكونوا من الضباط الاحرار اصلا فقد ذهبت
المجموعة القليلة التى بقيت منهم حول المشير الى السجن انتظارا للمحاكمة
. . لم يعد هناك أحد من ضباط ثورة يوليو فى قيادة القوات المسلحة
الا القائد الاعلى جمال عبد الناصر والفريق محمد فوزى القائد العام .
ورغم قسوة القرار على نفس عبد الناصر الا انه وجد نفسه مجبرا
على اصداره امام المعلومات التى توفرت لديه من احتمالات عمل طائش تقوم
به مجموعة المشير .

واسفرت التحقيقات عن اعتقال عدد من كبار المسئولين الى جانب
شمس بدران ، فاعتقل بعد ذلك بأيام عباس رضوان وصلاح نصر يوم
١٣ سبتمبر وعدد من كبار ضباط القوات المسلحة المحالين الى التقاعد .
وكان الموقف فى نفس الوقت شديد القسوة على نفسية المشير عامر
وهو الذى احتفظ بالولاء كاملا لجمال عبد الناصر خلال مدة قيادته للجيش
والتي امتدت ١٤ عاما ، ولم يفكر لحظة واحدة فى القيام بانقلاب عسكري
مطلقا ، واكتفى بنشر سلطاته فى الاجهزة الادارية والتنفيذية . . وهو الان
قد أصبح مجردا من كل شئ السلطة والاصدقاء . . يواجه مستقبلا
غامضا .

ولم يتحمل المشير عامر هذا الموقف الذى لم يهيء نفسه له
مطلقا . . . فقبل ايام كان يرفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، ويرفض
السفر معززا مكرما الى يوغسلافيا . . . وهو الآن محدد الإقامة فى
منزله ، واصدقاؤه فى السجن .

وقرر المشير عامر الهروب من هذا الموقف بالانتحار .
قال لى الفريق محمد سعيد الماحى الذى أصبح كبيرا للياوران بعد
حرب اكتوبر ١٩٧٣ انه كان قائدا لحرس منزل المشير ، وأنه كان يحاول
ما وسعه الجهد ان يقدم له كل الاحترام . . ولكن المشير قرر الانتحار
عندما علم بأنه سوف ينقل من منزله الى منزل آخر بالهرم .

وأسرع الماحى يبلغ الفريق عبد المنعم رياض وأسرع الاثنان فى
محاولة لاجراج السم الذى ابتلعه المشير ، ثم حملاه الى مستشفى القوات
المسلحة حيث اجريت له عملية غسل المعدة نقل بعدها الى المنزل الجديد
الذى تقرر تحديد اقامته فيه بالمريوطية .

ومرة أخرى لم يستطع المشير أن يتحمل الموقف فى صبر . . .
فقرر الانتحار مرة أخرى ، ونجح فى هذه المرة مساء ١٣ سبتمبر ١٩٦٧
بعد مائة يوم من العدوان .

وانتهت حياة الانسان الذى ملك قلوب الضباط حبا له ، والذى

عاش حياة لا تتناسب كثيرا مع ضراوة المعارك التي كانت تدور في اليمن ،
أو فوق أرض سيناء .

كان عبد الحكيم عامر أول قائد مصري في التاريخ الحديث ينتحر
بعد الهزيمة ٠٠٠ ولكنه لم ينتحر نتيجة لمهانة الهزيمة وقسوتها ٠٠٠
ولا أسفا وتندما على دماء ٢٠٠٠٠ فقدوا حياتهم فوق رمال سيناء بعد
عذاب بدني شديد . . . ولا خجلا من عار سوف يلاحق قدراته القيادية
الى اخر التاريخ .

لم ينتحر كقائد عسكري مهزوم ٠٠٠ وانما انتحر بعد أن سلبت منه
السلطة وضاعت منه الحرية ، وواجه الموقف وحده بعيدا عن الأضواء
ونفاق الأصدقاء .

ولم تؤثر أزمة المشير في اتجاه رفض الهزيمة ٠٠٠ فقد كانت
سدا لا يعوق التقدم . . . وكانت محاكمة زملائه لتصفية آثاره .

ولم يكن خروج عضو سابق لمجلس الثورة من جهاز السلطة يمثل
أكثر من سقوط بعض الفروع من شجرة ثابتة ٠٠٠ كان جهاز الحكم قبل
الهزيمة متماسكا ومستقرا رغم ما كان يواجهه من أزمات اقتصادية
وسياسية .

ولم تكن استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي وحسن
ابراهيم تمثل أكثر من موقف احتجاج فردي لا يجد له صدى عميقا بين
ال جماهير لانه يواجه اعلاما مركزيا موجهها ٠٠٠ ولم تتجاوز حدود
التأييد لبعضهم أكثر من همسات لا تعلو الى موقف صريح ٠٠٠ واختار
كل منهم طريقه الجديد في الحياة بلا ضغط ولا عنت . . . ولم تصل
العلاقات بينهم وبين جمال عبد الناصر الى حد القطيعة النهائية ٠٠٠ فقد
تواجدوا في القيادة العامة في أيام القتال رغم ابتعادهم النهائي عن
السلطة ٠٠٠ وقام كل منهم بالتعبير المكتوب عن رأيه في خطاب أو مذكرة
رفعها الى جمال عبد الناصر .

ولم يصحب خروج أي فرد منهم ، ولا من سبقهم في الاستقالة اتخاذ
موقف معاد لهم اذا استثنينا سجن يوسف صديق وتحديد اقامته في
عام ١٩٥٤ . . . فلم يخرج احد منهم مصحوبا بتهمة التآمر او العمل
ضد النظام . . . ولم يكن أحد منهم يعمل في منصب عسكري حتي يمثل
خطرا يستحق المطاردة .

ولذا كان تحديد اقامة المشير عبد الحكيم عامر هو أول عمل عنيف
يتخذ ضد عضو سابق في مجلس الثورة ، اذا استثنينا أيضا فترة
تحديد اقامة كمال الدين حسين لمدة أسابيع عام ١٩٦٥ في فيلا بالهرم

كانت أزمة المشير عامر هي أعنف أزمة تعرضت لها الثورة منذ أزمة
مارس ١٩٥٤ ، وكانت قاسية على نفس جمال عبد الناصر قسوة الهزيمة
نفسها ، فقد حدث الصدام الصريح بينه وبين أقرب رجال الثورة اليه ،
في وقت كان كل شيء فيه في شبه ضياع .

كانت حركة الاعتقالات التي شملت المشير ووزير الحربية ووزير

الداخلية السابق ومدير المخابرات وعددا من كبار ضباط القوات المسلحة ذات تأثير كبير في المجتمع ، فقد حدث شرح عميق في جدار النظام كشف عن وجود أخطاء وانحرافات ، اندفع الناس الى مهاجمتها ونقدها . . . وكانت المحاكمات أمام المحكمة الخاصة التي شكلت برئاسة حسين الشافعي في يناير ١٩٦٨ مجالا لاثارة كثير من القضايا .

كانت الفكرة الاساسية لمحاولة المشير عامر الانقلابية تقوم على أساس ظهور المشير عامر في مدرسة الصاعقة ليلة ٢٧ أغسطس أي بعد يوم واحد فقط من تحديد اقامة المشير واعتقال الضباط المتعاونين معه ، ثم تحركه من مدرسة الصاعقة الى مركز قيادة القصاصين في حراسة قوة مدرسة الصاعقة « . . . فرد » .

كان المدبرون للعملية قد قرروا اشاعة ان عبد الناصر قد اعاد عامر للقوات المسلحة ، وبدا يسهل على المشير السيطرة على مركز القيادة الشرقية وتولى قيادة الجبهة العاملة تحت أوامرها ، وهي في ذلك الوقت كانت تعتبر القوة الاساسية للجيش .

ومن هناك كان مفروضا أن يبدأ التفاوض بين عامر وعبد الناصر على أساس إعادة المشير قائدا أعلى للقوات المسلحة والافراج عن الذين استدعت ظروف الهزيمة التحقيق معهم .

أسهم في اعداد الخطة حسب ما أظهره التحقيق شمس بدران وعباس رضوان ثم الضباط جلال هريدي قائد الصاعقة السابق ووكيله مقدم أحمد عبد الله واللواء عثمان نصار الذي ترك فرقته أثناء عمليات سيناء وعاد الى القاهرة حيث بقي في حماية المشير ثم المقدم حسين مختار من قوات الصاعقة والعقيد طيار محمد تحسين زكي .

ولم يكن هذا التدبير موجها للاطاحة بعبد الناصر ولكنه كان موجها للضغط عليه للرضوخ ، أو تحرك المشير الى القاهرة على رأس قوة مدرعة للقيام بعملية انقلاب كاملة .

والغريب أن عامر قد أعطى لهذه العملية اسما كوديا هو (نصر) نفس الاسم الذي أطلقه الضباط الاحرار على حركتهم ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وقد كشفت هذه العملية عن رغبة بعض الضباط في الوصول الى السلطة فوق مأساة الشعب ، ودون تقدير سليم لجسامة الهزيمة وبشاعة الموقف .

كذلك أظهر التحقيق عدة حقائق مثيرة :

تبين مثلا ان عباس رضوان كان قد أخفى في بلدته الحرائية بالهرم حقيبة مليئة بالنقود . . . وهو حادث قد يبدو بسيطا ولكنه في مضمونه كبير ان يكشف اعتداء بعض رجال الثورة على أموال الدولة واستباحتهم لها ، ويكشف أيضا اتساع هذه الظاهرة بعد أن كانت خافية على الناس نتيجة للقيود التي كان يفرضها النظام على وسائل النشر ، والخوف الذي كان ييذره بالنفوس من الخوض بالحديث في مثل هذه الامور . وتبين كذلك حقيقة الدور الذي لعبته إحدى الممثلات (برلنتي

عبد الحميد) فى حياة المشير حتى أصبحت زوجته وأما لابنه ، وهى ابنتى كانت على علاقة سابقة بجهاز المخابرات ، الأمر الذى جعل حسين الشافعى يقول لى أن دورها كانت تحيط به علامات استفهام خطيرة تمتد الى خارج الحدود .

وتبين أيضا بشاعة الوجه القذر لإدارة المخابرات ، وهو وجه قد يكون طبيعيا فى كافة أجهزة المخابرات فى العالم ، ولكن الجديد أن النظام نفسه هو الذى كشف عن هذا الجانب البشع ، وأعلن عن سقوط ما أسماه (دولة المخابرات) الأمر الذى أثار حفيظة بعض الناس ضد فترة من فترات النظام .

ولو أن هذه المحاكمات لم تسقط ، أساليب دولة المخابرات عمليا ، فقد تعرض بعض الضباط المعتقلين لأنواع من الضيغف والتعذيب هى فى مضمونها امتداد لاسلوب بعض أجهزة الأمن .

وتبين أخيرا نوعا من أنواع الاستهتار الفظيع خلال فترة القتال ، وهروب بعض كبار القادة المرتبطين شخصيا بالمشير والذين تلقوا التعليمات منه شخصيا .

حفلت هذه المحاكمات بصور متعددة الجوانب لاخطاء وانحرافات كانت كامنة فى النظام . . . يصعب القول بأن جمال عبد الناصر كان على جهل بها ، ولكنه كان يصمت عليها ، ربما لاعتباره بأنها فرز طبيعى لى نظام ، أو لأنها تضع المخطئين تحت قبضته فيصبحون أكثر طواعية .

وقد أبرزت هذه المحاكمات جانبا سياسيا هاما ، إذ أظهرت أن بعض هؤلاء القادة المنهزمين قد تصوروا أن الحكومة الأمريكية يمكن أن تلقى اليهم عجلة الانقاذ التى تنقذ حياتهم وشرفهم ، وتحول هزيمتهم الى نصر . . . وأنهم يمكن أن يجدوا بعد الهزيمة مبررا ينهى علاقه مع الاتحاد السوفيتى الذى أصبح عندهم مشجبا تعلق عليه خطيتهم .

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد استقبل السفير السوفيتى فى القيادة العامة للقوات المسلحة قبل استقالته من مناصبه العسكرية والمدنية ولم اتعرف على ما دار فى هذه المقابلة الا أن الفريق الحديدي يتصور فى كتابه (شاهد على عدوان ٦٧) انه كان فيها نوع من العتاب .

وقد صرح شمس بدران خلال محاكمته السرية بأنهم قد فكروا فى حل المشكلة عن طريق الاتجاه الى أمريكا .

ويمكن القول بأنه قد تجمع حول المشير عامر فى هذه الفترة بعض الذين لم تصل عندهم الطهارة الوطنية الى حد التفرقة بين الاطماع الشخصية والكارثة القومية . . . الذين حاولوا استعادة السلطة عن طريق التآمر بالقوة دون اعتبار للضحايا (عشرين ألفا) الذين سقطوا نتيجة اسلوبهم المسنهر فى القيادة .

ويمكن القول أيضا بأن الثورة قد قصدت بعض دمهها القاسد ، الذى تسبب فى الهزيمة ولم يجد مع ذلك فيها رادعا يبعده عن السلطة ، أو حقيقة تجسم له خطر الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية .

كتبت في روز اليوسف خلال هذه الفترة قائلاً :
(الثورة التي لا تحاكم أبناءها ولا تكشف صراحة عن أخطائها ، تكتب كلمة
(النهاية) في مصـبـرـها . . . ولكن الثورة التي تتحمل في شـجـاعة
مسئولية كشف انحرافات وأخطاء أبنائها انما تكتب كلمة (البداية) في
انطلاقة جديدة تؤكد استمرارها .
كانت أزمة المشير ومحاكمة الضباط رفضا للهزيمة . . . ورفضاً
للدعوة التي ثارت بين المتسببين الرئيسيين في الهزيمة من محاولة
للارتداد نحو أمريكا فيما يشبه الاستسلام وقبول الأمر الواقع .
اطاحت محاكمة مجموعة المشير باحتمال نجاح محاولة انقلاب
عسكري ، وبوضع نهاية لاتجاه استسلامي كان يثور في صدور
المجموعة المنهزمة .
وكانت المحاكمة ادانة لهذا الاتجاه الاستسلامي الذي أوقع مصر في
الهزيمة ، وفكر في الخلاص منها عن طريق انقلاب يمهّد الطريق لعودة
النفوذ الأمريكي للمنطقة .
وكانت في مضمونها اصراراً على رفض الهزيمة واستمرار
النضال .

مؤتمر الخرطوم

لم يكن رفض الهزيمة مصرياً فقط . . ولكنه كان عربياً .
كانت الهزيمة عارا لحق بالعرب جميعاً دون استثناء . . ولكن ردود
الفعل وتأثير الصدمة كان متبايناً بين دولة وأخرى . . ولاشك ان جمال
عبد الناصر كان اكثر الزعماء تأثراً بما حدث ، واكثر الجميع شـعـورا
بالمسئولية في مواجهة المستقبل .
ورغم الجدية التي واجه بها النظام المصري الموقف ، وبدء عملية اعادة
بناء القوات المسلحة ، فان الامور كانت قد تشابكت بحيث لم يعد من الممكن
ان يكون هناك حل مصري او حل سوري او حل اردني للمشكلة .
لم يعد هناك من سبيل سوى (حل عربي) للمشكلة . . واجتمع وزراء
الخارجية العرب في الكويت يوم ١٧ يونيو ولكن اجتماعهم انفض بلا قرارات
ليلحقوا اجتماع الامم المتحدة .
وكان بومدين قد أمضى في القاهرة بعد الهزيمة عدة ايام سافر قبلها الى
موسكو حيث قابل الزعماء السوفييت وشعر أنهم مجروحون من هزيمة العرب
. حيث سلمت معظم اسلحتهم الى اسرائيل بلا قتال ، وسقط حلفاؤهم
في حفرة الهزيمة بلا مقاومة .
وفي يوم ١٢ يوليو اجتمع في القاهرة هواري بومدين وعبدالرحمن عارف
واسماعيل الازهرى ثم انضم اليهم نور الدين الاتاسي في اليوم التالي وارسل
محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان الذي كان يشارك في اجتماعات
الامم المتحدة التي تحاول الوصول الى قرار . . ارسل برقية يطلب فيها
امتداد مؤتمر القمة المحدولحين عودته .

وصل محجوب الى القاهرة يوم ١٦ يوليو وعرض على الزعماء العرب فكرته في ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي حيث يمكن للدول العربية ان تحشد جهودها وامكانياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية في عمل موحد مشترك . ورغبة من الزعماء العرب في معرفة مدى مايمكن ان يقدمه السوفييت تقرر ارسال هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف الى موسكو وسافر الاثنان بفرض شرح الموقف العربي للزعماء السوفييت وتقديم الشكر لهم على مساعداتهم ثم معرفة المدى الذي يمكن للسوفييت والدول الاشتراكية تقديمه للنضال العربي من مساعدات في التسليح والخبراء والمتطوعين .

سافر بومدين وعارف يوم ١٧ يوليو وعادا في مساء اليوم التالي ، ويقول محمد احمد محجوب في كتابه (محاكمة الديمقراطية) ان بومدين قدم لهم تقريرا ملخصه ان المؤتمر الثاني لزعماء الدول الاشتراكية الذي عقد في بودابست قد اتخذ قرارا بتأييد مبدأ الحل السلمي للصراع . والعمل من اجل التعايش السلمي بين الدول والسلام العالمي . ولذا كان الاتحاد السوفييتي حريصا على صدور قرار من الامم المتحدة في دورتها الطارئة .

كما كرر الاتحاد السوفييتي للرئيس بومدين وعده بامداد الدول العربية بالاسلحة تعويضا عن خسائرها . . . ويقول محجوب ان زيارة الاتحاد السوفييتي قد تركت عند الرئيسين العربيين انطباعا بأن للسوفييت تحفظات على امكانية العمل العسكري ، ولو ان هذا الموضوع لم تكن له عندهم اهمية عاجلة لانهم كانوا يعتقدون انه لايمكن استئناف القتال قبل سنتين او ثلاث سنوات .

ويقول محمد احمد محجوب ان هذه الزيارة قد أكدت التصور بأن الحل العسكري في الوقت الحاضر كان بعيدا عن الموضوع وان الحل الدبلوماسي كان مستحيلا في حدود ما دار في الامم المتحدة ، وأنه لم يتبجح من طريق مفتوح الا الحل السلمي الذي قد يقود في النهاية الى صدام عسكري او سلام عادل .

وأثمر مؤتمر القمة المحدود قرارا بالدعوة لمؤتمر قمة عربي ، ويقول ناتنج ان الملك حسين ايضا كان قد بادر بالدعوة لهذا المؤتمر . وقع الاختيار على الخرطوم لتكون مقرا لانعقاد مؤتمر القمة لانها كانت مقبولة من قادة جميع الانظمة العربية . . . وقد اجتمع فيها وزراء الخارجية في اول أغسطس وصدرت عنهم توصيات تطالب بتنقية الجو العربي ، ووضع مسئولية العدوان وتحرير الارض على عاتق كل العرب ، مع اعتبار المشكلة الفلسطينية قضية رئيسية ودعوة وزراء البترول والمالية العرب للاجتماع في بغداد يوم ١٥ أغسطس ، وعدم ضخ البترول لامريكا وانجلترا في حدود قرارات مؤتمر البترول العربي ، والعمل على تصفية كافة القواعد الاجنبية في الدول العربية بأسرع وقت ممكن .

وقد اجتمع وزراء المالية والاقتصاد والبترول العرب من ١٣ دولة ومشيخة ضمت قطر والبحرين وأبوظبي وقدموا قائمة من الاسلحة الاقتصادية التي يمكن استخدامها في حدود استراتيجية عربية شاملة .

وكان الرأي العام العربى فى ذلك الوقت قد اجتاحتته موجة المطالبة بوقف ضخ البترول للدول الامبريالية .

وقد اتخذ الوزراء العرب فى مؤتمرهم ببغداد توصيات تقضى بوقف الضخ مع مراعاة الاحوال والظروف الاقتصادية لدول البترول . وتقدير ردود الفعل السياسية والاقتصادية التى قد تنجم عن ذلك فى العالم كله . وكان هذا دليلا على الحذر وعدم الاتفاق الكامل .

وأصدر المؤتمر توصيات أخرى بسحب الارصدة العربية من منطقة الدولار والاسترلينى ، وتخفيض الاستثمارات العربية فى هاتين المنطقتين حتى لا تتسرب الاموال العربية الى هذه الاسواق . ونقل احتياطي الذهب العربى من انجلترا وأمريكا الى بلاد أخرى . وتوجيه الاستثمارات الحكومية العربية الى الاسواق العربية ما أمكن . وتكوين احتياطي نقدي مركزى من العملة الصعبة للدول العربية .

درست هذه التوصيات بوساطة وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم يوم ٢٦ اغسطس ، ورفعت الى الملوك والرؤساء الذين اجتمعوا يوم ٢٩ اغسطس . سافر جمال عبد الناصر الى الخرطوم بعد ان كان قد حدد اقامة المشير عبد الحكيم عامر ووضع الضباط المتآمرين فى السجون للتحقيق .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يلتقى فيها عبد الناصر خارج مصر مع جماهير الامة العربية ، وهو يحمل على كتفيه مسئولية الهزيمة والتحرير معا . كما انها كانت المرة الاولى التى يلتقى فيها مع الملك فيصل وهو جريح بعد الهزيمة .

كان موقفا صعبا امام عبد الناصر . . . وكان مؤتمر القمة يواجه أخطر مشاكل تعرضت لها الامة العربية .

ولكن استقبال جمال عبد الناصر كان مظهرا رائعا من مظاهر الوفاء والتقدير السياسى السليم عند شعب السودان ، فقد احتشدت له الجماهير من المطار الى فندق السودان حيث نزل الرؤساء والملوك . . . ولعب الحزب الشيوعى السودانى وقائده الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب دورا رئيسيا فى هذا الاستقبال الرائع .

قال لى الشهيد عبد الخالق محجوب ، وكنت قد ذهبت الى الخرطوم لحضور المؤتمر عندما كنت رئيسا لتحرير روزاليوسف . . . قال ان الحزب الشيوعى قد قرر ان يكون استقبال عبد الناصر ، استفتاء ثانيا على بقائه فى موقعه قائدا من ابرز قادة التحرير الوطنى ، وان بعض كادر الحزب كان مسلحا ومستعدا لحمايته من أية مؤامرات .

عندما وصل جمال عبد الناصر الى المطار كان فى استقباله اسماعيل الازهرى رئيس الدولة ومحمد احمد محجوب رئيس الوزراء . . . وكان مفروضا أن تصل طائرة الملك فيصل بعد نصف ساعة وحاول الزعيمان السودانيان تعطيل عبد الناصر فى المطار ليلتقى مع فيصل . . . حتى يصبح الاستقبال الشعبى من نصيب الملك والرئيس معا .

ولكن موكب جمال عبد الناصر تحرك وفى رفقته محمد احمد محجوب ، والتهبت مشاعر الجماهير ، وانتعشت نفسية جمال عبد الناصر ، وعادت

الابتسامة الى شفثيه وهو يلوح لعشرات الالوف الذين احتشدوا في الشوارع والشرفات وفوق الاسطح .
وما كاد موكب جمال عبد الناصر يمر حتى كانت الجماهير تنفض وتخلو الشوارع لينفرد وحده بالاستقبال الرائع . . . وعندما تبعه فيصل مع الازهرى لم يكن هناك الا جماهير قليلة متناثرة .

انعقد المؤتمر في قاعة البرلمان السوداني ، والجماهير تتوقع قرارات وقف ضخ البترول . . . وموقف الدول العربية تجاه الازمة غير موحد . سوريا قاطعت المؤتمر ومع ذلك بقي وزير الخارجية ابراهيم ماخوس يتابع جلسات المؤتمر من السفارة السورية او شرفة الحرائد اوتيل . . . والعراق والجزائر ومنظمة التحرير التي يمثلها احمد الشقيري تنتقد موقف مصر وتعارضها لقبولها وقف اطلاق النار . . . وتطالب بسحب الارصدة العربية ومقدارها ٤٠٠٠ مليون جنيه من البنوك البريطانية مع اصرارهم على وقف الضخ .
وكانت حرب اليمن تفرض نفسها على المؤتمر ايضا فلم يكن القتال قد توقف بعد ، وكان هناك ٧٠.٠٠٠ جندي مصري مازالوا يحتلون مواقعهم هناك .

حضر من الرؤساء والملوك العرب . . . جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل واسماعيل الازهرى وعبد الرحمن عارف وعبدالله السلال والامير صباح السالم الصباح وشارل حلو .

وحضر الامير حسن الرضا مندوبا عن ملك ليبيا ادريس ، والباهي الادغم وزير خارجية تونس ممثلا لبورقيبة . وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ممثلا لهواري بومدين ، والدكتور محمد بن هيمه رئيس وزراء المغرب ممثلا للملك الحسن .

جميع رؤساء وملوك المغرب العربي تخلفوا عن الحضور . بينما حضر جميع رؤساء وملوك المشرق العربي عدا نور الدين الاتاسي لمقاطعة سوريا للمؤتمر بناء على قرار من دمشق ، كما صرح الاتاسي محمد احمد محجوب بذلك عند زيارته لدمشق في جولته التمهيدية لعقد المؤتمر والتي أقنع فيها الملك فيصل بضرورة الحضور .

لعب محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان دورا دبلوماسيا ناجحا مهد به الطريق لعقد المؤتمر ، وعاد من الولايات المتحدة يحمل افكارا جديدة بعيدة عن الاجراءات التي قد تكسب تأييدا شعبيا . ولكنها تتسبب في ردود فعل غير محسوبة الى جانب ماقد تحدثه من تمزق في الصف العربي .

ولذا تفاضى المؤتمر عن فكرة وقف ضخ البترول وسحب الارصدة من البنوك الامريكية والبريطانية ، حرصا على تأييد الدول البترولية وعدم وضعها في مأزق اقتصادي وسياسي لا تتحمله أنظمتها ، حيث تبين ان الدول العربية كانت تهلك في ذلك الوقت احتياطيا كافييا من البترول لمدة اكثر من ٣ شهور . وان الارصدة العربية لم تكن تشكل نسبة كبيرة من الدخل القومي لشرا

واجه المؤتمر وجهة جديدة عندما اعتبر البترول رصيذا للاحتياجات العربية لتعويض خسائر العدوان ، والاستعداد لمعارك التحرير حيث قال زعماء الدول البترولية أنكم تطلبون منا العون بالمال ، ويطلب البعض منكم انغلاق مصدر هذه الاموال .

حدث تراجع عن وقف ضخ البترول بعد ان كان مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب قد اوصى بإمكانية استخدام وقف ضخ البترول كسلاح في المعركة ، ولكن مؤتمر القمة رأى بعد دراسة الامر مليا - كما نشرت الاهرام - أنه يمكن أن يستخدم كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربية يمكن ان توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التي تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود في المعركة .

وبعد مناقشات محدودة تم الاتفاق على ما تدفعه الدول البترولية لمصر والاردن من تعويضات ٠٠ وكان جمال عبد الناصر قد قدر خسائر مصر من اغلاق قناة السويس ووقف السياحة بما يوازي ١١٠ ملايين جنيه ، وقدر أنك حسين احتياجات الاردن بمبلغ ٤٠ مليوناً .

واستقر الرأي بموافقة الملك فيصل على دفع السعودية ٥٠ مليون جنيه سنويا والكويت ٥٥ مليون جنيه وليبيا ٣٥ مليون جنيه ، توزع على أساس ٩٥ مليوناً لمصر و ٤٠ مليوناً للاردن .

وانتقل المؤتمر لمناقشة القضايا السياسية ، واستقر الرأي بناء على اقتراح عبد الناصر بأن يعطى الملك حسين حرية الاتصال لحل مشكلة الاردن . . . وتدخل احمد الشقيري متحدثاً عن مستقبل غزة والضفة الغربية ، ولكن الموقف لم يكن يحتمل اثاره خلاف حول ارض سقطت تحت احتلال العدو .

واتفق المؤتمر على قرارات تعتبر من ناحية الشكل والمضمون رفضاً للهزيمة فهي تنص على . .

لا صلح مع اسرائيل . .

ولا اعتراف باسرائيل .

ولا مفاوضات مع اسرائيل .

والاصرار على اعادة حقوق شعب فلسطين في ارضه . .

صرح لي محمود رياض وزير الخارجية في ذلك الوقت بأنه يعتبر أن هذا المؤتمر الرابع للقمة كان انجح مؤتمر قمة عربي ، يصدر قرارات ايجابية محددة .

ولكن قرارات مؤتمر الخرطوم لم تتحول الى قيود تقيد حركة الدول العربية في سعيها لتحرير الارض بوسائل سياسية مصحوبة باستعدادات عسكرية .

قرار مجلس الامن

كان مؤتمر الخرطوم قد انعقد بعد دعوة الاتحاد السوفيتي لدورة طارئة للامم المتحدة ، بعد ان تبين استحالة صدور قرار من مجلس الامن

بإدانة إسرائيل وفرض الانسحاب الى حدود ٤ يونيو .
حضر الدورة الطارئة اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي
كما حضرها من حكام العرب الملك حسين ونور الدين الاتاسي .
وقد التقى حسين والاتاسي يوم ٢ يوليو في مقر السفير الجزائري
لدى الامم المتحدة بحضور محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان الذي
اعد للاجتماع بمبادرته الخاصة ، وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر
وابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا
كان هذا اول اجتماع يعقد بين الحاكمن بعد اتهامات متبادلة استمرت
حتى يوم العدوان الاسرائيلي .
وكان أبا ايان قد أعلن رفض إسرائيل أمام مجلس الأمن الحديث
في موضوع الانسحاب مالم تعترف الدول العربية بها وتقر مبدأ الصلح
معهما .

ولم يكن الموقف في مجلس الأمن مثلما كان عام ١٩٥٦ فقد وقفت أمريكا
بوضوح وصراحة خلف الموقف الاسرائيلي ولم يكن هناك أي انقسام في
صفوف الدول الغربية نحو تأييد إسرائيل سوى فرنسا لان ديغول اتخذ
موقف الادانة للبادي بالعدوان ، وأسبانيا لعلاقاتها التقليدية مع الدول
العربية ، وعدم وجود تمثيل دبلوماسي بينها وبين إسرائيل .

ولذا فانه عندما قدم اليكسي كوسيجين مشروع قراره الذي يدين
العدوان الاسرائيلي ويطلب بالانسحاب الفوري لقواتها ، اسرعت حكومة
الولايات المتحدة بتقديم مشروع قرار آخر يقضي بحل المشكلة عن طريق
المفاوضات المباشرة بين العرب وإسرائيل بمساعدة وسيط مقبول من الطرفين،
بعد اعترافهم بها وبحقها في الوجود داخل حدود معترف بها مع السماح
لبواخرها بالمرور في قناة السويس ومضيق العقبة .

ولم يحصل أي من القرار السوفيتي او الأمريكي على ثلثي الاصوات
الطلوبة لقراره . . ومحاولة للخروج من الازمة تقدمت دول عدم الانحياز
بمشروع قرار يقضي بالانسحاب التوازي الاسرائيلية مع اعطاء مجلس الأمن
حق بحث لجذور المشكلة السياسية والقانونية والانسانية بناء على موثيق
الامم المتحدة مع عدم اعتبار ذلك شرطا مسبقا يحول دون الانسحاب .

وفي مواجهة مشروع دول عدم الانحياز قدمت دول أمريكا اللاتينية
الخاضعة للنفوذ الأمريكي مشروعا مغلف العبارات يقضي بالانسحاب
للشروط بانهاء الاعمال العدوانية والعمل من أجل التعايش السلمي وعلاقات
الجوار الودية .

وكما لم ينجح المشروع السوفيتي او الأمريكي ، لم ينجح ايضا مشروع
دول عدم الانحياز ، او مشروع دول أمريكا اللاتينية في الحصول على ثلثي
الاصوات .

ولم يصدر عن الامم المتحدة سوى قرارات مرعية بضرورة معاملـة
مساجين وأسرى الحرب معاملة انسانية وبعدم شرعية اجراءات إسرائيل
وتدابيرها في المناداة بالقدس مدينة اسرائيلية موحدة .
ولم تنهج الدول الافريقية المتحدة بالفرنسية نهج فرنسا في تأييد العرب ،

كما ان الدول الافريقية الاخرى تنوعت مواقفها تبعا لدرجة ولائها للولايات المتحدة . أما الدول الاسلامية مثل تركيا وأفغانستان وباكستان واندونيسيا وإيران فقد وقفت مع العرب لاعتبارهم المشكلة الفلسطينية من المشاكل الاسلامية .

وعندما لم تصل الامم المتحدة الى قرار ، أعادت القضية مرة أخرى الى مجلس الامن .

كاد الموقف يتجمد . . . وقرارات مؤتمر الخرطوم التي صدرت بعد ذلك ألقت التزاما وقيدا جديدا على الدول العربية ومع ذلك فقد وصلت الامور في شهر نوفمبر بعد اتصالات مركزة ومتعددة بين مندوبي الدول في مجلس الامن والدول العربية الى مشروع قرار أعده مندوب بريطانيا في المجلس لورد كارادون .

صدر القرار ٢٤٢ يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ لينهى مرحلة طويلة من المناقشات امتدت ما يقرب من ستة شهور .

حاول محمود رياض وزير الخارجية ان يكون القرار اكثر تحديدا فيما يتعلق بالحدود ، ولكن المندوب الامريكى (أرثر جولدبرج) كان صريحا في رفضه اضافة أى كلمات تلغى حق اسرائيل في تغيير الحدود بما يتناسب مع أمنها وقال أن حكومة اسرائيل قد وافقت على صيغة القرار على ما هي عليه ، وأن جونسون يعد بأن تكون التعديلات في أضيق الحدود . وافقت مصر والاردن على قرار مجلس الامن ٢٤٢ وسط معارضة ورفض من جانب سوريا والعراق والجزائر والسودان .

واختار يوثانت سكرتير الامم المتحدة جونار يارنج سفير السويد في موسكو مندوبا له للتفاوض مع مصر والاردن واسرائيل للوصول الى تسوية مقبولة من كافة الاطراف . وخلال الفترة التي دارت فيها مناقشات الامم المتحدة لم يكن الموقف متجمدا على شاطئ القناة .

كان السوفييت قد اسهموا بقدر كبير في اعادة تنظيم القوات المسلحة وقام الفريق أول محمد فوزى ومجموعة القيادات الجديدة بمجهود رائع في تماسك الجيش ووحدته ، وخاصة بعد التغلب على المشاكل الداخلية بعد تحديد اقامة المشير عامر والمتعاونين معه .

كانت المدفعية تد بدأت تتبادل القذائف على شاطئ القناة . . . واغرقت قوارب الطوربيد المصرية المدرعة الاسرائيلية ايلات في مياه البحر الابيض المتوسط يوم ٢٥ أكتوبر ٦٧ وانتقم الاسرائيليون بضرب معامل التكرير ومصانع السويس .

ورغم وجود جونار يارنج في المنطقة متخذاً من قبرص مركز رئاسة له . . . ورغم حركته المستمرة بين العواصم الثلاث . . . فانه لم يوفق في الوصول الى تسوية مقبولة . . . ولم يوفق في منع الاسرائيليين من الاعتراض على محاولة مصر انقاذ البواخر الخمس عشر المحتجزة في قناة السويس بعد غلقها كما حدث عام ١٩٥٦ . . . كما لم يوفق في منع بعض المصادمات التي

وقعت بين القوات الاردنية والاسرائيلية التي بدأت تنفذ خطة اقامة
مستعمرات ناحال في الضفة الغربية ، وتحويل القدس الى مدينة
اسرائيلية .

وبدأت جهود يارنج تتضاءل وتنحسر امام رفض الحكومة الاسرائيلية
الاجابة على أسئلته والتمسك بمفاوضات مباشرة مع العرب ، واعلانهم
التشبيث بمعظم الارض المحتلة ضمانا للحدود الآمنة .

وبعد صدور قرار مجلس الامن لم يتوقف القتال أيضا . . فقد بدأت
المرحلة التي أطلق عليها جمال عبد الناصر اسم (مرحلة الصمود) ثم أعقبتها
(مرحلة الردع) أي الاشتباك المتصل مع القوات الاسرائيلية عبر
القناة .

كانت مصر قد قبلت قرار مجلس الامن ولكنها لم تتوقف مطلقا عن
الاشتباك المسلح . . بينما كانت الدول التي رفضت القرار بعيدة عمليا عن
ميدان المعركة .

لم يكن قبول قرار مجلس الامن استسلاما ولا تنازلا عن تحريير
الارض . ولكنه كان محورا من محاور التقدم في مجال الحل السلمي . . .
وكان مضمون الاشتباك المسلح مع قبول القرار هو رفض للهزيمة بكل
المقاييس .

رفض الطلبة

كسرت الهزيمة حاجز الخوف عند الناس . وشعر المواطنون امام
جسامة الموقف . ان الصمت عار .

وانطلقت موجات النقد تكشف العيوب المستترة في اجهزة الحكم ،
وتلقى الضوء على الانحرافات هنا وهناك .

والتمس جمال عبد الناصر العذر للناس . . قال لشعراوى جمعة
بعد خطبته امام مجلس الامة عند افتتاح دورته الجديدة (ارجو ان تهدي هذه
الخطبة نفوس الناس ولو شهرا واحدا) .

كان الناس ينتظرون خطب جمال عبد الناصر فهو الوحيد الذي يتوفر
له رصيد في قلوبهم . . ورغم انه لم يحقق التغيير الذي طالبوا به الا انهم
لم يفقدوا الامل فيه أبدا .

وكان الشباب هو أكثر الفئات غليانا بحكم طبيعته ورفضه للهزيمة
وحرصه على تحرير الارض واقامة مجتمع جديد .

ولم تكن مصر قد شهدت مظاهرات للطلبة منذ عام ١٩٥٤ اثناء أزمة
مارس وخلال المطالبة بالحياة الديمقراطية . . فقد تصدت لها الشرطة
العسكرية واعتقل بعض الطلبة . وصفت حركتهم .

وتقرر عزل الطلبة عن الحركة السياسية ، ووضع كمال الدين حسين
وزير التربية والتعليم في ذلك الوقت خطته التي قضت بان تكون الدراسة في
الجامعة خلال العام الواحد على فترتين وامتحانين . . كما فصل عددا من
اساتذة الجامعة التقديميين المستنيرين مثل الدكتور لويس عوض وسعد عصفور

وعبد المنعم حرفوش وفوزى منصور وعبد المنعم الشرقاوى وأمين بدر ومحمود أمين العالم ، ونفل بعض الاساتذة من الاسكندرية الى القاهرة مثل الدكاترة اسماعيل غانم واسماعيل صبرى عبد الله .

وأصدر كمال الدين حسين قرارا يقضى بأن يكون نصف أعضاء اتحاد الطلبة من هيئة التدريس والنصف الآخر من الطلبة وتقيدهم جميعا تشريعات ولوائح تجعل من الاتحادات تنظيمات صورية تابعة لمكاتب الطلاب التى أنشئت فى هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى .

ولاشك ان الانتصارات الوطنية لثورة يوليو قد أثرت على موقف الطلبة ودفعت بهم الى تأييدها والركون الى الهدوء لسنوات طويلة .

ومع ذلك ظل تشكيل الاتحادات الطلابية بالتعيين حتى عام ١٩٥٩ الذى صدر فيه قرار بقانون فى اول ابريل بفصل عدد من أساتذة الجامعة مثل الدكتور فؤاد مرسى والدكتور عبد العظيم أنيس ، وذلك بعد اعتقال الشيوعيين . وبعد ذلك ظهرت لائحته الجديدة تبيح حق الانتخاب وتقتصر نشاط الاتحادات على الاعمال الترفيهية مع حجب أى نشاط سياسى أو ثقافى .

وفى عام ١٩٦٣ بدأ تشكيل منظمة الشباب تحت اشراف زكريا محيى الدين الذى بدأ باعداد معسكرات فى حلوان ومرسى مطروح كان يساعده فيها الدكتور محمد الخفيف وغيره من المثقفين .

وظهر تناقض بين المنظمة التى وضعت تحت اشراف امين عام الاتحاد الاشتراكى على صبرى ، بعد أن عين الدكتور حسين كمال بهاء الدين أمينا عاما لها بعد أن كان معنا عضوا فى امانة طليعة الاشتراكيين .

ظهر تناقض بين نشاط المنظمة ونشاط الاتحادات التى كانت تحاول ان تنهج نهجا خاصا بها ، واذكر خلال هذه الفترة ان عددا من الاتحادات كان يدعو كمال رفعت أمين الدعوة والفكر لعقد ندوات فى وقت كان الخلاف فيه واضحا بينه وبين على صبرى .

وقد أصدر على صبرى قرارا بفض المؤتمر السادس لاتحاد طلاب الجمهورية الذى عقد خلال عام ١٩٦٥ . ومنذ ذلك الوقت لم يتم اى انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية .

ويذكر ان بعض الطلبة المنتمين للمنظمة قد اذاعوا تسجيلات مسيئة ضد طالب مرشح اسمه أحمد سامى عليوة ، فتجمع الطلبة حوله وأصروا على انتخابه كنوع من أنواع الرفض لأسلوب التدخل . وكان هذا سببا من أسباب فرض الهيئة التى شكلت لإدارة المؤتمر السادس واعتبارها لجنة تنفيذية لاتحاد طلاب الجمهورية .

توقفت انتخابات الاتحادات عند حدود الجامعات فقط ، ولم يجرائ انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية حتى عام ١٩٦٨ .

لم تغير الهزيمة العسكرية من موقف الثورة ازاء الطلبة . . . ظلت محاولات التدخل والحصار مستمرة . . ولم يعد ذلك أمرا مقبولا من الشباب الذى مزقت الهزيمة نفسيته وآماله وطموحه .

وانتشرت في مصر لأول مرة ظاهرة هجرة الشباب الى الخارج . . دفع اليأس بعضهم الى مغادرة الوطن . . ودفع الجمود عن التغيير بعضهم الآخر .

وكان جمال عبد الناصر مدركا لمشاعر الشباب راغبا في تقديم كل ما يعيد الاستقرار والامل الى نفوسهم .

عين احمد كامل امينا عاما لمنظمة الشباب ، بعد ان اثبت نجاحا جماهيريا اثناء عمله محافظا لاسيوط . . وهو من الضباط الاحرار التقدميين الذين لم تلوثهم الاطماع المادية او التطلعات الذاتية .

ويقول احمد كامل ان جمال عبد الناصر قد أطلق حريته في عمل كل ما يعتقد انه لمصلحة الشباب ، وشجعه على توطيد العلاقات مع منظمات الشباب في الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي للاستفادة من خبرات تعبئة الشباب هناك .

ولم يتردد جمال عبد الناصر في الموافقة على كل ما يوطد هذه العلاقة ولكن على صبرى اعترض على ارسال بعثات من الشباب للتدريب والعمل هناك ، بناء على الاتفاقية التي وقعها احمد كامل وبافلوف سكرتير عام الكومسومول .

لم يقبل احمد كامل هذا الاعتراض وطلب رفع الامر الى جمال عبد الناصر الذي رجح رأى احمد كامل .

كانت منظمة الشباب قد بدأت تأخذ اتجاها جديدا اكثر تقدمية وديموقراطية من الفترة التي قادها فيها دكتور حسين كامل بهاء الدين تحت اشراف على صبرى ، رغم عدم الانتقاص من أهمية هذه الفترة التي جذبت الشباب الى ميدان السياسة وأثارت اهتماماتهم بعد غيبة طويلة عن هذا الميدان .

ولم يكن على صبرى - على حد تعبير احمد كامل - متحمسا لهذا الاتجاه او مشجعا له

وقبل ان تبدأ منظمة الشباب في الوصول الى القاعدة الطلابية في الجامعات بأسلوب ديموقراطي سليم . . سبقتها الاحداث . كانت المنظمة من جهة وجماهير الطلبة من جهة أخرى في سباق مع الزمن . . المنظمة تحاول استيعاب كافة الشباب ، والاحداث تفجر هذه الطاقة في اتجاه غير محسوب .

وحدث اكبر تحرك طلابي في ٢٠ فبراير ١٩٦٨ اثناء محاكمات حسين الشافعى للمشاركين في مؤامرة الحادى عشر امتدادا لتحرك عمال حلوان احتجاجا على الاحكام التي صدرت ضد قادة القوات الجوية ، واعتبرها الناس احكاما بسيطة لا تتناسب مع بشاعة الجريمة وضحامة المسئولية . واقتترنت مظاهرات الطلبة ايضا بمحاكمات مؤامرة المشير .

اجتمع الطلبة في مؤتمر عقد في كلية الآداب بمدرج ٧٨ وضم ممثلين عن مختلف الكليات لوضع وثيقة طلابية تعبر عن رأى الطلاب بالنسبة لوضع ما بعد الهزيمة أو (النكسة) على حد التعبير الذى انتشر فى ذلك الوقت .

طالب الطلاب بالديمقراطية وضرورة التغيير الشامل ومحاسبة السذين
اطلقوا الرصاص على عمال حلوان الذين استمروا في تظاهريهم ، والافسراج
عن المعتقلين منهم . . . وانتخبوا من بينهم لجنة تمثلهم وتعبر عن ارادتهم .
تم اعتقال بعض اعضاء اللجنة عقب مقابلة ساخنة مع الدكتور ابييب
شقيير وزير التعليم العالي في قاعة اجتماعات جامعة القاهرة ، حيث رفض الطلاب
تسليم مطالبهم على اعتبار انهم كلفوا من المؤتمر بتسليم الوثيقة لجمال
عبد الناصر شخصيا .

اذكر ان ابني علاء كان عضوا منتخبا في هذه اللجنة ، وعندما علمت
ان مطالبهم الرئيسي هو مقابلة جمال عبد الناصر ، اتصلت بسامي شرف
وكان في ذلك الوقت مازال زميلا لي في امانة طليعة الاشتراكيين ، وطلبت
منه ان يحمل رأي الطلاب الى عبد الناصر ، راجيا ان يتيح لهم فرصة
مقابلته .

اتصل بي سامي شرف بعد ذلك طالبا مني مقابلته في مكتب علي صبري
في مبنى الاتحاد الاشتراكي حيث كان موجودا مع علي صبري وشعراوى
جمعة . . . وكانت الساعة تشير الى الثامنة مساء .

كان شعراوى يؤكد انه لم يصدر أمرا باطلاق الرصاص ، وكان علي
صبري هادئا صامتا لا أعرف ما يدور في صدره ، بينما كان سامي شرف
صاخبا يوزع الاتهامات (كالعادة) على الاخوان المسلمين والشيوعيين .
ناقشت الامر مع علي صبري وأوضحت له أهمية تحركه السريع الى
مقابلة اللجنة التي تمثل الطلبة تفاديا لما يمكن ان يحدث من صدام . . .
ولكنه لم يكن مستعدا للذهاب الى الجامعة ، فهو بطبيعته الخاصة رجل غير
جماهيري ، يصعب عليه مواجهة الرأي المعارض .

وذهلت من هذا الموقف السلبي ، وعجبت من هذا الاسلوب الذي
لا يحسن تقدير الموقف . . . ولم أتردد في اعلان خلافي معه في وجهة نظره.
وصارحت شعراوى جمعة بعد خروج علي صبري بأن الامور لا يجوز
ان تؤخذ بمثل هذه البساطة ، وأن التوزيع التقليدي للاتهامات على الشيوعيين
والاخوان لا يمكن ان يكون تعبيرا ناضجا عن حقيقة موقف شباب متحمس
في مواجهة هزيمة مرة ، وجمود عن التغيير ، واطلاق رصاص على العمال .
ولكن شعراوى لم يكن يملك فرض رأيه على الآخرين .
وذهب الدكتور ابييب شقيير لمقابلة الطلبة في محاولة لاقناعهم ، ولكن
محاولته لم تنجح وأصر الطلبة على موقفهم .

وفي صباح اليوم التالي استمرت المظاهرات الطلابية والعمالية وخرج
الطلبة من الجامعة متدفقين الى الشوارع وهتافاتهم تطالب بالتغيير
والديموقراطية ومحاسبة المسئولين . . . وفي آخر اليوم هتف البعض لأول
مرة هتافات معادية .

وقد تجاوزت بعض الهيئات مع الطلبة وأصدر مجلس نقابة الصحفيين
الذي كان يرأسه في ذلك الوقت احمد بهاء الدين بيانا فيه تأييد للطلبة مع
الحرص والتعقل .

واستقبل أنور السادات رئيس مجلس الأمة بعض أعضاء لجنة الطلبة الذين احتشدوا مع المظاهرات حول المجلس . . ولكن المظاهرات لم تتوقف، واتجه بعضها إلى الأهرام . . الهتافات معادية ولكن الحرص على النظام والأمن شديد .

وفي مساء تمت حملة اعتقالات واسعة شملت عددا من أعضاء اللجنة والتهب الطلبة وتضاعفت المظاهرات . . واعتصم طلبة هندسة القاهرة في كليتهم .

ومرة أخرى التقى أنور السادات مع الطلبة في قاعة مجلس الشيوخ وحضر اللقاء شعراوي جمعة وأمين هويدى ومحمد فايق من الوزراء . ودارت مناقشة حرة طويلة . أوضح فيها أنور السادات حقيقة ما يتم من إجراءات لإعادة بناء القوات المسلحة . والاستعداد لتحرير الأرض المحتلة . تم الإفراج عن الطلبة المعتقلين بعد هذا اللقاء . وأغلقت الجامعة أبوابها وانفضت المظاهرات مؤقتا . بعد أن هزت كثيرا من استقرار النظام . وأعادت للحياة الدور السياسى للطلبة بعد غياب أمد ما يقرب من ١٤ عاما .

وكان طبيعيا أن يحاول جمال عبد الناصر استرداد مظهر قوته بعد هذه الأحداث . . فقرر أن يذهب إلى حلوان . . المنطقة التي انطلقت منها المظاهرات ليلقى خطابا على شمال المنطقة . . وقد سبق له أنه توزيع الأرباح ومحاولات سياسية لنصفية الموقف واجتذاب العاملين . ولم تكن هذه الخطبة هي نهاية للموقف الذى فجرته مظاهرات الطلبة . ولكنها كانت بداية مرحلة جديدة . أجبرت عليها قيادة الثورة بعد أن واجهت رفض الطلبة للهزيمة ، ونفاد صبرهم .

الفصل الثاني

المقاومة

ما اخذ بالقوة .. لا يسترد بغير القوة (

جمال عبد الناصر

استقر الوضع في مصر على رفض الهزيمة .. وركز جمال عبدالناصر كل طاقته وجهده على بناء القوات المسلحة واستعادة قدرتها القتالية . ولكن المقاومة لم تعد مصرية فقط .. اصبحت عربية .. فعندوان يونيو ١٩٦٧ اتجه الى مصر وسوريا والاردن ، واقتطع من كل منها ارضاسقطت تحت الاحتلال .. واختلف الموقف بذلك عن عدوان ١٩٥٦ الذي ركز ضربته على مصر .

وننتج عن الهزيمة خلق رابطة نضالية مشتركة بين شعوب الامة العربية وجذبت قضية فلسطين ثلاث دول عربية جديدة اصبحت ارضها محتلة ايضا .. كما جذبت بطريق غير مباشر بقية الدول العربية التي لحقتها اهانة الهزيمة التي لم تفرق بين عربي من البدو او الحضر .. من المشرق او المغرب .

وقد اختلفت طبيعة الارض التي فقدتها كل دولة عربية . . فالاردن ضاعت ضفته الغربية وانحسرت رقعته ليصبح (شرق الاردن) كما كان أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين . . ومع سقوط الضفة الغربية انتقل مئات الالاف الى شرق النهر . وواصلوا الحياة في مخيمات اللاجئين . . . وسوريا فقدت هضبة الجولان الحاكمة التي أحسن تحصينها الى درجة كان يصعب تصور احتلالها ، الامر الذي جعل سقوطها المفاجيء موضع دهشة العسكريين وظل أمرا تلاحقه علامات الاستفهام . . أما مصر فقد فقدت سيناء ومساحتها ثمن أراضي مصر تقريبا يسكنها عدد محدود وبها بلاد صغيرة قليلة مثل العريش ورفح والطور وغيرها . . ومعروف لدى العسكريين ان ممرات متلا والجدى هي أنسب مواقع تحتلها القوات المصرية للدفاع عن القناة ، ولكن فوزى الانسحاب جعلت سيناء تسقط ويصل الجنود الاسرائيليون الى مياه القناة .

وهكذا فرضت الظروف ان تقترن مقاومة شعب فلسطين بمقاومة الشعوب العربية الاخرى . . وأن تصبح المقاومة عربية وليست فلسطينية فقط .

وأرض فلسطين لم تعرف الهدوء منذ قامت فيها اسرائيل . . بل وقبل أن تقوم . . كانت هناك حركة وطنية فلسطينية شديدة النشاط . . وكانت هناك ستة أحزاب هي الحزب العربي ، وحزب الدفاع ، وحزب الاستقلال . والكتلة الوطنية ، ومؤتمر الشباب ، وحزب الاصلاح . . ولكنها جميعا انتهت بعد اعلان الهدنة وقيام اسرائيل وتشكيل حكومة عموم فلسطين التي رأسها أحمد (باشا) حلمي والتي سرعان ما عصف بها الزمن . وكان هناك حزب شيوعي فلسطيني تشكل عام ١٩١٩ وضم اليهود الى جانب العرب وظل سكرتيه يهوديا حتى عام ١٩٢٩ عندما أصبح له أول سكرتير عربي هو نجاتي صدقي ثم رضوان الحلو .

وقد فرضت حركة ١٩٣٦ نفسها على الحزب الشيوعي . . فكان لليهود ضد حركة وطنية عربية يقودها المفتي المرتبط بالنازية ، بينما حارب بعض العرب في صفوف هذه الحركة . . وقد أدى هذا الموقف الى ما يشبه الشلل للحزب ، الى أن شكل أميل توما وأميل حبيب ناديا تقديميا في حيفا ، ودعيا الى قيام اتحاد نقابات وجمعيات العمال العرب .

وبعد أن حل الكومنترن في منتصف مايو ١٩٤٣ تشكلت عصبة التحرر الوطني في منتصف سبتمبر ١٩٤٣ لتصبح تنظيما شيوعيا عربيا ، بينما بقي الحزب الشيوعي الفلسطيني قاصرا على اليهود .

ولكن هذا التنظيم العربي مالبث ان انقسم تحت ضغط ظروف قيام اسرائيل الى ثلاثة تنظيمات . . الحزب الشيوعي الاردني الذي أعلن في مايو ١٩٥١ وكان غواد نصار هو سكرتيه العام وضم حلقات شيوعية من شرق الاردن واعضاء العصبة في الضفة الغربية . . والعصبة في قطاع غزة وكان مقر لجنبتها المركزية في نابلس وقد حوكم أمام مجلس عسكري رأسه الصاغ لطفى واكد مندوبا للعصبة عام ١٩٤٩ وحكم عليه بالسجن ٦ سنوات - على جنايات كان يمكن ان يصل الحكم فيها الى الاعدام ، وبراءة ٤٩ متهما . .

وأخيرا الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي ضم العرب واليهود داخل اسرائيل .

بقيت هذه التنظيمات الثلاثة منبعثة من الحزب الشيوعي الاصيلي تناضل سياسيا في المناطق التي اصبحت تتبع ثلاث دول مختلفة ضد النفوذ الامبريالي والمشاريع المشبوهة التي حاولوا فرضها على المنطقة في محاولة للتعاون مع العناصر الوطنية التي كانت تنهج حتى ذلك الوقت خطا معاديا للشيوعية .

وقد وضعت امام الانظمة العربية ثلاثة مشاريع لامتصاص اللاجئين: اولها مشروع تعمير شمال غرب سيناء ، والثاني مشروع الجزيرة في سوريا ولبنان ، والثالث هو مشروع جونسون لامتصاص اللاجئين في الضفة الغربية .

خاض الفلسطينيون المعركة ضد هذه المشاريع ، ونشطت الهجمات الاسرائيلية للضغط على اللاجئين لقبولها . ولم تتوقف عمليات التسلل الى الارض المحتلة . . بدأت بمحاولة الحصول على ما تركه اللاجئين من اموال واثاث ثم تطورت لتصبح هجمات منظمة مسلحة .

وكان يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ فيصلا بين عهدين . . وهو تاريخ غارة غزة الشهيرة التي جعلت جمال عبد الناصر يتخذ ثلاثة قرارات هامة هي :
١ - ابلاغ الولايات المتحدة تأجيل مشروع تعمير شمال غرب سيناء الى ما بعد بناء السد العالي .

٢ - صفقة الاسلحة التشيكية حتى لاتقع مصر تحت رحمة الامبريالية والصهيونية التوسعية .

٣ - تشكيل وحدات فدائية فلسطينية .

وقد قام الشهيدان البكاشي صلاح مصطفى في عمان ، والبكاشي مصطفى حافظ في غزة بتشكيل وحدات فدائية من المساجين الذين حكم عليهم لتسللهم داخل فلسطين ، وقد اثرت هذه الهجمات على اسرائيل الى الحد الذي جعلها تدبر عملياتها الانتقامية الاجرامية ينسف الضابطون عن طريق عبوة ارسلت لهما في طرد عن طريق البريد .

وطبقا لاحصائيات وزارة الخارجية الاسرائيلية التي وردت في كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية) لاجد صادق سعد وعبد القادر يس يتبين انه كان هناك ٧٨٥٠ حادث تسلل منذ الهدنة حتى عدوان ١٩٥٦ ، قام بها اشخاص قدموا من الاردن ، ٣٠٠٠ من الحدود المصرية وغزة ، ثم حوالي ٦٠٠ من سوريا ، ٢٠٠ من لبنان .

ولكن العمل الفدائي توقف من جانب مصر مع عدوان ١٩٥٦ ومات عليه الاتفاق من تواجد قوات الطوارئ الدولية على حدود مصر وقطاع غزة . . وقد ساد الهدوء على الحدود رغم ان قوات الامم المتحدة قد قتلت نحو ١٠٠ شخص كان بعضهم يتسلل بغرض السرقة .

ولكن هذا الهدوء لم ينعكس سباتا ونوما على الحركة الوطنية الفلسطينية فقد كانت نماذج حركات التحرر الوطني تشكل امامها مشاغل مضيئة .

فقد بدأ الكفاح المسلح في فيتنام يهزم الوجود الفرنسي وبدأت ثورة الجزائر المجيدة تجذب انظار العالم بعد استعمار دام ١٣٠ عاما .
ولكن وجود قوات الطوارئ الدولية ، وانشغال جمال عبد الناصر بقضية الوحدة مع سوريا ، والمركة مع ثورة ١٤ يوليو العراقية والتي جعلت عبد الكريم قاسم يحتضن الحاج أمين الحسيني ويرفع معه شعار (عدنا) بينما القاهرة ترفع شعار (عائدون) ، وأخيرا الانفصال والانحسار في المد العربي المتصاعد .

كل هذا دفع جمال عبد الناصر الى مصارحة اعضاء المجلس التشريعي لغزة حسب ماورد في اهرام ٢٧ يونيو ١٩٦٢ بأنه ليست عنده خطة لتحرير فلسطين .

وقد سجلت اذاعة عمان هذه العبارة واستخدمتها كثيرا في الهجوم على مصر . . وعلى جمال عبد الناصر .
وكان الملك سعود قد قال للعمال الفلسطينيين في الظهران (عليكم أن تسلكوا سلوك الجزائر)

وقطعا لم يكن الملك سعود ليقول مثل هذا القول لولا ثقته من انه لن يتحول في ارض السعودية الى واقع عملي . . وان نظام الحكم هناك لا يمكن أن يسمح بصوت طلقات الرصاص للتدريب او الاستعداد .

خلقت هذه الحالة شعورا عند الفلسطينيين بأنه يجب عليهم أن يعتمدوا على انفسهم ، وأن يشقوا وسط كل هذه الظروف المعقدة والتناقضات الحادة بين الانظمة طريقا خاصا بهم ، لا يعتمد على النضال السياسي وحده .
وبدأت تظهر تنظيمات فلسطينية متعددة . . بلغ عددها في الكويت عام ١٩٦٣ حوالي ٣١ تنظيما . . وتمتد اختارت الكويت حيث توافرت ديموقراطية نسبية وثراء ملحوظ للفلسطينيين

وكانت جذور هذه التنظيمات تمتد الى تنظيمات سياسية قائمة فعلا في الساحة العربية . . الثورة المصرية ، حزب البعث ، والاخوان المسلمين . والقوميين العرب ، وبعض التنظيمات الارهابية .

جاء في كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية — غازي خورشيد) الذي أصدره مركز الابحاث لمنظمة تحرير فلسطين ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) اختصارا لاسمها ، قد تكونت في نهاية الخمسينيات بالكويت بعد هدوء الحدود في اعقاب العدوان الثلاثي ، وانها أصدرت اول نشرة سرية باسم (فلسطيننا) في اوائل ١٩٥٩ .

وكان معظم رواد هذه الحركة من المنتمين او العاطفين على جماعة الإخوان المسلمين ، عدا فاروق القدومي الذي كان منتشيا لحزب البعث ، ولو ان الوقائع التاريخية تثبت اتصالهم بالصين الشعبية عن طريق كمال عدوان وحصولهم على تأييدها .

وظل هذا التنظيم يعبئ نفسه حتى انطلقت شرارته الاولى — في اول يناير ١٩٦٥ عندما صدر البلاغ العسكري الاول لقوات (العاصفة) معلنا بدء الكفاح المسلح وانطلاق الثورة الفلسطينية (لتصفية الكيان الصهيوني المتمثل في دولة اسرائيل .

وبقيت (فتح) تعمل بشكل سرى محدود ، تخاطب مؤتمرات القمة بمذكرات رفعت الى المؤتمر الثالث في ٧ سبتمبر ١٩٦٥ ، ومؤتمر القمة الرابع في ١٤ مارس ١٩٦٦ ، وذلك بعد ان شكلت منظمة التحرير الفلسطينية بناء على قرار المؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد بالقدس في ٢٨ مايو ١٩٦٤ والتي كان أحمد الشقيري اول رئيس لها .

أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد انبثقت من حركة القوميين العرب الذين قلدوا في البداية حركة مصر الفتاة والقمصان الخضراء فأسسوا (كتائب الفداء) . . التي قامت على حسن عربي فضمت في صفوفها مناضلين من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر . . وقامت أيضا على أساس انه (لا مفر من القيام بأعمال عنف ضد الانهزاميين والمتعاونين مع الصفوة الحاكمة من جهة ثانية) وذلك بعد اقتناعهم بأنهم يشكلون (مجموعة ضاغطة) مهمتها (التأثير على الصفوة الحاكمة عن طريق ارهابها اذا اقتضى الامر لترفض أى صلح مع اسرائيل كخطوة اولى والتهيؤ لتصفيتها في جولة أخرى) وذلك كما ورد في كتاب (حركة القوميين العرب - باسل الكبيسي) الذي صدر عن دار الطليعة ببيروت .

وكان جورج حبش الفلسطيني هو العنصر الشديد الفعالية ، الذي انضم الى (جيش الانقاذ) الفلسطيني غير النظامي . والذي ارتبط مع هاني الهندي السوري الاصل البغدادي المولد ، ليشكلا مجموعة بيروت . والغريب ان هذه المجموعة قد ارتبطت بالارهابي المصري حسين توفيق الذي اغتال أمين عثمان ثم هرب الى سوريا بعد ان حوكم مع مجموعة من الشباب المصري ضمت أنور السادات وسعد كامل والسفير محمد كامل ابراهيم وغيرهم .

لجأت هذه المجموعة الى الارهاب فهاجمت معبدا لليهود في دمشق في ٦ أغسطس ١٩٤٩ وقتلت ١٢ وجرحت ٢٧ شخصا ، ووضعت القنابل في مدرسة (الاليانس) ببيروت ، وهاجمت مقر وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة في دمشق .

وقد حاولت (الكتائب) ان تصبح جناحا عسكريا للبعث ، ولكن لم يحدث اتفاق بين التنظيمين اللذين قام أحدهما على فكرة العنف ، وقام الآخر على فكرة التبشير بالقومية والوحدة العربية .

وقد تعرضت هذه المجموعة الى ملاحقة الشرطة بعد اعترافات حسين توفيق الذي اعتقل بعد محاولة الاغتيال الفاشلة لأديب الشيشكلي . ومع ذلك فقد حاولت هذه المجموعة الاتصال مع الشيوعيين والدخول معهم في جبهة (ان كانوا قد اعجبوا بالدور القيادي الذي لعبه الشيوعيون العراقيون في الانتفاضة الوطنية التي أجبرت صالح جبر على الاستقالة وأدت الى إلغاء معاهدة بورتسموث ، كما انهم تأثروا بالنجاح الكبير الذي حققه الشيوعيون في الصين بحيث اعتبروا الشيوعيين العرب قوة ثورية يجب ألا تستبعد من ساحة النضال الوطني ، وعلى هذا الأساس دخل القوميون العرب في مباحثات مع الشيوعيين بهدف التوصل الى صيغة

للمتعاون ، ولكن المباحثات سرعان ما انهارت بسبب موقف الشيوعيين من القضية الفلسطينية ، فقد تمسك الطلبة الشيوعيون بالخط الرسمي للحزب الشيوعية الخاص بتأييد قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة ، وبحكم الموقف المتصلب للقوميين العرب ازاء هذه القضية لم يجدوا أية نقط التقاء بينهم وبين الشيوعيين) وذلك حسب ماورد في مقابلة صحفية مع الدكتور جورج حبش في ٢٤ يونيو ١٩٧٠ نشرت في كتاب (حركة القوميين العرب) .

وتمكنت حركة القوميين العرب من تشكيل منظمة طليعية عام ١٩٥٢ تسمى (هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل) عارضت مع الحركة الوطنية الفلسطينية مشروعات الاستيطان ، وأصدرت مجلة أسبوعية اسمها (الثار) لعبت دورا مؤثرا في صفوف اللاجئين الفلسطينيين . ولم تقترب الحركة من الثورة المصرية الا بعد عام ١٩٥٤ عندما ظهر الدور الوطنى لثورة يوليو في حربها ضد الاحتلال البريطانى لمصر ومقاومة حلف بغداد والأحلاف العسكرية ، وعندما أصدر جمال عبد الناصر قرارا بقبول الطلبة القوميين العرب المفصولين من الجامعة الامريكية فى الجامعات المصرية .

واتجهت حركة القوميين العرب نحو التأييد المطلق للثورة المصرية ، وصدرت مجلة (الرأى) معبرة عنهم ، كما فتح (صوت العرب) أبوابه لهم وأوصل صوتهم الى جماهيرهم فى الاردن والارض المحتلة ، وأسهموا بذلك مع غيرهم من القوى الوطنية الفلسطينية فى بعث روح النضال ضد المشاريع الاستعمارية ، كما قام عبد الحميد السراج فى سوريا بتدريب أعضاء الحركة للنضال ضد الحكم الهاشمى فى الاردن .

وعندما قامت الوحدة نظر القوميون العرب الى الجمهورية العربية المتحدة على انها (نواة لدولة عربية قومية أوسع قادرة على خلق حياة أفضل للأجيال القادمة) ونقلت القيادة القومية للحركة مقر عملها الى دمشق فى أوائل ١٩٥٨ .

وعندما ظهر التناقض بين ثورة يوليو المصرية ، وثورة يوليو العراقية ووجه القوميون العرب نشاطهم نحو القوات المسلحة العراقية وكسبت عددا من الضباط ، (أخذ الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل دبعوثى القيادة القومية (للحركة) ويناقش معهم مختلف أبعاد النضال القومى .

وقد لعبت نشرتهم السرية (الوحدة) التى ساعد هانى الهنذى فى إصدارها دورا فى الهجوم على الحزب الشيوعى العراقى .

وقد صدر العدد الاول من مجلة (الحرية) الناطقة باسم حركة القوميين العرب فى يناير ١٩٦٠ موضحة موقفها كما يلى . . .

(نحن راغبون فكريا فى خوض معركة مع كافة القوى المعادية لحركتنا . . . سواء كانت شرقية أم غربية . . . يمينية أو يسارية) .

وهكذا لعبت حركة القوميين العرب دورا فى التركيز على قضية الوحدة العربية ، والصراع ضد الشيوعيين المحليين والقوى الرجعية فى الوطن العربى .

وعندما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية أيدها القوميون العرب ..
وعندما دعا جمال عبد الناصر في الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٦٣ الى اقامة (حركة قومية موحدة تندمج فيها كافة الحركات القومية في الوطن العربي) أرسلت الحركة وفدا الى مصر قابل جمال عبد الناصر الذي أيد فكرة اقامة تحالف لهذه القوى .

وظلت العلاقة بين الحركة وعبد الناصر الى ان نشب خلاف بين مصر ممثلة في بعض ضباط المخابرات المصريين الذين تولوا مسئولية الاتصال مع الحركة الثورية في اليمن وبين (الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن) التي تقودها (الحركة) .

ووصل الخلاف الى الحد الذي دفع الحركة الى دعوة (اليسار الناصري) الى تأكيد (استقلاله) الفكرى والسياسى والتنظيمى . والى اعتقال بعض قادة الجبهة القومية فى القاهرة .

البعث .. والقضية الفلسطينية

وقد لعب حزب البعث العربى الاشتراكى دورا رئيسيا فى تعبئة الامة العربية للنضال من أجل تحرير فلسطين التى تعتبر قضية محورية فى عقيدة الحزب ولذا فلها عليه تأثير داخلى حاسم .

وكان كبار قادة البعث مثل ميشيل عفلق واکرم الحورانى وصلاح البيطار قد تطوعوا عام ١٩٤٨ فى حرب فلسطين .. كما تاضلوا داخل سوريا لتوجيه مسار سياستها نحو دعم الوحدة العربية لتصبح قوة مؤثرة فى مواجهة اسرائيل .. حتى انتهى الامر الى قيام دولة الوحدة الاولى (الجمهورية العربية المتحدة) فى فبراير ١٩٥٨ (انظر الجزء الثالث عبد الناصر والعرب) .

كان حزب البعث خلال هذه الفترة قد تحمس لموقف ثورة يوليو عندما عقد عبد الناصر صفقة الاسلحة ، وكسر احتكار السلاح الغربى .. ووقف موقف المساندة الايجابية الفعالة عندما حدث العدوان الثلاثى على مصر ، وفتح فى حمص معسكرات لتدريب الشباب ، كما قام فرع الحزب فى غزة بنشاط سياسى أثناء فترة احتلال القوات الاسرائيلية لها .

واذا كانت العلاقة قد تعثرت بين ثورة يوليو وحزب البعث فان موقف ميشيل عفلق كان ثابتا وواضحا .. لم يهاجم وجود قوات الطوارئ الدولية على الحدود المصرية كما فعل اكرم الحورانى ، ولم يؤيد الحركة الانفصالية فى ايامها الاولى كما فعل الحورانى والبيطار .. وانما ثبت على موقفه المبدئى المدافع عن فكرة وقضية الوحدة العربية .

وفى عام ١٩٦٠ أنشئ مكتب فلسطين القومى تابعا لحزب البعث .. وكان ضمنه تنظيم للكفاح المسلح .

وخلال أعوام ١٩٦٣ و١٩٦٤ انشغل الحزب الحاكم فى سوريا والعراق بمشاكل الدولة الداخلية وخلافاتهم مع ثورة يوليو مما احدث نوعا من الاحباط وخيبة الامل كما يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى كان امينا

لهذا المكتب الذي قاده خالد يشرطى الذي كان عضوا فى القيادة القومية عام ١٩٦٣ .

ثم اتصل الفلسطينيون من البعث بأعضاء فتح بعد تكوينها ، وسقط خلال كعوش عضو الحزب شهيدا فى العمليات الفدائية عام ١٩٦٥ ، وكانت جريدة (الاحرار) البعثية فى لبنان قد نشرت البيان رقم ١ للعاصفة فى أول يناير ١٩٦٥ ، وفتحت صفحاتها دفاعا عنهم .

كما كانت جريدة البعث فى العراق تنشر بيانات العاصفة التى كان يسلمها فتحى عرفات شقيق ياسر عرفات الى طارق عزيز المسئول عن تحريرها ووزير الاعلام الحالى فى العراق .

ويذكر ان عددا من قادة فتح كانوا اعضاء فى البعث مثل ابو اللطف (ذاروق قدومى) ومحمد أبو ميزر ومحسن أبو ميزر وخالد يشرطى . ومع ذلك فقد اعتقل ياسر عرفات فى سوريا بوساطة أحمد سويدانى رئيس المخابرات فى عهد أمين الحافظ والذي تعاون بعد ذلك مع قادة الانقلاب العسكرى فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ .

كان الحكم فى سوريا والعراق بعد هذا الانقلاب يطارد البعث وقيادته القومية .

وعندما حدث عدوان ١٩٦٧ كان ميشيل عفلق فى البرازيل ومن هناك أرسل برقية تضامن الى جمال عبد الناصر .

وعندما قامت ثورة ١٧ يوليو فى العراق نشط البعث فى جمع التبرعات لمنظمة فتح الى أن أعلن عن تشكيل (جبهة التحرير العربية) فى أول يناير ١٩٦٩ ، حيث قامت بدورها فى النضال المسلح وتولى أمانتها العامة زيد حيدر ثم دكتور عبد الوهاب الكيالى وأخيرا عبد الرحيم أحمد .

المقاومة .. بعد العدوان

هذه النبذة التاريخية المختصرة تعرض الجذور التاريخية للحركات الرئيسية لنضال الشعب الفلسطينى قبل عدوان ١٩٦٧ .

ولم تكن هذه هى القوات الوحيدة فى الساحة .. كانت هناك قوات وتنظيمات أخرى صغيرة تبذل جهودها للعمل وسط صفوف الشعب الفلسطينى الذى تنأثر عدد كبير منه فى مختلف الدول العربية ، واستقر عدد منه فى أعمال مربحة ومجزية وخاصة فى المهجر او فى الدول البترولية .

وفتح عدوان ١٩٦٧ صفحة جديدة فى تاريخ النضال الفلسطينى . وجدت حركة (فتح) التى اختارت طريق الكفاح المسلح منذ مطلع عام ١٩٦٥ فرصة فريدة لاثبات وجودها والحصول على اعتراف الانظمة العربية المهزومة بها .

وكانت (فتح) قد حاولت الاتصال بالسلطات المصرية عام ١٩٦٦ ولكن العمل العربى كما سبق ان ذكرت كان فى يد ضباط المخابرات المصريين ، الذين كانوا مقتنعين بأن ارتباط بعض قادة فتح بالاخوان المسلمين ، هو فى ذاته امر يجب أن يعيدهم عن ثورة يوليو .. وخاصة

بعد ثبوت وجود الاخوان في تنظيم سرى عام ١٩٦٥ ومحاكمة بعض قادتهم والحكم على عدد منهم بالاعدام ،

ومع ذلك فقد كتبت في روز اليوسف في عدد ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧ بعد لقاء مع عدد من قادة التنظيمات الفلسطينية تحقيقا تحت عنوان (دقت ساعة حرب جديدة لاتكسبها اسرائيل ولا بالقنبلة الذرية) تحدثت فيه عن الحركة الفدائية وتأثيرها التاريخي في فلسطين ، وأشارت الى أن نقط انطلاق الفدائيين لن تكون في الخارج بعد أن أصبح العرب الفلسطينيون يشكلون أكثر من نصف تعداد سكان الارض التي تسيطر عليها اسرائيل ، ولما كان يغلبني الاعتقاد وقتئذ بان العمل الفدائي سوف يكون من داخل الارض المحتلة ، فقد قلت ان العمل الفدائي يخرج بذلك من حساسية الدول المجاورة وتتوفر له بذلك شرعية ثورية .

وكانت وكالة الانباء الفرنسية قد نشرت برقية من داخل اسرائيل في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ تقول فيها . .

(اذا كان رجل الشارع في اسرائيل قد ارتاح بعض الشيء بعد (حرب الايام الستة) من حزينان الماضي التي أبعدت الحدود الاسرائيلية عن المواقع الحيوية لاعمال العنف العربية فانه يبدو عليه اليوم الاستياء المشوب بالقلق بعد الغارات التي يشنها الفدائيون العرب التي تهدد بأن تصبح أكثر قسوة وخطورة) .

تزايد الدور السياسي لحركات المقاومة الفلسطينية وبرز دورها في الساحة العربية ، وبدأت تبحث عن طريق للاعتراف الدولي بها . وكان طبيعيا ان يكون اول تفكير لهم في الدولة الكبرى الصديقة الاتحاد السوفييتي الذي لم تكن تربطه بهم حتى ذلك الوقت صلة ما .

وفي هذه الفترة تعرف (صلاح خلف) أبو اياد ومعه عدد من رفاقه على بريماكوف مراسل البرافدا في القاهرة في ذلك الوقت ، ونائب معهد العلاقات الدولية بموسكو الآن في جلسة كانت في منزلي ، ودار خلالها حديث عميق حول دور حركة المقاومة الفلسطينية ، ولعله كان احدي البدايات في طريق اتصالات متعددة وطويلة امتد حتى أتاحت لهؤلاء القادة فرصة مقابلة عبد الناصر عن طريق محمد حسنين هيكل بعد نشر ما كتبت وقبول مصر لقرار مجلس الأمن .

وحتى هذه اللحظة كانت المخابرات المصرية تثير الشكوك حولهم فحذرت هيكل من احتمال دخول ياسر عرفات وصلاح خلف وفاروق القدومي على عبد الناصر وهم يحملون اسلحتهم .

ويكتب محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) ما دار في هذا اللقاء مشيرا الى قول جمال عبد الناصر بأنه كان من ضمن المشاكل عدم وجود عنصر فلسطيني في النضال ، وانه سيكون سعيدا اذا استطاعت فتح التعبير عن ارادة المقاومة عند الشعب الفلسطيني ، وانه لا يجد سببا واحدا يحول دون تعاونهم معا رغم ان مصر قد قبلت قرار مجلس الأمن لانه يعتقد ان للفلسطينيين كامل الحق في عدم قبول القرار والاعلان عن ذلك لانه لم يصدر من اجلهم ولا يحمل توقيعهم .

وبعد هذه الاتصالات بدأت فتح وحركات المقاومة الاخرى تأخذ مجالا في العمل السياسى والظهور الاعلامى .

وجد عبد الناصر فى فتح حليفا جديدا ليعوضه عن القوميين العرب .
وقررت عليه الظروف ان يقبل ما كان يرفضه فى الماضى .

وكانت حركة القوميين العرب قد عقدت بعد الهزيمة عدة مؤتمرات لبحث وتحليل الاسباب التى أدت الى هزيمة الجيوش العربية . . . وكانت حصيلة هذه المؤتمرات الطلاق الكامل مع الناصرية التى اديننت باعتبارها (حركة برجوازية صغيرة محكوم عليها بالفشل) ، كما دعت هذه المؤتمرات الى استبدال الناصرية (ببداية جديدة) من شأنها أن تغير حركة القوميين العرب من منظمة شبه برجوازية الى حزب لينينى ماركسى .

ونشرت مجلة (الحرية) تقول ان كل الانظمة العربية قد سقطت .
وانبثقت عن حركة القوميين العرب (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التى يقول كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انها تشكلت من اتفاق ثلاث منظمات هى منظمة ابطال العودة ، وجبهة التحرير الفلسطينية التى كونها الضابط الفلسطينى فى الجيش السورى أحمد جبريل ، ومنظمة شباب الثار التى تعرف أيضا باسم الجبهة القومية لتحرير فلسطين ، وهو التنظيم الفلسطينى لحركة القوميين العرب .

وقد تطورت العلاقات بين فتح وتورة يوليو الى الحد الذى جعل جمال عبد الناصر يصحب معه ياسر عرفات الى موسكو اثناء زيارته لها فى يوليو ١٩٦٨ بجواز سفر مصرى تحت اسم (محسن أمين) ، بعد ان كان قد سهل له مهمة الحصول على الاسلحة والتدريب فى مصر ، الامر الذى اثار قلق الملك حسين وخاصة عندما ضبطت الاسلحة المرسلة الى الفدائيين فى طائرتين قادمتين من القاهرة .

وقد ارسل الملك حسين رئيس وزرائه بهجت التلهونى للاحتجاج على ذلك اكثر من مرة .

ولم يتوان الفدائيون عن أداء دورهم النضالى بعد تنظيم وحدات عسكرية تابعة لمختلف التنظيمات القائمة فى الساحة والتى كانت (فتح) تشكل ثقلها الرئيسى .

وقد أدى تصاعد العمليات الفدائية الى اكتشاف اساليب جديدة فى القتال ، وظهرت الحاجة الى استخدام أسلحة أكثر تطورا مثل صواريخ ستريللا السوفيتية .

ولذلك أسهم جمال عبد الناصر فى ايجاد جسر مباشر بين القادة السوفيت وقادة فتح ، فقدم عرفات الى بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى .
ودارت المباحثات بين ياسر عرفات وكيريل مازاروف المسئول السياسى عن الصلة بحركات التحرر الوطنى وبعض العسكريين . . . وبدأت منذ ذلك التاريخ علاقة سياسية مباشرة بين الفلسطينيين والاتحاد السوفيتى ، أسهمت الى حد كبير فى امدادهم بالسلح ، ودعم موقفهم فى مجال السياسة الدولية .
أصبح الكفاح المسلح شعارا ترفعه كافة التنظيمات الفلسطينية وبدأ

تشكيل الوحدات الفدائية .. وانتقلت المعركة الى داخل الارض المحتلة .. وبدأت بعض التنظيمات الصغيرة في الانضمام الى فتح ، مثل جبهة التحرير الوطني الفلسطيني ، ومنظمة طلائع الفداء لتحرير فلسطين ، وجبهة ثوار فلسطين ، وقوات الجهاد المقدس .

ومع ذلك لم تتحد كافة المنظمات الفلسطينية ، ولم ينجح مؤتمر المنظمات الفدائية الذي عقد بالقاهرة في الفترة من ١٧ الى ٢٠ يناير ١٩٦٩ في دمج هذه التنظيمات في وحدة متماسكة فقد قاطعته الجبهة الشعبية . والتعدد في التنظيمات الفدائية يعتبر ظاهرة طبيعية ، تعكس واقع الشعب الفلسطيني خلال السنوات العشرين التي عاشها بعد قيام اسرائيل . وتششت فيها في مختلف الدول العربية .. الامر الذي جعل عددا من التنظيمات يرتبط بأنظمة معينة تنفق عليها وتحدد مسارها وسياستها . وارتدت ظاهرة التنافس والتناقض بين الانظمة العربية الى الساحة الفلسطينية ، حيث يريد كل نظام أن يطوع العمل الفدائي ليتناسب مع سياسته .

ويظهر كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انه كان هناك ١١ تنظيما هم :

فتح - قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة تحرير فلسطين - طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين - جبهة التحرير العربية - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) - جبهة النضال الشعبي الفلسطيني - الهيئة العاملة لتحرير فلسطين - منظمة فلسطين العربية - المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين .

ولدت معظم هذه التنظيمات في فترة المد لحركة الكفاح المسلح ، وفي موجة اندفاع ابناء الامة العربية وخاصة ابناء فلسطين الى العمل الفدائي .. والبعض منها كان نتيجة لحركات انقسامية في صفوف الجبهة الشعبية . ورغم هذا فقد حدث تزواج قومي في صفوف هذه التنظيمات .. فوقف في خندق واحد المصري والفلسطيني والعراقي والسوري والجزائري .. وغيرهم من مختلف الدول .

لم يحدث هذا التزاوج في تحركات تقليدية للقوات المسلحة للانظمة المختلفة .. وإنما حدث بروح تطوعية و ارادة شعبية . واستلقت اهتمام الرأي العام العالمي ، حركات العمل الفدائي التي بدأت تؤرق اسرائيل ، وتظهر المقاومة الفلسطينية كعنصر ايجابي مؤثر في الموقف العسكري والسياسي بالمنطقة .

أصبحت شعارات الفدائيين وصورهم ترتفع فوق المظاهرات في دول أوروبا الغربية .. وتعمق اهتمام الدول الاشتراكية بجدية حركة التحرير الوطني الفلسطينية ، فاعترفت بها وبحقوق شعب فلسطين ، ثم ايدت فكرة اقامة دولة فلسطينية ، وأخيرا ادانت الصهيونية كفكرة عنصرية .

وقد أخذت الحركات الفدائية أساليب مختلفة في عملها .. البعض

حارب داخل اسرائيل . . . والبعض اكتفى بمناوشات الحدود . . . والبعض اتجه الى خطف الطائرات فكانت العملية الاولى التي قامت بها الجبهة الشعبية يوم ١٥ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة (بوينج ٧٠٧) تابعة لشركة العال الاسرائيلية اثناء اقلاعها من مطار روما وقادتها الى مطار الجزائر .
وقد اختارت فتح منهجا سياسيا يصر على (تجنب المعارك السياسية والفكرية مع القوى الاخرى مهما كان السبب ، لان هذه المعارك ستؤثر على سرعة نموها) . . . وحرصت على تجنب الصدام مع الانظمة التي تعيش فوق ارضها .

أما بعض التنظيمات الاخرى فقد اتجهت الى الماركسية اللينينية لتجد فيها ذخيرة فكرية ، ومرشد نضال . . . وبدأ الصراع الطبقي يصبح محورا من المحاور الرئيسية التي يتبلور حولها تفكير واستراتيجية هذه التنظيمات .

طلّعت حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) الفرع الفلسطيني لحكم سوريا تؤمن بالاشتراكية العلمية وترى ان (الصراع الطبقي في وطننا لم يتبلور نتيجة انقسام حاد في المجتمع . . . وانما برز نتيجة عجز طبقات مهترئة اقطاعية وبرجوازية عن قيادة وحماية تراث الوطن العربي من الغزو الاستعماري)

والجبهة الشعبية اعتنقت الماركسية اللينينية كما ذكرنا . . . ولكنها ادانت الاحزاب الشيوعية العربية ووصمتها بالفشل ، اذ كانت ترى في نفسها البديل لتلك الاحزاب .

ولكن سرعان ما حدثت الانقسامات في الجبهة عندما انشق احمد جبريل ليشكل القيادة العامة في اكتوبر ١٩٦٨ ، وفي فبراير ١٩٦٩ انشق الجناح اليساري من الجبهة ليشكل (الجبهة الشعبية الديمقراطية) .

ولاشك ان انجذاب التنظيمات الفلسطينية الى الماركسية اللينينية خلال فترة مابعد العدوان قد شكل تغيرا جذريا في اتجاه الحركات السياسية في الشرق الاوسط ، وفرض على الانظمة العربية تقليل حساسيتها التقليدية من الافكار والاحزاب الشيوعية . . . كما جذب أنظار الطبقات العاملة في الوطن العربي الى ضوء جديد . . .

ولكن عدم نجاح هذه التنظيمات في التعاون مع الاحزاب الشيوعية القائمة اظهر نقاط ضعف في تعبيرها السليم عن الواقع الطبقي للعمال والفلاحين . وفي اجمال الدور التاريخي لهذه الاحزاب ، مع محاولة طموح للقفز فوق الواقع .

على أية حال كان جديدا ان تظهر تنظيمات تقول مثل ما قالت الجبهة الشعبية الديمقراطية من أن (النضال ضد الامبريالية هو اساسا نضال طبقي ، فالامبريالية تحكم سيطرتها وهيمنتها على المنطقة العربية خلال تحالفها مع الاقليات العربية الحاكمة في الانظمة الرجعية) .

أما الحزب الشيوعي الاردني فقد ظل هادئا امام موجات الاندفاع الى العمل الفدائي حتى مارس ١٩٦٩ عندما أصدر بيانا دغا فيه الى (حماية

المقاومة المسلحة الناشئة وتنميتها وتنظيمها وتوحيدها) . . كما أشار الى أن (جميع الظروف آخذة في النضوج لاقامة جبهة شعبية ثورية تكون مؤهلة لقيادة الجماهير الشعبية في الاراضى المحتلة بشكل واع) . . كما طالب بتنسيق العمل بين قطاعى المقاومة في الاراضى المحتلة والضفة الشرقية) .
وأخيرا ظهرت قوات الانصار التى صدر بيانها الاول فى مارس ١٩٧٠ فكانت منظمة فدائية جديدة أسهم فى تكوينها الاحزاب الشيوعية فى كل من الاردن والعراق وسوريا ولبنان . . وجاء فى بيانها الأول (انها - لا تبغى منافسة أو معارضة أية منظمات مقاتلة ضد العدو - بل - ستكون رافدا من روافد المقاومة يصب فى نهريها العارم .

وتماوجت فى الوطن العربى عدة أفكار سياسية . . فبرزت الفكرة القائلة بأن النظرية تنبع من فوهة البندقية . . وعارض ذلك من يعتبرون أن فى ذلك محاولة للتقليل من أهمية ودور النضال السياسى وهو فى مضمونه استهانة بالجماهير .

وقد شهدت السنوات التى أعقبت الهزيمة اتساع نفوذ المنظمات الفدائية وخاصة فتح التى انتخب زعيمها ياسر عرفات رئيسا لمنظمة تحرير فلسطين أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى بدلا من يحيى حمودة ، وانتقلت بذلك الاغلبية فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى أيدي ممثلى النشاط الفدائى .

المقاومة داخل الارض المحتلة

لم تقتصر المقاومة العربية الفلسطينية على حدود الارض المحتلة وانما امتدت ايضا داخل الاراضى الاسرائيلية . . قام بها العرب الذين بقوا تحت الحكم الاسرائيلى .

لم تتجه المقاومة داخل الارض المحتلة الى الكفاح المسلح فى البداية ، فقد كانت قبضة القوات الاسرائيلية بعد الانتصار وبداية الاحتلال شديدة العنف تطارد السلاح كالكلاب المسعورة .

وقد برزت الشخصية الفلسطينية وظهرت بوضوح وقوة . . واتجهت الجماهير الى التحرك السياسى الذى نشطت فيه الجبهة الشعبية والحزب الشيوعى الاردنى والحزب الشيوعى الفلسطينى بقطاع غزة .

وحاولت الحكومة الاسرائيلية فى مواجهة ظهور الشخصية الفلسطينية العمل بأسلوبها السابق على عدوان ١٩٦٧ ، وهو الاعتماد على شريحة محدودة من بعض الاثرياء والعملاء . . لتميع الشخصية الفلسطينية وتفريغ شحنة نضالها .

وكانت بعض الاحزاب العربية قد تضامنت مع الماباى وحكومة ليفى اشكول عقب استقالة بن جوريون . . وأيد بعضها قرار الكنيست باقامة علاقات دبلوماسية مع المانيا الغربية . . كما أيدوا الاجراءات الشكلية التى أخذتها الحكومة الاسرائيلية بنقل اختصاص الحكم العسكرى الى الادارة المدنية ومساواة العمال العرب بالعمال اليهود فى الهستدروت .

وبعد الانتصار اتبعت السلطات الاسرائيلية سياسة مزدوجة . . القمع والارهاب وتحويل الارض المحتلة الى شبه مستعمرات من جهه والتعاون السياسى مع بعض الاثرياء وخلق مايشبه السوق العربية الاسرائيلية المشتركة حيث تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الاردن والدول العربية .

صرح أبا اييان فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧ فى مؤتمر صحفى بأن اسرائيل ترغب فى تكوين (مجتمع اقتصادى مشترك) مع لبنان والاردن . واستجاب بعض الاعيان لذلك فشكّلوا لجانا قومية وقطرية لاجراء مفاوضات مع الحكومة الاسرائيلية باركتها الحركات الصهيونية مثل هاعولام هازيه والمابام وماكى .

وفى نوفمبر ١٩٦٨ صدرت أول جريدة عربية (القدس) . ولكن الفلسطينيين لم ينجرّفوا فى هذا التيار السهل . . كانت هناك مجموعات أشد صلابة وتشبّثا بالافكار الوطنية والقومية . فى اكتوبر ١٩٦٧ تشكّلت فى الضفة الغربية جبهة واسعة باسم : (جبهة المقاومة الشعبية) . ضمت الحزب الشيوعى الاردنى والقوميين العرب وحزب البعث وجبهة تحرير فلسطين . . وقد استبعد الاخوان المسلمون والعناصر الموالية لأمريكا . كما جاء فى كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية أحمد صادق سعد وعبد القادر يس) . . وكانت هذه الجبهة تعارض اقامة دولة فلسطينية تحت كنف الاحتلال الاسرائيلى .

ثم أعيد تشكيل (جبهة المقاومة الشعبية) فى منتصف عام ١٩٦٩ حيث نسقت العمل مع (الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة) ، وقد لعبت الاحزاب القومية والتقدمية دورا بارزا فى توجيه الجماهير . وقد تحولت المقاومة الى شكل ايجابى ، فأغلقت كافة المحلات وتوقفت المواصلات فى اضراب عام خلال اغسطس ١٩٦٧ فى مدينة القدس . وفى أول سبتمبر أصدر المدرسون فى الضفة الغربية بيان احتجاج على تزييف الحكومة الاسرائيلية للمناهج الدراسية ودعوا الى مقاطعة الدراسة . . وقامت مظاهرة عمالية من العاطلين فى رفح خلال ديسمبر تطالب بالحزب فاطلق عليها الجنود الاسرائيليون النار ، وسقط شهيد .

وتوالى الاضرابات والمظاهرات والاحتجاجات فى كل مناسبة وطنية او قومية . . ووصل الامر الى حد قيام احتكاكات بين البوليس والمتظاهرين فى مدن عديدة مثل نابلس ورام الله وجنين (انظر الحركة الوطنية الفلسطينية صفحة ١٣٣)

ولجأت السلطات الاسرائيلية الى ابعاد العناصر الوطنية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية .

وقد سجلت المحاكم العسكرية انها نظرت فى شهرين اثنين من عام ١٩٦٧ ما يقرب من ٦٥٠ قضية اهانة للبوليس والجيش الاسرائيلى ، كما قدم لمحكمة غزة العسكرية ما يقرب من ٢٠٠ فدائى .

وقد صرح الجنرال دايان فى أول يناير ١٩٧٠ امام الكنيست ان ٩٩٩ عملا تخريبيا قد وقع خلال ٨ شهور من عام ١٩٦٩ قتل فيها ٤٠ فدائيا .

٢٣ جنديا اسرائيليا ، وجرح ٥٥٨ فردا ، وقد ردت السلطات الاسرائيلية
بقتل ٥٠ عربيا وجرح ٥١٦ .

وكان هذا دليلا على أن المقاومة لم تقتصر على تحركات جماهيرية
سياسية فقط ، ولكنها تجاوزت ذلك الى العمليات العسكرية التي تبنتها
التنظيمات الفلسطينية خارج الارض المحتلة والتي كان يتسرب أعضاؤها
الى الداخل سرا .

وقد انفجرت بعض القنابل في دور السينما والمحلات العامة ،
وأماكن التجمع داخل اسرائيل الامر الذي خلق نوعا من الذعر لاشك فيه بين
المستوطنين الصهيونيين
هذا ما كان من المواطنين العرب الفلسطينيين .

المقاومة داخل اسرائيل

أما ما حدث داخل اسرائيل نفسها منذ اللحظة الاولى للعدوان فكان
يتخذ وجهة اخرى واسلوبا مختلفا .
كان الشيوعيون الاسرائيليون قد حذروا قبل العدوان من اشاعة
الهستيريا العسكرية ، وأكدوا ان الحرب مهما كانت نتيجتها لن تحل أى
قضية معلقة ولن تؤدى الا الى زيادة الجفاء والعداء بين اليهود والعرب .

وفي ٥ يونيو ١٩٦٧ كان النائبان الشيوعيان ماير فيلنر سكرتير حزب
راكاح وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما الوحيدان من بين
أعضاء الكنيست اللذان صوتا ضد اعتماد قروض عسكرية او فرض ضرائب
جديدة . . كذلك حاول النائبان تجميع توقيعات النصاب القانونى لفتح باب
مناقشة الحكومة فى أمر العدوان ولكنهما لم ينجحا فى ذلك لتكتل الجميع
خلف العدوان .

وقال ماير فيلنر فى الكنيست (لم يكن فى استطاعة أى عدو ان يلحق
باسرائيل أضرارا كذلك التى الحقها الحكومه الاسرائيليه) وطالب بوقف
العمليات العسكرية التى بدأتها اسرائيل فورا وبسحب القوات الى خط
الهدنة .

وأضاف فيلنر (ان هذه الحرب ليست فى صالح شعب اسرائيل
وليست فى صالح الشعوب العربية وانما هى فقط تخدم المصالح الامبريالية
الامريكية والبريطانية وتسعى لحماية هذه المصالح بسفك دماء الشعوب) .
وثار النواب ضد فيلنر وحاولوا انزاله من منبر الكنيست فصاح فيهم
توفيق طوبى كما ورد فى كتاب (اطلاق الحمامة) لبيليايف وبريماكوف .
وكوليسني تشنكو (انكم لن تستطيعوا كتم صوت الشيوعيين فهو صوت الحق ،
صوت الشرفاء من العرب واليهود ، صوت السلام . ولا بد يوما ان يعلو هذا
الصوت على نعيقكم)

وقد قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من الشيوعيين .

ومن بينهم أسرة تحرير جريدة (الاتحاد) العربية لسان حال الحزب الشيوعي ومع ذلك استمرت الجريدة في الصدور هي وجريدة الحزب العبرية (زوخادريخ) .. واحتج الشيوعيون على وضع المناطق التي يسكنها عرب الارض المحتلة تحت الحكم العسكري .

كان الشيوعيون الاسرائيليون وحدهم هم الذين يأخذون هذا الموقف الواعى الشجاع في ظروف شديدة القسوة . وكان صوتهم الذي يبدو نثارا في غمرة الابتهاج الذي غمر اسرائيل وانتقل منها الى الدول الغربية هو الصوت الوحيد المتعل الذي يدرك ان نصرا في معركة لا يمكن ان يفرض سلاما على المنطقة .

وكان النائبان الشيوعيان ماير فيلنر سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما النائبان الوحيدان اللذان صوتا ضد قرارين أصدرهما الكنيست اولهما يقضى بتوحيد القدس واخضاعها لادارة محلية واحدة ، متحديا في ذلك قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وثانيهما يقضى بالموافقة على قرار بنك اسرائيل الذى أعلن فيه ان الليرة الاسرائيلية هي العملة الوحيدة التى يصرح بتداولها فى الجزء العربى من القدس .

كان الموقف الذى اتخذه النائبان الشيوعيان يتسم بالشجاعة والحرص على الموقف المبدئى فى مواجهة خطة صهيونية توسعية للاستيلاء على الارض العربية ، فبعد صدور قرارات الكنيست عقد رئيس الوزراء ليفى اشكول مؤتمرا صحفيا فى القطاع العربى من القدس وأعلن ان العسكريين الاسرائيليين ليس فى نيتهم التخلى عن الارض العربية المحتلة .

وقد واصل الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) موقفه الصلب ضد صهيونية الحكومة الاسرائيلية فى بسالة ملحوظة وحكمة ثورية . . وقاوم اعضاؤه قرارات حظر التجول بين المدن التى فرضت على اعضائه . وظلت جريدة الاتحاد منبرا معبرا عن رأى الحزب وجماعه . . تؤدي دورا أساسيا فى توعية الشعب العربى الفلسطينى ، وتماسكه وصلابته ، . . وتجذب الى صفوف الحزب مزيدا من الانصار ، الامر الذى لوحظ تماما فى انتخابات البلدية ثم الكنيست .

وبعد أن كان

العرب ينظرون الى الذين بقوا فى اسرائيل نظرة المتهاون والمتهاون فى وطنيته ، تحولت هذه النظرة الى تقدير واعزاز . . وأصبح الشعراء العرب فى اسرائيل نماذج للصمود والمقاومة . . وردد الناس أشعار سميح القاسم وتوفيق زياد ومحمود درويش وغيرهم بعد أن فتحت الصحف العربية صفحاتها لهم واحتفت بانتاجهم .

لم يلجأ العرب الفلسطينيون داخل اسرائيل الى المقاومة المسلحة المباشرة كما فعل زملاؤهم خارج الارض المحتلة او داخلها ، مكتفين بفرصتهم

المتاحة لمعارضة سياسة الحكومة الاسرائيلية بوسائل سياسية سواء داخل الكنيسة او فى المجالات الشعبية .
وكانت الحكومة الاسرائيلية تتربص للعرب محاولة تصيد أى أخطاء لهم فى هذا السبيل لتضاعف القيود الفظيعة التى كانت تفرضها عليهم فى الانتقال من مدينة الى أخرى وفى سلب الحقوق التى كان مفروضا ان يحصلوا عليها باعتبارهم مواطنين اسرائيليين . . فقد كانت هناك تفرقة عنصرية واضحة ضد السكان العرب أولا ثم ضد اليهود الشرقيين ثانيا .
وقد لعب الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) دورا بارزا وهاما فى ضبط ميزان المقاومة ، فتشبت بالمواقف المبدئية وناضل فى سبيلها بكل الجراءة والصراحة مع حرص على عدم الانزلاق الى مواقف غير ناضجة لاتسمح بها الظروف ولا التعبئة الشعبية المتاحة .

المقاومة فى مصر

لم تكن ثورة يوليو بعيدة عن المقاومة الشعبية . . كانت تلجأ لها فى اوقات الشدة . . ولكن بأسلوبها الخاص .
عندما انتهت حركة الكفاح المسلح فى القناة التى بدأت عام ١٩٥١ فى عهد الوفد مع حريق القاهرة ، قامت حركة الجيش بعدها بستة شهور . . ووجدت فى الكفاح المسلح طريقا رئيسيا للضغط خلال المفاوضات مع قوات الاحتلال البريطانية لاجبارها على الجلاء .
ورغم أن محكمة الثورة التى تشكلت من عبد اللطيف البغدادي رئيسا وعضوية أنور السادات وحسن ابراهيم قد وجهت الاتهام الى فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد بأنه قد خاض معركة الكفاح المسلح دون استعداد . . الا أن هذا الاتهام لم يجد صدى عند الجماهير سوى الدهشة والاستغراب . . فقد كان الكفاح المسلح ورعاية الوفد له وساما من ألمع الاوسمة التى تزين تاريخ الوفد .

ولم تتخل حركة الجيش عن الكفاح المسلح . . ولكنها سلبته من أيدي القيادات الشعبية للأحزاب والتنظيمات المختلفة ، ووضعت بين أيدي ضباط المخابرات الحربية والعامة الذين ربما كانوا أقدر على التدريب العسكرى من غيرهم ، الا أن قدرتهم على تحريك الجماهير كانت محدودة . . ورؤيتهم للكفاح المسلح كانت تختلف عن رؤية الأحزاب الشعبية .

ومع ذلك أثمر الكفاح المسلح فى منطقة القناة ضغوطا كانت تزيد وتخف تبعا لموقف البريطانيين على مائدة المفاوضات .
ولم تكن تجربة الكفاح المسلح فى القناة خلال سنوات ١٩٥٣، ١٩٥٤ هى التجربة الوحيدة التى خاضتها ثورة يوليو . . كانت هناك تجربة المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ (أنظر الفصل الرابع من الباب الاول - الجزء الثانى) .

تغير أسلوب حركة الجيش نوعا ما .

صحيح انها اعتمدت على رجالها من ضباط الجيش والمخابرات . . .
ولكن هؤلاء لجأوا بدورهم الى القوات الشعبية وفي مقدمتهم الشيوعيون
واليساريون . . . وحدث نوع من التوافق والتنسيق ونكران الذات . . . وسجلت
المقاومة الشعبية أعمالاً بطولية بارزة ضد قوات الاحتلال البريطاني والفرنسي
في بورسعيد وبورفؤاد .

ولكنه ما ان تم جلاء قوات العدوان حتى بادرت الحكومة بسحب الاسلحة
من الشعب بأسلوب هادئ قام به عبد اللطيف البغدادي كما اوضحت في
الجزء الثاني . . . وانفرط نسيج العلاقة النضالية التي ربطت بين حركة
الجيش وبين القوى الشعبية .

خلال أعوام الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطاني في القناة .
وخلال فترة المقاومة الشعبية ضد المعتدين عام ١٩٥٦ . . . كانت هناك فرصة
التحرك في حرب الانتصار والقصاصات ضد العدو ، فقد كان يحتل مناطق
أهلة بالسكان .

ولكن عدوان ١٩٦٧ خلق ظروفًا مختلفة ، فقد تغيرت نوعية العدو ،
فأصبح الاسرائيليون بدلا من البريطانيين . . . واستقرت بهم الحال في سيناء
شرق القناة حيث الصحراء شاسعة تكاد تكون خالية من العمران ، وليس
بها الا عدد محدود من المدن (العريش ورفح) القليلة السكان .
أصبحت المقاومة الشعبية أشد صعوبة من ذي قبل فقد خلقت قناة
السويس مانعا بيننا وبين العدو ، وضاعت فرصة التسلل عبر حدود قطاع
غزة الى أرض اسرائيل .

وكان رفع شعار المقاومة الشعبية بعد الهزيمة الفادحة التي منيت بها
القوات المسلحة يبدو نغمة نشارا فقد خسر الجيش سلاحه ، ولم تعد هناك
أسلحة كافية لتسليح الشعب .

وقد استبدت الحيرة بجمال عبد الناصر في ذلك الوقت فالجماهير
تتصور اننا لابد أن نرد الضربة للعدو خلال شهور ، ولذا فعلينا ان نحتفظ
بالاعلام والانشيد في الاذاعة . . . وقد قال في احدي خطبه انه بحثا عن
النغمة الصحيحة سأل بعض زملائه في الوزارة فقالوا له ان لندن كانت تذيع
الاغاني العادية وقت ضربها بالقنابل أثناء الحرب العالمية الثانية .

كانت (النغمة الصحيحة) مفقودة فعلا في مواجهة الهزيمة الفادحة .
ولكن ذلك لم يحل مطلقا دون التركيز على سرعة بناء القوات المسلحة،
واقحامها في معارك تعيد لها الثقة ، مثل اغراق المركب الاسرائيلي ايلات
بصواريخ الطوربيد في اكتوبر ١٩٦٧ وكما سيأتي تفصيلا فيما بعد .

وجاء رد الاسرائيليين عنيفا اذ ضربوا معمل تكرير البترول في السويس
حتى تحطم تماما ، واتجه الرأي الى تهجير السكان من مدن القناة حماية لهم
من التعرض للمدفعية والطائرات الاسرائيلية .

وأخذت الايام تضي والقوات المسلحة تستعيد تنظيمها وقوتها . .
ولكن جماهير الشعب لا تشعر بشعور المعركة الا من بعض المظاهر التي
تحيط بها .

ولم يلعب الاتحاد الاشتراكي دورا ملموسا في تعبئة الجماهير للمعارك، فقد كانت هناك خشية دائمة من حركة الجماهير حتى لا تخرج عن إطار حسابات خاصة تبعتها عن طواعية النظام .

الخشية من الحركة الشعبية والتفاعل الحى معها رغم اعتماد جمال عبد الناصر عليها كان يشكل معادلة صعبة أمام النظام .
وعندما زادت الضغوط حول قضية اشراك الجماهير فى المعركة ونقلهم من مقاعد المتفرجين الى مشاركين فعليين أعلن جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ عن تشكيل (لجان المواطنين من أجل المعركة) .

ولم تكن حقيقة الاتحاد الاشتراكي خافية على جمال عبد الناصر فقد قال فى اجتماع خاص عقده مع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي فى نهاية ديسمبر ١٩٦٤ مانصه (الملاحظ اليوم ان هناك انعزالا بين القيادة والناس ، والذي أريد ان أقوله هو أن تنظيم الاتحاد الاشتراكي حتى الآن هو تنظيم على الورق رغم مؤتمرات الوحدات الاساسية ٠٠ تنظيم ٦ مليون شخص عملية مستحيلة ونحن يهمنى ان ننظم القيادات والكادرات ٠٠ اننا فعلا نطبق الاشتراكية من دون اشتراكيين وأنا لا أستطيع ان أقول اننا نطبق الاشتراكية ونريد أن نوحده الاشتراكيين بعد ذلك) .

كان جمال عبد الناصر يمهّد بذلك لتكوين وظهور طليعة الاشتراكيين التى شكلت فعلا كما اوضحت فى الجزء الثانى .

وكان مفروضا ان يكون السند الرئيسى والاساس الحقيقى للمقاومة الشعبية هو هذا التنظيم الطليعى .

واسجل حديثا لجمال عبد الناصر أيضا مع امانة الاتحاد الاشتراكي قال فيه :

(اننا نستطيع أن نعقد مؤتمرا سواء كان فى شادر او فى الجامعة او فى الشوارع ، ولكن طالما انه لا توجد الكادرات الثورية فان الناس ستحضر ثم تنصرف ولا شئ آخر) .

(من الممثل الثورى للاتحاد الاشتراكي فى العريزية مثلا ؟) (بلدة سيد مرعى)

ويجيب سيد مرعى قائلا (سيد مرعى) فيضحك الحاضرون .
ويستكمل عبد الناصر الصورة قائلا (انت تقيم فى القاهرة ولكن من هو الممثل الثورى للفلاحين ؟)

ثم يسأل فى تحد (أين هم الناس الذين يدافعون عن الاشتراكية على أساس انهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ؟ قد تقول لى انهم كل أهل البلد ولكن أين القيادات التى يمكن أن تتقدم وتقود هؤلاء الناس)
هكذا كان الامر راضحا عند جمال عبد الناصر منذ البداية . وطبيعة الاتحاد الاشتراكي لم تتغير بصورة جذرية .

ولكنه عندما واجه الامر بعد يونيو ١٩٦٧ اتخذ طريقا مغايرا واختار تشكيلا جديدا هو (المواطنون من أجل المعركة) .

كان مفروضا في هذا التنظيم الجديد ان يحقق نوعا من الايجابية في تعبئة الجماهير وحشدها للمعركة... ولكن يواصرها كانت تدل على خلاف ذلك ، فقد عين حافظ بدوي مسئولا عنها ، وهو رجل بعيد عن هذا الميدان تماما . فليست له قدرات عسكرية . وموقعه السياسى لم يتجاوز حدود محافظة كفر الشيخ التى كان مسئولا عن الاتحاد الاشتراكى بها حتى اصبح وزيرا للشئون الاجتماعية .

ولذا جاء هذا التعيين دليلا على رغبة عبد الناصر فى اقامة تنظيم شكلى جديد لايموج بالحيوية ولا يحشد طاقة الشعب الحقيقية . ولم تكن لهذا التنظيم فعالية حقيقية . بل انه شكل ازدواجية تنظيمية غير مطلوبة ، كما انه لم يقم بدور (المليشيا الشعبية) كما قام بها (الحرس الوطنى) التابع لحزب البعث فى العراق مثلا خلال فترة زمنية معينة عام ١٩٦٣ .

كان اعطاء السلاح للجماهير أمرا غير وارد فى تفكير جمال عبدالناصر أو قادة النظام فى مصر لانهم كانوا يعتمدون على قدراتهم وسلطتهم الادارية فقط ، ولم يلجأوا لتسليح الشعب الا تحت ضغط ظروف العدوان ومقاومة الاحتلال كما حدث عام ١٩٥٦ .

ولكن الموقف بعد الهزيمة كان مختلفا . فالعدو كما ذكرنا بعيد عن رؤية الجماهير ، ومحاربتة تتم عن طريق وحدات القوات المسلحة الفدائية . وتسليح الشعب يشكل خطرا على النظام فى وقت اهتزت فيه الثقة بالقيادة ولايستطع التنظيم السياسى ان يكون مقنعا او محل احترام الجماهير . ولذا استقبل الناس (لجان المواطنين من أجل المعركة) بسلبية واضحة وسخرية غير مستترة . فقد كان حافظ بدوي الذى عين بها مسئولا شخصية غير مقنعة لأحد بأنه قادر على حشد وتعبئة الجماهير ، فلم يعرف له ماضى سياسى ، ولم يشتهر بموقف نضالى ، وليست له ثقافة عسكرية تتيح له امكانية حمل عبء هذه المسئولية التاريخية . ولذا انفرط عقد (لجان المواطنين من أجل المعركة) قبل اكتماله ، وأصبحت تنظيما اضافيا هامشيا لا قيمة له ولا تأثير .

ولاشك ان جمال عبد الناصر يعتبر مسئولا مسئولية تاريخية عن عدم البحث الجاد فى تكوين المقاومة الشعبية ، اذ ركز جهده فقط فى اعادة بناء القوات المسلحة ، بينما يشكل الاثنان أساسا موحدا للنضال من أجل التحرر

وكذلك فان اختيار جمال عبدالناصر لحافظ بدوي رئيسا لهذا التنظيم الجديد يعتبر فى ذاته خطأ بالغا . لانه لا يضع الشخصية المناسبة فى المكان المناسب ، واما انه يعطى احياء صريحا بأن هذا التكوين كان لعبة من ضمن الألعاب التى يمكن ان تمتص بعض طاقة الناس أو غضبهم .

ولكن (لجان المواطنين من أجل المعركة) لم تحقق شيئا من ذلك ولم تقدم شيئا نافعا . وظلت المقاومة الشعبية كلمة وشعارا بعيدا عن التحقيق .

الفصل الثالث

العرب . . . وظلام الهزيمة

(تقدم او ٠٠ مت)

شعب الجزائر فى مظاهرات
٩ يونيو سنة ١٩٦٧

لم تفرض الهزيمة نفسها على العرب ، ولم ترضخ الجماهير للنتيجة ،
ولم تترنح من الصدمة المذهلة .
تشابه الموقف تقريبا فى الدول التى احتلت أرضها أو الدول التى لم
تتأثر مباشرة من العدوان ، بدرجات متفاوتة .
وعلى قدر ما اتحدت المشاعر تأييدا لمصر وجمال عبد الناصر يوم ٥ يونيو
على قدر ما كان قبول وقف إطلاق النار طعنة لبعض هذه المشاعر لأنه كان
يعنى عندهم الاستكانة لمذلة الهزيمة ، واطفاء لجذوة القتال التى اشتعلت
فى الصدور .

أشد مظاهر هذا الرفض كانت في الجزائر حيث يعيش الشعب الذي حارب الاستعمار الفرنسي سبع سنين ، والذي لم يتخيل مطلقا ان حربا يمكن ان تنتهى فى ستة ايام أو ان جيشا يمكن ان يوقف اطلاق النار والعدو يحتل ارضه .

ولا يمكن التشكيك لحظة واحدة فى تقدير شعب الجزائر وحبه لجمال عبد الناصر ودوره الايجابى فى مساندة الثورة الجزائرية . . . وعندما وصلت أنباء العدوان كان هوارى بومدين قد ألقى خطابا قبلها بأيام قال انه فى حالة وقوع الحرب فانه ليس امام العرب من خيار الا (النصر أو الاستشهاد) . وتجمع الناس حول أجهزة الاذاعة يستمعون . . . ومؤشراتهم تتجه الى القاهرة وصوت العرب . . . وعندما تواترت أنباء الانتصارات الاسرائيلية فى وكالات الأنباء ومحطات الاذاعة الاجنبية ، طلبت اذاعة الجزائر من المستمعين الا يستمعوا أو يصدقوا ما تذيعه هذه المحطات ، لانها تشكك فى سير المعركة .

وظل الجزائريون يرتبطون بخيط الامل فى استمرار المعركة وانتصار العرب الى ان أعلن قرار وقف اطلاق النار ، فانفجرت عواطف الجماهير تلقائيا وبدفقت المظاهرات تهتف بسقوط جمال عبد الناصر .

ارتفعت رؤية الشعب فوق تقدير الشخص والزعيم . وعندما أعلنت اذاعة القاهرة عن خطاب جمال عبد الناصر يوم ٩ يونيو اخذت الاذاعة الجزائرية اجراء لم تفعله من قبل وهو اذاعة الخطاب مباشرة على الهواء فى نفس الوقت .

ولم يكذب جمال عبد الناصر اصراره على التنحى حتى خرج الناس الى الشوارع غير مصدقين قائلين لعبد الناصر Marche - ou - creve أى (تقدم أو مت) .

وظل مجلس الوزراء الجزائرى فى حالة انعقاد دائم . . . ونقل وزير الاعلام الجزائرى مقره الى مبنى الاذاعة والتليفزيون . وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بهوارى بومدين بعد تدمير القوات الجوية شارحا له الموقف وطالبا منه ارسال طائرات جزائرية . ويقول هوارى بومدين انه طلب من جمال عبد الناصر عدم التوقف عن القتال حتى عندما ابلغه انه ليس هناك قوات مسلحة قادرة على صد الهجوم عن القاهرة . وانه ليس هناك دفاع جوى قادر على حمايه المنشآت الحيوية .

كان هوارى بومدين يؤمن بضرورة استمرار المعركة ونقلها الى ساحة الشعب ، لان ذلك كان يعنى فى النهاية انتصارا شعبيا مؤكدا مهما بعد الوقت او زادت التضحيات .

ومع ذلك لم يتردد بومدين لحظة فى الوقوف الى جانب مصر وجمال عبد الناصر فقد طلب منه أن يرسل طيارين مصريين لقيادة الطائرات من الجزائر الى مصر .

ويقول بومدين ان الجزائر قد ارسلت كل ماكانت تملكه من طائرات .

ولكن نقمة الشارع الجزائري على موقف جمال عبد الناصر كان تزداد شدة وعنفا . . . وظهرت الطبيعة الجزائرية الجادة عندما حاول بعض الجزائريين الاعتداء على عدد من المصريين كانوا يسبحون على الشاطئ في الايام الاولى التي أعقبت الهزيمة . . . وغضب طيار جزائري من احد الطيارين المصريين الذين حضروا لقيادة الطائرات عندما تساءل عما اذا كانت هناك فرصة لمشاهدة العاصمة الجزائرية في وقت كان الناس فيه جميعا يحتاجون الى دقيقة واحدة .

وكان جمال عبد الناصر قد ارسل خطابا الى الملوك والرؤساء العرب يوم ٨ يونيو يوضح فيه افكاره في هذه اللحظات الدقيقة ويقترح زيارة هواري بومدين الى موسكو والملك حسين الى واشنطن .
وقد استدعى بومدين السفير السوفيتي وأبلغه بخبر رحلته في اليوم التالي . . . ولم تفلح محاولات السفير في تأجيل الزيارة حتى يستعد الزعماء السوفييت لاستقبال الزعيم الجزائري .

وصل بومدين الى موسكو يوم ١١ يونيو ودارت بينه وبين الزعماء السوفييت مناقشات هامة ، حاولوا أن يوضحوا له فيها انهم قاموا بدورهم في مساعدة مصر بأسلحة كافية لم تستخدم ، وأن تدخلهم المباشر في هذا الوقت يعرض العالم لخطر حرب عالمية ثالثة ، وانهم لن يترددوا في مساعدة مصر لاعادة بناء قواتها المسلحة . . . ولم يعد بومدين مقتنعا تماما بآراء القادة السوفييت فقد كان يريد مساعدة فورية ومباشرة . . . وقد أمضى بعد ذلك عدة أيام في القاهرة .

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى في نفس اليوم الذي وصل فيه بومدين الى موسكو - ١١ يونيو - رسالة وقعها بريجنيف وكوسيجين وبودجورني تقول :

أيها الصديق . . .

اننا ندرك خطر الموقف الذي نشأ في بلادك نتيجة العدوان الاسرائيلي ومؤامرات القوى الامبريالية واننا نريد في هذه اللحظة ، هذه اللحظة العسيرة هذه اللحظة المسئولة ان نعرب عن اعتقادنا الجازم بأنه يجب عليك الاترك بلادك او قيادتك .

الصديق العزيز عبد الناصر :

انك تتمتع بسمعة كبيرة في العالم العربي . . . ان شعوب العالم العربي تحبك وتثق فيك وتسندك ، وان أصدقائك في جميع انحاء العالم يعتمدون عليك ، ويعتقدون أن استمرارك في موقعك هو وحده الذي يمكنك من العمل والنضال لاستعادة ما فقد وحماية الانتصارات الكبرى للشورة العربية وقيادتها الى النصر النهائي .

ان العالم العربي والقوى التقدمية في العالم لن تفهم ولن تقبل تخليك عن موقعك الآن ، ولقد عقدنا اجتماعا في موسكو أمس لزعماء الاحزاب والحكومات الشيوعية من جميع الدول الاوربية الاشتراكية ، ونحن في سبيل

اصدار اعلان نقدم اليك فيه كل التأييد ، كما قررنا بذل جهود مشتركة لحل جميع المشاكل التي تواجهك اقتصادية أو عسكرية ونحن على استعداد لمناقشة كل شيء معك .
مع عميق احترامنا

بريجنيف - كوسجين - بودجورنى

رفع هذا الخطاب معنوية جمال عبد الناصر وشده من عزيمته بعدموقف الشعوب على امتداد الوطن العربى التى طالبتة بعدم التنحى .
وفى مقابل هذا الموقف السوفييتى المساند ، كان موقف جونسون مع الملك حسين فى غير صالح العرب اذ قال له فى الوقت الذى كانت فيه كل الدلائل تشير الى تورط أجهزة الولايات المتحدة فى التخطيط للعدوان (لماذا كنتم على هذا القدر من الغباء الذى جعلكم تتورطون ؟) .
وعموما فقد ظهر التباين واضحا فى الموقفين السوفييتى والامريكى .
وبقى بومدين فى القاهرة عدة ايام الى جانب عبد الناصر . . بينما عاد الملك حسين الى عمان .

وهكذا لم يكن موقف الجزائر اندفاعا عاطفيا لمحاولة احراج مصر وقيادتها . . ولكنه كان تعبيرا عن غضبه حقيقية لجرح اصاب القومية العربية التى جعلت الثورة الجزائرية منها محورا رئيسيا للنضال .
ومرة أخرى ذهب هوارى بومدين الى موسكو مع عبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ عقب زيارة بودجورنى لمصر التى عرض فيها جمال عبد الناصر اقتراح توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الدولتين ، وتحميل السوفيت مسئولية الدفاع الجوى عن مصر .
كان جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت يستهدف تقريب الاتحاد السوفييتى من المشكلة واشعارهم بأن هزيمة مصر هى هزيمة لهم . وكان الاتحاد السوفييتى يدخل فى حساباته سياسة الانفراج الدولى التى كان يتبناها ، فتردد فى قبول العرض المصرى حتى لا تلهب المنطقة بأكثر مما يحتمله السلام العالمى .

وكان عبد الناصر خلال زيارة بودجورنى قد وافق على تقديم تسهيلات بحرية للأسطول السوفييتى فى البحر الابيض ، ولكنه رفض ان تكون لهم قاعدة خاصة مغلقة .

وسافر بومدين وعارف لمطالبة السوفييت بمزيد من المساعدة للعرب . . وقال لهم بريجنيف انه قد أمضى فى موسكو عدة ليال بلا نوم نتيجة للتحذيرات التى كانوا يقلقونها من أن اسرائيل تدبر عبورا لقناة السويس .
وهو أمر قد يكون مستبعدا لوقوف السوفييت مع العرب ولأن ذلك يعتبر تحديا للرأى العام العالمى ، ومع ذلك فإن ذلك - فى رأى بريجنيف - كان يمكن ان يحدث ويتم اندفاع سريع نحو القاهرة الامر الذى يقرب العالم من شفا الهاوية .

وذكر بريجنيف لبومدين وعارف المساعدات التى قدمها الاتحاد

السوفييتي لمصر فقال انه خلال اسبوعين أرسلنا حمولة ١٥ سفينة من المواد الحربية زنتها ٨٤ ألف طن علاوة على ارسال ١٥٠٠ خبير .
وعاد الزعيمان العربيان الى مصر بعد شرح وجهة نظرهما للزعيماء السوفييت .

ولكن هوارى بومدين لم يشأ المشاركة في أى موقف يسوى المشكلة بغير طريق الحرب والقتال .

ولم تكد تمضى شهور حتى أعلن هوارى بومدين يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٧ عن فشل محاولة انقلابية في الجزائر وتقديم المسئولين عنها للمحاكمة بعد عزل طاهر الزيرى رئيس الاركان وتولى بومدين قيادة القوات المسلحة ليبقى زعيما عربيا مناضلا من أجل التحرر والاشتراكية والوحدة العربية .
ولم يذهب هوارى بومدين الى مؤتمر الخرطوم - أغسطس ١٩٦٧ - أناب عنه عبد العزيز بوتفليقة ولم يقبل قرار مجلس الامن ، وقرر سحب القوات الجزائرية التي كانت ترابط في مصر لانها اصبحت بلا دور .
ولاشك ان الامة العربية على امتداد الوطن كانت قد تأثرت الى حد بعيد بدعائيات وتصريحات المطالبين بتدمير اسرائيل ، والذين رسخت في عقولهم هذه المطالبة حتى أصبحت حقيقة يصعب تغييرها . . ولذا كان قبول قرار مجلس الامن ايضا في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ صدمة ثانية بعد قبول قرار وقف اطلاق النار .

ولكن هذا لايعنى ان القرار الذي اتخذه جمال عبد الناصر بوقف اطلاق النار أو قبول قرار مجلس الامن كان نابعا من موقف ضعف وتخاذل ، أو انه كان تعبيرا عن روح انهزامية . . ذلك القول يحمل الامور فوق ماتحتمل . . فالحقيقة ان مجابهة الامر الواقع كانت تفرض ذلك . . فلو لم يتخذ قرار وقف اطلاق النيران لاستمر جموح العدوان في وقت كانت مصر قد فقدت فيه بسبب قيادتها العسكرية المتهترئة معظم قواتها المسلحة . . كما أن جميع دول العالم غربا وشرقا ماكانت لتقف بجانب مصر لو كان هدفها عدوانيا ويقصد تدمير اسرائيل . . ان الدول الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي كانت تتخذ موقفا استراتيجيا واضحا لدى مصر وهو أنها تقف هنا للدفاع عن أرضنا ضد عدوان الامبريالية والصهيونية التوسعية ، ولكنها لاتخطو ههنا خطوة واحدة ضد الوجود الاسرائيلي .

وقد لايتسق هذا الموقف مع عواطف العرب . . ولكنه كان الاختيار الاستراتيجي للسوفييت منذ عام ١٩٤٧ بعد دراستهم لامور المنطقة .
ولذا فان نشوز جمال عبد الناصر أو رفضه لقرار مجلس الامن الذي نص على احترام وجود دول المنطقة كان يعرضه لعزلة عالمية قد يشترك فيها الاصدقاء أيضا .

واذا كان جمال عبد الناصر قد استند على باقى رصيده من الثقة الشعبية في قبول قرار مجلس الامن ، وقبلت الاردن ايضا القرار حيث يستقر النظام على أسس لاتسمح له باتخاذ موقف الرفض . فان أنظمة عربية كثيرة رفضت القرار . . سوريا من دول المواجهة ثم العراق والسودان والجزائر .

العراق

رفضت العراق قرار مجلس الامن رغم ضعف نظام عبد الرحمن عارف الذي كان على علاقة طيبة بالنظام في مصر ، ورغم ان العدوان الاسرائيلي لم يمس العراق مباشرة .

كانت العراق في حالة غليان ضد الهزيمة .
وكان حزب البعث في العراق قد بدأ يلعب دورا سياسيا ضاعطا ضد الحكومة . . . ويقول التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن للحزب - فبراير ١٩٧٤ - مايلي :

(في الواقع كان حزب البعث العربي الاشتراكي في وضع خاص واستثنائي جدا ، فقد كان للحزب ثقل مادي ومعنوي كبير في حياة البلاد السياسية ورغم كل الحساسيات تجاهه وبرغم مواقف العداء ومحاولات العزل التي كانت تتخذها أوساط سياسية عديدة ضده ، ولانه كان الحزب الوحيد في القطر العراقي الذي سبق له ان تسلم السلطة السياسية عن طريق الثورة المسلحة فان كثيرين كانوا ينظرون اليه على انه القوة السياسية الوحيدة في البلاد القادرة فعلا على تكرار هذه العملية) .

أسهم الحزب بدور رئيسي في خروج مظاهرات الاحتجاج مع بداية العدوان أمام السفارتين الامريكية والبريطانية في بغداد . . . وقاد هذه المظاهرات الزعيم احمد حسن البكر الذي رفع شعارات (مساندة المقاومة الفلسطينية) .
وكانت القوات العراقية قد اتجهت قبل العدوان الى الاردن كما ذكرنا وقد ودعها عبد الرحمن عارف بخطبة كانت محل التندر والسخرية لانها طالبت الجنود بأن يحسنوا التصرف عندما يجتاحون ارض اسرائيل . . . وقد وصلت هذه القوات بعد الهزيمة واستقرت هناك بأعداد وصلت الى مايزيد عن ٥٠.٠٠٠ جندي .

وشكلت في بغداد حكومة جديدة برئاسة الفريق طاهر يحيى بدلا من الوزارة التي كان يرأسها عبد الرحمن عارف . . . وكانت الحكومة العراقية قد أوقفت تصدير البترول الى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، كذلك حظرت استيراد السلع من هذه الدول ، ومنعت طائراتها من الهبوط في العراق ، كما قطع العراق علاقاته الدبلوماسية بالولايات المتحدة وبريطانيا وكانت مقطوعة أصلا مع المانيا الغربية . كما أغلق كافة المراكز الثقافية التابعة للدول الاستعمارية المذكورة .

ومع ذلك فان حزب البعث بدأ يخطط للاستيلاء على السلطة متخذاً من رفض الهزيمة حافزا شديدا على ذلك وكان النظام ضعيفا والتنظيمات السياسية مشرذمة وغير متحدة . . .

ولم يكن للبعث في العراق في ذلك الوقت صلة بالنظام الحاكم في سوريا اذ أنه اتخذ موقف الرفض المبدئي للانقلاب السوري الذي أطاح بأمين الحافظ في ٢١ فبراير ١٩٦٦ رغم احتفاظه بلافتة بعثية اذا اعتبر ذلك خروجاً على تقاليد الحزب .

وبرزت الحاجة الى التحالف مع قيادة الحرس الجمهوري لنجاح الحركة العسكرية من الجهة الفنية ، وتم ذلك عن طريق التفاهم مع قائد تلك القوات ابراهيم الداود (رغم تشخيص الحزب الدقيق لاتجاهاته السياسية وأطماعه الشخصية) على حد تعبير التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن - فبراير (١٩٧٤) .

وقد ورط ابراهيم الداود قيادة الحزب بابلأغه عبد الرزاق النايف أخبار الحركة العسكرية قبل وقوعها ٠٠ الامر الذي وضع القيادة القطرية للحزب أثناء اجتماعها صباح يوم ١٦ يوليو ١٩٦٨ في دار احمد حسن البكر في وضع حرج عندما وصلتهم رسالة من النايف يبدى فيها استعدادة للمشاركة في الثورة .

قبلت القيادة القطرية الوضع حتى لاينفضح أمر الثورة ، وارتضت تعيين عبد الرزاق النايف رئيسا للوزراء ، مما سبب صدمة مفاجئة لبعض أنصار الحزب الذين لم يعرفوا حقيقة ما دار في الكواليس . ومنذ اللحظة الاولى لقبول هذا الوضع الجديد الذي عرض خط الحركة الثورية للتشويه بدأ التفكير في ضرورة تصفية النايف والداود معا . وفي الثالثة من صباح ١٧ يوليو انقض أعضاء حزب البعث المكلفون بتنفيذ الانتفاضة المسلحة على كتيبة دبابات الحرس الجمهوري وحاصروا القصر الجمهوري وكان في طليعتهم صدام حسين ، واتصلوا بعبد الرحمن عارف طالبين منه التسليم على ان تحفظ له حياته ويسافر الى خارج العراق بسلام وقد تردد عارف في البداية ولكنه عندما لمس ان الهجوم على القصر قد بدأ باطلاق النيران وانه محاصر ، تراجع وقبل عرض التسليم ، فسافر الى خارج العراق في الصباح .

وكان تحريك اللواء العاشر المدرع نحو بغداد بندا هاما من بنود الخطة وقد حاول عبد الرزاق النايف بعد تنازل عارف منع اللواء من التحرك ولكن البعثيين في اللواء رفضوا ذلك وأكملوا خططهم حيث اتخذوا لهم موقعا في منطقة (أبو غريب) .

ولم يدم الوضع أكثر من ١٣ يوما بعد الحركة الثورية اذ نفذت عملية تصفية النايف وابراهيم الداود صباح ٣٠ تموز عندما كان الداود في الاردن لتفقد القوات العراقية هناك ، وقد اعتقل النايف داخل القصر الجمهوري رغم حساسية الوضع لوجود عدد من المؤيدين له في قوات الحرس الجمهوري ، وفي داخل مبنى القصر الجمهوري ، حيث مقر أمين سر القيادة القطرية احمد حسن البكر .

وفي الساعة السادسة من مساء ٣٠ يوليو صدر بيان في الاذاعة ينهى الوضع المعلق ما بين ١٧ ، ٣٠ يوليو والذي اعتبره حزب البعث (من أكثر الاوقات دقة وحرجا في حياة الحزب ، ومن أشدها خطرا على وجوده ومستقبله وعلى الحركة الوطنية في القطر ٠٠ بل وعلى حركة الثورة العربية ايضا) .

وكانت الانتفاضة الثورية في ١٧ يوليو تأكيدا لموقف رفض الهزيمة من جانب العراق .

جاء في البيان الاول للشورة هذه الكلمات :

كانت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ هي اول ثورة تحدث في الوطن العربي بعد الهزيمة . . . وقد عاد بها حزب البعث الى السلطة بعد اقصائه عن الحكم عقب احداث نوفمبر ١٩٦٣ ، والتي كانت سببا رئيسيا في هدم العلاقة بين جمال عبد الناصر وبين حزب البعث ، وهي العلاقة التي بدأت تسوء في عهد الوحدة وخاصة بعد استقالة اكرم الحوراني وصلاحيات البيطار . . . والتي لم تنجح محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ في تصفيتها من الخلافات .

وكانت محاولة جاسم علوان ومحمد الجراح الانقلابية في سوريا (يوليو ١٩٦٣) مبعث شك في اسلوب جمال عبد الناصر من جانب حزب البعث . . . وقد أعقب وصول امين الحافظ الى الحكم في سوريا بعد طرد لؤي الاتاسي عدة مقالات عنيفة كتبها محمد حسنين هيكل ضد البعث في صحيفة الاهرام وكان يرد عليها طارق عزيز وزير الاعلام فيما بعد في صحيفة البعث صباح كل خميس .

ويذكر ان محاولة قد تمت لتصفية الجو بين مصر والعراق اثناء اشتراك البعث في الحكم على عهد عبد السلام عارف ، وتقرر سفر وفد يرأسه عبد السلام عارف ومعه طاهر يحيى ، وذلك خلال سبتمبر ١٩٦٣ . . . ويدلل طارق عزيز على صدق رغبة البعث في تصفية الجو بان السيد احمد حسن البكر رفض نشر مقال كتبه ردا على هيكل قبل ايام من سفر هذا الوفد ، وقد قال لكريم شنتاف المسئول السياسي عن الجريدة انه سوف يياس اذا نشر هذا المقال لانه سيحطم محاولة تصفية الجو . . . وفعلا سحب المقال من المطبعة في اللحظة الاخيرة .

قال لي طارق عزيز ان الاجتماعات كانت تتم بين الوفدين مكتملين ولكنه لاحظ عقب حفل عشاء في سراي القبة ان عبد الناصر قد اختل بعارف لمدة طويلة في الحديقة الكبيرة . . . واثناء العودة طلب عارف من طارق عزيز ان يكتب برقية بمناسبة مغادرة الاجواء المصرية ، فكتبها طارق وذكر فيها شعار (وحدة - حرية - اشتراكية) وفوجيء بعبد السلام عارف يقول له انني لست حزبيا ولا داعي لكتابة هذا الشعار ومع ذلك فقد تراجع ووافق على ارسال البرقية كما هي .

وبدأت المرارة الشديدة تستقر في نفوس البعثيين في العراق عندما تابعوا اذاعة صوت العرب وهي تهاجمهم اثناء احداث نوفمبر ١٩٦٣ ، ثم في رفض عبد الناصر التقارب من الحزب في سوريا بعد ذلك رغم مقالات صلاح البيطار التي نشرها عام ١٩٦٤ في محاولة لرأب الصدع ، رغم انها عرضته لهجمات عدد من زملائه في الحزب .

وقد أثارت محاولة البعث تسلم السلطة في نوفمبر عام ١٩٦٤ معارضة شديدة وهجوما من جانب مصر ، وقام عبد السلام عارف باعتقال عدة الاف .

ويذكر أن احمد حسن البكر قد اعتقل في هذه الفترة وأفرج عنه في أوائل عام ١٩٦٥ ، وأن صدام حسين نائب أمين سر القيادة القطرية قد اعتقل بعد أن فرغت ذخيرته التي وجهها الى الهاجمين عليه : وظل معتقلا الى أن هرب من السجن عام ١٩٦٦ . . . وقد انتخب البكر وصدام عضوين في القيادة القومية أثناء وجودهما في السجن .

ولم يكن معقولا من قادة البعث ان يقتربوا خلال هذه الفترة من جمال عبد الناصر وأجهزة الاعلام في القاهرة تأخذ منهم موقف العداء . . . وأخيرا كان احتفاء عبد الناصر بمجموعة (الاتاسي - زعين - جديد) التي وثبت الى الحكم في ٢٣ فبراير ١٩٦٦ في سوريا أمرا يتعارض مع اتجاه البعث في العراق الذي اتخذ موقف الرفض المبدئي منها كما ذكرنا . . . وعندما نجحت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ أخذ جمال عبد الناصر منها موقف التحفظ ، ولكن الاهرام نشرت يوم ٣١ يوليو أخبارا متعاطفة مع الناييف والداود اللذين أبعدا عن الحكم واستقر بهما المقام بعـ : . . . في السعودية .

كانت المرارة قد ترسبت في قلوب البعثيين . . . وكان عبد الناصر مازال محتفظا برأيه الذي أعلنه أثناء المحادثات الثلاثية في حزب البعث . . . ولاشك ان موقف جمال عبد الناصر من رفض فكرة الأحزاب كان خاطئا بدليل تراجعه عنه أثناء هذه المحادثات عندما قال (ان حل الأحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صبح) . . . وقال أيضا (احنا في ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الأحزاب التي لا تتفق في الهدف ، ثم جمع الأحزاب الاخرى القومية التي تجمعها وحدة الهدف تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية تسير على هدف واحد) .

ولكن جمال عبد الناصر مع ذلك لم يأخذ خطوة ايجابية لعبور هذه الهوة التي فصلت بينه وبين فكرة وجود الأحزاب عموما ، وقبول حزب البعث أو الأحزاب الشيوعية خصوصا . . . وظلت هذه الخطيئة ملازمة له لم يحاول التخلص منها بصورة جادة حتى داخل مصر .

لم يحاول قادة ثورة ١٧ تموز الاقتراب من جمال عبد الناصر ، ولم يحاول هو من جانبه ان يزيل الحساسيات رغم كآبة جو الهزيمة . . . عندما عقد مؤتمر قمة دول المواجهة ذهب الفريق صالح مهدي عماش ، ولم يحدث بينه وبين عبد الناصر أي تقارب رغم السنوات التي امضاها في مصر .

وعندما قامت الحركة العسكرية الليبية في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ توجه وفد عراقي برئاسة صدام حسين الى هناك وفي طريق عودته مر بالقاهرة ، وهو الذي عاش فيها سنوات بعد اشتراكه في محاولة الاعتداء على عبد الكريم قاسم وهربه الى سوريا ثم مصر حيث بقي بها الى أن قامت ثورة ٨ فبراير - ١٤ رمضان فعاد الى بغداد من القاهرة .

ولم يلتق جمال عبد الناصر بصدام حسين فى ذلك الوقت وضاعت فرصة لقاء رجلين كان يمكن لهما ان يتفقا على موقف سليم جديد .
وعندما عقد مؤتمر الرباط ذهب حردان التكريتى ممثلا للعراق وضاعت فرصة لقاء بين قادة الثورة المصرية وقادة الثورة العراقية .

السودان :

كانت الخرطوم هى العاصمة التى ارتضى جميع الملوك والرؤساء ان تكون مقرا لاجتماع مؤتمر القمة بعد الهزيمة . . . وقد لعب اسماعيل الازهرى ومحمد أحمد محجوب دورا رئيسيا فى عقد هذا المؤتمر سبق أن أشرنا اليه .

وكانت السودان من الدول التى رفضت الهزيمة وقرار مجلس الامن أيضا . .

ولكن الموقف السياسى فى السودان لم يكن هادئا ، رغم أن الحكم كان مشاركة بين الاحزاب التى أحرزت الاغلبية فى انتخابات ابريل ١٩٦٥ والتي قاطعها الجنوبيون وحزب الشعب الديمقراطى والتي أسفرت عن حصول حزب الامة على ٧٥ مقعدا من ١٧٣ والوطنى الاتحادى على ٥٣ مقعدا والحزب الشيوعى على ثمانية مقاعد . . كما أسفرت انتخابات الخريجين على حصول الحزب الشيوعى على ١٣ مقعدا من ١٥ .

وكانت الحكومة قد افتعلت حادث تهجم على الدين الاسلامى من طالب كان منتسبا للحزب الشيوعى فى الماضى وأصدرت قرارا بحل الحزب الشيوعى وفصل جميع أعضائه من الجمعية التأسيسية .

رفع الحزب الشيوعى ذلك القرار الجائر الى المحكمة العليا التى أصدرت حكمها برئاسة بابر عوض الله بعدم شرعية تعديل الدستور الذى تم بموجبه حل الحزب الشيوعى وطرد أعضائه من الجمعية التأسيسية . . ولكن وزير الداخلية والجمعية التأسيسية رفضا الاستجابة الى قرار المحكمة ، الامر الذى دفع بابر عوض الله الى الاستقالة من منصبه فى مايو ١٩٦٧ احتجاجا على عدم تنفيذ قرار المحكمة .

ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد الذى يفرضه نظام الحكم فى السودان .

ظهر تناقض فى صفوف حزب الامة بين الهادى المهدي ومعه محمد أحمد محجوب من جهة وبين ابن شقيقه الصادق المهدي من جهة أخرى ، أدى الى انقسام الحزب الى كتلتين متنافستين .

وظهر تناقض ثالث حول الدستور الذى تشبثت بعض القوى الرجعية بأن يكون دستورا اسلاميا .

وانتهى الامر ايضا الى عودة حزب الشعب الديمقراطى الى الاندماج فى الحزب الوطنى الاتحادى حيث تكون حزب جديد باسم حزب الاتحاد الديمقراطى . . وكانت هذه هى نهاية ارتباط حزب الشعب الديمقراطى بالتجمع الاشتراكى الديمقراطى الذى كان يضم القوى والاحزاب التقدمية واليسارية .

وأصبحت الحالة السياسية في السودان تعبر عن أحزاب تقليدية عاجزة عن اقناع الجماهير .. وجماهير متطلعة الى التغيير .
تجمع لكل القوى التقليدية في موقع السلطة .. وتجمع لكل قوى التقدم والاشتراكية في موقع المعارضة .
وحلت الجمعية التأسيسية في أواخر عام ١٩٦٧ لتنعقد من جديد في فبراير ١٩٦٨ بعد انتخابات جديدة دشنت سلطه الاحزاب التقليدية التي حاولت الاتحاد لمقاومة الاتجاهات التقدمية التي انتشرت وسط الطبقة العاملة والمثقفين والمزارعين .

ولكن تحالف الاحزاب التقليدية عجز عن اقناع الجماهير المتطلعة الى التغيير ، وخاصة ان تدهورا سريعا حدث في الاقتصاد السوداني . فقد قفزت المصروفات العامة من ٥٨٥ مليون جنيه عام ١٩٦٣ الى ١٠٧ مليون جنيه أي بزيادة ٤٨٥ مليون جنيه بينما لم تزد إيرادات الميزانية بعد فرض سلسلة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة الا بمقدار ٣٧٥ مليون جنيه ، وارتفعت ديون القطاع العام للمصارف من ٣٩ مليون جنيه عام ١٩٦٥ الى ٤٦ مليون جنيه عام ١٩٦٩ .. وواجهت الميزانية عجزا سنويا يتراوح بين ٦ ملايين ٩ مليون جنيه كل عام ، ونتيجة لذلك انخفضت الارصدة الاجنبية انخفاضاً كبيراً متصلاً ، فتدهورت العملات القابلة للتحويل من ٦١ مليون جنيه عام ١٩٦١ الى ١٦٣ مليون جنيه عام ١٩٦٩ (انظر كتاب - مصر والسودان كفاح مشترك - لكاتب هذه السطور) .

ووصل الامر الى حد تأخير صرف مرتبات الموظفين بضعة أيام كل شهر .. وارتفعت الاسعار ووصل سخط الجماهير غايته .
وكان التنظيم التقدمي الرئيسي -الحزب الشيوعي السوداني - يمارس دوره النضالي في تعبئة الشعب متعاوناً مع الاتحادات الديمقراطية المالية والمهنية والفئوية .

وكان الحزب الشيوعي قد لعب دوراً رئيسياً في انتصار ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ التي اجهضها موقف الاحزاب التقليدية .. وقد اوضحت ذلك في الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب - الباب الخامس) .
وكانت هناك صلة بين الحزب وبين الضباط السودانيين الاحرار ، وقد وضح ذلك في جريدة الاحرار التي أصدرها الضباط الاحرار بدلا من صوت القوات المسلحة اذ جاء في عدد ٤ يناير ١٩٦٥ بعد انتصار ثورة أكتوبر مايلي :

(نحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بان طريق الرأسمالية الذي سرنا فيه بعد الاستقلال والذي أدى الى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه انما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لايقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية المتامة للاستعمار ولفقدان الاستقلال نفسه) .

(نحن ندرك ذلك ونتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاستعمار مثلنا بل اشد ولكنها شقت طريقها ونجحت في حماية استقلالها ذلك لانها رفضت الطريق الرأسمالي واتخذت الاشتراكية هدفا لها).

وخلال فترة حكم الاحزاب التقليدية حاولوا ضرب القوى الوطنية في الجيش عن طريق مؤامرة مفتعلة اختاروا لها (ملازم ثان) اسمه خالد الكد يمت بصلة قرابة الى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى وان لم تربطهما معا اية صلة سياسية او تنظيمية .

واعتقل خالد الكد والضباط جعفر نميرى والشهيد هاشم العطاس والرشيد نور الدين ورشيد أبو شامة ومن المدنيين الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب وغيره . . ثم تبين ان التدبير كان ساذجا ، وعجز التحقيق عن توجيه الاتهام لاي معتقل فافرج عنهم جميعا .

ولكن صدرت الاوامر بنقل بعض الضباط ، جعفر نميرى الى غرب السودان ، وفاروق عثمان حمد الله الى جوبا . وهكذا كان الموقف داخل القوات المسلحة السودانية معبرا عن وجود روح ثورية . وتنظيمات عسكرية ضد النظام القائم . ولم تكن التنظيمات العسكرية مستقلة عن الاحزاب والقوى السياسية كما كانت حال الضباط الاحرار في مصر قبل ثورة يوليو ، ولكنها كانت ممتدة الجذور الى تنظيمات مختلفة . . الانصار وحزب الامة من جهة . . والحزب الشيوعى من جهة أخرى . . واتصالات فردية مع بعض شخصيات طائفية في الاحزاب التقليدية .

بدأت صلة بين الضباط الاحرار وبابكر عوض الله عقب ثورة ١٩٦٤ عندما شكلت لجنة من القضاة لتطهير الجيش . . وكان الحزب الشيوعى على علم بهذه الصلة . . بل ومنظما لها .

كما بدأ حزب الامة فى تكوين ميليشيا عسكرية وأخذت الامور تندفع الى صدام حتمى .

ثم حدثت هزيمة ١٩٦٧ التى استقبلها الشعب السودانى بوجوم شديد فقد كانت أبعد ماتكون عن تصور الناس هناك . وكانت شوارع الخرطوم ليلة تنحى جمال عبد الناصر قد امتلأت بالمتظاهرين الذين خرجوا يطالبون الرجل بأن يبقى فى موقعه . وقد اختزن الشعب السودانى عواطفه ليفرغها أمام القائد الجريح الذى حضر الى مؤتمر الخرطوم فى اغسطس ١٩٦٧ ، فأعد له استقبالا لم تعرفه الخرطوم من قبل أسهم الحزب الشيوعى السودانى فى اعداده بكل طاقته وقدراته ، فجاء تعبيرا أصيلا من الجماهير السودانية نحو ثورة يوليو وزعيمها . .

لم يكن متصورا أن تستقبل عاصمة السودان قائدا مصريا مهزوما بهذا القدر من التمجيد . وكأنها ترى فيه بطلا منتصرا . عليها ان تكلل جبينه بالغار . . ولكنها كانت رؤية الشعب السودانى لما يمكن أن يحدث للوطن العربى لو انهارت ثورة يوليو واختفى جمال عبد الناصر من ساحة العمل السياسى . وانتهى مؤتمر الخرطوم وعادت الحياة السياسية تجتذب جهد الاحزاب والقوى السياسية المختلفة ، وعاد الصدام ليصبح حتميا مرة أخرى .

وفي الساعة الثانية من صباح ٢٥ مايو ١٩٦٩ كانت حركة الجيش السوداني قد انتصرت واستولت على الحكم ، أثناء وجود عدد من كبار ضباط الجيش في زيارة للاتحاد السوفيتي .

وأعلن في الصباح تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيد جعفر نمري وعضوية بابكر عوض الله والمقدم بابكر النور واللواء فاروق عثمان حمد الله (سكرتير الضباط الاحرار) وهاشم العطا (الملحق العسكري في بون وقتئذ) وخالد حسن عباس ومأمون عوض أبوزيد وأبو القاسم ابراهيم .
وأبو القاسم هاشم وزين العابدين محمد احمد عبد القادر .
وأعلن أيضا تشكيل وزارة جديدة برئاسة بابكر عوض الله .
وهزت هذه الانباء أرجاء الوطن العربي . وكان لها صدى عالمي كبير .
فقد كانت الحركة الثانية في الوطن العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ .

وعندما أعلفت أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة وأعضاء مجلس الوزراء تبين أن لي صلات شخصية وسياسية مع عدد منهم . . . الراحل الشهيد هاشم العطا الذي كثيرا ما زارني في القاهرة وفي مكتبي بـروزاليوسف موفدا من الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب للتعرف على طبيعة تكوين الضباط الاحرار في مصر والاسلوب الذي قامت به حركة الجيش عام ١٩٥٢ . المحامي فاروق أبو عيسى وزير الدولة للرئاسة وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الذي لعب دورا رئيسيا في ثورة اكتوبر ١٩٦٤ . . . بابكر عوض الله كبير القضاة الذي تعرفت به أثناء موقفه المساند للشعب خلال ثورة اكتوبر . . . محجوب عثمان وزير الارشاد وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والذي حضر موفدا من الحزب لمقابلة جمال عبد الناصر والذي قابلته معه كما جاء في الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب) . . . أمين الشبلي وزير العدل الذي كان نقيبا للمحامين ورئيسا للحزب الاشتراكي والذي قام بدور بارز في ثورة اكتوبر ، وشارك في ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر . مرتضى أحمد ابراهيم وزير الصناعة وشقيق المناضلة فاطمة احمد ابراهيم عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، وزوجة الشهيد المناضل الشفيع احمد الشيخ عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي .

أبلغت جمال عبد الناصر هذه الحقيقة خلال شعراوى جمعة ، واتصل بي سامي شرف بعد ساعة واحدة طالبا مني مقابلة جمال عبد الناصر في السادسة من مساء نفس اليوم ٢٦ مايو ١٩٦٩ .

وعندما ذهبت الى مكتب سامي شرف فوجئت بوجود أحمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر والزميل السابق في قسم الجيش بحدثو عندما كان بعد لا يزال قاضيا الذي شاء جمال عبد الناصر ان يكون حاضرا .

كان جمال عبد الناصر مشرق الوجه مهتما أشد الاهتمام بما حدث في السودان .

ولم تكن علاقة جمال عبد الناصر سيئة بأية حال مع نظام الازهرى ومحجوب . . . ولكن حركة الجيش السوداني حملت اليه عبير روح ثورية

وتقدمية نابعة من القوات المسلحة التي كان يؤمن بدورها الرئيسي في حركة المجتمع السياسية .

وبعد أن تعرف جمال عبد الناصر منى على طبيعة العلاقة التي تربطنى بأسماء القيادات الجديدة في السودان ، طلب منى ومن أحمد فؤاد السفر فورا الى السودان في مهمة سرية مندوبين عنه لمقابلة قائد مجلس الثورة ونائبه وإبلاغهما ان مصر تضع كل امكانياتها في خدمة الحركة . وأذكر انه قال لي مبتسما في مرارة :

(تصور .. كانوا يطلقوا علينا نكت .. اننا نؤيد ثورة السفينة بونتي (اسم فيلم سينمائي) . والآن تجبرنا الظروف على تأييد ثورة السودان بطريقة سرية)

كانت القيود التي فرضتها الهزيمة ، وارتباطات مؤتمر الخرطوم الذي يحمل الدعم لمصر من السعودية وليبيا والكويت وجميعها دول ترتبط بعلاقات وثيقة مع نظام الحكم السابق في السودان حيث كانت تشكل الحكومات تحت عباءة الطائفية .. أقول كانت هذه القيود حائلا يحول بين عبد الناصر وبين التأييد العلني الثوري لحركة الجيش في السودان .

وأذكر انه قال وهو يودعنا بعد حديث استمر مايقرب من ساعتين وتأخر فيه عن اجتماع لمجلس الوزراء كان منعقدا في سراي القبة . - قل لهم اننى على استعداد لوقف الحرب في القناة وارسال أى قوات لدعم الحركة .

وكانت الحرب وقتها تتصاعد على شاطئ القناة وتصل الى حد عبور كتائب كاملة الى سيناء .

كانت حركة الجيش السوداني أول ضوء يشرق لصالح مصر بعد الهزيمة . فقد ظهر تأييدها لمصر منذ البيان الاول .

وصلت الخرطوم يوم ٢٧ مايو ، وقمت مع الزميل احمد فؤاد فور وصولنا بمقابلة جعفر نميرى وبابكر عوض الله في مقر قيادة القوات المسلحة ، وقد طلب الاثنان انضمام الرائد مأمون عوض ابوزيد اليهما باعتباره قد عين مسئولا عن أمن الثورة .

واستقبل الوفد السوداني رسالة جمال عبد الناصر بترحيب شديد واعتبرها بابكر عوض الله تثبيتا للحركة وأمرنا منتظرا من جمال عبد الناصر الذي عرف بمساندته لحركات التحرر الوطني .

وفي الصباح ذهبنا الى منزل الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب في منزله المتواضع بأم درمان وعقدنا معه جلسة مناقشة طويلة حول الوضع الجديد في السودان .

تبين لنا أن حركة القوات المسلحة قد تمت بوساطة سريتين من المظلات وقوة من المدرعات لايتجاوز عددها ٤٠٠ صف ضابط وعسكري . كانوا في مناورات خارج الخرطوم حسب مشروع سابق .

تمت العملية بهدوء ، ولم تطلق سوى طلقة رصاص واحدة في الهواء في مكتب بريد الخرطوم اثناء قطع المواصلات .

قام بالحركة الضباط الاحرار ٠٠ وسبق قيامها مناقشات سياسية طويلة حول ما اذا كان من الافضل تأجيل الانقضاى على النظام حتى تستكمل اجراءات تشكيل (الجبهة الديمقراطية) التى كانت قد تمت محاولات جادة لتشكيلها من الشيوعيين والاشتراكيين وسائر المنظمات والاتحادات العمالية والمهنية .

وكان البيان الاول لحركة ٢٥ مايو هو بيان مكتوب ومعد لهذه الجبهة الديمقراطية التى كان مفروضا أن تشكل تنظيمها فى نوفمبر ١٩٦٩ . كان رأى الحزب الشيوعى ألا تنفرد القوات المسلحة بعمل يأخذ الصفة الانقلابية وان يتأجل ذلك حتى ينبعث الامر من صفوف الجبهة باعتبار القوات المسلحة فصيلة من فصائل القوى والمنظمات الشعبية .

التقى ممثلو الضباط الاحرار غير المنتمين للحزب الشيوعى مع قادة هذا الحزب أكثر من مرة ، لمناقشة هذا الامر ، وقد جرى التصويت ثلاث مرات فى اللجنة القيادية للضباط الاحرار ٠٠ وفى كل مرة كان يفوز قرار التروى وتأجيل القيام بالانقلاب .

ولكن بقية الضباط الاحرار قرروا القيام بالحركة العسكرية التى نجحت فى تبديل السلطة واعتقال اسماعيل الازهرى وعدد من كبار السياسيين فى النظام المنهار .

وعندما أعلن تشكيل مجلس قيادة الثورة أضيف اليه أسماء الضباط اليساريين رغم موقفهم المعارض من ناحية المبدأ ٠٠ وظهر اسم الشهيد هاشم العطا عضوا بالمجلس رغم انه لم يكن موجودا فى السودان وانما كان يعمل ملحقا عسكريا فى ألمانيا الغربية .

وكان هذا موقفا طبيعيا من رفاق السلاح الذين تزامنوا فى النضال قبل وبعد ثورة ٢١ اكتوبر .

وعندما أعلن تشكيل الوزارة فوجيء الحزب الشيوعى باختيار عدد من قادته أعضاء فى الوزارة (محجوب عثمان-فاروق ابو عيسى - جوزيف جرنج) دون الرجوع الى قيادة الحزب ٠٠ وقد أدى هذا الى عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية أقرت فيه اشتراك الوزراء الثلاثة منعا لحدوث تناقض واضح فى الايام الأولى للحركة ٠٠ وتسبب ذلك فى تأخير حلف اليمين القانونية حتى الساعة السادسة مساء .

وكان هذا دليلا على وجود تنافر فى وجهات النظر ٠٠ الحزب الشيوعى لا يؤيد الانقلاب العسكرى بصورة مطلقة ، ويفضل انبعث الحركة السياسية من صفوف الجماهير وتنظيماتها السياسية والديموقراطية ، وهى التى كان يهدف الى جمع شملها فى (الجبهة الديمقراطية) ٠٠ بينما الضباط الذين قاموا بالحركة كانوا يعتبرون انهم أنقذوا البلاد من الحكم الرجعى الفاسد فى ضربة واحدة . وانهم أصبحوا بذلك أصحاب حق وشرعية فى اختيار الذين يتعاونون معهم دون استئذان قياداتهم والا كان فى ذلك اعتراف بشرعية الحزب الشيوعى وحده فى وقت ألغيت فيه الاحزاب جميعا .

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب فى منزله بأم درمان صباح

اليوم الثانى لوصولنا للخرطوم ان الحزب الشيوعى لا يأخذ موقفا مضادا من حركة الجيش . . ولكنه يريد ان يضع (خطة تمييز) واضحة بين أسلوبه الديموقراطى وأسلوبهم العسكرى .

وقال لى جعفر نميرى فى احدى المقابلات (البعض يحاول تصوير تورطنا بانها انقلاب ، وهذا غير صحيح لاننا لانقوم بحركتنا محصورين فى اطار الجيش وحده ولكننا نفتح تماما على شعبنا الذكى الاصيل ، ونضع اهدافنا فى خدمة الذين عانوا طويلا من الظلم والاستغلال .

ومع ذلك فقد خرجت جماهير الحزب الشيوعى تحت قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال بمظاهرة كبيرة يوم ٢ يونيو ١٩٦٩ بمناسبة مرور سبعة أيام على الثورة ، وكان ذلك بداية محاولة اقامة جسر من التفاهم بين الحزب الشيوعى وبين العسكريين .

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر تقضى ألا نتصل خلال زيارتنا بأحد من المسئولين المصريين هناك ، وان نعود بعد تبليغ رسالته لجعفر نميرى وبابكر عوض الله . . ولكن الرغبة فى استجلاء كل معالم الصورة والتعرف على حقيقة أبعادها دفعتنا الى البقاء ليلتين فى السودان .

وعندما عدنا استقبلنا جمال عبد الناصر فورا فى استراحة القناطر وكان أول سؤال له هو عن استقرار الوضع ثم اسباب تأخيرنا هناك .

وبعد جلسة امتدت ساعتين طلب منا ان نداوم الاتصال به فى كل مايتعلق بالسودان . . وكنا قد رتبنا طريقة اتصال سرية بين القيادة العسكرية الجديدة وبيننا بعيدا عن الاتصالات التفليديه فى محاولة لتسهيل وصول الحقائق الى جمال عبد الناصر لسرعه اصدار القرارات اللازمة .

أذكر اننا قد اتفقنا مع جعفر نميرى على أن يذكر مندوب القيادة اذا حضر لمصر انه قادم من قبل (شركة التوكيلات التجارية) . . ولكن هذا الأسلوب لم يستمر طويلا ، فقد أعلن جمال عبد الناصر تأييده لحركة ٢٥ مايو وحضر الى مصر وفد برئاسه بابكر عوض الله .

وخلال الاسابيع الاولى لحركة ٢٥ مايو اتخذت عدة قرارات اكسبت وجهها شكلا تقديما وبدأت بتغيير اسم الدولة الى (جمهورية السودان الديموقراطية) .

اعترفت بجمهورية ألمانيا الديموقراطية سابقة بذلك كل الدول العربية بما فيها مصر . . وكانت حكومة الاحزاب التقليدية قد قطعت علاقاتها مع ألمانيا الاتحادية عندما قطعت الدول العربية علاقتها بها لامدادها اسرائيل بالمعونات والسلاح ، ولكنها استبقت السفير فى منصب القنصل العام فى بون وكأنما تريد ان تثبت لهم أن شيئا ما لم يحدث .

كما اعلنت الحكم الذاتى لجنوب السودان .

وقد توطدت العلاقات كثيرا بين النظام الجديد فى السودان وبين عبد الناصر وانسجمت سياسة الدولتين حول مشكله الشرق الاوسط ، وحول رفض الهزيمة .

قال جعفر نميرى ان جمال عبد الناصر قال له (ثورة السودان أعطتنى

قوة وعزيمة ومنحتني أملا وثقة) .
 وجد جمال عبد الناصر في ثورة السودان عمقا استراتيجيا لمصر . .
 ووجدت ثورة السودان في جمال عبد الناصر سندا لها .
 وكانت العلاقة بين القاهرة والخرطوم في هذه الفترة شديدة الارتباط
 أكثر منها بين القاهرة واية عاصمة عربية أخرى .
 وانتعشت في ذهن عبد الناصر أفكار الوحدة العربية مرة أخرى .
 أذكر اني وجهت اليه استفسارا في احدى المقابلات بعد زيارة السودان
 عن رأيه في موضوع الوحدة اذا رغب الاشقاء في السودان ذلك . . وتهلل
 وجه جمال عبد الناصر وهو يقول :
 - الوحدة الطبيعية الاولى لمصر هي مع السودان امتدادا لوادي النيل
 ونحن على استعداد لاي خطوات في هذا السبيل .
 وقد تعاونت السودان مع مصر تعاونا وثيقا في مقاومة العدوان ، وخاصة
 في المجال العسكري حيث استقرت بعض أسراب الطائرات هناك بعيدا عن
 مدى العدوان الاسرائيلي ، وانتقل طلبة الكلية الحربية الى الخرطوم .
 وظلت الامور تمضي الى الافضل في العلاقة بين الدولتين وبين الشعبين
 الى ان قامت الحركة العسكرية في ليبيا في أول سبتمبر ١٩٦٩ ، فبدأت
 علاقة ثلاثية انتهت الى التوقيع على ماعـسرف باسم (ميثاق طرابلس) في
 ديسمبر من نفس العام .

ليبيا

لم تكن حركة ٢٥ مايو تنتصر في السودان ، حتى قامت في ليبيا حركة
 عسكرية أخرى في أول سبتمبر ١٩٦٩ .
 وقد تشابهت مع الحركة السودانية في انها انبعثت من صفوف الجيش
 وأن الذين قاموا بها لم يكونوا على ارتباط بمصر .
 وكانت ليبيا على عهد الملك السنوبي دولة مغلقة تسيطر عليها قوات
 الاحتلال الامريكية في قاعدة هويلس بطرابلس ، والقوات البريطانية في قاعدة
 العضم . . وكان أبعد مايكون عن خاطر الثوريين وفي هذا الوقت بالذات أن
 يحدث شيء ما في ليبيا .
 وكانت القواعد الامريكية في ليبيا قد وضعت في حالة التأهب القصوى
 أثناء العدوان الاسرائيلي على مصر .

ولذا فانه عندما وصلت انباء الانقلاب الاولى اثناء وجود الملك ادريس
 في زيارة لاوروبا اعتقد الكثيرون أنه نوع من انقلابات المخابرات المركزية
 الامريكية أو القوى الامبريالية الاخرى التي تريد المحافظة على مضمون النظام
 بينما تغير مظهره من ناحية الشكل بعد أن يكون قد تورط في انحرافات تجعل
 مسيرته صعبة والثقة به منعدمة .

وصلت اخبار الانقلاب لجمال عبد الناصر أثناء عقد مؤتمر قمة للمواجهة
 حضره هواري بومدين وجعفر نميري وممثلون لسوريا والعراق وبالتحديد أثناء
 لقاء الملك حسين لكلمته امام المؤتمر . . وسقوط ملك عن عرشه أمر لا يرضى

ملكا آخر . . ولم يعد بعد سقوط الملك ادريس في ليبيا سوى ملك عربي واحد في افريقيا هو الملك الحسن ملك المغرب . . بل لم يعد في قارة افريقيا كلها ملك سواه اذا استثنينا الامبراطور بوكاسا الذي نصب نفسه في العام الماضي امبراطورا على جمهورية افريقيا الوسطى (٣ ملايين نسمة) .

حرص جمال عبد الناصر ان يبعث رسالة تحية الى الملك ادريس فقد كانت صلته به طيبة . . وكان حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة السابق هو المسئول عن العلاقات مع ليبيا والملك السنوسي حتى استقال عام ١٩٦٦ ، ويذكر أن الملك ادريس قد أرسل الى عبد الناصر مبلغ عشرين مليون جنيه لحاجة عاجلة لشراء أسلحة بعد العدوان ، وقد أعطاها الملك مرحبا دون أن يشترط شيئا سوى الحصول على بعض الأشياء من الازهر كان أسلافه قد وضعوها هناك .

والأسرة الادريسية من أصل جزائري ولكنها ممتدة في صحراء مصر الغربية . . وابن عم الملك ابراهيم السنوسي يعيش في مرسى مطروح . . وكان الملك ادريس قد وافق على تقديم دعم لمصر مقداره ٣٠ مليون جنيه كل عام عندما شارك ولي عهده الامير حسن الرضا في مؤتمر الخرطوم . وهكذا كانت العلاقات ودية بين جمال عبد الناصر والملك ادريس ولم يحدث طوال عهد ثورة يوليو خلاف سياسي مثلما حدث بين مصر ومعظم دول المشرق وخاصة الدول ذات الانظمة الملكية الرجعية .

ولكن الانقلاب الجديد في ليبيا يثير الاهتمام لانه أخفى أسماء قاداته وأعلن شعاره (حرية - اشتراكية - وحدة) وهو نفس الشعار الذي تبنته ثورة يوليو والذي يختلف شعار حزب البعث العربي الاشتراكي في ترتيب الكلمات (وحدة - حرية - اشتراكية) .

وكان في ذلك اظهار لاتجاه الانقلاب دون التعرف على حقيقته . . الى أن أرسل قادة الانقلاب مندوباعنهم (آدم حواس) الى القنصلية المصرية في بنغازي طالبين حضور مندوب من مصر واقترحوا اسم محمد حسنين هيكل .

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد أبلغه ان الناس في بنغازي يطلبون مقابلته وانه من الافضل أن يسافر في نفس الليلة . . وان طائرة خاصة قد أعدت له وصحبه فيها ضابط اتصال من هيئة اركان حرب الفريق محمد فوزي وزير الحربية وقائد القوات المسلحة . وضابط اتصال من المخابرات وسافروا في نفس الليلة .

واستقبل هيكل في مطار بنغازي الرائد مصطفى الخروبي المسئول عن المنطقة وعضو مجلس الثورة وعانقه وهو يبكي قائلا : (اني لا أصدق عيني) .

وفي قنصلية مصر تحدث الخروبي وأسفر عن هوية الانقلاب قائلا انهم جميعا من المؤمنين بجمال عبد الناصر . . وفي الثانية صباحا وصل معمر القذافي الذي أدهش هيكل بصغر سنه أولا وباعلان رغبته ورغبة زملائه في الوحدة مع مصر فورا حتى تشكل لها عمقا استراتيجيا .

حمل القذافي محمد حسنين هيكل رسالة الى عبد الناصر تتضمن انهم

قاموا بالثورة من أجله ، وانه يمكن أن يأخذ من ليبيا كل ما يريد لضمه الى قدرات الامة العربية من أجل المعركة .

عاد هيكل الى القاهرة بعد أن التقط عدة صور للقذافي وزملائه بوساطة مصور خاص صاحبه معه واعداد بعدم نشر هذه الصور وانها سوف تقدم لجمال عبد الناصر وحده .

ويظهر هيكل في كتابه حرص عبد الناصر على معرفة كل دقائق المقابلات والتفاصيل التي أتتحت لهيكل خلال زيارته التي استمرت ١٨ ساعة فقط . وقد اتصل عبد الناصر في الليلة الاولى للثورة بكل من محمود رياض وزير الخارجية ، وأمين هويدى مدير المخابرات العامة يستطلع رأيهما فى الاعتراف الفورى بالحركة العسكرية الليبية . . . ولكن الاثنين طلبا منه الانتظار الى الصباح حتى يتوافر مزيد من المعلومات .

وفى الحادية عشرة صباحا اتصل جمال عبد الناصر بسامى شرف وطلب منه ابلاغ الاذاعة اعتراف مصر بالثورة الليبية ، وتصادف وجود أمين هويدى فى مكتب سامى شرف ، وعندما علم بذلك طلب الاتصال به ، قائلا انه بادر بالاعتراف لان ليبيا بالنسبة الى مصر ليست مثل كوريا على بعد الاف الاميال ولكن تربطنا بها حدود مشتركة وقومية واحدة ، ولذا رأيت المبادرة بالاعتراف بها . .

وطلب عبد الناصر من هويدى ان يبلغ سامى شرف ليضيف فى بلاغ الاعتراف استغداد مصر للمساعدة . .

وهكذا كانت مصر أول دولة تعترف بالثورة الليبية . وقد اخذ مجلس الثورة قرارا بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية التي كانت تأخذ قدرا كبيرا من البترول الليبي عندما عرف انهم يساعدون الاثراك فى احتمال اعادة الملك السنوسى الى بلاده حيث وقع الانقلاب وهو يمضى أجازته فى تركيا .

وتصرف جمال عبد الناصر بجرأة ومبادرة لاتعرف التردد . وقال لى الفريق محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اتصل به وأبلغه أن يهدىء حرب الاستنزاف على القناة ، وأن يرسل لواء مدرعا ومدرعين وبعض الغواصات الى مرسى مطروح لوقف أى محاولة لضرب الحركة العسكرية الليبية واعادة الملك ادريس الى عرشه . . وقد صدرت الاوامر بذلك فى نفس الليلة .

وكانت حرب الاستنزاف قد بدأت يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٩ وكانت تتصاعد يوما بعد يوم .

وهكذا كان جمال عبد الناصر يعطى أسبقية لدعم الثورات العربية على استمرار وتصعيد حرب الاستنزاف . . فقد كان استقرار هاتين الحركتين عاملا رئيسيا فى حشد طاقات الامة العربية ، وفى توفير عمق استراتيجى هائل لمصر .

وقد أرادت اسرائيل ان تعطى ردا على الثورة الليبية فأرسلت قوات من الفدائيين فى غارة مفاجئة على منطقة الزعفرانة على شاطئ البحر الاحمر يوم ٩ سبتمبر أى بعد تسعة ايام فقط من قيام الثورة الليبية .

وصلت أخبار هذه الغارة الى جمال عبد الناصر والفريق فوزى عن طريق الاذاعات ووكالات الانباء الاجنبية قبل أن تصل عن طريق القيادات المصرية .

وكان جمال عبد الناصر وقتها يحضر مناورة على طريق مصر - السويس . . . فعاد فوراً الى القاهرة .

كان قيام الثورة الليبية حدثاً هائلاً وغير متوقع . . . وفى ثلاثة شهور عبر الشعب العربى فى السودان وفى ليبيا عن رفضه للهزيمة ، باسقاط الانظمة الحاكمة وقيام أنظمة جديدة أشد ارتباطاً وتعاوناً مع ثورة يوليو المصرية .

ويذكر ان الملك عبد العزيز آل سعود قال لابنائه انه يوصيهم بأسرة المهدي فى السودان وأسرة السنوسى فى ليبيا . وسقطت الاسرتان بضربة عسكرية مفاجئة .

اليمن :

عندما حلت الهزيمة بالقوات المسلحة المصرية فى سيناء كان لها ٧٠٠٠٠ جندي فى اليمن يدافعون مع شعبها عن ثورة ٢٦ سبتمبر التى اطاحت بحكم الامامه الرجعى المتعفن .

ولم يكن ممكناً لهذه القوات ان تبقى هناك فى اليمن ، وعملية اعادة بناء القوات المسلحة تتحرك بصورة ايجابية فعالة فى مصر .

وكان مؤتمر القمة العربى بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) هو الفرصة المناسبة لطرح هذه القضية التى استنزفت كثيراً من الاموال والدماء . . . وتم الاتفاق الذى اقره عبد الناصر وفيصل وحدهما واذاعه محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان على ان تبدأ مصر فى سحب قواتها ، وأن تكف السعودية عن تأييد فلول النظام اليمنى المنهار .

ونص الاتفاق أيضاً على أن توقف الدولتان كل انواع العون العسكرى لليمن ، بينما تتفق الدولتان على استمرار التعاون الاقتصادى لليمن حتى يبنى نفسه .

أعادت السعودية ترخيص العمل لبنك مصر والقاهرة بينما افرجست مصر عن أموال السعوديين وصدر قرار جمهورى برفع الحراسه عن ٨٣ اسره سعوديه وشركتين .

ولم يتعرض الاتفاق لوضع اليمن وترك لليمنيين حق اختيار مستقبلهم . كما أقر تشكيل لجنة ثلاثية من العراق والسودان والمغرب لمتابعة تنفيذ الاتفاق .

أعلن السلال فى حديث صحفى بالخرطوم (انه يوافق على أى حل للمشكلة يحفظ للشعب اليمنى مكاسبه وانتصاراته) هذا رغم عدم اشتراكه فى التحضير للاتفاق ، الامر الذى أنبت فى نفسه بلاشك بذور المعارضة لتنفيذه .

وغادر السلال الخرطوم الى القاهرة بعد مؤتمر القمة حيث عقد اجتماع يوم

٢ سبتمبر ١٩٦٧ مع جمال عبد الناصر بحضور أنور السادات وعبدالله جزيلان
رجع بعده الى صنعاء .

وسحبت مصر ٢٠٠٠٠ جندي خلال أسابيع من مؤتمر الخرطوم رغم
معارضة السلال لذلك ، وكان الفريق أول محمد فوزي قد أمضى ٤ أيام في
صنعاء لأول مرة كقائد عام للقوات المسلحة .

ولم يكن ذلك الامر مرضيا للسلال كما ذكرنا .

كتب الدكتور محمد علي الشهاري في كتابه (عبد الناصر وثورة اليمن)
وهو واحد من أعضاء الوفد اليمني بمؤتمر الخرطوم وكان مديرا لمكتب السلال
موضحا هذه الصورة بقوله :

(أصدر الرئيس السلال وقتها بالفعل بيانا خاصا بذلك في الخرطوم
في نفس الوقت الذي أكد للرئيس جمال عبد الناصر بأنه لا يعترض على سحب
الجيش المصري من اليمن ولكنه رجا الرئيس المصري أن يترك في اليمن بعض
الأسلحة الضرورية اللازمة لكفالة الاستمرار في الدفاع عن الجمهورية ، وهو
ما وعد الرئيس عبد الناصر بتلبيته) .

ومسيرة لهذا الاتجاه رفض السلال مقابلة اللجنة الثلاثية الوزارية
المشكلة من محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان ووزير خارجيته ،
واسماعيل خير الله وزير خارجية العراق ، وحمدي سوده وزير خارجية
المغرب والتي سافرت الى صنعاء يوم ٣ اكتوبر في محاولة للتوفيق بين الاطراف
المغنية .

تعلل السلال في رفضه بأن زعماء القبائل يريدون مقابلة اللجنة ،
ولكن قادة الجيش يرفضون ذلك . . وهو حائر بين الاثنين .

واجتاحت المظاهرات صنعاء وأطلقت الشرطه النار . وتساقط عدد من
القتلى ، وارتبكت الامور ، وعادت اللجنة الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة فقط حيث
سافرت بعد ذلك الى جدة لمقابلة اليمنيين من الطرف الآخر ، ولكنها رفضت
مقابلة البدر .

تحت ضغط الرفض الشعبي وتحاشيا لرد الفعل العنيف لسقوط
القتلى تمت محاكمة العقيد عبد القادر الخاطري-نائب وزير الداخلية ومدير الامن
العام ورئيس قوى الامن المركزي بتهمة اطلاق النار على المتظاهرين مما أدى
الى مصرع ٥ اشخاص وحكم عليه بالاعدام .

ولكن رد الفعل لم يقف عند هذا الحد فقط ، ورفض السلال لمقابلة
اللجنة لم ينته عند حد عودتها من صنعاء بعد ٢٤ ساعة فقط .

لم يكد يمضي شهر واحد ، حتى انتهز اليمنيون فرصة سفر السلال الى
القاهرة وبغداد ثم موسكو حيث كان ابنه سفيراً لليمن في الاتحاد
السوفييتي . انتهز اليمنيون هذه الفرصة وقاموا بانقلاب يوم ٥ نوفمبر أثناء
وجود السلال في بغداد بعد مغادرته القاهرة .

شكل الانقلاب مجلسا جمهوريا برئاسة عبد الرحمن الايرياني ، أعلن
التزامه بإبادة ثورة ٢٦ سبتمبر ، وأعلن ايضا (ان حركة الجيش اليمني

تمد يدها الى كل الدول العربية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يمكن أن ننسى تضحياتها من أجل الثورة اليمنية) :

أول برقية خرجت من صنعاء كانت الى جمال عبد الناصر وقال فيها الايرياني هذه العبارة :

(بعد صبر طويل على عبث السلال الذي كان آخره أحداث الثالث من أكتوبر (المظاهرات ضد لجنة التوفيق) والتي ذهب ضحيتها اخوان أعزاء وجللت وجه اليمن بالخزي والعار قرر الشعب اليمني بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية وتجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية) .

وتضمن رد عبد الناصر هذه الفقرة :

(التكريم الحقيقي لكل ما بذل من الجهود والتضحيات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق أمام مسيرتها) .

وتشكلت وزارة جديدة برئاسة محسن العيني ، البعثي الميول ، التقدمي الوجه ، ضمت ١٤ وزيرا .

أرسل المجلس الجمهوري الجديد برقية تهنئة حارة الى نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس السوفييت الاعلى بمناسبة العيد الخمسين للثورة الاشتراكية . واستقبل محسن العيني ممثلى العراق وسوريا والجزائر .

لم تتوقف الحرب الاهلية رغم ذلك ، ولم تستمر وزارة محسن العيني طويلا رغم مقابله لأعضاء اللجنة الثلاثية .

وكانت اليمن الديموقراطية قد حصلت على استقلالها وارتفع علمها على مبنى الجامعة العربية فى القاهرة يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ ، وبعد ثلاثة ايام فقط عاد حسن العمري رئيسا للوزارة وهو الذى كان السلال قد عزله عقب عودته من مصر التى أجبره عبد الناصر على البقاء فيها لمدة تسعة شهور اعتبارا من أواخر عام ١٩٦٥ لاعطاء العمري الفرصة لاقرار النظام فى اليمن .

عندما عاد السلال عزل العمري واعتقل عددا كبيرا من الضباط والمسئولين بتهمة التعاون مع النظام السعودى .

والآن .. عاد العمري رئيسا للوزراء .

وسحب جمال عبد الناصر ٣٠.٠٠٠ جندي آخرين بعد اعلان استقلال جنوب اليمن وجلاء القوات البريطانية .

ولم يتبق فى اليمن سوى ٢٠.٠٠٠ جندي مصرى فقط .

وقال جمال عبد الناصر بعد سقوط السلال فى خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ما يأتى :

فى الخرطوم استطعنا الاتفاق مع الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ان نتفق على موضوع اليمن ، وكان هدفنا فى ذلك ان نحقق المبادئ ولم يعنينا الاشخاص) .

وقال أيضا :

(توجد اليوم جمهورية فى صنعاء بدون قوات مصرية فى صنعاء .. كما تم جلاء الاستعمار البريطانى من الجنوب المحتل ومن عدن ، والرومانيون سيتولون الحكم هناك لأول مرة) .

اضطر جمال عبد الناصر لسحب القوات المصرية أمام قسوة الهزيمة في سيناء بعد ان كان قد اعلن انه سيتركها هناك عشرين سنة لو اقتضى الامر حتى يقوى عود الثورة اليمنية وتتححر المنطقة من الاستعمار والرجعية .

القوات المسلحة المصرية لم تخرج من اليمن الا بعد أن أحرز اليمن الجنوبي استقلاله وتحررت أرضه من قوات الاحتلال البريطانية . . . ولكنها خرجت قبل الوصول الى صيغة اتفاق نهائية . . . ولذا ظلت الحرب الاهلية مستمرة رغم محاولات السلام .

ويقول انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) ان السعوديين قد قرروا في نهاية عام ١٩٦٨ عدم امداد جيش الامام بالاسلحة في محاولة لاعادة السلام .

وقد حدثت في السعودية محاولة انقلابية في صفوف القوات المسلحة تسربت انبأؤها في يونية ١٩٦٩ بعد أن تم اعدام القائمين بها في صمت وكان بعضهم من الطيارين . ويروي محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) الحديث الذي دار بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر في القاهرة قبل سفرهما الى مؤتمر الرباط في ديسمبر ١٩٦٩ ، والذي قال فيه فيصل ان بعض المتآمريين كانوا على صلة ببعض المسئولين المصريين وخاصة سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، ومقاله عبد الناصر من استعداد له لارسال أى شخص مصرى قريب منه أو بعيد عنه لمحاكمته في السعودية اذا كانت له صلة بمثل هذه المؤامرات مؤكدا له ان ما كان يتم قبل هزيمة ١٩٦٧ قد انتهى وانه قد أصدر أوامر مشددة بوقف كل محاولات ضد النظام السعودي بعد مؤتمر الخرطوم .

وفي هذا الاجتماع الثنائي الذي سبق مؤتمر الرباط طلب جمال عبد الناصر من الملك فيصل زيادة المعونة المالية لمصر ولكنه اعتذر عن ذلك لسوء أحوال المملكة السعودية المالية ولندرة احتياطياتها من العملات الصعبة الامر الذي قد يدفعهم الى الاستدانة من صندوق النقد الدولي . ووقف مساعداتهم للدول الصديقة .

وأرجع الملك فيصل ذلك الى تخريب انابيب (التابلاين) التي قام بها أفراد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش . ويذكر ناتنج في كتابه أيضا ان الهدوء والسلام لم يستقرا في اليمن الا في مايو ١٩٧٠ .

مؤتمر الرباط :

كان وقع الاحداث بعد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم سريعا . . . وكانت التغيرات المتلاحقة تفرض نفسها بالحاح للقاء جديد بين الرؤساء والملوك العرب

ولم تتوقف الحركة السياسية عند حدود قرارات الخرطوم التي تقضى بأنه (لاصلاح ولا اعتراف ولا مفاوضة) مع اسرائيل . فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ صدر في نوفمبر ١٩٦٧ وقبلته مصر والاردن من دول المواجهة بينما

رفضته سوريا ومعها عدد من الدول العربية مثل العراق واليمن الديموقراطية والجزائر .

وأدى هذا الى حدوث نوع من البرود في العلاقات بين مصر وهذه الدول التي أخذت توجه النقد للنظام المصري وتري في حركته جنوحا الى التهاون في وقت لم تتوقف فيه عملية بناء القوات المسلحة ولم يتوقف القتال .

هذا بينما حدث نوع من الهدوء بين مصر وبين الدول التي قرر مؤتمر الخرطوم ان تقدم لها دعما ماليا (السعودية والكويت وليبيا) وتوقفت الحملات الاعلامية . . بل وتوقفت المؤامرات السرية ضد أنظمة الحكم في بعضها كما صرح عبد الناصر الملك فيصل أثناء دعوته لزيارة القاهرة .

لم يكن هذا التغيير دليلا على تراجع في موقف مصر الوطني والتحرري . . ولكنه كان دليلا على أن قرارات عبد الناصر لم تعد تلهب مشاعر الوطنيين في الامة العربية كما كان الحال قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ومع ذلك فان المقاومة الفلسطينية وجدت في عبد الناصر حليفا وصديقا وسهل لهم سبيل الاعتراف بهم كقوة ثورية تحارب من اجل قضية عادلة، تستحق أن تحصل على السلاح ، وتجد في أرض مصر مجالا وساحة للتدريب . وكانت التناقضات قد بدأت تظهر بين النظام الاردني وبين المقاومة الفلسطينية .

وبعد مؤتمر الخرطوم سحب عبد الناصر قواته من اليمن ، قبل الوصول الى تسوية نهائية .

ولمعت في حياة العرب السياسية أضواء هامة رغم ظلام الهزيمة .
تحررت اليمن الديموقراطية من جنود الاحتلال البريطاني وحصلت على استقلالها الوطني .

قامت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ التقدمية في العراق .
قام الجيش السوداني بحركته في ٢٥ مايو ١٩٦٩ .
ثم قام الجيش الليبي بحركته في أول سبتمبر من نفس العام .
ووجد عبد الناصر في زعماء الحركات السودانية والليبية حلفاء جددا له .

ولم تتوقف الاحداث عند حدود الوطن العربي . . بل تجاوزتها الى علاقة مصر مع دول عدم الانحياز .

مات نهر وأحد الثلاثة الذين أرسوا دعامة عدم الانحياز . . ودهش تيتو لان عبد الناصر لم يتجاوب معه في موقف المعارضة العلنية الصارخة ضد دخول القوات السوفيتية الى تشيكوسلوفاكيا ، غير مقدر للظروف التي فرضت على عبد الناصر هذا الاختيار ، في وقت كان يحصل فيه على كل ما يريد من تأييد سياسي وعسكري ومعنوي من الاتحاد السوفيتي .

ويبدو أن تيتو لم يقتنع كامل الاقتناع برأي عبد الناصر عند مناقشتها لهذه القضية أثناء زيارة تيتو لمصر في أواخر عام ١٩٦٨ .

كانت ظروف عبد الناصر تفرض عليه ان يضع تحرير الارض المصرية هدفا استراتيجيا رئيسيا ، يرسم سياسته تبعا له ، ويعتبر كل ما عدا ذلك فرعيات لايجوز له أن يمضي وراءها حتى لا تعثر خطواته .

كان الموقف العربى يفرض لقاء جديدا .

وعندما دعا الملك الحسن الى عقد مؤتمر للقمة فى الرباط وافق جمال عبد الناصر .

وعقد المؤتمر فى ديسمبر ١٩٦٩ . . المؤتمر الخامس للقمة العربية .
وظهرت فيه وجوه جديدة . . صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة
العراقى بدلا من عبد الرحمن عارف . . ياسر عرفات بدلا من احمد الشقيرى .
جعفر نميرى بدلا من اسماعيل الازهرى ومحمد احمد محجوب . . معمر القذافى
بدلا من الملك السنوسى .

ولم يسفر المؤتمر عن قرارات ايجابية خطيرة . . فقد كان ساحة
لانفعالات معمر القذافى الذى روى محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق
الى رمضان) رفضه لرؤية الجنرال اوفقيز الذى دبر مقتل الشهيد العربى
المناضل مهدي بن بركة . واعتراضه على كشف اسرار تقرير الفريق اول محمد
فوزى قائد عام القوات المسلحة المصرية امام الملوك والرؤساء خشية تسربه
الى العدو خلال بعض الحاضرين .

ويقول هيكل ان الملك الحسن قد كتب ورقة صغيرة الى جمال عبد الناصر
يبلغه فيها ان القذافى قد اعد طائرته للسفر وانه ينوى مغادرة المغرب قبل
انتهاء المؤتمر ويرجوه فيها ان يتدخل مستخدما تأثيره لمنع ذلك تجنباً
لفشل المؤتمر .

ونجح عبد الناصر فى اقناع القذافى بالبقاء .
وتوقف عبد الناصر فى طرابلس خلال رحلة العودة حيث استقبل
استقبالا شعبيا حافلا لم تشهد ليبيا فى تاريخها . وبعد احتفالات استمرت
اربعة ساعات خطب عبد الناصر خطبة استغرقت ساعه كامله . الامر الذى
ازعج اطباءه المعالجين . ودفع بريجنييف الى ارسال رسالة عاجلة له تحمل رأى
طبيبيه الخبير الدكتور شازوف الذى حضر خصيصا لعلاج من موسكو وفيها
يقول ان هذا الجهد يتناقض تماما مع تعليمات الاطباء، ويعرض صحة عبد الناصر
للخطر .

لم يتوقف عبد الناصر وحده . . كان معه جعفر نميرى ايضا ، حيث
وقع الزعماء الثلاثة ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) .

قال لى فاروق ابو عيسى وزير خارجية السودان فى ذلك الوقت ان
عبد الناصر قد ثار ضد مقترحات اللجنة التحضيرية التى كانت قد اتخذت
خطوات فى سبيل اقرار وحدة فعلية متجاوزة الظروف الواقعية فى الدول
الثلاث ، مؤكدا ان الوحدة لا بد وأن تبنى على اساس سليم تنفعل به الجماهير
ولا يحدث فى نفوسها أى نوع من الحساسية .

كان (ميثاق طرابلس) خطوة هامة فى سبيل خلق عمق استراتيجى هائل
لمصر فى الغرب والجنوب .

وكانت وفرة الاموال عند النظام الليبى الجديد معروضة بسخاء من
القذافى لشراء اسلحة حديثة من اجل المعركة . . طائرات فانتوم من امريكا

وميراج من فرنسا .. وقد شجع عبد الناصر معمر القذافي على ذلك وطلب منه أن يحاول الحصول على ما يريد وما يستطيع ولكن ليس لحساب مصر .

كان عبد الناصر على حذر شديد من محاولة الوقيعة بين مصر وليبيا عن طريق اظهار مصر بمظهر الدولة المحتاجة اقتصاديا الى أموال ليبيا الطائلة .

كانت مصر تدفع نفقات كل قواتها التي ترسلها الى ليبيا .
قال لي أمين هويدي وزير الدولة في ذلك الوقت ان مصر كانت تدين ليبيا بمبلغ ٦ مليون جنيه قيمة ما صرفته هناك .
وخطب عبد الناصر قائلا :

(هناك دعايات كثيرة ضدنا ، دعاية على اساس اننا شعب جعان واننا عايزين نستولى على ليبيا ونأكل خيراتها .. والحقيقة ان هذه دعاية يمكن ان تؤثر على الناس وخصوصا ان بعض الناس هناك كانوا مرتبطين بالنظام القديم ولكن القيادة في ليبيا الاخ معمر القذافي من أصفى الناس الى الواحد شافهم في حياته)

وبدأت ليبيا تفتح أبوابها للعاملين المصريين ، وانهارت الحدود المصطنعة بين الشعبين .

كان في ليبيا على عهد الملك السنوسي ٣٠٠ طبيب من الصين الوطنية ، لان أطباءنا كانوا ممنوعين من السفر الى هناك .

ولم يتحرك (ميثاق طرابلس) خطوة الى الامام نحو الاتحاد بين الدول الثلاث ، فقد ظهر في السودان اتجاه حذر من ليبيا نتيجة لتصريحات معمر القذافي المعادية للاشتراكية العلمية وللصوفييت . وللغموض الذي احاط بتصريحاته .

الباب الرابع

عَوْدَةُ المَعْرَكَةِ

(ان الغارات الاسرائيلية في مطلع عام ١٩٧٠ كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال عبد الناصر ، تماما كما حدث في غارة غزة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ ، وحرب السويس ١٩٥٦ ، وحرب الايام الستة ١٩٦٧) .

الكاتب والاستاذ الامريكى دكمجيان فى كتاب (مصر تحت حكم ناصر)

الفصل الاول

المعركة . . . في الخطوط الامامية

- اذا كان العدو لا يملك أن يخسر معركة . .
- فنحن لم نعد نملك أن نخسر معركة .

جمال عبد الناصر

رغم قسوة الهزيمة ، لم يسقط النظام ، ولم تكتب الكلمة الاخيرة في ثورة يوليو .

عندما تدفق الشعب ينادى ببقاء عبد الناصر ورفض تنحيه . كان ذلك ايدانا بأن مخطط الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية لم يحقق أهم أهدافه ، وكان بداية لمسئولية جديدة مرهقة حملها مبكرا الرجل الذي كان قد أشرف على العام الخمسين من عمره .

ولم يكن الامر عند جمال عبد الناصر يقتصر فقط على عملية اعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة . بل انه كان يعتبر ان عودة الحياة الى مصر لا تكون الا بالقتال ، وعودة المعركة .

ولذا كان شيئا مثيرا أن يتجه القائد الاعلى للقوات المسلحة وهو مازال بعد في مرحلة اكتمال التنظيم ، الى القتال ، رغم انه كان في موقف ضعف غير محتاج الى تأكيد .

بعد أن انسحبت فلول القوات المسلحة من سيناء . . بدأت المعركة من جديد بعد فترة لم تتجاوز عدة أشهر .

يقول أمين هويدي وزير الحربية بعد الهزيمة في كتاب (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف) :

(ولم يعد هناك وقت لاستقرار سيطرة الآلام والاحزان .. فالمصيبة وقعت وعلى مصر أن تتخطاها وتعبرها .. وكان لابد من تجديد العطاء حتى لا تستمر سماؤنا مكشوفة مباحة .. وكانت مئات الطائرات قد بدأت في الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفييتي .. أحيانا تأتي في قوافل جوية في سباق مع الزمن في الايام الاولى من النكسة ، وأحيانا أخرى في قوافل بحرية بعد ذلك .. وبجهد محموم بدى في مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة في عدد الطائرات .. فالبعض يدربون في الاتحاد السوفييتي والبعض الآخر يدربون هنا في القاهرة .. وكان كثير من الطيارين -حتى وهم في دورات التدريب يكلفون بواجبات العمليات ، وقد حدث ذلك في ظروف كثيرة ومتعددة .. وأنشئت عشرات المطارات وأراضى النزول في أنحاء متفرقة من الجمهورية فتكلفت مئات الملايين من الجنيهات والاف الساعات من العرق والجهد) .

والأرقام تشير الى أنه كان متوافرا لمصر مئات الطائرات ضربت على الأرض بينما لم يتوافر أكثر من ٦٥ طيارا مدربا وصالحا للقتال ، وذلك حسب رواية مسئول عن القوات الجوية قبل الهزيمة .
ولذا تغير أسلوب التدريب واعداد المدربين ليلحق ذلك بعدد الطائرات وفصل الدفاع الجوى عن قيادة القوات الجوية ليصبح سلاحا مستقلا له قيادته المستقلة .

ويقول أمين هويدي في كتابه أيضا :
وتم تعويض كافة خسائرنا التي حدثت في يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد السوفييتي من رادارات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال النقص في بعض انواع المدافع عن طريق الشراء من أسواق السلاح العالمية .. وأخذت أسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل من الاتحاد السوفييتي فعلاوة على الصواريخ سام ٢ وسام ٣ التي كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ ، وسام ٧ مما كان سببا في تدعيم القدرة القتالية

كانت عملية إعادة التنظيم تمتد لتشمل القوات الجوية والدفاع الجوى والقوات البحرية والقوات البرية في حدود القوات المسلحة ، وتمتد أيضا لتشمل مسرح العمليات المنتظرة .

وهنا لابد من الإشارة الى أن قرار انشاء قوات الدفاع الجوى كقوة رابعة للقوات المسلحة هو قرار أمله ظروف المعركة وهزيمة يونيو وسيادة العدو الجوية الساحقة عقب العدوان .

وتشكلت هذه القوة القتالية الجديدة في يونيو ١٩٦٩ . لتكون درعا دفاعيا عن مصر متميزة بدورها وواجباتها عن القوات الجوية المهاجمة . وتم تعيين اللواء محمد على فهمي أول قائد لها .

وقد سحب تكوين هذه القوات واجب استراتيجي آخر .

فقد فكت المصانع ومعدات هيئة قناة السويس التي كانت موجودة في منطقة القناة ونقلت الى أماكن في داخل الجمهورية ، وقدوفر ذلك معدات هائلة وملايين من الجنيهات . وتحاشت أخطار الحرائق .. ولم يقتصر ذلك على منطقة

القناة فقط . . بل أدخل ميناء الاسكندرية أيضا من أكداس الخشب والمسود
النموينية بعد ان أصبح هو الميناء الوحيد الذى تعتمد عليه مصر تقريبا .
والحقيقة ان مشاعر الناس بعد الهزيمة قد اكتسبت جدية ملحوظة .
واعتقد الكثيرون اننا فى سبيل أخذ الثأر واسترداد الارض المحتلة خلال فترة
زمنية محدودة .

وقد جارت الحكومة هذا الشعور فتركت القاهرة والاسكندرية ومدن
القنال فى اظلام شبه تام ، وأغرقت برامج الاذاعة والتليفزيون بالاغانى
والأناشيد والاحاديث الوطنية .

وكان أمرا مشيرا للاهتمام وباعثا على الحيويه ما نشرته الصحف من أنباء
القتال عن معركة (رأس العش) التى تصدت فيها بقايا قواتنا المسلحة لطاير
من طوابير العدو حاول الوصول الى بور فؤاد بعد أيام من العدوان .
وتعتبر معركة رأس العش رغم العدد المحدود من القوات التى اشتركت
فيها نقطة تحول حربية وتاريخية هامة . . اذ تحول القتال من انسحاب غير
منتظم . . الى دفاع صلب لا مجال فيه للتردد أو الانسحاب .
تغيرت القيادة ، وأحدثت الهزيمة القاسية صدمة بعثت اليقظة فى العقول
والارادة فى النفوس .

وحارب الجندى المصرى بشجاعة وبسالة قوات العدو التى سحقته قبل
ذلك بأيام فقط ، فأثبت انه محارب من طراز فريد يملك كل القدرات
والمقومات ، ولا ينقصه الا القيادة الوطنية السليمة .

تطوير الجندى المصرى

وقد فرضت الهزيمة على قيادة القوات المسلحة ضرورة تطوير نوعية الجندى
المصرى فاستقر رأى على استبقاء المجندين من خريجى الجامعات فى القوات
المسلحة بعد انتهاء مدة خدمتهم الاجباريه وهى سنة واحدة وامتدت خدمة
الكثيرين منهم الى أكثر من خمس سنوات .
وفتحت الكلية الحربية أبوابها لنوعية جديدة من الطلبة الذين تخرجوا
فى الجيش ضباطا وهم من أبناء العمال والفلاحين .
وهكذا اقتربت الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنود خطوة واضحة
بعد ان كانت الهوة الاجتماعية بينهم قبل الهزيمة ساحقة .
ولم يتغير الفارق الاجتماعى الحاد قبل العدوان بين الضباط ، وخاصة
الكبار الذين كانوا يعيشون حياة يتمتعون فيها بامتيازات كبيرة قد لا تكون
مقررة رسميا ولكنها تستخدم واقعا . . وبين الجنود الذين كانوا يعيشون
حياة صعبة لا تفرق كثيرا عن حياة الجنود قبل الثورة الا فى زيادة محدودة
فى الاكل والمرتب كما أوضحت فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر)
ولكن الاسلحة الحديثة المتطورة بدأت تفرض نوعية من الجنود خريجى
الكليات العلمية فى الجامعات . . وهكذا كان يختلط فى الجماعة الواحدة أو
حول المدفع أو داخل الدبابة جندى جامعى وآخر فلاح وثالث من العمال .
وفتحت ادارة التوجيه المعنوى أبوابها لعدد من السياسيين والكتاب
لمحاضرة الجنود فى موضوعات شتى .

اذكر أن محمود رياض وزير الخارجية وشعراوي جمعة أمين التنظيم ووزير الداخلية ومحمد فايق وزير الاعلام وغيرهم كانوا يدعون الى عقد ندوات مع رجال الجيش . . كما اذكر اننى ذهبت لهذه المحاضرات أكثر من مرة . ولكن هذا لم يكن يعنى اقترابا من تنفيذ ماورد فى الميثاق من دخول رجال الجيش والشرطة والقضاء الى الاتحاد الاشتراكى العربى . تجربة خلق تنظيم محدود من طليعة الاشتراكيين فى القوات المسلحة والذى كان يشرف عليه المشير عامر وشمس بدران انتهت بالعدوان ولم تتكرر .

ركز جمال عبد الناصر جهده كله على العمل العسكرى . . ولم يبحث فى خلق تنظيمات سياسية داخل الجيش . . ولو انه كان حريصا كما قال لى الفريق اول محمد فوزى على ان يجعل منه - اى من فوزى - رجلا سياسيا متفهما للموقف الاستراتيجى والسياسى ، والعلاقات بين مصر ومختلف الدول .

ويقول الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان كثيرا ما يداعبه حول أهمية ان يكون القائد العسكرى سياسى النظرة أيضا ، وذلك كلما لمس من فوزى اهتماما أشد بالقضايا العسكرية .

ومع ذلك لم تقترب السياسة من الجيش . . ولم تنسج العلاقة بين الضباط والجنود من جهة وبين الاتحاد الاشتراكى من جهة أخرى . . عارض عبد الناصر ذلك فى حزم رغم ان محمد فوزى - كما يقول - كان يطالب بسدس مقاعد اللجنة المركزية لرجال الجيش . مازال العمل السياسى ضوئا أحمر يحظر على الجنود والضباط الاقتراب منه .

ولكن النظرة العلمية والواقعية بدأت تغير من واقع القوات المسلحة . فقد أصبح من أهم عوامل الاستعداد للمعركة ألا تكون الهوة الفكرية والاجتماعية واسعة بين الضباط والجنود . . وأن يخلق شعور موحد مشترك يجمع كل المقاتلين .

ويقول الفريق اول محمد فوزى انه أقنع جمال عبد الناصر الذى عارض فى البداية ولمدة اسبوع فكرة عمل الجامعيين كجنود عاديين فى القوات المسلحة . . أقنعه بأن احتياجات الاسلحة المتطورة تجبره على استخدام خريجي الجامعات .

صدرت أول خطة تجنيد سنوية عام ١٩٦٨ لتحديد مطالب القوات المسلحة من التخصصات المختلفة ، وتحديد المستويات الثقافية والمهنية لكل وظيفة عسكرية .

وحدث ارتقاء واضح فى المجندين . قبل يونيو ١٩٦٧ كانت نسبة الجنود الحاصلين على مؤهلات عليا ومتوسطة تبعا لتقرير هيئة التنظيم الحربى ٧٥٪ تقريبا .

وبعد يونيو ١٩٦٧ الغى نظام الاقتراع ، وتم تجنيد اصلح الشباب

بنظام تنازلى . . كما خصص ٩٠٪ من جنود المؤهلات للعمل فى التشكيلات
المحاربة .

وحدث تطور جديد فى الكشف الطبى .

فى الماضى كان ضعف الابصار يسقط من ٨ الى ١٠٪ من المقتربين .
ولكنه صدرت تعليمات بالسماح بتجنيد لابسى النظارات .
ويظهر الجدول التالى مستويات الجنود الثقافية مع تطور الوقت بالنسبة
المئوية .

التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ الى ٩ سنوات	تعليم اقل من ٦ سنوات
يونيو ١٩٦٧	٦٣	٣٨ر٤	٥٥ر٣
ديسمبر ١٩٦٧	١٥	٣٨ر٣	٤٦ر٧
عام ١٩٦٨	٢٧ر٥	٣٨ر٥	٣٤
عام ١٩٦٩	٢٨	٣٩	٣٣
عام ١٩٧٠	٢٦	٤٠	٣٤

ويظهر هذا الجدول الصادر عن هيئة التنظيم ان ارتفاعا ملحوظا واحادا
قد ظهر فى نسبة المجندين الذين درسوا اكثر من ١٢ سنة اى خريجي
الجامعات وأن نسبة الزيادة منذ الهزيمة حتى نهاية العام فقط ، وهى الفترة
التي اعتبر فيها المارشال زخاروف والفريق اول محمد فوزى والجنرال
لارشكو والفريق عبد المنعم رياض . . اعتبروا ان القوات المسلحة المصرية قد
أصبحت قادرة على الدفاع عن غرب القناة وصد اي هجوم اسرائيلي .
ارتفعت النسبة خلال هذه الفترة البسيطة الى ٢٣٨ اذا اعتبرت ١٠٠ فى شهر
يونيو .

كما ارتفعت النسبة اكثر من أربعة أضعاف فى العام التالى مباشرة
١٩٦٨ وحافظت على ارتفاعها بعد ذلك .

اما التعليم المتوسط (من ٦ الى ٩ سنوات) وهم خريجو المدارس
الابتدائية والاعدادية فقد احتفظوا بنسبتهم تقريبا ولم يزدوا سوى من
٣٨ر٤٪ الى ٤٠٪ .

بينما هبطت نسبة الاميين والذين لم يكملوا دراستهم الابتدائية من
٥٥ر٣٪ الى ٣٣٪ أى ما يقرب من النصف تقريبا .

وهذا يوضح ويؤكد تغلب ميزان المتعلمين داخل القوات المسلحة
نسبيا بالمقارنة مع الوضع السابق ومع نسبة تعداد المتعلمين الى تعداد السكان
العام .

ويوضح الجدول التالى مقارنة هذه النسب بين مصر وبعض الدول
الاخرى :

الدولة	التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ - ٩ سنوات	نعلم أقل من ٦ سنوات
مصر	عام ١٩٦٧ عام ١٩٧٠	٦٣ ٢٦	٣٨ر٤ ٤٠	٥٥ر٣ ٣٤
اسرائيل	عام ١٩٦٧	٥٠ر٣	٣٤ر٤	١٥ر٣
الاتحاد السوفيتى	عام ١٩٣٩ ١٩٧٥	١٢ ٤٦	٢٧ر٥ ٥٤	٦٠ر٥ صفر

اصبحت القوات المسلحة فى تكوينها الاجتماعى من ناحية التعليم اكثر تميزا من واقع المجتمع .
والتطور الذى حدث للجندى المصرى تركز على قدرته القتالية وتدريبه وحسن استخدامه للسلاح الى جانب المواصفات التى تميز بها من صبر وقدرة على التحمل واخلاص للوطن .

حرب لا تتوقف

تعددت مظاهر القتال ٠٠ ولم يكد يمر اسبوع ثم يوم دون سقوط شهيد بقدائف العدو .

نشرت الصحف فور انتهاء مؤتمر القمة بالخرطوم وقوع اشتباكات عنيفة بين قواتنا وقوات العدو يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧ عندما حاول العدو ادخال ٤ قطع بحرية فى اتجاه مدخل قناة السويس فتصدت لها قواتنا .
ضرب العدو مدينة السويس فأصاب ٣٠ منزلا ومستشفيان وقتل ٤٢ وجرح ١٦١ .

وفى هذا الوقت بالتحديد كان الفريق عبد المنعم رياض قد سافر الى يوغوسلافيا لزيارة الجيش اليوغوسلافى لمدة خمسة أيام .
والفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان الحرب هو الذى قام بدور بارز فى اعادة بناء القوات المسلحة وأعد مع الجنرال السوفيتى لاشنكو خطة تحرير مصر ، كما قال لى الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة .
وتصادف انتحار المشير عبد الحكيم عامر القائد العام السابق للقوات المسلحة يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ بابتلاع سم الاكونيتين ، بدأ أيام فقط من عودة الحياة الى القوات المسلحة . عن طريق المشاركة فى القتال .

كان شهر سبتمبر ١٩٦٧ هو شهر البداية الحقيقية لعودة الحياة الى القوات المسلحة ، فقد تجدد القتال يوم ٢١ ويوم ٢٨ ، وقامت معركة بالمدافع مع العدو فى منطقة القنطرة ٠٠ الامر الذى جعل يونانت سكرتير عام الامم المتحدة يطلب من أودبول كبير المراقبين الدوليين قطع اجازته والعودة فورا الى القاهرة ٠٠ وقد اعلنت الصحف وقتها ان خسائر اسرائيل قد بلغت من ٨٠ الى ١٠٠ قتيل و ٢٥٠ جريحا .

وعندما تصاعد القتال واتجهت الانظار من جديد الى منطقة القناة عين على صبرى وزيراً مقيماً فى منطقة القناة لتحقيق أمن المواطنين وبدأ عمله

هناك يوم أول أكتوبر ، وهو نفس اليوم الذى حضر فيه الملك حسين الى القاهرة في طريقه لاول مرة الى الاتحاد السوفيتى حين زار موسكو ومن بعدها واشنطن .

ولم يقتصر القتال على القوات المسلحة فقد شن الفدائيون هجوما ليليا يوم ٣ أكتوبر على مستعمرة اسرائيلية فيما وصف بأنه أجراً غارة للفدائيين . وتصادف أن حملت الاخبار نبأ مصرع الزعيم الثورى شى جيفارا اثناء قتاله مع زملاء له لتحرير قرى بوليفيا يوم ١٠ أكتوبر . . . وغمر الناس نوع من الاسى والاسف . . . ولكنه قدم لهم مثالا للتضحية .

ووصل القتال ذروته عندما اقتربت المدمرة الاسرائيلية (ايلات) من ميناء بور سعيد فى تحد سافر خلال شهر أكتوبر ١٩٦٧ .

والمدمرة (ايلات) كانت مصرية تحمل اسم (ابراهيم) ضمن وحدات الاسطول المصرى وقد كلفت يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ خلال فترة العدوان الثلاثى بالتوجه لضرب ميناء حيفا الا ان قطعاً من الاسطول الفرنسى كانت فى الانتظار فأسرتها بعد معركة غير متكافئة ، وضمتها اسرائيل بعسء ذلك الى قواتها البحرية .

كان ضرب ايلات ضرورة تفرضها الناحية العسكرية ، ولكن قرار الضرب يقتضى البحث فى ردود الفعل المحتملة لعدو منتصر ومتفوق تفوقاً ساحقاً فى القدرة القتالية .

واغراق مدمرة حربية لاسرائيل أمر لا يمكن ان يمضى فى بساطة ، لانه يجرح الكبرياء الذى تعيش فيه بعد انتصار يونيو . . . ولكنه فى الجانب الاخر يجدد الامل فى الحياة المصرية ويبعث نوعاً من الثقة فى نفوس الجماهير والمقاتلين .

وتم تقدير سريع للموقف تبين منه ان رد فعل العدو سوف يكون أكثر احتمالاً فى ضرب معامل تكرير البترول بالسويس وهى ذات قيمة استراتيجية كبيرة للمعركة ، وفى مدى مدفعية العدو وهاوناته . ورفع الامر الى جمال عبد الناصر الذى اصدر الامر باغراق ايلات دون التعرض لوحدات الانقاذ .

وطلب من وزارة الداخلية تعزيز وحدات المطافىء بالسويس استعداداً لمجابهة رد فعل العدو المنتظر .

وقبل الغروب أعطيت اشارة البدء ، وتحركت زوارق الطوربيد المصرية ، وفوجئت المدمرة بأشباحها الصغيرة تقترب منها . . . وما هى الا لحظات حتى كانت الطوربيدات قد انطلقت فشطرت المدمرة التى تحمل عدداً يتراوح بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ مقاتل الى نصفين ، وبعد دقائق كانت المدمرة (ايلات) أو ابراهيم سابقاً قد استقرت نهائياً فى قاع البحر الذى غطى سطحه ببقع كبيرة من الزيت .

وبدأت محاولات الانقاذ تحت أضواء المشاعل التى أسقطتها الطائرات الاسرائيلية .

وبعد يومين كان رد الفعل المنتظر قد تحقق وبدأت القذائف الاسرائيلية تشعل النار فى معامل تكرير البترول .

ونبتت فكرة الانتقام بعملية فدائية توجه لضرب ميناء ايلات ولم يوافق جمال عبد الناصر على تصعيد الموقف بأكثر مما تحتمله امكانياته الحربية فى مرحلة اعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة . . ويقول الفريق محمد فوزى ان السوفييت كان لهم دور فى التحذير من خطر الاندفاع .

ويعتبر البعض ان التصعيد نفسه بضرب المدمرة ايلات كان مبكرا اكثر من اللازم لان رد الفعل قد أصاب الانتاج المصرى بخسارة فادحة . . ولكن التأثير المعنوى كان هائلا وبلا حدود .

ويقول أمين هويدى وزير الحربية فى ذلك الوقت ان فكرة ضرب ميناء ايلات الاسرائيلى قد تحولت من عملية عسكرية الى عملية سريه فدائية يقوم بها رجال الضفادع البشرية منطلقين من ميناء العقبة الاردنى .

تم ذلك فعلا بعد اسابيع وتفجرت الميناء واحترقت خزانات البترول وغرقت بعض السفن الصغيرة .

ونتيجة لذلك أعلنت أمريكا الغاء الحظر على تزويد اسرائيل بالاسلحة وقدمت لها ٤٨ طائرة سكاي هوك .

وفى يوم ٣١ اكتوبر ١٩٦٧ بدأت محاكمة الفريق صدقى محمود وكبار ضباط القوات الجوية الذين كانوا سببا فى كارثة الهزيمة بلاقتال ، واستبدل فى نفس الوقت اللواء مذكور ابو العز قائد القوات الجوية الجديد الذى عين مستشارا لرئيس الجمهورية ، باللواء مصطفى شلبى الحناوى .

وطوال هذه الفترة كان يعيش فى مصر الماريشال السوفييتى زخاروف الذى حضر مع بودجورنى فى زيارته لمصر بعد الهزيمة ، ثم بقى بهالاشراف على عملية اعادة بناء وتسليح وتنظيم القوات المسلحة المصرية .

وقد حرص جمال عبد الناصر على استبقائه طوال هذه الفترة ثقة منه فى كفاءته وقدرته ، ولم يسمح له بالعودة الى بلاده الا أياما قليلة خلال شهر يوليو ذهب فيها لزيارة أسرته فى الاتحاد السوفييتى .

وفى أحد أيام شهر نوفمبر استقبل جمال عبد الناصر الماريشال زخاروف ومعه ثلاثة جنرالات سوفييت حيث قال له ان الجبهة المصرية قد تماسكت وانها قادرة على صد أى هجوم اسرائيلى . . وكان ذلك استئذانا منه بالعودة الى بلده بعد انتهاء مهمته .

عاد الماريشال زخاروف الى موسكو وبقى عدد من الخبراء والمستشارين كان فى مقدمتهم الجنرال اوكينوف مستشار الفريق اول محمد فوزى والذى كان عضوا احتياطيا فى اللجنة المركزية ثم اصبح عضوا بها ، والجنرال لاشنكو الذى وضع خطة القوات المسلحة مع الفريق عبد المنعم رياض خلال عام ١٩٦٨ .

صدق جمال عبد الناصر على الخطة التى اشترك فيها القادة المصريون والسوفييت التى عرفت باسم (الخطة الدفاعية ٢٠٠) فى ديسمبر ١٩٦٨ وكانت تقضى بوصول قواتنا خلال ١٢ يوما من بدء القتال - الذى حدد له

جمال عبد الناصر مدة اربع سنوات كحد أقصى بعد العدوان الى الحدود الدولية مع مقابلة جميع الهجوم المضاد المحلى والعام الذى تقوم به اسرائيل .

قال لى الفريق أول فوزى وهو يوضح ان اطلاق اسم الخطة الدفاعية لاي معنى انها دفاع فقط ، فخطه تحرير الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية اطلق عليها اسم الخطة الدفاعية ايضا .

قال لى ان الخطة وضعت فى غرفة العمليات وكانت دائمة التطور بناء على المعلومات المتجددة والمؤثرة . . وكانت المرحلة الاولى منها قد اطلق عليها اسم (جرانيت) وتقضى بتحقيق هدفين . . أولهما . . العبور . . وثانيهما احتلال الممرات .

وقد استدعى تنفيذ هذه الخطة وضع جدول زمنى للتسليح والتدريب الذى كان يحتاج الى خبراء مؤهلين .

وكان جمال عبد الناصر مدركا حالة القوات المسلحة الموروثة من الفترة السابقة تحت قيادة المشير . وكان حريصا فى نفس الوقت على تحرير الارض .

ولذلك فكثيرا ما كان يطلب مساعدة السوفيت فى مجالات مختلفة .

عندما زار موسكو فى يوليو ١٩٦٨ طلب من بريجنيف ان يتولى قادة سوفيت قيادة قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية . . كما طالب أيضا بوضع خبراء سوفيت حتى مستوى السرية .

ولكن بريجنيف اعتذر عن عدم تلبية ذلك - كما قال لى الفريق أول محمد فوزى - قائلا أننا مطمئنون على قدرة القيادات المصرية الموجودة ، وانها كافية لاداء واجبها بكفاءة .

لم يكن السوفيت براغبين فى توريط انفسهم فى معركة الشرق الاوسط بأكثر مما تسمح به قواعد اللعبة الدولية للمحافظة على السلام العالمى . . بينما كان جمال عبد الناصر حريصا على توريط السوفيت معه فى المعركة ضمنا لمساعدتهم فى تحرير الارض خلال أقصر وقت ممكن

ومع ذلك بدأ توافد الخبراء والمستشارين مع موجات الاسلحة المتدفقة قال لى الفريق أول محمد فوزى ان هؤلاء الخبراء والمستشارين الذين وصل تعدادهم فيما بعد بناء على طلب القيادة المصرية الى ١٦٠٠٠ مستشار سوفيتى ، ٣٠٠٠ خبير فى قوات تضاعف عددها حتى تجاوز نصف المليون . هؤلاء كانوا يلبسون مثل ملابس الجنود تماما (أوفرول وطاقية وقايش) . . الاحذية فقط هى التى كانت من عندهم .

ويقول الفريق أول محمد فوزى أيضا ان جمال عبد الناصر كان يطلب منهم الخروج من المعسكرات للفسحة ومشاهدة معالم مصر ، ولكنهم كانوا يعتذرون فى أدب حتى لايقول المصريون عنهم انهم مستعمرون .

وتعتبر هذه المرحلة من أهم وأشق المراحل فى حياة القوات المسلحة ذلك انها كانت تقيم بناء جديدا تماما يحتاج الى جهد وجدية فى ظروف كان يتعالى فيها كبرياء المنتصرين وخيلاؤهم بما يظهر فى معظم الصحف العالمية من حديث يسبغ الفخر على الاسرائيليين ، ويشين سمعة العرب ويحط من قدرهم .

كانت المرحلة تماما كما عبر جمال عبد الناصر مرحلة صمود عسكري وذفسى أيضا . . . كان هناك ما يمكن اعتباره (دفاعا صامتا) أى ضبط النفس وعدم الرد على استفزازات العدو الذى كان جنوده يسبحون عراة فى القناة ، ويوجهون خلال مكبرات الصوت كلمات جارحة للجنود المصريين .

وكانت قد صدرت الى الوحدات خلال هذه الفترة أوامر مشددة بعدم اطلاق النيران . . . وقد حرص الفريق أول محمد فوزى على أن ينسب الامر الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر لان الجنود والضباط ماكانوا ليقبلوا ذلك . ومع ذلك فقد حدثت عدة مخالفات حوكم فيها بعض المسئولين عن مخالفة هذه التعليمات .

كان الجنود فى شوق شديد للقتال بعد وصول الاسلحة الى ايديهم مرة اخرى . . . وبعد ارتفاع قدرتهم القتالية نتيجة للتدريب العنيف الذى أصر عليه المارشال زخاروف معتبرا أن الخطة الناجحة تنهض على التسليح والتدريب معا .

وينسب الى الفريق عبد المنعم رياض قوله (اذا لم نقاتل فسيتحول رجالنا الى عبيد ونساؤنا الى عاهرات)

قرار مجلس الامن ٢٤٢

وكان صدور قرار مجلس الامن صدمة لبعض الذين غلبهم الشوق للقتال ، ولذا فقد عقد جمال عبد الناصر يوم ٢٥ نوفمبر أى بعد صدور القرار بثلاثة أيام اجتماعا مع كبار قادة القوات المسلحة قال لهم فيه ان قبول قرار مجلس الامن هو مسألة لاتتعلق بهم . . . لان مايفعله الاسرائيليون فى الارض المحتلة يؤكد انهم لن يخرجوا منها الا اذا اجبروا على ذلك . . . وان عليهم ان يستعدوا بالتدريب الشاق لمدة من ثلاث الى خمس سنوات ليكونوا فى مستوى القدرة على تحرير الارض المفتتصة .

وتاكيدا لهذا المعنى أعلن فى خطبته أمام مجلس الامة فى نفس الشهر قولته الشهيرة (ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) .

وبدأ جونار يارنج سفير السويد فى موسكو يؤدى دور وسيط هيئة الامم المتحدة بين اسرائيل والدول العربية بتكليف من السكرتير العام يوثانت تنفيذ قرار مجلس الامن . . . واتخذ له مقرا رئيسيا فى جزيرة قبرص . ولكن سرعان ماتبين ان مهمة يارنج لاتحمل أملا حقيقيا فى السلام وأن حكومة اسرائيل تلقى حولها المصاعب التى تجعل الوسيط الدولى يدخل فى متاهات تثير اليأس والدوار . وفى مقدمتها الاصرار على القيام بمفاوضات سرية مباشرة .

وقد عبر جمال عبد الناصر للملك حسين يوم ١٣ يناير ١٩٦٨ عن رأيه فى فقدان الأمل فى مهمة يارنج وذلك كما ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) وهو يقول ايضا ان عبد الناصر كان يعتقد أن الوصول الى اتفاق مرض يعتبر أمرا طيبا ، وان علينا أن نقنع الرأى العام العالمى بنوايانا الطيبة . وهو ماكانت اسرائيل تحققه فى الماضى بنجاح كبير . وكان عبد الناصر يعتقد ان قبوله الاستمرار فى مباحثات يارنج انما

يستهدف اقناع السوفييت بأنه لا سبيل الى حل دبلوماسي وذلك رغبة منه في تقريبهم من المشكلة وشبكهم بها .

وفي زيارة قام بها وزير الخارجية السوفيتي جروميكو الى مصر في ديسمبر ١٩٦٨ قال لمحمود رياض بأن هناك اتصالات ثنائية بينهم وبين الولايات المتحدة . . . وتساءل عن موقف مصر بالنسبة لمباحثات يارنج .

وكان محمود رياض اكثر ميلا لاستمرار مهمة يارنج باعتبارها تتم تحت ضوء واشراف الامم المتحدة . . . وعندما سأل جروميكو عن نقطة ضعف يارنج قال له جروميكو (ليس هناك خطأ ما بالنسبة ليارنج سوى أنه لا يملك أساطيل في البحر ولا صواريخ في الهواء) .

ولكن جمال عبد الناصر أيد رأى جروميكو قائلاً انه من الناحية الواقعية فان يارنج لن يستطيع ان يفرض حلاً وأن ما قد يتوصل اليه لابد وأن يكون اتفاقاً بين الدولتين العظميين من خلف ستار .

وكان شهر نوفمبر ١٩٦٧ هو بداية مرحلة الردع . . . المرحلة التي عادت فيها مدافعنا للانطلاق .

وكان اعداد القوات المسلحة للمعركة يسير متوازيًا مع الاشتباكات المتكررة مع العدو . . . وكان التدريب والمناورات التي تشترك فيها فرق كاملة بالذخيرة الحية تستهلك أموالاً طائلة وأحياناً يسقط ضحية لها بعض الشهداء .

وعندما أثار بعض المسئولين ضخامة التكاليف التي تبذل في التدريب قال لهم جمال عبد الناصر : (ان الهزيمة أغلى) .

وقد أدى تصاعد القتال في منطقة القناة الى قرار التهجير السني أجبر ٤٠٠.٠٠٠ مواطن على الرجوع للخلف في المحافظات الأخرى حرصاً على أمنهم ومنعاً لهم من أن يكونوا سداً أمام انطلاق قواتنا المسلحة .

ووصلت الامور في القناة الى الحد الذي جعلها منطقة قتال حقيقية ، تتعرض فيها القوات يومياً الى قذائف المدفعية ، وقنابل الطائرات . . . ويسقط المقاتلون المصريون كل يوم تقريباً وهم يؤدون أشرف واجب وطني . هذا بينما كانت الامور في الداخل تهدأ يوماً بعد يوم . . . وتضاء الانوار تدريجياً ، وتتسرب الاغنيات العاطفية الى الاذاعة ، ويقتنع الناس بأن الثار طويل والمعركة مستمرة .

وقد أدت هذه الحال الى تجسيم البعض لهذه الظاهرة بأن هناك في مصر دولتين . . . دولة محاربة في القناة ، ودولة مسالمة في العاصمة .

وارتفعت نبرة المطالبة بالحرب الشعبية وامتداد الشعب بالسلاح لتكوين جيش شعبي ، ولكن جمال عبد الناصر رفض هذه الفكرة علناً وفي مؤتمر الاتحاد الاشتراكي في ١٤ سبتمبر ٦٨ بدعوى عدم توافر السلاح . . . ولكن الحقيقة انه كانت هناك خشية حقيقية من تسليح الجماهير .

وكانت القيادة العسكرية قد أعلنت في سبتمبر ١٩٦٨ أيضاً سياسة (الدفاع الوقائي) التي لا تسمح لاسرائيل بأن تحول خطوط المواجهة الى خطوط للبقاء تقوم بتحسينها وحشد القوات فيها .

وفى نفس الوقت حرص جمال عبد الناصر على تطعيم المسؤولين عن أجهزة الاعلام بالصورة الحقيقية للموقف ، فطلب من أنور السادات رئيس مجلس الشعب ان يجمع رؤساء تحرير الصحف ويسافر معهم الى منطقته القناة لزيارة مصانع التكرير بعد تدميرها .

وكنت وقتها رئيسا لتحرير مجلة روزاليوسف وذهبت مع أنور السادات فى وفد ضم الزملاء : محمد حسنين هيكل وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وفتحي غانم وموسى صبرى حيث استقبلنا هناك على صبرى الذى طاف بنا أرجاء المصنع الذى كانت تتلوى فيه الانابيب من الحريق كالثعابين الهامدة . . . وأعد لنا لقاء فى مبنى المحافظة مع عدد من الشباب كانوا جميعا فى قمة الروح المعنوية العالية .

وتبين من الاحاديث والمناقشات ان هناك عتبا فى نفوس المقيمين بالمنطقة من أسلوب الحياة اللاهية فى العاصمة .

ولكن تطور المعركة لم يجعلها تقتصر على منطقة القناة . . . فقد استشعر العدو فى مرحلة الردع بان مدفعيتنا نرهق قواه المراقبة على الضفة الشرقية وبكيدها خسائر مستمرة ، وأن دورياتنا التى تتزايد يوما بعد يوم تصل عبر سـيـنـاء الى خطوطه الخلفية وتشن عليه هجمات مفاجئة خاطفه لايسـتـطـيع لها دفعا فى هذه الارض الشاسعة وتحت ظلام الليل المنسدل . . . فقد نالت نوعا من القتال الذى يشبه حرب الانصار أو حرب العصايات .

ولجا الاسرائيليون الى استخدام سلاحهم الذى يملكون السيطرة الكاملة فيه وهو القوات الجوية .

كانت الولايات المتحدة تواصل امداد اسرائيل بالاسلحة المتقدمة رغم انتصارها الكبير .

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين أثناء اجتماعه بهم فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٦٩ (أمريكا تعهدت لنا بتنفيذ قرار مجلس الامن ، وانها ستعمل بكل الوسائل على أن ينفذ ، ولكن ما حدث بعد هذا كان يثبت العكس من ذلك فقد حصلت اسرائيل على طائرات سكاي هوك عام ١٩٦٨ ، وعلى طائرات غانتوم عام ١٩٦٩) .

وكتب الفريق محمد على فهمى فى كتابه (القوة الرابعة) عن تحـوـل اسرائيل الى استخدام القوات الجوية ما يأتى :

(مع استمرار تصاعد العمليات العسكرية وتزايد حجم الخسائر فى القوات الاسرائيلية أدركت اسرائيل أن مصر وان كانت قد خسرت معركة عسكرية فى يونيو ١٩٦٧ الا انها لم تفقد الارادة والتصميم على القتال ، وأيقنت اسرائيل ان القتال سينتصر ما لم تقهر هذه الارادة عن طريق الردع الجسيم فكان قرار اسرائيل باستخدام قواتها الجوية ، أو كما يسمونها الذراع الطويلة لجيش الدفاع الاسرائيلي)

وبدأوا يشنون غارات على الداخل . . . على قناطر نجع حمادى والقناطر الخيرية مستخدمين الغاما تجرى مع تيار المياه ، الامر الذى دفع قواتنا الى

استخدام مصائد ومصدات للالغام لحماية القناطر المختلفة بلغت تكاليفها سبعة ملايين من الجنيهات .

وبدأ الاتحاد السوفييتي في امداد مصر بصواريخ ستريلا أو سام ٧ ضد الطيران المنخفض المحملة على عربات مدرعة مجهزة بأجهزة إطلاق الصواريخ .

وصلت أول شحنة في يناير ١٩٦٩ مع اسكندر شليبين عضو المكتب السياسي ، وتوالت الشحنات بعدها تحمل أنواعا متطورة من هذا الصاروخ . ويذكر من باب المقارنة ان الملك حسين قد سافر الى أمريكا خلال هذه الفترة عدة مرات لاقتناع الرئيس الأمريكي جونسون بالحصول على أسلحة أمريكية ولكنه لم يحصل على طائرة واحدة .

وكتبت صحيفة جويش اوبزرفر البريطانية في عدد ٢٣ أغسطس ١٩٦٩ تقول :

(تؤكد العمليات الجوية التي بدأت في يوليو ١٩٦٩ ان مصر تخوض غمار حرب استنزاف ضد السلاح الجوي الاسرائيلي وان استمرار الصدام الجوي مع استمرار الغارات الجوية الاسرائيلية على الجبهة المصرية وتصدي وسائل الدفاع الجوي المصري لها انما يعنى انه من الممكن القضاء على التفوق الجوي الاسرائيلي في المدى الطويل بفرض ان اسرائيل لن تستطيع تعويض خسائرها) .

وخلال هذه المرحلة سقط الشهيد الفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة اركان الحرب يوم ٩ مارس ١٩٦٩ برصاص قناص للعدو وهو مجتمع مع عدد من القادة على الشاطئ الغربي للقناة ومديرا ظهره للعدو محاولا بعث روح الاقدام في نفوس زملائه .

سقط عبد المنعم رياض ضابط المدفعية الذي زاملته في مدرسة المدفعية قائدا للجنح المضاد للطائرات ، ثم خريجا في كلية اركان الحرب ، والذي اكمل دراسته في كلية مانوبير العسكرية الامريكية ، وكلية فروع العسكرية السوفييتية .

كان عبد المنعم رياض قائدا محبوبا يتميز بشخصية شديدة الحيوية والفتح . . . وكان مصرعه رمزا للشجاعة أمام الجنود وأمام الشعب في أيام كنا نحتاج فيها للمثل والتضحية .

ولذا كانت جنازة عبد المنعم رياض من أكبر الجنازات الشعبية التي عرفتها مصر . . . سار في مقدمتها جمال عبد الناصر وسط حشد من الجماهير التي أخذت تهتف للشهيد وللتحرير .

وفي عهد عبد الناصر لم تخرج في مصر جنازات شعبية سوى جنازة صلاح سالم ومصطفى النحاس وعبد المنعم رياض .

وسمعت من شعراوي جمعة ان عبد الناصر قال عندما شاهد مئات الالوف يشيعون جثمان عبد المنعم رياض ان هذا يعتبر استفتاء شعبيا على ثقة الناس في استمرار المعركة .

حرب الاستنزاف :

ولم تكد تمضى عدة شهور حتى بدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفريق اول محمد فوزى .

وكان دخول هذه المرحلة دليلا على جدية قتال القوات المسلحة المصرية . قال لى اللواء عبد المنعم خليل أحد قادة الجيوش خلال هذه المرحلة ان اشتداد الغارات الاسرائيلية كان يحقق عدة نتائج هامة .

أولا تطعيم الجنود على القتال وتعويدهم على جو المعركة مما يرفع من تدريبهم وقدرتهم القتالية .

ثانيا تقليل الخسائر الى أدنى حد اذ يعتاد الجنود على مقاومة الغارات وضرب لى مثلا بان غارات اسرائيلية قد امتدت يوما كاملا بلا انقطاع على احدى المناطق ولكن لم يقتل احد .

ثالثا ارتفاع الروح المعنوية كنتيجة حتمية لاستمرار البقاء والحياة رغم استمرار الغارات .

وكتب دكمجيان فى كتابه (مصر . . تحت حكم عبد الناصر) ان حرب الاستنزاف التى شنتها مصر كانت تستهدف عدة أهداف عسكرية وسياسية تتضمن :

١ - الحاجة الى تهدئة الشعور الشعبى المتزايد وخاصة فى الجيش لاتخاذ اجراءات عسكرية واسعة ضد العدو .

٢ - تدمير المواقع الاسرائيلية شرق القناة لمنع تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى حدود دائمة .

٣ - زيادة خسائر الاسرائيليين العربية وخاصة فى الجنود .

٤ - الحاجة الى زيادة الضغط على القوى العظمى لفرض تسوية قائمة على انسحاب الاسرائيليين .

ويقول دكمجيان أيضا ان اسرائيل قد ردت بتعاضد الغارات الجوية والفدائية لمنع المصريين من تدمير الاسطورة التى تقول بأن الاسرائيليين لا يهزمون .

وكان جمال عبد الناصر قد رفض فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ فكرة وقف اطلاق النار وسط نشاط سياسى متزايد لاحداث نوع من التوازن بين موقف الدولتين العظميين .

كما أن جولدا مائير وأبا ايابان قد أعطيا تصريحات نشرتها صحيفة الموند الفرنسية بتاريخ ١٨ - ١٩ يناير ١٩٧٠ تعبر عن رغبتهما فى رؤية نظام عبد الناصر يصاب بالشلل من غاراتهم المتلاحقة .

وكانت جولدا مائير قد سبق ان قالت فى ٢٦ يوليو ١٩٦٩ (اننا على استعداد لاحترام وقف اطلاق النار) ووجهت الرجاء لمصر والدول العربية بوقف اطلاق النيران على الجانبين .

كانت الحرب تتصاعد . . ونشرت الاهرام يوم ١٧ يوليو اننا اسقطنا

١٧ طائرة للعدو وحدث خلال هذه الفترة حرق المسجد الأقصى يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ ، واقترح عبد الناصر على فيصل المبادرة بدعوة مؤتمر قمة اسلامي ، وكان فيصل يحاول تهدئة علاقته بمصر فسلم شقيقين من الاطباء أجبرا طائرة مصرية على الاتجاه للسعودية تحت تهديد السلاح يوم ١٨ أغسطس وعادت الطائرة والمختطفان وجميع الركاب .

وكانت عمليات اختطاف الطائرات هي (مودعة المرحلة) فقد حدث بعد عشرة أيام من هذا الحادث أن اختطف فدائيان فلسطينيان احدهما سيدة ، طائرة أمريكية بها ١٧ اسرائيليا هبطت في دمشق .
كما دعا عبد الناصر الى مؤتمر قمة لدول المواجهة انضم اليه الجزائر والسودان .

كانت المعركة قد أصبحت خشنة وكثيرة الضحايا .
وتطورت الامور الى الحد الذي جعل الفريق اول محمد فوزي يعلن في مؤتمر القمة لدول المواجهة الذي عقد في اول سبتمبر ١٩٦٩ وحضره الملك حسين ونور الدين الاتاسي وفريق اول صالح مهدي عماش وجعفر نميري .
ثم الرئيس بومدين الذي لحق بالمؤتمر بعد انعقاده . . يعلن في التقريرين الذي أعدته هيئة أركان الحرب انه بالتنسيق الفعال بين دول المواجهة يمكن أن تبدأ المعركة - أي معركة تحرير الارض - خلال ١٨ شهرا من ذلك التاريخ .

وينطبق ذلك على رؤية عبد الناصر التي أعلنها للقادة العسكريين في مؤتمر ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ فور قبول قرار مجلس الامن من ان القوات المسلحة المصرية يمكن ان تكون جاهزة لمعركة التحرير خلال فترة تمتد من ثلاث الى خمس سنوات .

وقد قال لي الفريق اول محمد فوزي ان خطة التحرير كانت قد وضعت خلال وجود زخاروف وباشتراك كبار الخبراء والمستشارين السوفييت مع هيئة اركان الحرب المصرية بقيادة عبد المنعم رياض . . وانها اعتمدت من جمال عبد الناصر بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة .

كانت هذه الخطة تقضي بتحرير الارض المحتلة والوصول الى الحدود المصرية وتأمينها في مدة اربع سنوات فقط أي في منتصف عام ١٩٧١ تقريبا .

وقد أكد لي الفريق اول محمد فوزي ان هذه الخطة لم تكن تستهدف تحريك المشكلة سياسيا وانما كانت تستهدف تحرير الارض المصرية والعربية كلها وتأمينها تماما .

وما كادت تنقضي ستة أيام على انتهاء مؤتمر قمة دول المواجهة الذي اقترن بحدوث الحركة العسكرية الليبية في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ حتى قام الاسرائيليون بهجوم على الزعفرانة على شاطئ البحر الاحمر شمال رأس غارب يوم ٩ سبتمبر استخدموا فيه المدرعات والعربات البرمائية .

وتصادف ان كان عبد الناصر في ذلك اليوم يراقب اخدي المناورات

على طريق السويس . . وقد اعتاد جمال عبد الناصر حسب رواية الفريق أول محمد فوزى على المشاركة بنفسه فى حياة القوات المسلحة . فكان يتناول العشاء فى القيادة العامة مرتين كل اسبوع .

وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر استفسر من الفريق أول محمد فوزى الذى كان حاضرا معه فى المناورة فلم يكن يعرف شيئا عن طريق قواته . وأن مصدر المعلومات كان وكالات الانباء العالمية كما ذكر هيكى فى كتابه (الطريق الى رمضان) . . وغادر جمال عبد الناصر مكان المناورة فورا ليعود الى القاهرة لمتابعة الموقف .

والواقع ان عملية الزعفرانة قد تمت من الجانب الاسرائيلى بتركيز شديد . فقد سيطرت قواتهم الجوية سيطرة كاملة على المنطقة . وأنزلت ٩ دبابات على ثلاثة لنشات فى غسق الفجر تحت الاضواء الكاشفة . وسارت من ارض الانزال جنوب العين السخنة على الطريق العام حتى وصلت الى الزعفرانة . مستغلة كونها دبابات مصرية استولى عليها فى سيناء فى يونيو ١٩٦٧ وظلت تحمل علامات الجيش الثالث . الى الحد الذى جعل بعض الجنود يصفقون عند مشاهدتهم لها قبل أن يحصدتهم الرصاص .

شهد عملية النزول جندى من الحدود ، أطلق ساقيه للريح . وأبلغ الحدود فالعمليات . فرئيس أركان الحرب اللواء احمد اسماعيل الذى اعتقد أن الجندى المبلغ قد فعل ذلك تحت خدر أوهام خاصة . ولم يصدر أوامر بمتابعة الموقف أو التعرف على حقيقة ابعاده .

ولم يكن جندى الحدود هو مصدر التبليغ الوحيد . يقول أمين هويدى مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت انهم تلقوا اخبارا عن العملية من أحد أفرادهم فى منار الزعفرانة . وان الاشارات حولت للجهات المختصة .

ويقول أحد كبار ضباط الصواريخ ان المراقبة بالنظر التابعة لهم قد أبلغت أيضا بهذه العملية .

ولكن أحدا لم يقدر جسامة العملية . ولم يبادر باتخاذ موقف ايجابى للمقاومة . ووقفت المعلومات عند حدود رئاسة أركان الحرب فقط . وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر أثناء المناورة كان الاسرائيليون مازالوا فوق الجانب الغربى لخليج السويس ، فقد امتدت غارتهم من الخامسة صباحا حتى الثالثة مساء ، دون اية مقاومة .

وتصادف أن كان محافظ البحر الاحمر اللواء حسين كامل فى طريقه من الغردقة الى القاهرة ، عندما واجهته القوات الاسرائيلية فهشمت الدبابات سيارته ، ولحقته نيران المدافع الرشاشة فأردته قتيلا ، كما دمرت أوتوبيسا مدنيا كان يحمل ٤٠ راكبا .

ويقول هيكى ان جمال عبد الناصر وهو يتصل به حوالى السابعة من مساء نفس اليوم كان هابط المعنوية ، وقال له (يبدو أننا مازلنا نتصرف بأسلوب حرب ١٩٦٧) .

كانت الصدمة شديدة لجمال عبد الناصر في وقت يبذل فيه كل جهده وطاقته في الاهتمام بالقوات المسلحة . وإعادة تسليحها وتنظيمها وتدريبها .

ولذا فقد أصيب في اليوم التالي مباشرة (١٠ سبتمبر ١٩٦٩) بذبحه صدرية مفاجئة ، وكانت آخر صورة قد نشرت له في الصحف يوم ١١ سبتمبر مع أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة السودانية (مأمون عوض أبوزيد) .

وعندما أمره الأطباء بأن يعتكف في الفراش ، ولا يمارس أى عمل مجهود شكل لجنة برئاسة أنور السادات وعضويه شعراوي جمعه والفريق أول محمد فوزي وأمين هويدي ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف للقيام سرا بواجبات رئيس الجمهورية بعد فرض حظر يحول دون تسرب خبر المرض المفاجئ للصحافة وأجهزة الاعلام .

يقول الفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة ، انه لم يعرف حقيقة المرض يوم وقوع الذبحة الصدرية ، وانما تصور فعلا أنها انفلورنزا حادة .

ويقول ان عبد الناصر كان قد اعتاد ان يتصل به مساء كل يوم قبل أن يأوى الى فراشه أو في الصباح الباكر ليسأله عن حالة القوات المسلحة وانه انقطع عن ذلك بعد مرضه لمدة اسبوع واحد فقط .

وعندما علم فوزي بحقيقة المرض ، لم يتصور خطورته ، لانه - كما يقول - خرج مع جمال عبد الناصر بعد شفائه للمرور على الجيش الثانى والثالث فى قناة السويس فى أواخر شهر اكتوبر ، وذهب معه الى الموقع الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض شمال الاسماعيلية. بعد ان أصدر تعليمات بأن تتحرك عربة القيادة المسماة (٦٩ أ) وحدها من بور توفيق تحمل جمال عبد الناصر وفوزي ، وقد نشرت الاهرام لهما صورة وهما يتطلعان الى الشاطئ الشرقى .

حرص فوزي على الا تتحرك العربات فى قول حتى لا يلفت نظر الاسرائيليين كما وقع فى حادث الفريق عبد المنعم رياض الذى خرج من رأس العش فى خمس عربات اجتذبت أنظار الاسرائيليين فصوبوا قنابلهم عليها بعد وقوفها ، حيث استشهد الفريق عبد المنعم رياض بصدمة تفريغ الهواء دون ان يصاب بجرح أو ينزف دما .

لم يؤثر مرض القلب على نفسية عبد الناصر ولم يضعف صحته . . . وكل ما كان يجهدده هو التهاب أعصاب الساق اليسرى من مرض السكر التى عولج منه فى تسخالطوبو عام ١٩٦٨ .

وقد اقترن هذا الشهر من شهور الخريف بمتاعب عبد الناصر الصحية والنفسية . . . ففي ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ حدث الانفصال السورى وتمزقت الجمهورية العربية المتحدة ، وأصيب عبد الناصر بمرض السكر .

كانت اسرائيل تستهدف من هذه العمليات العسكرية ذات الصبغة المسرحية والدعائية احباط الامل المصرى فى معاودة المعركة ، وتعقيم الجهد المكثف ، وتهيبط الروح المعنوية . وقطع الطريق على تقدم القوات المسلحة مما يصيب النظام بالشلل والانهيـار .
ولذا حرص جمال عبد الناصر على اجراء تغييرات هامة فى المناصب القيادية .

أحال اللواء أحمد اسماعيل رئيس أركان الحرب الى التقاعد ، وعين بدلا منه اللواء محمد أحمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية ، كما عين العميد محمود فهمى قائدا للقوت البحرية .
كما حرص على رفع الروح المعنوية للجنود الذين تعرضوا لغارات ثقيلة . . وزادت عمليات الهجوم الفدائى والتسلل الى سيناء .
وأصبحت حرب الاستنزاف تشمل دوريات المشاة المتسلسلة والتي وصلت الى حد الكتيبة ، ونيران المدفعية وقذائف الصواريخ .
قال لى الفريق أول محمد فوزى انهم كانوا يقدمون لكل جندى يبرر القناة نيشان العبور ، ويلبسه كميدالية تزين صدره وقت الاجازات . .
وقال ان هذا النيشان قد منح لعدة آلاف من الجنود ، الامر الذى يظهر النشاط العسكرى الهجومى .

ومع ذلك فكلما زاد الهجوم المصرى كلما زاد عنف رد الفعل الاسرائيلى .
حتى وصل الى حد نزول قوات اسرائيلية فى رأس غارب على ساحل البحر الاحمر والاستيلاء على احد أجهزة الرادار . . وكان يصعب هذه القوات كاميرات التصوير أيضا لتتسج بين الدعاية والعمل العسكرى .
حدث ذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربى فى ديسمبر ١٩٦٩ فى الرباط بعد ثلاثة شهور تقريبا من حادث الزعفرانة واصابة جمال عبدالناصر بالذبحـة الصدرية .

وقد كان هدف العملية الاسرائيلية الى جانب الدعاية العالمية الضخمة التى أحيطت بها ، مواصلة التأثير النفسى العميق لعملية الزعفرانة وما يصحب ذلك من اهتزاز ثقة القوات المسلحة فى نفسها . . الى جانب الحصول على جهاز رادار سوفيتى حديث الصنع .

ولكن العملية الاسرائيلية رغم نجاحها لم تحصل على هذا الجهاز وانما حصلت على جهاز قديم B 12 سبق لهم ان حصلوا على ثلاثة منه فى سيناء فى بلاد (نخل وتمادا والعريش) .

ومع ذلك كانت العملية الاسرائيلية تمثل عارا للقوات المسلحة وسمعتها . . فقد تمت العملية بغير اشتباك من جانب القوات المسلحة المصرية .
ولذا شكلت فى الفردقة محاكمة عسكرية ميدانية عالية رأسها اللواء سليمان مظهر ، وحاكمت ٦ ضباط ، ٢٨ صف ضباط وعسكرى وأصدرت احكامها باعدامهم جميعا عدا ضابطين وأربعة صف ضباط فحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة .

ولكن الضابط المصدق على الاحكام الفريق أول محمد فوزى استبدل

أحكام الإعدام بالاشغال الشاقة التي بدأت أول يناير ١٩٧٠ .
وكان العميد محمود بركات سيد أحمد هو أقدم رتبة قدمت للمحاكمة
ثم أفرج عنه فيما بعد وعاد للقوات المسلحة برتبة اللواء .
وتمادت إسرائيل في هجماتها داخل الأجواء المصرية ، فآغارت على مصنع
دى أبو زعبل حيث محطات الإرسال للاذاعة ، وعلى مدرسة بحر البقر وسقط
فى هذه الغارات عدد كبير من الضحايا .
كان هدف الاسرائيليين من تصعيد المعركة والهجوم على الاغراض المدنية
المسألة ، قهر الروح المعنوية المتضاعدة للشعب ، وبث روح الخوف
والهزيمة .

ولكن هذا الامر لم يتحقق أبدا .
وأمكن تثبيت واقامة مواقع الصواريخ الجديدة تحت ضغط ظروف
قاسية وغارات عنيفة . . وسقط اكثر من ٤٠٠٠ عامل مصرى كانوا يقيمون
دشم الصواريخ . . تعصف بهم الغارات كل يوم ولكنهم يعودون للعمل
بلا خوف أو تردد .

وأراد جمال عبد الناصر ان يخطو بالموقف خطوة أخرى الى الامام
توقف غارات العدو التي تحاول احباط خطة تحرير الارض .

عبد الناصر يطلب قوات سوفيتية للدفاع عن مصر :

وقرر السفر الى موسكو فى رحلة سرية يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ صحبه
فيها الفريق أول محمد فوزى الذى ودع حماته وهى فى لحظات الاحتضار
قائلا انه مسافر الى أسوان وشيعت جنازتها فى غيابه ومحمد حسنين هيكل
ومعهما السفير السوفيتى سيرجى فينوجرادوف والجنرال السوفيتى
كاتشكين الذى خلف الجنرال لاشنكوف كبيرا للخبراء بعد اصابه الاخير
بذبحه صدرية عولج منها فى القاهرة .

سافرت هذه المجموعة سرا على طائرة سوفيتية حيث بدأت المباحثات
عصر نفس اليوم بعد ان انضم مراد غالب سفيرنا فى موسكو الى عضوية
الوفد .

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان حريصا على
أن يتحدث مع القادة السوفيت فى صراحة تامة ، وانه قال لهم ان إسرائيل
قد عجزت عام ١٩٦٧ عن تركيب مصر ولكنها بغارات الاعماق تريد تعطيل
النظام وهزيمة شعب مصر . . كما انها تحول دون اتمام بناء قواعد الصواريخ
فى المساحة المحددة لها غرب القنال بمسافة ٣٠ كيلو مترا .

ويقول الفريق أول محمد فوزى ان عبد الناصر قد ابلغهم بأننا فى
سباق مع الزمن وانه لا يثق فى قدرة القوات المصرية بتسليحها الحال على
صد الهجمات الاسرائيلية .

وفى هذا الاجتماع تم الاتفاق على امداد مصر بصواريخ سام ٣ بدلا
من صواريخ سام ٢ التى أمكن للاسرائيليين الهرب من تأثيرها بالطيران
المنخفض .

ويقول الفريق أول محمد فوزي انه عندما عرض على جمال عبد الناصر أسماء المناطق الحيوية التي يجب الدفاع عنها في أنحاء الجمهورية ، تبين أن مصر لا تملك أطقما جاهزة مدربة على استخدام الصواريخ الجديدة . . . وأن تحويل أطقم صواريخ سام ٢ الى سام ٣ يحتاج الى وقت وتدريب لا يتناسب مع الظروف الضاغطة القائمة، اذ ان الامر يستغرق ستة شهور تكون الخطة الاسرائيلية فيها قد حققت أغراضها .

وتبلورت في ذهن عبد الناصر امام هذه الحقائق فكرة لم يلبث ان عرضها على القادة السوفييت دون تردد .

طلب جمال عبد الناصر من السوفييت امداد مصر بالصواريخ المناسبة مع اطقمها السوفييتية على ألا تتواجد في منطقة القناة المواجهة للعدو ، وانما تتولى حماية الداخل من الغارات الاسرائيلية المتصاعدة .

كان تقدير موقف جمال عبد الناصر قائما على اساس انه يدخـل مع الاسرائيليين في سباق مع الزمن ، وانه اذا كانت مصر قد صمدت ما يقرب من ثلاث سنوات بعد العدوان . وطورت قواتها المسلحة الى الدرجة التي تجعلها قادرة على تنفيذ خطة تحرير الارض . فانها اليوم وأمام غارات الاعماق تتعرض لموقف جديد يمكن ان يؤدي الى التأثير الخطير على معنويات الجماهير مما قد يحدث شللا وانهيارا للنظام .

وكان الطلب مفاجئا تماما للقادة السوفييت لانه يتجاوز حدود الاستعانة بالخبراء والمستشارين الى مجال جديد هو الاستعانة بالقوات السوفييتية ذاتها ، وهو أمر لا يمكن للقادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا فيه قرارا ، لانه أمر يتصل بالاستراتيجية السوفييتية المبنية بإرادة الحزب الشيوعي السوفييتي وموافقته .

ولم تكن هناك سابقة لتواجد قوات سوفييتية محاربة خارج حدود المعسكر الشيوعي مطلقا . . . ولم تكن هناك دولة من دول منطقة التحرر الوطني قد حظيت مثل مصر بما حظيت به من مساعدات عسكرية واقتصادية شجعته على مزيد من المطالبة .

ولكن لا يمكن القول بأن القيادة المصرية قد طالبت بتواجد القوات السوفييتية تهريبا من أداء واجبها الوطني ، ولا اتكالا على قوة الاصدقاء فقط . وانما طلبت ذلك ادراكا منها بأن خطة الامبريالية الصهيونية المشتركة التي فشلت في اسقاط النظام بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، قد بدأت في تنفيذ خطة جديدة هي حرب مباشرة ضد معنوية واقتصاد الشعب المصري . . . فقد كان هدم القناطر يعنى طوفانا من الماء يغرق الارض ، وكان تعريض السد العالي لخطر القنابل الاسرائيلية يعنى تحطيم أعظم انجاز اقتصادي في تاريخ مصر وما يصحب ذلك من أخطار مدمرة . . . وكان تعرض المصانع ومحطات الكهرباء لأخطار الغارات المعادية يعنى تعجيز الاقتصاد المصري . ولم تكن مصر قد استعدت لمواجهة هذه الاخطار بطريقة جادة سواء

قبل العدوان او بعده ، فقد تركزت كل الانظار والجهود على القوات المسلحة ، باعتبارها الركيزة الاساسية لتحرير مصر . . دون الاهتمام بتعبئة طاقات الشعب المصرى وتدريبه على القتال كما حدث فى فيتنام مثلا .

وكان ذلك نتيجة لطبيعة قيادة ثورة يوليو المنبعثة من القوات المسلحة وواقعها الطبقي الذى كان منتميا للبرجوازية الصغيرة التى حرصت على الانفراد بالسلطة وحدها دون اتاحة الفرصة الكاملة للفلاحين والطبقة العاملة .

وعندما فاجأ جمال عبد الناصر القادة السوفييت بهذا الطلب تهامس بريجنيف وجريتشكو كما كتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ثم قال :

(ان المشكلة ليست فقط فى الصواريخ وأطقمها ، ولكن الامر يرتبط بنظام معقد للدفاع يحتاج الى طائرات ايضا) .
وهنا بادر جمال عبد الناصر قائلا (حسنا . . أرسلوا الطائرات ايضا) .

وأوضح بريجنيف ان مثل هذه الخطوة قد تكون لها تعقيدات دولية وعالمية خطيرة .

وهنا أوضح لهم جمال عبد الناصر أفكاره فى صراحة قائلا ان الولايات المتحدة تمد اسرائيل بكل ماتحتاجه دون تردد ، أما مصر فهى تتعرض الآن لخطر اسقاط النظام . . ومن جهتي - أى عبد الناصر - لا يمكن لى أن أستسلم لامريكا ، وانما على أن أصارح شعبى بحقيقة الموقف ثم اتحنى لرئيس جديد يكون قريبا من أمريكا ، يمكن له ان ينقذ الشعب مما يتعرض له .
ويقول هيكل ان كلمات عبد الناصر قد كهربت الجو الى الحد الذى جعل بريجنيف يقف قائلا (يارفيق عبد الناصر . . لاتحدث هكذا . . فانت القائد) .

ويتبادل الزعيم المصرى والزعماء السوفييت الحديث الذى وصل الى النقطة الحرجة وانتهى الامر الى المطالبة بتأجيل الاجتماع لانه ليس من سلطة القادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا قرارا .

كان لابد من دعوة المكتب السياسى واللجنة المركزية .

قال لى مراد غالب سفيرنا فى موسكو ان اعضاء المكتب قد استدعوا فجأة بالطائرات من أنحاء الاتحاد السوفييتى وهو مالم يحدث من قبل فى حدود علمه .

وقال لى الفريق أول محمد فوزى انه نظرا لخطورة القرار فقد حضر اجتماع المكتب السياسى ١٢ ماريشالا سوفييتيا . . وفى احدى قاعات الكرملين وقبل أن يتوجه الوفد الى الطائرة عقدت جلسة ختامية فى السادسة مساء أعلن فيها بريجنيف ان الاتحاد السوفييتى قد اتخذ قرارا تاريخيا لم يسبق له مثيل يحتاج من مصر الى ضبط النفس .

وافقت قيادة الاتحاد السوفييتى على امداد مصر بصواريخ سام ٣ على أن تتبعها الطائرات بعيدة المدى ميج ٢٥ المرتبطة معها فى نظام الدفاع الجوى .

وحدد السوفييت اعداد الصواريخ ومواقع اقامتها وعدد الجنود الذين يعملون عليها . كما اتفق على ارسال حوالى ١٨٠٠ مصري للتدريب هناك مدة ستة أشهر .

وعبر عبد الناصر عن شكره وتقديره للقرار التاريخى الذى يحقق لأول مرة مجالا لتعاون الدول الاشتراكية العظمى مع دولة من دول التحرر الوطنى فى معركة مشتركة ضد الامبريالية والصهيونية التوسعية .
وأعلن أن تواجد هذه القوات سوف يدفعه الى تهدئة الموقف وضبط النفس حتى يعطى لقواته فرصة اتمام التدريب حتى لا تمتد اقامة الجنود السوفييت بأكثر مما تحتاجه الظروف . وكان هناك اتفاق على أن يتم سحب الخبراء والمستشارين السوفييت من ميدان المعركة عند نشوب القتال تنفيذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف قد انتقل من مقعده ووقف بجانبه قائلا له (ان هذا الامر يجب ان يبقى فى اطار السرية الى أطول وقت ممكن) .

ويلاحظ فى كتاب هيكل ان بريجنيف كان يخاطب عبد الناصر بلقب رفيق Tovarich بينما يخاطب هيكل بلقب سيد Gospodin
قال لى الفسريق أول محمد فوزى ان صواريخ سام ٣ مع اطقمها السوفييتية بدأت تصل مع شهر ابريل .

وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٧٠ تصدت طائرات مصرية يقودها طيارون سوفيت لطائرات اسرائيلية مهاجمة . وعندما التقطت الاجهزة اللاسلكية الاسرائيلية لغة الطيارين الروسية عادت فوراً الى سيناء .

وأعلن موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى نفس اليوم ان اسرائيل لن تهجم على اعماق مصر لانها لا تريد ان تحارب السوفييت .
وهكذا أبلغ السوفييت الأمريكان بتواجدهم فى مصر بطريقتهم الخاصة . واصبحت مصر كلها مدنا وقرى وقناطر ومصانع فى . . . وانحصرت المعركة والمواجهة فى منطقة القناة بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ولم تقتصر المجابهة على منطقة القناة وحدها . ولكنها امتدت فى عملية فدائية لتصل الى ابيدجان عاصمة ساحل العاج على الشاطئ الغربى لافريقيا .

كانت المخابرات العامة قد وصلتها معلومات عن استئجار الاسرائيليين لحفار اسمه (كينتنج) من شركة أمريكية كندية مشتركة وذلك لاستخراج البترول فى منطقة خليج السويس .

وتابعت المخابرات خط سير الحفار الى أن علمت بوجوده فى ابيدجان

يوم ٣ مارس فتحركت مجموعة فدائية من مصر لتدميره هناك حيث تم التنفيذ فعلا في الساعة الواحدة من صباح ٨ مارس ١٩٧٠ في وقت كانت المدينة مشغولة برواد الفضاء الامريكيين الذين كانوا يزورونها في نفس اليوم .
ويروي أمين هويدي قصة متابعة هذا الحفار تفصيلا في كتابه (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) وهي توضح أن روح القتال كانت تدفع كافة الاجهزة الى استغلال كل طاقاتها لاستنزاف العدو وانها كانت استعدادا لتنفيذ خطة تحرير الارض .

توقفت مشروعات اسرائيل لاستخراج البترول في خليج السويس بعد نجاح العملية التي دمرت الحفار .
وتصاعدت حرب الاستنزاف ، وبدأ الاسرائيليون يفقدون سيادتهم الجوية تدريجيا ، وتعرضت طائراتهم للسقوط بوساطة الصواريخ السوفيتية .

وكانت أرقام الطائرات الاسرائيلية التي تتساقط تهدد السيادة الجوية تهديدا جادا وحقيقيا . ولكن القيادة العسكرية كانت تريد أن تصل الصواريخ الى شاطئ القناة حتى تضمن دفاعا عن القوات غرب القناة ، وتضمن أيضا حماية للجنود عندما يعبرون القناة .

وكان الموقف قد تغير تماما بعد وصول القوات السوفيتية ، وأمكن للصواريخ المصرية أن تتفرغ تماما لمجابهة الطائرات الاسرائيلية المغيرة .
واعتبرت قوات الدفاع الجوي ٣٠ يونيو ١٩٧٠ عيدا لها تحتفل به الآن كل عام لانه في هذا التاريخ فوجئت الطائرات الاسرائيلية بالصواريخ المصرية وتكبد السلاح الجوي الاسرائيلي خسائر فادحة لم تكن في الحسبان كما ذكر الفريق محمد علي فهمي في كتابه (القوة الرابعة) والذي قال فيه انه طبقا للبلاغات الرسمية المصرية فان خسائر العدو خلال الفترة من ٣٠ يوليو الى ٨ أغسطس بلغت ١٦ طائرة .

ويبدو أنه كان هناك (حرص مصري) على عدم الاعلان عن سقوط طائرة الا بعد التأكد التام من وقوعها وذلك كرد فعل للبيانات المضللة التي صدرت خلال أيام العدوان الاسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ . فان مجلة (افيش ويك) نشرت في عددها الصادر في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ ان خسائر اسرائيل بلغت ٥١ طائرة منها ١٧ تم تدميرها تماما ، ٣٤ أصيبت .

هذه الحالة دفعت جولدا مائير الى القول بأن (كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا احداها نبتت بدلها أخرى) . ودفعت ايضا أبا اييان وزير الخارجية الى القول (لقد بدأ الطيران الاسرائيلي يتآكل) .
هذا يؤكد الحقيقة التي سبق ان نشرتها مجلة تايم الامريكية في حديث مع حاييم بارليف في عدد ٢٩ مارس ١٩٧٠ صرح فيه قائلا :
(على المرء ألا يقع في تصور ان صواريخ سام دفاعية انها أقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية . ان مجرد اقامة هذه الصواريخ سيخلق في مصر شعورا بالحرية لفعل ما تريد)

يقول دكمجيان في كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان الغارات الاسرائيلية

فى مطلع عام ١٩٧٠ كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال عبد الناصر ،
تماما كما حدث فى غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ (وحرب السويس) ١٩٥٦ .
(وحرب الايام الستة) عام ١٩٦٧ .

وفى كل مرة - كما يقول دكمجيان - كانت تبنى هذه السياسة على
الادراك غير السليم لحقيقة المجتمع النفسىة ، ويقول أيضا ان رجال
الاستراتيجية الاسرائيلية فشلوا فى معرفة سحر زعامة جمال عبدالناصر .
وقوة الروح القومية ، وقدرة المصريين التاريخيه على استيعاب الهزيمة
وامتصاصها .

ويفسر دكمجيان الموقف فى هذه المرحلة بأنه الى جانب المصاعب
الديبلوماسية والعسكرية ، وضعف التنسيق بين الدول العربية . فان
المصريين قد وجدوا أنفسهم وحدهم يواجهون عدوا قويا فى غياب فرصة
فرض تسوية من الخارج بمعرفة القوى العظمى ، وعدم قبول سلام تفرضه
اسرائيل ، وأن عليهم مواصلة النضال ضد اسرائيل رغم التضحيات الكبيرة
ورغم جسامه المشاق المطلوبة .

وأنتهت سلبيات السنوات الاولى للثورة عندما تبين أن زعامة جمال
عبد الناصر لا تملك مفتاحا سحرىا لحل المشاكل دون مشاركة جماهيرية .
وفى الماضى كان كل ما يطلبه جمال عبد الناصر من الشعب هو المساندة
والتأييد وبعض تضحيات محدودة . . وكانت انتصاراته تعتبر انتصارات
شخصية لا تحتاج ولا تعتمد على مشاركة شعبية . . ولكن رفض الاسرائيليين
للانسحاب بدأ يفرض على مصر واقعا جديدا هو أهميه المشاركة الشعبية فى
النواحي الحربية والسياسية .

واذا اعتبرنا النواحي الحربية هى (معركة الخطوط الامامية) فان نجاحا
كبيرا قد تحقق فى باب المشاركة ، وتغيرت طبيعة القوات المسلحة . ولم تعد
اسرائيل قادرة بأى شكل من الاشكال على تنفيذ ما اعتادت عليه فى تصريحاتها
من (تلقين العرب درسا) يتعلمون به قبول الوجود الاسرائيلى بالصورة التى
يراهها الاسرائيليون .

تجاوزت الظروف مرحلة الغارات أو الحروب المفاجئة التى كانت
تشنها اسرائيل (للتأديب او تلقين الدروس) وأصبحت المعركة سجالا بين
طرفين .

ومما لاشك فيه ان استمرار هذه الصورة من الحرب وتصاعدها تنفيذ
(للخطة الدفاعية ٢٠٠) كان سيؤدى الى تغيير هائل فى (السلوك القومى
كان محتملا أن يصل تأثيره الى الخطوط الخلفيه فى المجتمع أيضا) .

وهكذا كانت حرب الاستنزاف نضالا مشرفا للقوات المسلحة ، وتمهيدا
جادا لعبور القناة وتحرير الارض فى سيناء . ووسيلة لبعث الحيوية فى
الخطوط الخلفية حيث الجماهير كانت لاتزال تلعب دور المتفرج على معركة
تزداد سخونتها يوما بعد يوم .

وكما كانت فى الخطوط الامامية معركة . . كانت هناك فى الخطوط
الخلفية معركة أيضا .

الفصل الثاني

معركة الخطوط الخلفية

(اننى لا اعتبر التناقض بيننا وبين
الماركسيين نقاضا عدائيا ، واننى استعنت في
تحضير افكار الميثاق بكلمات ماركس ولينين
وستالين ، وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم .

جمال عبد الناصر

كان التركيز على بناء القوات المسلحة واعدادها للمعركة هو الاساس
الذى قامت عليه خطة عبد الناصر بعد الهزيمة .. ولكن المعركة لم تقتصر
على ميدان القتال فقط .. بل امتدت الى المجتمع أيضا .
كان استيعاب النظام لصدمة الهزيمة ، وبقاء جمال عبد الناصر فى
قمة القيادة ، دليلا على ان ثورة يوليو قد قدمت الى الجماهير مايدفعها الى
التشبث باستمرارها .
ولكن كان صعبا وعسيرا ان تمضى الامور كما كانت عليه .. فقد
اهتز سحر شخصية الزعيم ، وكشفت محاكمات مؤامرة المشير ، وجهاز
المخابرات . طفحا يسيء الى طهارة الثورة والثوار .
كان ضروريا ان تتغير طبيعة النظام .. وأن يشعر الناس بمزيد من
الحرية والديموقراطية .. وأن تحاصر الاخطاء والانحرافات .
ولكن شعار (التغيير) الذى رفعتة الجماهير ، لم يطبق بالاسلوب الذى
يحمل الاقتناع بها .. ولم يطبق أيضا بالاسلوب الجاد الذى تحقق فى

القوات المسلحة ، ووصل بها الى خوض المعركة من جديد بعد شهور فقط من الهزيمة القاسية .

كل شيء في البداية مضى في الطريق القديم . . لم يتغير أحد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي . . زكريا محيي الدين وأنور السادات وحسين الشافعي وعلى صبرى ومحمد صدقي سليمان . هذا اذا استثنينا سقوط المشير عبد الحكيم عامر وهذا أمر يتصل بالحياة العسكرية انذر مما يتصل بالحياة المدنية .

وقد أوضحت في الباب الثالث - الفصل الاول - سطحية ما حدث من تغييرات لم تجميل وجه النظام ، ولم تبعث فيه الجدية أو الحيوية . وقد كان المجتمع في هذه الفترة يموج بمختلف الاتجاهات ، وتتصارع فيه مختلف الآراء والطبقات .

انتعشت الرجعية المضروبة خلال سنوات الثورة من أثر الهزيمة على القيادة . . وشعر الاشتراكيون وأصحاب المصلحة الحقيقية في التغيير الاجتماعي بالخطر الذي يمكن ان يهدد طموحهم وأهلهم في الوصول الى مجتمع السلام والاشتراكية .

وأصبح الصراع الطبقي واقعا لا يمكن انكاره او تجاهله رغم فكرة تحالف قوى الشعب العاملة . . وكاد يتمزق الغطاء الذي حاول جمال عبد الناصر ان يستر به عوامل الصراع الكامنه . وبرزت قضية حماية الثورة بصورة رئيسية .

وكتبت مقالا تحت هذا العنوان في مجلة روزاليوسف عندما كنت رئيسا لتحريرها في ٣١ يوليو ١٩٦٧ قلت فيه (ان ثورة ٢٣ يوليو تتميز بخاصية فريدة هي انطلاقها من الجيش تعبيرا عن ارادة الشعب المعبأة نفسها ضد النظام الملكي . . والمفتقرة في نفس الوقت الى تنظيم يكسب ثقتها ويقود نضالها) .

وأشرت فيه الى (الحاجة الى جهاز سياسي صلب ومتماسك تتوافر له وحدة الفكر وسلامة الاتجاه)

وكان الاتحاد الاشتراكي في ذلك الوقت يعتبر أكثر يسارية وتقدمية من الحكومة ومن القوات المسلحة ايضا .

كانت قد شكلت مكاتب تنفيذية من المتفرغين . . وضمت منظمة الشباب ٢٠٠٠٠ عضو ، وأنشئ المعهد العالي للدراسات الاشتراكية الذي ادارهُ الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العامة ، وانتشرت المعاهد في المحافظات بعد أن كانت قاصرة على السويس ، وتمت دورات تدريبية اخرج فيها ألوف العمال والفلاحين .

ومع ذلك فقد عانى الاتحاد الاشتراكي من سلبيات كثيرة تمثلت في عدم اعطاء الطبقة العاملة والفلاحين ثقلهم الطبيعي في مراكز القيادة وحل التناقض القائم بينهم وبين البرجوازية ونقص الوعي والقدرة السياسية عند أغلبية أعضاء المكاتب التنفيذية ، وعدم انتظام الاجتماعات ، غياب الديمقراطية داخل التنظيم ، وتعثّر تكوين جهازه السياسي (طليعة الاشتراكيين ، ووضع أشخاص غير سياسيين في قمة المسئولية) .

وكانت الرجعية المتربصة بثورة يوليو قد وجدت في الهزيمة فرصتها الهائلة ، وأحاطت النظام بالشكوك والالتهامات .. ونشط ماسبق ان اشار اليه جمال عبد الناصر من ان هناك حزبا رجعيا لا ينقصه التنظيم .
واسجل مناقشة دارت بين عبد الناصر وعامر في احد اجتماعات الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي عام ١٩٦٥ .

قال عبد الحكيم عامر :
(توجد مشكلة سوف تواجه الاتحاد الاشتراكي حتى بعد عملية التنشيط والاستكشاف وهي ان الاتحاد الاشتراكي كقوة ليس أمامه قوة مضادة ظاهرة ولذلك لا يشعر الاتحاد الاشتراكي بأنه يوجد تحدى).
وأجاب جمال عبد الناصر بقوله :

(ان العناصر المضادة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكي وهي عناصر (حركية) ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكي وجود العناصر الاشتراكية الحركية المخلصة)

وقال لي شعراوي جمعة ان عبد الناصر كان يتصور دائما ان الرجعية تشكل قوة تنظيمية متربصة لا يقابلها تنظيم تقدمي مماثل ، وان هذا كان عاملا مؤثرا في بعض قراراته .

كان ذلك قبل الهزيمة .. أما بعد الهزيمة فقد تضاعف نشاط هذه العناصر الكامنة المتربصة في أرجاء الاتحاد الاشتراكي .
ولقد أحست القوى الوطنية والديموقراطية بقلق شديد من موقف قيادة النظام وقدرتها على حماية الثورة وبث الحيوية فيها واستمرارها ، رغم ما قاله جمال عبد الناصر في خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ .

(اذا استطعنا ان نحمل الثورة الاجتماعية في مصر وندعم الثورة العربية الشاملة .. فاننا نستطيع تحرير الارض المحتلة) .
نعم .. حماية الثورة الاجتماعية كانت قضية رئيسية تؤرق القائد وتؤرق الوطنيين الديموقراطيين ايضا .

وتبلورت هذه القضية في ضرورة وأهمية تكوين تنظيم سياسي ملتزم ، عبرت عنه في مقال نشرته في روزاليوسف عدد ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ تحت عنوان (حزب واحد) ناقشت فيه أفكار الذين يخشون من وجود حزب واحد على مسار الديموقراطية ومضمونها ، وقلت فيه :

(ان الحزب لا يعمل بعيدا عن الاتحاد الاشتراكي وليس منعزلا عنه بل انه يؤدي في داخله دور الجهاز العصبى القادر على نقل توجيهات القيادة ودفع ارادة الجماهير .. والاتحاد الاشتراكي يضم ملايين الافراد الذين لا يمكن أن تتوافر لهم جميعا صفة الالتزام الحزبى .. اى الرغبة الصادقة فى التضحية والبذل من أجل العمل السياسى .. وضرب المثل فى كافة التصرفات العامة والشخصية .. وهي الصفات الضرورية لعضو الحزب) .
وقلت أيضا :

(عضو الحزب يلتزم بواجبات ومسئوليات تزيد كثيرا عن واجبات ومسئوليات الانسان العادى عضو الاتحاد الاشتراكي .. وعضو الحزب

مسئول أمام الجماهير ، هي التي تقتنع به أو ترفضه وتسقطه تبعا لما يظهر به في مواجهتها . . . والحزب ليس تعالياً على الناس ولكنسه عمل دائم في خدمة الجماهير)

ورد يوسف السباعي على ذلك بمقال جاء فيه ان هذه الدعوة تعنى تكوين حزب شيوعي وحزب يميني وحزب الاتحاد الاشتراكي . . . وهو أمر لا تشير اليه كلماتي مطلقا . . . ولم تكن هذه الفترة التاريخية الحرجة هي أنسب الفترات لاطلاق الدعوة لحرية تكوين الأحزاب بصورة مطلقة .
ولذا فقد رددت عليه بمقال نشر في روزاليوسف في ١٨ سبتمبر ١٩٦٧ قلت فيه :

(هل هو وقوف غلى رأى جامد وثابت ؟
هل هو محاولة لتمييق الوحدة الوطنية والشعبية ؟
أم هو استخفاف بمعالجة القضايا السياسية الحيوية ؟

لست أدري أين كان يقف يوسف من هؤلاء . . . ولكننى ادري انه افتعل أساسا واهيا للمناقشة وبنى عليه هرما من الورق لايحتمل البقاء أمام تيار الحق والصدق) .

وربما كان يوسف السباعي معذورا فى فزعه من فكرة الدعوة الى الحزب معتقدا اننى أدعو الى تكوين حزب له صبغه شيوعية . . . فانه فى حدود علمى لم يكن عضوا مسئولا فى طليعة الاشتراكيين ، ولكنى أشك فى انه لم يكن يعرف تماما القصد مما جاء فى الميثاق عن تشكيل جهاز سياسى داخل الاتحاد الاشتراكي .

لأشك ان يوسف السباعي كان يعرف ماورد فى الميثاق ، ولكنه كان يعبر عن فكر اليمين المتخوف من اتجاه الثورة الى اليسار ، وخاصة بعد الهزيمة التى كان مفروضا أن تقعدها وتصيبها بالجمود فلا تتحرك نحو مزيد من التقدم ،

ولا يمكن انكار أن يوسف السباعي قد نال من ثورة يوليو ومن جمال عبد الناصر شخصا أكثر مما كان يراود أحلامه كضابط من ضباط الجيش الذين استكانوا الى نظامه السابق ولم يرتبطوا بالضباط الاحرار من أجل الثورة على النظام الملكى .

ولا يمكن انكار ان يوسف السباعي قد اصبح علما من أعلام الضباط الذين تولوا مراكز رئيسية حساسة فى مجال السياسة (سكرتير عام منظمة التضامن الآسيوى الافريقى) ومجال الادب والفن (سكرتير عام المجلس الاعلى للفنون والآداب) ومجال الصحافة (رئيس تحرير الرسالة وصحف أخرى) . . . ومع ذلك فانه فيما يبدو ظل حريصا على (فرملة) ثورة يوليو عن الاتجاه نحو أهداف التقدم الاجتماعى ، متشبثا بأحلام طبقة التى انتمى اليها فى الماضى وفى عهد الثورة ايضا .

ولست أعيب على يوسف السباعي موقفه او دعوته ، فهو اختياره الخاص الذى لانملك أمامه شيئا .

ولكننى أتخذ من هذا الموقف مثالا على انه كان فى صفوف المنتمين الى

ثورة يوليو ، المرتبطين بجمال عبد الناصر شخصيا ، القائلين له فى مقدمة كل مقالاتهم (أهلا) . . كان منهم من يأخذ موقفا اجتماعيا مغايرا للانجاء المعروف عن قيادة الثورة . . ومع ذلك تقابل كلماتهم واتجاهاتهم بالصمت . . وربما بالرضا أيضا .

وكان هذا دليلا على انه بعد سنوات من قوانين يوليو ١٩٦١ وصودر الميثاق عام ١٩٦٢ مازالت هناك آراء متناقضة ومتنافرة ، ومعبرة عن واقع طبقة مختلفة . . وأن تحالف قوى الشعب العاملة لم يعد قادرا على خلق وحدة فكرية وتنظيمية متجانسة .

وعلى قدر ما كان اليمين متربصا للثورة يريد الانقضاض عليها . . على قدر ما كان اليسار قلقا على المكاسب الاجتماعية التى حصلت عليها الطبقات السكادحة .

وقد سقط القناع عن الجانب القبيح للثورة بعد محاكمات ضباط مجموعة المشير ، فقد أعلن بعضهم فى صراحة وهم الذين كان مفروضا انهم حماة الثورة بالسلاح انهم يلجأون الى أمريكيا . . ولذا فلم يكن غريبا أن نسمع هذه النغمة من آخرين .

كانت الدعوة لتكوين الحزب هى أول اشارة الى الاحزاب منذ أسقطتها الثورة وأصدرت قرارا بحلها فى يناير ١٩٥٣ .

وكانت هذه الدعوة تعنى بعث الحياة فى جهاز (طليعة الاشتراكيين) لممارسة دوره النضالى فى هذه المرحلة الصعبة من مراحل الثورة .

ولكن أمانة طليعة الاشتراكيين لم تكن تجتمع . . وأمينها العام شعراوى جمعة لم يوجه لها الدعوة للانعقاد . . ولذا حرصت على اثاره هذا الموضوع معه أكثر من مرة مندهشا ومستفسرا عن الاسباب التى تدعو الى وقف اجتماع الامانة التى تمثل القلب فى جهاز العمل السياسى . وكان يعتذر بكثرة مشاغله ومسئوليته فى وزارة الداخلية .

وعندما دعيت الامانة للاجتماع فى نوفمبر ١٩٦٧ قال شعراوى جمعة بصراحة فى أول جلسة (ان فلانا - يقصد كاتب هذه السطور - كان يسقيني كاسا من السم فى كل لقاء معه من أجل دعوة الامانة للاجتماع) .

كانت عودة أمانة طليعة الاشتراكيين للانعقاد مؤشرا طيبا ولكنه لم يكن دليلا على أن الامور فى الجبهة الداخلية يمكن ان تنطلق بنفس الجدوى التى تندفع بها فى الجبهة العسكرية أو القوات المسلحة ان صح التعبير .

عندما عادت الامانة الى الاجتماع مارست أسلوبها القديم الذى يدور فى حلقة مفرغة من المناقشات دون جدول أعمال أو متابعة للقضايا المختلفة بطريقة علمية مدروسة ، مع عقد اتصالات بيروقراطية مع المحافظين الذين كانوا فى أغلب الاحوال هم المسئولون الاساسيون فى طليعة الاشتراكيين .

واحتفظت الامانة حتى ذلك الوقت بأعضائها السابقين أمين هويدى ومحمد فائق وسامى شرف وعبد المجيد فريد وحلمى السعيد واحمد شهاب وشوقى عبد الناصر وكمال الحناوى ومحمد عروق وعبد المعبود الجبيلى . ومحمود العالم ويوسف غزولى وعلى السيد على واحمد كامل وكاتب هذه السطور تحت ادارة أمينها العام شعراوى جمعة (١٠ ضباط ، ٦ مدنيين) .

وكان شوقي عبد الناصر قد أبعد شقيقه عن مركز الامين المساعد للاتحاد الاشتراكي بمحافظة القاهرة ، كما أبعد شقيقه الليتى عبدالناصر عن امانة الاتحاد الاشتراكي بمحافظة الاسكندرية .

وبذكر ان شوقي عبد الناصر كان قد حاول الانتحار عقب هذا الفرار الذى اعتبره جائرا ، لانه كان يؤدى واجبه فى اعتفاده بما يرضى ضميره دون تأثر بموضوع الاخوة . . وان جمال عبد الناصر لم يقيم بزيارته خلال مرضه ووجوده فى مستشفى المعادى .

كان كل ماحدث من تغييرات فى الاتحاد الاشتراكي هو تطعيم المكاتب التنفيذية للمحافظات بشخصيات من مختلف الاتجاهات فامانه القاهرة منسلا اضيف اليها أحمد بهاء الدين وفتحى غانم ويوسف السباعى و نائب هذه السطور من الكتاب وسمير حلمى وزير الصناعة السابق وسيد يوسف وزير التربية والتعليم السابق وعدد آخر من الشخصيات فى مكاتب الاقسام والمراكز .

وكانت بعض القرارات المختلفة الاتجاهات قد بدأت تصدر أيضا . صدر قرار بتأميم تجارة الجملة فى ١٦ اكتوبر ١٩٦٧ ، وفى اليوم التالى مباشرة صدر قرار بعودة الدكتور عزيز صدقى وزيرا للصناعة بعد خروجه من الوزارة فى أثناء رئاسة على صبرى لها .

وفى بداية نوفمبر ١٩٦٧ حضر الى مصر مبعوث الرئيس الأمريكى جونسون المالى الكبير (روبرت اندرسون) حيث اجتمع به جمال عبد الناصر مرتين اجتماعات مهدت لصدور قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر من نفس الشهر .

وكان جمال عبد الناصر رغم الهزيمة ورغم ثبوت المساندة الامريكية الايجابية لاسرائيل حريصا على عدم قطع صلات الاتصال مع الحكومة الامريكية .

وكان القادة السوفييت ينصحون جمال عبد الناصر دائما بتحاشى اتخاذ مواقف شديدة الاثارة للامريكيين الذين لاشك ان لهم دورا فى حل المشكلة وعودة السلام للمنطقة .

قال لى صلاح نصر ان جمال عبد الناصر قد طلب منه بعد الهزيمة عدم قطع علاقته بواشنطن ، ولذا فقد استبقى فى مصر بعد قطع العلاقات (وليم بروميل) ضابط المخابرات الأمريكى لانه كان حلقة الاتصال بين صلاح نصر ورئيس المخابرات المركزية ، كما انه استبقى أيضا وليم بيرجس الذى كانت تربطه علاقات طيبة مع بعض المسئولين فى مصر . ويقول صلاح نصر أيضا انه تلقى رسالة من جونسون فى أواخر يونيو تقول :

(بالرغم من العلاقات المتدهورة بين البلدين فان الولايات المتحدة على استعداد لان تدخل فى مفاوضات لازالة حدة التوتر القائم ، فاذا ماوافقت مصر فان سفيرنا فى روما على استعداد لمقابلة مندوب مصر لوضع الخطوط الرئيسية لمبادرات على مستوى أكبر فى واشنطن) .

ويذكر صلاح نصر انه حدثت موافقة مبدئية على أن يتولى هذه الاتصالات

احمد حسن الفقى وكيل وزارة الخارجية ورينهارث السفير الامريكى فى روما ولكن لم ينفذ ذلك فى اللحظة الاخيرة .

كما يقول ان المخابرات الايطالية وكانت على علاقة طيبة بصلاح نصر والمخابرات المصرية قد توسطت فى ٢٤ يونيو حول مشروع كانت ابرز النقاط فيه هي :

١ - أن يستبعد نهائيا اجراء أى مفاوضات مباشرة للصلح بين العرب واسرائيل .

٢ - الاعتراف بالكيان الاسرائيلى .

٣ - انسحاب القوات الاسرائيلية وعودتها الى ما وراء الحدود على جميع الجبهات حتى يوم ٤ يونيو .

٤ - ان تضمن قوات الطوارئ الدولية ذلك .

٥ - حرية المرور بمضيق تيران

٦ - تعويض البلاد العربية عن الخسائر .

٧ - تعويض اللاجئين الفلسطينيين .

٨ - تعهد من جانب أمريكا والدول الغربية بتنفيذ برنامج اقتصادى مالى وصناعى لمدة ٣٠ سنة بهدف رفع مستوى المعيشة فى جميع الميادين بين شعوب المنطقة العربية وفي مقدمتها مصر مقابل استعادة وتدعيم العلاقات والتعاون الشامل فى الميدان السياسى والاقتصادى بين دول العالم العربى والدول الغربية .

وغنى عن البيان ان هذا المشروع المقترح - اذا صبح ماورد فيه - لم يصل الى نتيجة ، بعد اعتقال صلاح نصر .

ومع ذلك فقد ظلت العلاقات المصرية الامريكية متصلة لاتنقطع حتى وصلت الى حد السماح للضابط السابق علوى حافظ عضو مجلس الامة بعمل اتصالات شخصية خلال شخصيات لاتخفى صلتها بالمخابرات المركزية الامريكية كما نشر فى مجلة اخبار اليوم .

وكان وصول روبرت اندرسون لمصر هو نهاية لهذه المرحلة من الاتصالات التى يبدو انها لم تغير شيئا فى طبيعة العلاقات ازاء اصرار أمريكا على مساندة اسرائيل وامدادها بطائرات سكاي هوك الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى القول فى خطبته يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٨ (لا يستطيع ان يجاهر الآن بصداقة أمريكا الا عميل واضح صريح) .

وقد اقترن شهر نوفمبر الذى صدر فيه قرار مجلس الامن باثارة عدة موضوعات داخلية ، كانت تمثل حساسيات خاصة لثورة يوليو هي :

١ - رفع الحراسات .

٢ - عودة المفصولين .

٣ - الافراج عن المعتقلين .

وقد شكلت لجان خاصة لذلك ، ورفع فعلا العزل السياسى عن اكثر من ألف مواطن ، ورفعت الحراسات أيضا عن بعض الاسر .

واعلن شعراوى جمعة فى بيان خاص ان عدد المعتقلين من ٥ يونيو

اى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧ قد بلغ ١٨١ عسكريا ومدنيا منهم ٤٤ فلاحا من قرية المشير ، ٢٤ كتبة منشورات ١٦٠ ضابط ١٧٠ مدنيا من اقارب المشير ، وضابط شرطة .

كما أعلن يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ ان دراسة شاملة لأوضاع جميع الذين مازالوا فى المعتقلات حتى الان تتم تمهيدا لتصفية المعتقلات .
كما شكلت لجنة ثلاثية لرفع الحراسات التى وضعتها لجنة تصفية الاقطاع وغيرها .

وأذكر ان موضوع الحراسة قد أثير فى اجتماع لجنة الاتحاد الاشتراكي لمحافظة القاهرة ، وانى وقفت ضد مبدأ (الحراسة بالتقارير) .
وكتبت فى روزاليوسف مقالا بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ جاء فيه :

(الحراسة كانت اجراء من اجراءات الحماية الثورية ضد بعض الذين يستقر الراى على انهم وقفوا موقفا عدائيا من التطور الاجتماعى والوطنى . . أو الذين هربوا الارض وخالفوا قانون الاصلاح الزراعى . . ولكن وضع الناس تحت الحراسة لم يكن يستقر تحت مبدأ قانونى واضح وانما كان يتم بعد دراسات تعتمد على تقارير ، والبعض فيها يحتمل التأويل ، والبعض يتعرض للخطأ والصواب . . مما أدى فعلا الى قبول بعض التظلمات ورفع الحراسة عنها . . وهذا الموقف نشأ أساسا عن عدم وجود قانون يسمح بالنظر فى أخطاء وأخطار البعض مما يمكن ان ينتهى بهم الى الحراسة خضوعا لمواد القانون وعدالة القضاء كضرورة ثورية حاسمة) .
كما قلبت أيضا فى نفس العدد :

(ليس منطقيا ان يظل الانسان معتقلا طوال عمره لانه كان عضوا فى جماعة الاخوان المسلمين فى يوم من الايام) .
كان بعث هذه القضايا فى هذا التوقيت يمثل نوعا من النقد الذاتى ، وشعورا بخطر استمرار الاجراءات الاستثنائية المؤقتة .
وقد وجدت بعض العناصر فى اثاره هذه القضايا مايمكن ان يمثل تراجعا من قيادة الثورة تحت ضغط اليمين .
وهو قلق مشروع عند هؤلاء . . ولكن الاجراء لم يكن يمثل تراجعا حقيقيا عن الموقف الاجتماعى لثورة يوليو . . بل كان يمثل محاولة لتجميل وجه الثورة أمام أخطاء استمرت أكثر من التوقيت اللازم لها .

كما أن هذه القضايا (الحراسة - الاعتقال - العزل السياسى - الفصل من العمل) لم يكن الاعتداء عليها يمثل اعتداء على اليمين فقط . . ولكنه كان يمثل اعتداء على اليسار أيضا ، واعتداء على الديموقراطية أساسا .

والديموقراطية هدف من الاهداف الرئيسية التى يناضل من أجلها اليسار ضمانا لحركته .

ويبدو ان الصحافة كانت قد بدأت تلعب دورا هاما فى مناقشة القضايا الرئيسية بجرأة فرضتها الهزيمة ، ولم تعرفها الثورة من قبل ، ففرضت الرقابة على الصحف ، وعاد الرقيب منذ نوفمبر ١٩٦٧ يمارس

صلاحيات كانت قد اختفت من الصحافة تماما منذ ما بعد عدوان ١٩٥٦ .

الحقيقة انه لم تكن هناك رقابة رقيب على الصحف حتى ذلك الوقت، وانما كانت هناك رقابة ذاتية يمارسها المسئول عن التحرير ، والمعين من السلطة .

وكان المبرر لعودة الرقابة هو تحاشي التعرض للشئون العسكرية ، ولكن المبرر الحقيقي كان تهمة وتبريد الآراء المتفجرة الحارة على صفحات الصحف .

ومع ذلك لم تكن الرقابة مانعا من نشر مقالات تدعو لدعم القطاع الخاص ، ودعوة رأس المال الاجنبى .

وقد تصديت لذلك فى عدة مقالات منها مقال نشر فى اول يناير ١٩٦٨ تحت عنوان الاشتراكية المفترى عليها (جاء فيه :
(كل من يلحق به الظلم ، يدين الاشتراكية .

الاشتراكية المفترى عليها . . . التى أصبحت مشجبا تعلق عليه كل الاخطاء والانحرافات التى يرتكبها بعض المسئولين فى مجالات العمل) .
وقلت أيضا :

(الديموقراطية سلاح من اسلحة الاشتراكية ولكننا نبقية فى الجراب خشية منه ، مع انه فى قبضة يدنا) .

(لقد قضى الاستعمار نصف قرن يشوه بدعايته كل ما هو اشتراكي، وهو مازال ينشط بكافة الوسائل فى هذا الاتجاه ، وعلينا وقد تبيننا الاشتراكية الا نتطوع بتشويهها نحن أيضا من جانبنا . . . كأنما يعز علينا أن ندعه بلا ذخيرة يضربنا بها) .

وعن الدعوة لرأس المال الاجنبى كتبت تحت عنوان : (هل تهدم الثورة ما بنته ؟ مقالا جاء فيه :

(رأس المال الاجنبى اذا تسرب الى اقتصادنا قضى على تطوره فى مهده وهدد نموه . . . لان رأس المال الاجنبى لا يحضر الا مصحوبا بشروطه محصنا بضغطه . . . ومع ذلك فأننا يجب ألا نرفض ذلك رفضا باتا قاطعا . . . هناك مشروعات تحتاج فعلا الى رأس المال الاجنبى لعدم قدرة اقتصادنا القومى على تنفيذ كل المشروعات .

قال لى الدكتور عزيز صدقى ان رأس المال الاجنبى كان يتعاون معنا فى مشروعات البحث عن البترول . وتصنيع الدواء ، وغيرها من الصناعات التى تتكلف الملايين الكثيرة من الجنيهات فى الابحاث ومتابعة أحدث التطورات .

كانت حصيللة مصر من البترول تصل الى ٧٥ ٪ بعد اتمام كشفه واستخراجه على أساس تجارى . . . وكان رأس المال المصرى فى بعض شركات الادوية لا يتجاوز ٦٠ ٪ .

حرصت على اعادة نشر بعض مآثر فى الصحف خلال هذه الفترة لاعطاء صورة عن النبض الحقيقى للصراع المستتر - رغم ما قد يكون فى ذلك

من اطناب - بين قوى الردة وقوى التقدم المجتمعة تحت عباءة ثورة يوليو .

وكان وجود جمال عبد الناصر في ذاته ضمانا للتقدم لان الزعيم يكون مكبلا بتاريخه دائما ، يصعب عليه التراجع عنه أو الارتداد عليه .
وحماية الثورة كانت تعتمد عليه شخصيا وعلى رؤيته للامور . . .
ولم تنطلق أبدا الى ساحة الجماهير للتفاعل الحي معها .

كان جمال عبد الناصر يتطلع الى تعديل الميثاق عام ١٩٧٠ بعد ثمانية سنوات من التجربة . . . وكان قد طلب من علي صبرى قبل الهزيمة كتابة مقالات تثير مناقشات حية حول تعديل الميثاق .

ويقول فتحى غانم الذى كان رئيسا لمجلس ادارة التحرير ان مقـال علي صبرى الاول الذى نشر عام ١٩٦٦ كان مقالا تقليديا عن ثورة يوليو ، وأن جمال عبد الناصر قد اتصل بعلي صبرى بعد ذلك وطلب منه أن تفتح المقالات أبوابا عريضة لمناقشات جدية .

وبدأت مقالات علي صبرى تثير اهتمام الكثيرين وتفتح بابا عريضا لتعليقات مختلفة . . . اعتبرها البعض تطرفا الى اليسار . وقال محمد حسنين هيكل لجمال عبد الناصر (ان هذه المقالات ستشعل حربا أهلية) وأجاب عبد الناصر فى هدوء (طيب . . ما تردوا عليه)

كان جمال عبد الناصر يستهدف من ذلك جس نبض حالة المجتمع والتعرف على الاتجاهات الكامنة فيه تمهيدا لتعديل الميثاق .
ولكن الامر بالنسبة للقوات المسلحة كان شديدا حساسية ، فقد ظهر عداء المشير عامر لعلي صبرى بعد هذه المقالات بطريقة أكثر وضوحا .
انتهز المشير فرصة تقرير وصل اليه يفيد بأنه فى معسكر الشباب بأبو قير التابع لمنظمة الشباب يدرس سؤال حول هذا الموضوع .
كيف يرد الشباب على محاولة انقلاب عسكري مضاد ؟
واعتبر المشير عامر ان فى تدريس وتلقين الشباب لمثل هذه الاتجاهات تعريضا بالقوات المسلحة .

وصدر فى ابريل ١٩٦٧ قرار يقضى بتشكيل لجنة للشباب يرأسها المشير عبد الحكيم عامر - الى جانب اختصاصاته المتعددة - وتضم كلا من علي صبرى وشعراوى جمعة .
لم تجتمع هذه اللجنة مرة واحدة . ولكن تشكيلها كان يعتبر صفة لعلي صبرى .

وتوقف علي صبرى عن الكتابة . . . ابلغ ذلك الى فتحى غانم يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ معلنا تخليه عن صلاحياته الاشرافية على جريدة الجمهورية . . .
حيث أصبح المشير فى هذه المرحلة هو المسئول عن الاستعداد الحربى والاعلامى أيضا .

ويقول فتحى غانم انه قد بدأ تجميع مقالات علي صبرى فى كتاب تم طبعه والاعلان عنه . . . ولكنه لم يوزع أبدا . . . فقد توقفت الاعلانات عنه

يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وبقيت أكداس الكتاب في المخزن لا ترى النور .
أوقفت الهزيمة الاتجاه لتعديل الميثاق

وأصبح جمال عبد الناصر حذرا في هذه المرحلة - مابعد الهزيمة - من ظهور آراء قد يتهمها البعض بالتطرف وتستقطب العناصر المتهادنة أو المعادية في وقت تعلق فيه الثورة جراح الهزيمة ، وتتحمل مسئوليات شاقة لاعادة اكتساب ثقة الناس بها من جديد بعد تجربة مأساوية فظيعة .

وكان الموقف يتبلور في قضية حماية الثورة حول مطالبة الجماهير بمراجعة أخطاء التطبيق الاشتراكي .. بينما تحاول قوى أخرى ان توقع الثورة في الفخ عن طريق هدم ما بنته ، والارتداد عن الطريق الذي قطعته .

وقد فجر جمال عبد الناصر هذا الموقف عندما قال في خطبته أمام مجلس الأمة يوم ٢٣ نوفمبر ٦٧ ان البعض يتحدث عن أن زكريا محيي الدين الذي يمثل اليمين وعلى صبرى الذى يمثل اليسار .

المظاهرات .. وبيان ٣٠ مارس

لم يكن ممكنا ان تستمر التناقضات التى فجرتها الهزيمة مكبوتة فى الصدور .

ولم يكن معقولا ان تمضى المقالات والآراء المختلفة التى نشرتها الصحف وكأنها سحابة صيف تمضى بلا أثر .

ولم يكن سهلا أبدا ان يجتمع قلق الثوريين ، وتربص الرجعيين فى هدوء تحت خيمة الاتحاد الاشتراكي .

وتفجر الموقف بصورة عملية فى بداية عام ١٩٦٨ فى أوساط الطلبة، حيث يجتمع حماس الشباب وطهارة الوطنية والحرص على سرعة التغيير .
وجمع توقيت واحد بين حدثين يعتبران أخطر ماتعرض له النظام بعد الهزيمة .. محاكمات ضباط مؤامرة المشير ومظاهرات الطلبة .

وكانت مظاهرات فبراير ١٩٦٨ التى اوضحت جذورها فى (الباب الثالث - الفصل الاول) .

كانت مظاهرات العمال والطلبة هى اول مظاهرات تخرج فى مصر منذ عام ١٩٥٤ ، وهى اول لقاء ايجابى بين الطلبة والعمال منذ عام ١٩٤٦ الذى شكلت فيه (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال) .

وعندما ذهب جمال عبد الناصر ليخطب فى عمال حلوان يوم ٣ مارس ١٩٦٨ كان يبدو فى مظهر من يريد أن يثبت مساندة الطبقة العاملة له فى مواجهة مظاهرات الطلبة .

ومع ذلك لم يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا من مظاهرات الطلبة ولم يفقد أعصابه أمامها .. بل اعتبرها فورة شباب وطنى يتلمس الطريق للخروج من كآبة الموقف وغموض المستقبل .

وبدأت محاولات لاحتواء الطلبة ، كان أولها مقابلة جمال عبد الناصر

لرؤساء اتحادات الجامعات مثل عاطف الشاطر (الاسكندرية) وحلمى نهنوش (عين شمس) وعبد الحميد حسن (القاهرة) رغم عدم اشتراكهم فى المظاهرات ، وعدم قدرتهم على التأثير فى جماهير الطلبة ، بعد أن وثبتت اللجنة المنتخبة من مؤتمر ٢١ فبراير ١٩٦٨ الى مركز القيادة الفعلية .
وقد وافق بعد ذلك جمال عبد الناصر على تشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية بعد لقائه مع المثقفين بجامعة القاهرة فى سلسلة اجتماعاته مع قوى الشعب .

وأعاد جمال عبد الناصر تشكيل وزارته فى ٢٠ مارس ١٩٦٨ وهى الوزارة التى لم يدخلها زكريا محيى الدين ، واقتصرت على حسين الشافعى نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف . وأدخل فيها ٩ وزراء جدد من أساتذة الجامعة هم الدكاترة : محمد حلمى مراد واحمد مصطفى احمد والسيد جاب الله والمهندس حسن مصطفى ومحمد بكر احمد وعبد العزيز حجازى . ومحمد حافظ غانم ومحمد صفى الدين أبوالعز وعبد العزيز كامل نائبا لوزير الاوقاف . وذلك كمحاولة من النظام لبعث الهدوء فى نفوس الطلبة واشعارهم بمشاركة الجامعة فى سلطة الحكم ، وخاصة ان عددا من المختارين كان له دور نشيط فى الاتصال بالطلبة .

كان عدد الضباط السابقين فى هذه الوزارة ١١ وزيرا ، وعدد الوزراء من أساتذة الجامعة السابقين او الجدد ١٢ وزيرا ، وهى المرة الاولى التى تغلب فيها النسبة العددية لآى فئة من الفئات نسبة العسكريين فى الوزارة التى ضمت ٣١ وزيرا .

ولم تقف الاجراءات عند حدود محاولة اقناع الطلبة بان السلطة تقترب منهم وتفتح أبوابها لهم ، وانما تجاوزت ذلك الى تنشيط (طليعة الاشتراكيين) داخل الجامعة فى محاولة للسيطرة السياسية عليها . . . وقد صعب ذلك بعض الاخطاء التى اثارت الطلبة وأبرزت ألوانا من التناقض بينهم وبين عناصر (طليعة الاشتراكيين) الذين كانوا يعملون سرا حتى ذلك الوقت .

كما اكتشفت وزارة الداخلية ان قواتها أعجزت من القدرة على مقاومة مظاهرات طلابية جارفة ، فشكلت (قوات الأمن المركزى) بعد بلوكات النظام لتكون قوة ضاربة قادرة على تفريق المظاهرات قبل نزول القوات المسلحة وما يشكله نزولها من أخطار تهدد استقرار النظام ، وأرسلت عددا من ضباط الشرطة الى فرنسا للتدريب على مواجهة المظاهرات .

وفرضت مظاهرات الطلبة وما صاحبها من تأييد شعبي على جمال عبد الناصر أن يعيد النظر فى الموقف السياسى .

وفتح جمال عبد الناصر المناقشة حول الاوضاع الراهنة فى مجلس الوزراء ، وطلب من الجميع أن يتحدثوا فى صراحة مطلقة باعتبارهم مشاركين فى قمة المسئولية .

ويقول ضياء الدين داود وزير الشؤون الاجتماعية والذى كان أمينا للاتحاد الاشتراكي بمحافظة دمياط ان جميع أعضاء المجلس قد أدلوا بآرائهم فى مختلف الاساسيات والفرعيات أيضا .

وانبرى أساتذة الجامعة والوزراء الجدد يطرحون آراءهم .
وتحدث الدكتور عبد العزيز كامل عن المعتقلات والسجون وعماتعرض
له هو شخصيا .

وأثار الدكتور حلمى مراد كثيرا من القضايا ومن ضمنها الصلاحيات
المعطاة لبعض العسكريين ومواقفهم الخاطئة .. وخاصة ماحدث من سفير
مصر فى أسبانيا أحمد أنور قائد الشرطة العسكرية السابق فى سنوات
الثورة الاولى من اعتداء بالضرب على مستشار السفارة مصطفى توفيق الذى
كان ضابطا صغيرا تحت قيادته فى الشرطة العسكرية ايضا .

ويقول ضياء الدين داود ان جمال عبد الناصر قد قال له ان الضباط
الاحرار الذين قاموا بالثورة كانوا ٩٠ ضابطا تقريبا ، وأن له التزاما معنويا
قبلهم . وخاصة أن منهم من تعرض للاعتقال والمحاكمة ، ومنهم من أبعـد
لثبوت عدم كفاءته ، ومعظمهم ترك القوات المسلحة ليشق طريقا جديدا فى
الحياة المدنية ربما لم يتعود عليه .

دافع جمال عبد الناصر عن أخطاء زملائه الذين قاموا بالثورة معه من
موقع انسانى .. وكان يدرك انه يتحمل فى النهاية أخطاء وانحرافات
البعض منهم .. ولكنه لم يقبل التخلي عنهم .

كان الاعتماد على الضباط بكل مافيهـم من ايجابيات وسلبيات هو
الطريق الذى اختاره جمال عبد الناصر ، بدىلا عن تكوين كادر سياسى فى
اطار حزبى .. سواء منهم أو من غيرهم دون تفرقة بين العسكريين
والمدنيين .

كانت المناقشات الصريحة التى دارت فى مجلس الوزراء تعبر عن
رغبة جمال عبد الناصر فى التعرف على نبض الجماهير .

وتبلورت محصلة الآراء وغيرها فى بيان عرضه عليهم ووافقوا عليه ،
ثم قال لهم بعد الموافقة : (مفيش حد نفسه فى حاجة نضيفها للبيان) .
هكذا دارت المناقشات وانتهت الى اقرار جماعى للبيان .

وقد حاول الدكتور حلمى مراد فيما بعد ان يصور الامور وكان
عبد الناصر قد أخذ منه موقفا لانتقاداته .

ولم يكن هذا صحيحا على اطلاقه .. كما ان صدور قرار منع اشتغال
الوزراء فى تعاقدات خارجية الا بعد ترك الوزارة بخمس سنوات لم يكن
موجها ضد الدكتور حلمى مراد .. وانما كان موجها ضد تصرفات اثنين
من الضباط السابقين .

الاول : أمين شاکر وزير السياحة السابق ، الذى سجل عليه أحمد
كبار الصحفيين اللبنانيين فى دار صحفيه تمولها مصر ، حديثا مليئا بالتهجم
والسباب فى جمال عبد الناصر . فى الوقت الذى كان قد بدأ فيه تعاونا
وثيقا مع بعض الاثرياء فى دول الخليج .

ولم يجد جمال عبد الناصر سبيلا للرد على هذا الضابط الذى كان
مديرا لمكتبه سنوات طويلة الا تحديد اقامته فى منزله .
والثانى : محمود يونس الذى دعتـه هيئات ومؤسسات أمريكية لزيارة

بعض مدنها ، وساعدته في فتح مكتب يعمل في شئون البترول والنقل والتجارة في بيروت ، وذلك فور خروجه من الوزارة في ٢٠ مارس ١٩٦٨ .
وكان القرار بمنع اشتغال الوزراء مستهدفا عدم التأثير عليهم مثل وزراء العهود السابقة للثورة الذين كانت ترتبط مصالحهم بالشركات المحلية أو الاجنبية .

وقبل أن يمضي أربعون يوما على مظاهرات الطلبة كان جمال عبد الناصر يخاطب الشعب من الاذاعة والتليفزيون يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ الموافق لرأس السنة الهجرية في بيان اشتهر بهذا التاريخ .

كان البيان محاولة من جمال عبد الناصر لتوضيح الموقف للشعب عامة وللطلبة والعمال خاصة ، وأبرز للناس ما تحقق من إعادة بناء القوات المسلحة ، والنجاح في تحقيق الصمود الاقتصادي ، وتصفية مراكز القوى ومحاكمتها وما صاحب ذلك من كشف للانحرافات . وخلق علاقات صداق مع كثير من الدول وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي .

وتحدث جمال عبد الناصر عن إعادة تشكيله للوزارة معتبرا (انه جاء الى مواقع الحكم بصفوة من شباب هذا الوطن ، لا يدين أحد منهم بمنصبه لاي اعتبار) . . . كما وعد باجراء تغيير في كافة المجالات . . . الانتاج والسلك الدبلوماسي والادارة المحلية قائلا :

(ان التغيير المطلوب لا بد وأن يكون تغييرا في الظروف وفي المناخ والا فان أي أشخاص جدد في نفس الظروف وفي نفس المناخ سوف يسيرون في نفس الطريق الذي سبق اليه غيرهم) .

وبعد أن ركز جمال عبد الناصر على أهمية المعركة باعتبارها (اختيارا للنصر والشرف والحياة) . . . قال ان الاتحاد الاشتراكي هو الصيغة الملائمة لتجنب (دسوية الصراع الطبقي) وأعلن عن ضرورة إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب من القاعدة الى القمة ، على أن يظل المؤتمر القومي قائما الى ما بعد ازالة آثار العدوان ، وأن تظل اللجنة المركزية المنتخبة في حالة انعقاد دائم وأن يوكل اليها الى جانب مسئولياتها المتعددة واجب بناء التنظيم السياسي لطلائع الاتحاد الاشتراكي .

كما أشار البيان الى ضرورة انشاء المجالس المتخصصة ، وعدد بعض المبادئ التي لاخلاف عليها ليتضمنها الدستور الجديد .

أعلن جمال عبد الناصر ان البيان سوف يكون موضع استفتاء الجماهير يوم ٢ مايو ١٩٦٨ ، وانه منذ ذلك التاريخ سوف تشكل لجنة مؤقتة تشرف على انتخابات الاتحاد الاشتراكي من خمسين عضوا ثم تضم بعد ذلك الى المؤتمر القومي .

كان هذا البيان محصلة لتفكير جمال عبد الناصر في هذه المرحلة . . . وهو في مضمونه كان وثيقة هامة تضاف الى الميثاق بعد ست سنوات من صدوره .

وافق الشعب على بيان ٣٠ مارس في الاستفتاء العام الذي اجري يوم ٢ مايو ، وانتهت أعمال أمانة الاتحاد الاشتراكي ، كما انتهت أعمال أمانة

منظمة الشباب . وأعيد أحمد كامل محافظا قبل أن تكتمل خطته التي شجعه جمال عبد الناصر على تنفيذها ، والتي حاول بها تجميع الشباب ، وبعث الأمل في نفسه .

وحدث أن قرر جمال عبد الناصر الذهاب الى جامعة القاهرة لالقاء خطبة في قاعة الاحتفالات ، ولم يكن في البرنامج دعوة ممثل عن الطلبة لالقاء كلمة .

وهدد أعضاء اتحاد جامعة القاهرة بالاستقالة اذا لم يتحدث ممثلهم في حضور جمال عبد الناصر ، وأبلغني ابني علاء بذلك محتجا على اهمال ممثل الطلبة وكان قد أصبح عضوا في الاتحاد عن كلية الآداب ، فاتصلت بشعراوي جمعة موضحا له ان مظهر الاستقالة سوف يكون مسيئا ، وانه لابد من اتاحة الفرصة لممثل الطلبة بدعوته للحضور والحديث . . . وبعد ساعة تقريبا اتصل بي وأبلغني بأن جمال عبد الناصر قد وافق على ذلك ، فأبلغت ابني علاء الذي أبلغ أعضاء الاتحاد الذين قرروا ان يكون الدكتور عبد الحميد حسن رئيس اتحاد جامعة القاهرة هو المفوض في الحديث باسم الطلبة .

طالب عبد الحميد حسن في خطبته برفع الوصاية عن الاتحادات الطلابية بتشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية .

تم تشكيل أول اتحاد عام لطلبة الجمهورية في أغسطس ١٩٦٨ ، وانتخب الدكتور عبد الحميد حسن ممثلا لجامعة القاهرة رئيسا له بفارق صوت واحد عن الدكتور حلمي نهنوش رئيس اتحاد جامعة عين شمس .

وقد صدرت لائحة عن المؤتمر تنص على الغاء رواد الاتحاد من الاساتذة واعتبر ذلك من أكبر المكاسب التي حصل عليها الطلبة .

ولكن هذا المكاسب لم يستمر طويلا ، فقد أصدر جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا من مادة واحدة في نوفمبر ١٩٦٨ ينص على تعيين رواد من هيئة التدريس في لجان الاتحاد ومجالسه بالنسبة للكليات والمعاهد . وأن يعين رائد للاتحاد العام من أمانة التنظيم .

كما أن عبد الحميد حسن كان قد استقال من رئاسة الاتحاد العام ، تفاديا لطلب بسحب الثقة منه ، نظرا لسفره في مهمات الى الخارج عمن طريق مكتب سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات دون الحصول على موافقة أعضاء الاتحاد العام . . . وتولى رئاسة الاتحاد من بعده حسن عبيد .

بدأ عام دراسي جديد ومشاعر الطلبة لم تهدأ تماما ، رغم بيان ٣٠ مارس ، وما حصلوا عليه من مكاسب .

وتفجر الموقف في المنصورة ، اثر قرار لمحمد حلمي مراد وزير التربية والتعليم خاص بسياسة القبول في المدارس الخاصة .

قامت المظاهرات في المدارس الثانوية لمدة يومين ، ثم تصدى لها رجال الشرطة وأطلقوا الرصاص ، فقتل ثلاثة وأصيب آخرون وتعاطف الاهالي مع الطلبة في هجومهم على مديرية الأمن .

اشترك طلبة طب المنصورة فى اليوم الثالث للمظاهرات ، واعتقلت الشرطة عددا منهم ٠٠ وعندما انتقل الخبر للقاهرة خرجت مظاهرة من جامعة القاهرة تصدى لها البوليس عند كوبرى الجامعة وتم تفريقها ٠٠ اما الاسكندرية فقد أصدرت اتحادات الطلاب تحت ضغط جماهير الطلبة بيانات تطلب التحقيق مع المسئولين عن اطلاق الرصاص ومحاكمة وزير الداخلية ، والتساؤل عن السبب فى عدم تطبيق بيان ٣٠ مارس .

اعتصم طلبة هندسة الاسكندرية ومعهم بعض الطلبة الآخرين بعد قيامهم بمظاهرة حاصرها البوليس الذى اعتدى على عاطف الشاطر رئيس اتحاد الطلبة الذى يحمل علم الاتحاد .

هرع أحمد كامل محافظ الاسكندرية وأمين الشباب السابق الى الجامعة لمواجهة الموقف بنفسه ، ولكن المشاعر الثائرة دفعت الطلبة الى اعتقاله الى حين الافراج عن عاطف الشاطر .

توتر الموقف فى المدينة توترا شديدا ، وتجمعت قوات الصاعقة للقوات المسلحة فى استاد الاسكندرية ، وحلقت طائرات هليكوبتر فوق مباني الكلية . وكاد يحدث صدام دموى لولا استجابة السلطات لرغبة الطلبة ، وتم الافراج عن أحمد كامل .

دعا جمال عبد الناصر الى دورة طارئة للمؤتمر القومى لمناقشة أحداث الطلبة حيث تلا تقريرا من وزير العدل ووزير الداخلية ضد المظاهرات . وفى نهاية الدورة الطارئة أصدر جمال عبد الناصر القرار الجمهورى الذى أشرت اليه والذي يقضى بعودة نظام (رواد الاتحاد) .

لم تنته المظاهرات الى تصفية سلمية بين السلطة والطلبة ٠٠ وبرز دور أصحاب الاتجاهات اليسارية فى تحريك جموع الطلبة والحصول على ثقتهم .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يظهر فيها يسار جديد خارج عن حدود تنظيمات ثورة يوليو لمحاولة لعب دور سياسى قيادى ٠٠ وفى مقابل ذلك نشطت (طليعة الاشتراكيين) فى محاولة فرض قيادة من بين صفوفهم .

وبدأ تنافس واضح فى مؤتمر اتحاد طلبة الجمهورية الذى عقد فى ابريل ١٩٦٩ لمناقشة قضايا الطلبة وانتخاب مجلس جديد ٠٠ ولكن المؤتمر انجرف تماما نحو الانتخابات ولم يناقش أية قضية أخرى .

ودارت المنافسة على رئاسة الاتحاد بين جمال عفيفى رئيس اتحاد جامعة القاهرة والمرتبطة بتنظيم طليعة الاشتراكيين وبين علاء حمروش نائب رئيس اتحاد جامعة القاهرة والذي لم يكن عضوا فى طليعة الاشتراكيين .

تكتلت كل القوى غير المنتمة لطليعة الاشتراكيين رفضا منها لمحاولة هذا التنظيم فرض أعضائه ٠٠ ورغم اختلاف الانتماءات والاتجاهات السياسية فإنهم اتفقوا على انتخاب علاء حمروش المعروف بميوله اليسارية . وتصادف بعد ذلك أن توقفت المظاهرات خلال عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ .

حيث بدأ اتحاد طلبة الجمهورية يلعب دورا سياسيا ، ويبادر الى اتخاذ مواقف تعبر عن ارادة الطلبة وترضى مشاعرهم الثورية .

وخرج اتحاد طلبة الجمهورية عن الاطار المحلى لأول مرة ، فقرر الانضمام الى اتحاد الطلبة العالمى ، واستجابت السلطة الى ذلك حرصا على

تفادى الصدام ، كما ظهر نوع من التعاون الأوثق مع المقاومة الفلسطينية نتيجة بروز دورهم المتزايد فى ساحة النضال العربى .
وقد فطنت القيادات السياسية فى طليعة الاشتراكيين الى أنه من الافضل أن يحدث تجاوب مع الطلبة فى تنظيماتهم الخاصة دون محاولة فرض بعض الافراد عليهم ، أو اجبارهم على الخضوع الكامل لارادة السلطة .

وقد حدث نوع من التناسق السليم بين شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين ، وبين علاء حمروش رئيس اتحاد طلبة الجمهورية ، أمكن فيه عن طريق النقاش والمصارحة تفادى كثير من الازمات .
ولاشك ان ظهور الجدية فى مجابهة الامبريالية والصهيونية التوسعية ، والقتال المستمر فى جبهة القتال كان عاملا مؤثرا فى تهدئة الطلبة وابتعادهم عن المظاهرات الى حين .

الاتحاد الاشتراكي .. والانتخابات

الاجراء العملى الوحيد الذى بادرت القيادة الى تنفيذه من بيان ٣٠ مارس هو اجراء الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكي ليكتمل تنظيمه الهرمى وتمارس لجنته المركزية - التى نص البيان على ان تكون فى حالة انعقاد دائم - تمارس صلاحياتها ومسئوليتها السياسية .

جرى الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس فى شهر مايو ، وجرت انتخابات الاتحاد الاشتراكي خلال شهرى يونيو ويوليو ١٩٦٨ .

كان التكالب واضحا على الترشيح ، ولم تتدخل أى جهة مسئولة لوقف هذا الاندفاع الذى وصل فى بعض الشركات الى حد تقديم ٢٣٠ شخصا لانفسهم كمرشحين للجنة العشرين أمام ١٧٠٠ ناخب فقط . ولم تظهر فكرة الاعتراض على أى من المرشحين كما كان قد حدث من اعتراض على عضوية الاتحاد الاشتراكي عند بدء تأسيسه عام ١٩٦٢ ثم سحب هذه الاعتراضات .

وتشير هذه الظاهرة الى ان العمل السياسى خلال السنوات السابقة لم يحدث تأثيرا ونضجا سياسيا يفرز العناصر القادرة على تحمل عبء مسئولية العمل السياسى ، واما انه كان مرفوضا لان الهزيمة حدثت خلال هذه السنوات .

تمت الانتخابات فى مرحلة فقد فيها الناس كثيرا من ثقتهم ، وأصبحوا يقدمون الشك على اليقين ، ويرفضون أن يسلموا بشئ دون اقتناع
ويتشبثون بالديموقراطية التى أصبحت هدفا يتطلع اليه الناس فيما يشبه التحدى .

ولكن الانتخابات وحدها لم تكن كفيلا بتحقيق الديموقراطية الصحيحة فى هذا الجهاز الجماهيرى الضخم الذى يضم عدة ملايين ، والذى تسيطر عليه فى القمة شخصيات معروفة لم تتغير .

وكتبت فى روز اليوسف عدد ٢٤ يونيو مقالا تحت عنوان (ليس

بالانتخابات وحدها) جاء فيه :

(اننا يجب ان نضع الانتخابات في موضعها الصحيح .. لانقلل من أهميتها كوسيلة لاكتساب ثقة الجماهير ومحاولة الوصول الى صورة صحيحة لارادتها .. ولا نجسم منها باعتبارها في ذاتها سوف تخلق الثقة وتحقق الديمقراطية .

فانه ليس بالانتخابات وحدها .. تتحقق الثقة ، وتزدهر الديمقراطية) .

أذكر ان طليعة الاشتراكيين قد تدارست موضوع الانتخابات والترشيحات .. وأن هذا الموضوع قد أثر في لجنة الاعلام التي كان يرأسها محمد فائق وزير الاعلام وكانت تضم أحمد بهاء الدين وفتحى غانم ومصطفى بهجت بدوى ومحمد عروق وهمت مصطفى ومحمود العالم وكاتب هذه السطور .

ونظرا لزيادة الراغبين في الترشيح فقد اقترحنا أن يدخل الراغبون في ذلك دون قيود وان تترك لهم فرصة الاتصال المباشر مع الناخبين . وخاصة في الدوائر التي تضم عددا كبيرا من الشخصيات المنضمة لطليعة الاشتراكيين مثل دوائر قصر النيل وعابدين ومصر الجديدة وغيرها حيث كان مطلوبا في النهاية نجاح ٤ فقط في دائرة القسم للمؤتمر القومى . تم الاتفاق على ذلك ولم تصدر تنظيمات طليعه الاشتراكيين في هذه الدوائر قوائم ترشيحات بالمرشحين الذين سوف يساندهم أعضاؤها ... وأذكر اننا دخلنا الانتخابات بناء على ذلك متوجهين الى الناخبين في مؤسساتهم الجماهيرية ومواقع عملهم .

ولكن تدبيرات سرية كانت قد اتخذت لانجاح أسماء واسقاط أخرى .

واذا أخذنا دائرة قصر النيل مثلا لوجدنا ان الاتحاد الاشتراكي في القسم كان متحيزا مسبقا ضد بعض المرشحين وأنا واحد منهم . وكان الامر المثير أنى كنت مازلت عضوا في أمانة طليعة الاشتراكيين وعضوا في لجنة الاعلام أيضا .. وصلتى كانت وثيقة بشعراوى جمعة . ومحمد فائق .

وفي أحد الاجتماعات بمكتب قسم قصر النيل فوجئت بمحاولة بعض الاعضاء بالتدخل لمنعى من الخطابة ، ولكنى أخذت منهم موقفا جادا وهاجمت هؤلاء الذين يحاولون ان يقتلوا أول تجربة ديمقراطية داخل التنظيم الواحد وهى مازالت بعد فى مهدها ، فتراجعوا الى مقاعدهم وساد الصمت والهدوء .

وكان ضمن قائمة المرشحين بعض المنتمين لطليعة الاشتراكيين مثل محمد فائق والدكتور حسين كامل بهاء الدين سكرتير منظمة الشباب السابق وضابط الشرطة السابق صلاح عبد المعطى الذى كان يعمل موظفا اداريا معنا فى الامانة وكان أميننا للاتحاد الاشتراكي بالقسم والدكتور عزت سلامة وكاتب هذه السطور .. ثم الدكتور ثروت عكاشة ويوسف السباعى والدكتور زكى هاشم وآخرين .

وعندما تبيننت موقف العداء غير المبرر منى اتصلت بشعراوى جمعة
ومحمد فائق واكد لى الاثنان ان المعركة حرة ومفتوحة .
وخضت المعركة الى نهايتها فى حماس شديد . . ثم تبين لى أن أربعة
أسماء قد وزعت على الجميع لتصعد الى المؤتمر وأن عشرين اسما أخرى قد
حددت أعضاء لجنة قسم قصر النيل .

وظهرت النتيجة مطابقة تماما لهذه الاختيارات السرية ، ونجح محمد
فائق وحسين كامل بهاء الدين وصلاح عبد المعطى وأمين حلمى رئيس هيئة
التصنيع وسقط الباقون .

وكان ضمن الذين أحكمت حولهم حلقة التآمر أيضا الدكتور ابراهيم
سعد الدين عضو الامانة العامة لمعهد الدراسات الاشتراكية والذي رشح
نفسه فى دائرة على صبرى وعبد العزيز حجازى بالشرقية وفوجئ أيضا
بتدبيرهم لعملية اسقاطه . . كان هذا اتجاها واضحا ضد اليسار والذي
يمكن ان يحمل كلمة المعارضة .

وتبيننت فيما بعد ان هذه الانتخابات قد تمت فى وقت كانت صلتى
فيه بامانة طليعة الاشتراكيين قد انقطعت دون اخطار . . فقد حدث قبل أن
تنفجر مظاهرات الطلبة واثناء اجتماع للامانة فى مكتب شعراوى جمعة
بمقر الوزارة المركزية سابقا فى هليوبوليس أن نبهت الحاضرين وشاركنى
فى ذلك أحمد كامل الذى كان أمينا للشباب وقتها وكان عائدا لتوه من
رحلة الى الوجه القبلى . . نبهت الى خطورة الموقف ليأثس الناس من احتمالات
تغيير حقيقى فى المجتمع يؤدى الى تحرير الارض المحتلة ، وقصد كل الدم
الفاسد فى مواقع المسئولية وليس فى القوات المسلحة وحدها كما كشفت
الهزيمة .

وكان اجتماعا ساخنا . . أعلنت فيه مسئوليتنا التاريخية فى هذا
المستوى التنظيمى الذى يمثل القلب . . وطالبت بضرورة مصارحة جمال
عبد الناصر بالموقف باعتباره قائدا للتنظيم .

ولم يجد شعراوى جمعة من سبيل أمام هذا التيار الذى اشترك فيه
عدد من أعضاء الامانة سوى اقتراح تشكيل لجنة من أحمد كامل وسامى
شرف ومحمود أمين العالم وكاتب هذه السطور لصياغة تقرير سياسى لجمال
عبد الناصر عن حقيقة الوضع واقتراح مايمكن ان نراه من علاج لتفادى
مايمكن ان يحدث فى المستقبل .

واجتمعت هذه اللجنة الفرعية فى مساء اليوم التالى مباشرة بمكتب
سامى شرف ، وبدأنا فى تدارس الموقف . . واذا بمنير حافظ أحد كبار
الموظفين بمكتب سامى شرف يدخل علينا معلنا أن هناك تجمعات فى أماكن
كثيرة تعلن احتجاجها على بساطة الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران .

واعتبرت أن فى ذلك دعما لموقفنا . واثباتا لسلامة تصورنا . . .
ولكنى فوجئت بمحمود أمين العالم وكان وقتها مقربا جدا من قمة السلطة .
ومتوليا مسئولية رئاسة مجلس ادارة أخبار اليوم . . فوجئت به يطلب

انهاء الاجتماع حتى تتفرغ القيادة لمباشرة مسئولياتها .
وتلفت حولي باحثا عما يقصده ، فاذا به يشير الى سامي شرف الذي
لم يكده يسمع هذه الكلمات التي اتت اليه كطوق الانقاذ حتى تشبث بها ،
وأعلن تأجيل الاجتماع الى موعد يحدد فيما بعد .

ولكن طال الزمن بلا تحديد لموعد اجتماع جديد .
وقامت المظاهرات ووضحت اتجاهات الجماهير .
وكانت هذه هي صلتى الاخيرة بأمانة طليعة الاشتراكيين . . لم يبلغنى
أحد اننى أقصيت عنها . . ولم أعرف انها تجتمع . . وعادت محاولاتي
السابقة مع شعراوي جمعة مطالبا باجتماع الامانة ولكنه كان دائما يعتذر
بكثرة مشاغله .

وعرفت بعد وقت طويل انه منذ هذه الجلسة الساخنة ، ومنذ ذلك
الاجتماع فى مكتب سامي شرف ، انه قد أقصى عن الامانة كل من أمين
هويدى والدكتور عبد المعبود الجبيلى وكاتب هذه السطور .
وليسست هذه الصورة الا نموذجا لفقدان الديموقراطية داخل التنظيم .
والاصرار على التعاون مع الذين لا يعرفون النقد او المعارضة . . فى محاولة
لتثبيت سلطة شخصيات معينة .

أذكر اننى أثرت هذه القضية مع على صبرى أثناء مقابلتى له خلال
مظاهرات الطلبة ، واننى اقترحت عليه أن يتم الترشيح لانتخابات الاتحاد
الاشتراكى بتفاعل ديموقراطى داخل طليعة الاشتراكيين حتى يمكن أن
تفرز الانتخابات عناصر صالحة تكتسب ثقة القاعدة . . وانه كان هادئا
ومطمئنا وفيما يبدو واثقا من النتيجة .

والحقيقة ان انتخابات الاتحاد الاشتراكى قد جرت فى ظروف ملائمة
تماما لعلى صبرى . . فكان خروج زكريا محيى الدين فى مارس ١٩٦٨
ابعادا لشخصية قوية يؤهلها تاريخها واقداميتها وعضويتها السابقة لمجلس
قيادة الثورة أن تكون البديل لجمال عبد الناصر فى أى ظرف مفاجئ .
وخاصة بعد ترشيح جمال عبد الناصر له ليكون بديله فى رئاسة الجمهورية
أثناء خطاب التذخى .

ولم يكن زكريا محيى الدين قريبا من الاتحاد الاشتراكى ، فقد انتهت
صلته به بعد الجهد الذى بذله فى تكوين منظمة الشباب فى عهدها الاول ،
وبعد انتهاء اشرافه على محافظة الجيزة فى الفترة الاولى لتكوين الاتحاد
الاشتراكى عام ١٩٦٣ .

كان ابعاد زكريا فرصة لتثبيت اقدام على صبرى فى أرض المسئولية
. . فقد كان هو الوحيد المرتبط بالاتحاد الاشتراكى وطلائع الاشتراكيين
من بين نواب رئيس الجمهورية السابقين .

أنور السادات كان رئيسا لمجلس الامة . . وحسين الشافعى اقتصر
عمله فى وزارة ٢٠ مارس ١٩٦٨ على أن يكون نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا
للاوقاف . . وعبد المحسن ابو النور الذى كان مسئولاً فى الاتحاد الاشتراكى
أصبح وزيرا للإدارة المحلية .

وهكذا كانت الفرصة متاحة لعلى صبرى . . بعد انتحار المشير عامر ،

وابعاد زكريا محيي الدين وقد صدرت وزارة ٢٠ مارس وهو ليس عضوا بها بعد ان كان في وزارة ١٩ يونيو ١٩٦٧ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للادارة المحلية .

وكان هذا يعنى تخصصه في الاتحاد الاشتراكي ومسئوليته عنه .
وكتبت في روزاليوسف تعليقا على انتخابات أعضاء المؤتمر العام قبل انعقاده بيوم واحد في ٢٢ يوليو ١٩٦٨ قائلا :
(علينا ان نفرق بين الالتزام والالتزام .

الالتزام يعنى التبعية المطلقة دون حوار أو مناقشات . . وهو ما يؤدي الى الغاء الشخصية الذاتية . . أما الالتزام فهو الحرص على الارتباط بتنظيم ديموقراطي يحقق هدف أعضائه ، ويتيح لهم فرصة التعبير والمناقشة وتوضيح الرأي الخاص مع الالتزام برأى الاغلبية . . وهو ما يؤكد شخصية العضو وارتباطه بالآخرين).

ولكن الامر كان قد انقضى . . وتشكل المؤتمر القومي بأسلوب الاختيار تقريبا . .

ويبدو ان جمال عبد الناصر قد استشعر مدى المعارضة والرفض لاسلوب الانتخابات فأثر أن يؤجل انتخاب اللجنة المركزية حتى يتعارف أعضاء المؤتمر القومي - على حد تعبيره - وأجريت الانتخابات .

ويمكن القول بأن على صبرى كان له الرأي الاول في اختيار معظم أعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ولجنته المركزية ، بل وفي لجنته التنفيذية العليا ايضا التي تم انتخابها يوم ١٩ اكتوبر ١٩٦٨ . فقد حصل على أعلى الاصوات ، وكان ترتيب اللجنة من حيث عدد الاصوات كما يلي من بين ٢٠ مرشحا منهم ٧ ضباط :

على صبرى (١٣٤ صوتا) - حسين الشافعي (١٣٠) - محمود فوزي (١٢٩) - أنور السادات (١١٩) - رمزي استينو (١١٢) - ضياء الدين داود (١٠٤) - عبد المحسن أبو النور (١٠٤) - لبيب شقير (٨٠) .

أما بقية المرشحين فلم يدخلوا اللجنة اذ حصلوا على أقل من ٥٠٪ من الاصوات . . كمال الحناوي (٦٤) على السيد على (٦٢) كمال رفعت (٥٠) - حسن عباس زكي (٣٧) جابر جاد عبد الرحمن (٣٤) سيد مرعي (٣٣) - عزيز صدقي (٣٣) أحمد فهمي (٣٠) - خالد محيي الدين (٢٠) أحمد سيد درويش (١٤) مصطفى أبو زيد فهمي (١٢) - فهمي منصور (١٠) .

وكانت فرصة على صبرى في الحصول على أعلى الاصوات نابعة من صلاته ومعرفته الشخصية بمعظم أعضاء اللجنة المركزية فقد عين سكرتيرا عاما للاتحاد الاشتراكي بعد استبداله كرئيس للوزراء بزكريا محيي الدين عام ١٩٦٥ .

أجل جمال عبد الناصر انتخاب الاثنى الذين يكملان عدد أعضاء اللجنة التنفيذية الى عشرة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكي لفترة قادمة .
واستقال من الوزارة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكي أيضا أربعة وزراء نجحوا في انتخابات اللجنة التنفيذية العليا وهم : حسين الشافعي

وضياء الدين داود وعبد المحسن أبو النور ولييب شقير .
ويلاحظ ان نسبة الضباط في اللجنة التنفيذية العليا ، وهي قمة
السلطة في الجمهورية العربية المتحدة مازالت عالية (٤ ضباط غير عبد الناصر
وأربعة مدنيين) . . بينما لم يتجاوز عدد الضباط في اللجنة المركزية (١٢
ضابطا من ١٥٠ عضوا) .

كما انه لم ينجح أحد من العمال والفلاحين ، ولم يتقدم للترشيح سوى
عاملين وأحد الزراعيين ، بينما بلغ عدد المرشحين من الوزراء والوزراء
السابقين ١٢ مرشحا .

والنظرة الى اسماء الناجحين والراسبين تؤكد ان هناك قوة منظمة كانت
تتحرك بايعاء معين مؤثر في توجيه الانتخابات . . وكل الذين فازوا كان
قد أوحى لهم بترشيح انفسهم ، استمرارا وتأكيذا لاسلوب الاختيار من اعلى
بعيدا عن التفاعل الديموقراطي السليم .

قال لي عدد من الذين سقطوا ان أحدا لم يهمس لهم بالترشيح . .
والقاعدة كانت أن ينتظر الاعضاء تعليماتهم من المستويات الأعلى دون أية
مبادرة منهم .

وكان شعراوي جمعة أمين التنظيم هو الذي رأس اللجنة التي تتلقى
طلبات الترشيح ، واستمر بعد ذلك منضمنا الى رؤساء اللجان الخمس
الدائمة التي انبثقت عن اللجنة التنفيذية العليا ليشكلوا اللجنة الدائمة
للاتحاد الاشتراكي ، والتي تعتبر بمثابة اللجنة الهامة التي تملك مفتاح
الاتحاد الاشتراكي .

كان توزيع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا قد تم على النحو الآتي :

أنور السادات رئيسا للجنة السياسية - علي صبرى رئيسا للجنة
التنظيمية - عبد المحسن أبو النور رئيسا للجنة الشؤون الداخلية - لييب
شقير رئيسا للجنة التطور الاقتصادي - ضياء الدين داود رئيسا للجنة
الثقافة والاعلام .

وكان جمع شعراوي جمعة بين عمله المسئول في التنظيم واستمراره
وزيرا للداخلية هو الاستثناء الوحيد الذي يشير الى أهمية الدور المساعد الذي
كان يدفعه اليه جمال عبد الناصر . . هذا الى جانب كونه أمينا لطلبة
الاشتراكيين أيضا .

كانت كل الظروف تهيئ شعراوي جمعة ليصبح رجل السلطة ورجل
التنظيم القوى بعد جمال عبد الناصر وعلي صبرى .

ولكنه كان وحده من أمانة طلعة الاشتراكيين الذي أوكل اليه هذا
الدور ، فلم يصل أحد من أمانة الطليعة الى اللجنة التنفيذية العليا . . .
وشعراوي نفسه لم يكن عضوا رسميا بها ، وإذا حضر اجتماعاتها فليس له
حق التصويت .

الظاهرة الملحوظة ان عدد الضباط قد انحسر في نسبتهم باللجنة
المركزية . وان بعض العناصر المدنية قد بدأت تلعب دورا أساسيا مسئولوا

يزيد في واقعه ومضمونه عن الدور الذي يلعبه بعض العسكريين أصحاب التاريخ والارتباط بسلطة الثورة .

قال لي شعراوي جمعة ردا على استفسار عن الاسلوب الذي اتبع في انتخابات اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا بأن طليعة الاشتراكيين كانت تستقر على ترشيح أعضاء معينين وتطلب من اعضائها مساندتهم وبأيديهم ، دون تدخل أو تزيف في الانتخابات .

وعن انتخابات اللجنة التنفيذية العليا قال ان جمال عبد الناصر كان قد ارتضى ترشيح ستة أعضاء هم أنور السادات وعلى صبرى وحسين الشافعى وضياء داود ورمزى استينو والدكتور محمود فوزى وقام شعراوي بأبلاغ أعضاء طليعة الاشتراكيين بمسافدة هؤلاء مضيفا اليهم اسمى لبيب شقير وعبد المحسن أبو النور .

لم يعترض جمال عبد الناصر على ترشيح احد للجنة التنفيذية العليا سوى خالد محيى الدين الذى كان قد ارتضى دخوله اللجنة المركزية رغم اتجاهاته اليسارية . ولم يخلق في انتخابات الاقسام والمراكز كما حدث مع الدكتور ابراهيم سعد الدين ومع كاتب هذه السطور .

كانت الرغبة مازالت قائمة فى منع اليساريين من الوصول الى مراكز المسئولية القيادية .

ويقول شعراوي ان الانتخابات بعد ذلك قد تمت دون توجيه او تدخل فى اختيار بقية الاعضاء .

ويقول أيضا ان جمال عبد الناصر كان ينوى تغيير اقدمية أعضاء اللجنة التنفيذية تبعا للاصوات التى يحصلون عليها . ولكنه بعد ظهور النتيجة تراجع عن ذلك (حتى لايزعل أنور السادات) على حد تعبيره .

خلافات على المسرح

كان هناك حرص على ان تدور الخلافات بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الكواليس ولا تظهر مطلقا أمام الجماهير . كانت أزمة مارس ١٩٥٤ استثناء فجرت استقالة محمد نجيب . . . ثم مضت الامور بعد ذلك فى مظهر يوحى بالوحدة والاتفاق وتقدير زعامة جمال عبد الناصر .

لم يعرف الناس ان هناك خلافا بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر . . ولم يطلع أحد على دوافع استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي ثم حسن ابراهيم .

كل الخلافات دارت فى الكواليس . . ولم تظهر أبدا على خشبة مسرح الحياة السياسية .

ولكن الهزيمة غيرت هذا الاسلوب .

محاكمة ضباط مجموعة المشير اسقطت القناع عن الوجه القبيح للثورة . . وأظهرت كثيرا من الاخطاء والانحرافات . . وكشفت ان عددا من المسئولين عن حماية الاستقلال الوطنى فى القوات المسلحة كانت قلوبهم

تميل الى الولايات المتحدة رغم دورها البارز في التحضير للعدوان والمساهمة فيه بمساعدة اسرائيل .

ولم تتورع الصحف عن نشر أنباء المحاكمات . والتشهير بما دار فيها من وجهات نظر مختلفة .

ومع ذلك عندما تماذى أحد الكتاب - موسى صبرى - في التعليق على محاكمة عباس رضوان . وقال ان حقيقه النقود الضائعة تظهر (ان ماخفى كان أعظم) . . . نقل من جريدة الاخبار الى جريدة الجمهورية كاتباً بعد أن كان رئيساً للتحريير .

يبدو أن الهزيمة قد غيرت من أسلوب المواجهه فلم تعد كلمات التجريح الصريح تحمل لصاحبها الا تغيير موقعه مع الاحتفاظ بقلمه وحقه في الكتابة . . . بعد أن كان البعض يبعد تماماً عن مجال الصحافة ويقصف قلمه لغير سبب رغم انه صديق للثورة في اتجاهها الرئيسى وهدفها الاجتماعى . . . كما حدث فى جريدة الجمهورية عام ١٩٦٤ أيام تولي رئاسته مجلس ادارتها حلمى سلام ونقل منها الى مؤسسات غير صحفية عدد من كبار الكتاب والصحفيين مثل عبد الرحمن الشرقاوى وعبد الرحمن الخميسى . ونعمان عاشور وسعد الدين وهبه ومحسن محمد وغيرهم .

وكما حدث عام ١٩٦٦ أيضاً للدكتور رشوان فهمى الاستاذ بكلية طب الاسكندرية ونقيب الاطباء عندما خطب فى حفل أقامته النقابة ، وقال فيه ان الذين يقارنون بين قصر العينى وقناة السويس عليهم أن يوفروا لقصر العينى من الأموال ما هو متوافر لقناة السويس ، وكان يلوح دون تصريح لكلمات قالها جمال عبد الناصر فى معرض نقده لتخلف الحال فى القصر العينى وما يروح تحته من اهمال وقذارة .

ورغم ان الدكتور رشوان فهمى كان أحد أساتذة جامعة الاسكندرية الذين بادروا بالاتصال بنا فى منطقة الاسكندرية فور وقوع الحركة العسكرية وبادر بارسال برقية تأييد ، وبقي يحتفظ بعلاقات ودية مع قادة الثورة لسنوات طويلة .

رغم ذلك . . . ورغم علاقات صداقة خاصة كانت تربطه بعبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم وشمس بدران فإنه قد صدر قرار جمهورى بوضعه تحت الحراسة ، وابعاده عن منصبه فى كلية طب الاسكندرية . وتبين بعد الحراسة انه لا يملك خليماً فى البنوك ، وانه يعيش فى شقة متواضعة الاثاث ، وانه معروف عند الناس جميعاً انه رجل شريف وصريح معاً .

لم يكن هناك مبرر لصدور هذا القرار العصبى . وقد قصدت الى المقارنة بين أسلوبين . . . أسلوب لم يكن يتحمل كلمة نقد قبل الهزيمة . . . وأسلوب يرتضى الصبر على كلمات التجريح بعدها . ليس هذا فقط .

قال لى فتحى غانم ان على صبرى قد اتصل به ، وكان حريصاً على توفير كل وسائل الراحة النفسية لموسى صبرى فى جريدة الجمهورية . . . كما

أكد لي موسى صبرى حسن معاملته خلال هذه الفترة .
وكان الاتحاد الاشتراكي بتشكيله الجديد قد بدأ يلعب دورا بارزا
فى توجيه الامور ، وساعد على ذلك سيطرته الفعلية على الصحف عدا
جريدة الاهرام .

كان محمد حسنين هيكل قد تولى مسئولية ادارة مؤسستى الاهرام
وأخبار اليوم رغم تنافسهما التقليدى ، وميل هيكل الطبيعى الى مؤسسته
التي باشر تطويرها .
وحرص هيكل على ان يبدو فى مظهر الحياد أثناء ادارة المؤسستين،
بل انه حرص على منح موسى صبرى علاوة شهرية كبيرة باعتباره أحد
رؤساء تحرير الاخبار ، وذلك ضمن علاوات أعطاها لعدد من محررى أخبار
اليوم .

وأذكر خلال هذه الفترة - وكنت مازلت عضوا فى امانة طليعة
الاشتراكيين - اننى دعيت الى مكتب سامى شرف حيث وجدت هناك الزميل
حسن فؤاد وكان مرتبطا فى التنظيم الطليعى بمنير حافظ أحد مديري مكتب
سامى شرف .

عرض سامى علينا قرارا أصدره محمد حسنين هيكل بإبعاد عدد من
الزملاء عن مؤسسة أخبار اليوم وفى مقدمتهم سعد كامل وصلاح حافظ
وآخرين جملتهم حوالى ٢٠ كاتباً وصحفيًا .

ولما طلب سامى الراى رفضنا مجرد فكرة قبول ابعاد الصحفيين عن
العمل الصحفى . . واستجاب سامى لذلك واتصل بجمال عبد الناصر الذى
أوقف قرار محمد حسنين هيكل الذى كان قد سافر فى نفس اليوم فى
رحلة الى الهند والشرق الاقصى .

وكانت أجهزة الاتحاد الاشتراكي قد تحركت لرفع يد هيكل عن أخبار
اليوم ، ونجحت فعلا فى ذلك ، حيث صدر قرار تعيين محمود أمين العالم
رئيسا لمجلس ادارتها .

عادت الى على صبرى مسئولية الاشراف على الصحف وتوجيهها خلال
قيادات عينها وارتضاها . . محمود العالم مسئولاً عن صحف أخبار اليوم فى
الوقت الذى استمرت فيه عضويته فى امانة طليعة الاشتراكيين . . . وفقصى
غانم فى مؤسسة الجمهورية أودار التحرير . . وامتد ذلك الى روز اليوسف
عندما عين كامل زهيرى رئيسا لمجلس ادارتها بعد أحمد بهاء الدين فى الوقت
الذى بقيت فيه رئيسا لتحريرها ، متعرضا لأساليب صغيرة من الادارة
الجديدة .

وبدأت الخلافات تظهر على خشبة المسرح فى هذه الصراعات الفكرية
التي ظهرت على صفحات الصحف .

وقع خلاف آخر بين الاهرام وهيئة المخابرات العامة عندما صدرت
الاهرام يوم ١٣ اكتوبر ١٩٦٨ وفيها مقال افتتاحى فى الصفحة الاولى تحت
عنوان (واقعة خطيرة) يتحدث عن اعتقال نيابة أمن الدولة والمخابرات لمدير
مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالاهرام نتيجة بلاغ من اللواء جمال

عسكر مدير الجهاز المركزي للتعبيث والاحصاء الذي اعتبر ان مدير مركز
الاهرام قد خالف القانون بتبليغه معلومات محظورة الى احدى الشركات
اليابانية .

وقد اثار اهرام اعتراضات شتى على سلطة الجهاز المركزي للتعبيث
والاحصاء ، وعلى أسلوب الاعتقال وزوار الفجر ، وعلى عدم وجود حدود
مرسومة لجهاز المخابرات . مطالبه بأن يكون الحبس الاحتياطي والاعتقال
في أضيق نطاق ومحاطا بكافة الضمانات .

وكانت هذه المقالة تعتبر أول مقالة تهاجم علنا وصراحة جهاز المخابرات
.. وهو أمر ما كان يمكن ان يحدث بهذه الصورة قبل الهزيمة .

ويجدر بالذكر ان مقال الاهرام قد أشار الى ان مدير المركز لم يتعرض
الى أي نوع من الضغط أو التعذيب .

وانبرى أمين هويدي الذي تولى هيئة المخابرات العامة الى جانب وزارة
الحربية ثم وزارة الدولة بعد الهزيمة بالرد على الاهرام موضحا ان الاعتقال
والتحقيق قد تما بأمر النيابة ومعرفتها ، وأن جهاز المخابرات لم يقم سوى
بمهمة جمع الادلة وتقديمها لنيابة أمن الدولة .

وأوضح في رده تمسكه ببيان ٣٠ مارس الذي أعلن تصفية مراكز
القوى وحماية الثورة في ظل سيادة القانون من أعدائها الخارجيين
والداخليين .

الظاهرة البارزة في هذا الصراع الحواري انه يعطى دلالة على أن النقد
حتى لأكثر الاجهزة خطرا لم يعد أمرا محظورا .. ويقدم برهانا أيضا على
أن محمد حسنين هيكل كان يحارب في أكثر من جبهة .

وبعد أيام من نشر هذا النقد العنيف ، ورد أمين هويدي الذي قام فعلا
بتصفية هيئة المخابرات من كثير من الاساليب القذرة التي كانت تلجأ اليها
والتي لا تعتبر شيئا قبيحا في مخابرات العالم كله تقريبا .. بعد أيام
نشر محمد حسنين هيكل مقالين بتاريخ ١٨ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٦٨ في الاهرام
يدعو فيها الى (المجتمع المفتوح) ومحمود أمين العالم يرد عليه بمقالات أخرى
في أخبار اليوم مناقشا فكرة المجتمع المفتوح في الدول الاشتراكية .

عدد من السياسيين مثل ضياء الدين داود والدكتور محمد انيس
وعبد الهادي ناصف يكتبون في جريدة الجمهورية مقالات مضادة للآراء التي
ينشرها هيكل في الاهرام

تراشق الآراء كأن يعتبر أمرا جديدا في حياة الثورة .. ومظهرا من
مظاهر الانفتاح النسبي الذي فرضته الهزيمة .

كان محمد حسنين هيكل هو الكاتب الوحيد الذي أعطيت له فرصة
الكتابة دون رقابة مطلقا ، وذلك لصلته الوثيقة بعبد الناصر ... ولكنه
أصبح الآن معرضا لكلمات ومقالات النقد .. بل ان لجان الاتحاد الاشتراكي
لم تكن تتورع عن مناقشة مقالات هيكل أسبوعيا .. ومعارضة ما فيها من
اتجاهات اعتبرها البعض مؤثرة على صلابة الجبهة الداخلية ، ومضعفة للروح
المعنوية . وباعثة على مبالاة حكومة الولايات المتحدة تحت شعار (محاولة
تحييد أمريكا) .

ولم يكن هذا الصراع العلني أمرا يمكن ان يمضى بغير دلالة .. فمحمد حسنين هيكل قريب الى جمال عبد الناصر الى الحد الذى لم يكن خافيا على أحد .. ومقالاته فى مضمونها ان لم تكن معبرة عن رأى عبد الناصر شخصيا فهي بمثابة مجلس يتعرف على حقيقة نبض المجتمع وردود الفعل فيه . ولذا طفا الخلاف بين الاتحاد الاشتراكي ومسئوله القوى على صبرى وبين محمد حسنين هيكل الى السطح .. وأصبحت المبارزة بينهما مشهदा تتابعه الجماهير المرتبطة بالسياسة وتعلق عليه . ودفع هذا الموقف محمد حسنين هيكل الى الاستهانة بفكرة التنظيم السياسى مقتنعا بأن تأثير شخصية الزعيم خلال أجهزة الاعلام هو أشد تأثيرا واعمق نفوذا .

لم يجد هيكل فى الاتحاد الاشتراكي تنظيما مقنعا له رغم اقتناعه به من الناحية الشكلية .

كان هيكل متأثرا أو مؤثرا فى جمال عبد الناصر بما رواه لفؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) حول دور الحزب والتنظيم السياسى عندما قال : (ان وسائل المواصلات أثرت الى حد ما فى مفاهيم دور الحزب .. ان لينين عندما أنشأ الحزب كان يستهدف أمرين : الاول أن ينقل الحزب عبر كوادره أفكار القيادة الى القواعد ، والثانى ضمان استمرار قوة الجماهير المنظمة وتوجيهها بحيث تكون حامية للسلطة بعد الاستيلاء عليها .. وعبد الناصر لم يكن يحتاج الى ذلك لانه باستمرار - على عكس لينين أمام الجماهير يخاطبها ويوجهها ، وعندما لا يكون أمامها ، يتوجه اليها ساعة يريد عبر الاذاعة والتليفزيون .. ولقد حرك الجماهير فى معظم أرجاء الوطن العربى بالمخاطبة الاذاعية .. وأسقط حلف بغداد بالكلمة المذاعة على الهواء وأرهق الوجود الاستعماري البريطانى فى الجنوب العربى بالكلمة المذاعة ايضا ، وليس بوساطة القيادات الحزبية التى كانت تنتقل من مصر الى الجنوب العربى) .

ويتابع هيكل شرح رأيه قائلا : (كانت لعبد الناصر القدرة على تعبئة الجماهير عن غير طريق الحزب ولو أن العناصر المثقفة ساعدته على انشاء الحزب المطلوب لما كان تأخر فى التجاوب مع تلك العناصر .

(وفى أى حال كان رأيه ان تعبئة الناس بالانجازات أكثر فعالية من تعبئتها عن طريق الحزب) .

هكذا كان يفكر محمد حسنين هيكل .. وسواء كان متأثرا أو مؤثرا فى عبد الناصر فان الحقيقة أن المثقفين الثوريين لم يترددوا لحظه فى التجاوب مع عبد الناصر فى محاولته لتكوين (طليعة الاشتراكيين) بل ان حزبه الطبقة الساملة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى والحزب الشيوعى (قد اتخذوا قرارا بحل تنظيمهما وهو حدث نادر وغير متكرر فى تاريخ الحركة الشيوعية ثقة منهما فى أن عبد الناصر كان مخلصا فى تبنيه لفكرة (طليعة الاشتراكيين) أو الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكي .

ولكن يبدو ان الامور كانت تمضى فى غير هذا السبيل .. فالحكم

الاولتوقراطى الفردى لايرحب بتكوين حزب يحد من صلاحيات الحاكم المطلقة .

وصحيح ان كثيرا من الانجازات الهائلة قد تمت فى غير وجود حزب . ولكنها أصبحت كالبناء الذى يقوم بلا حارس . . يمكن ان يتسلل اليه اللصوص من الرجعيين .

ولم يمض هذا الخلاف على صفحات الصحف وحدها . . ولكنه اتخذ أحيانا صدامات شرسة . . فقد اعتقل الدكتور جمال العطيفى لمدة عشرة أيام وعندما أثار الزميل الكاتب الصحفى صلاح حافظ هذا الموضوع فى اجتماع الاتحاد الاشتراكى فى قسم النيل متسائلا عن أسباب اعتقال العطيفى كان نصيبه الاعتقال أيضا فى معتقل القلعة لمدة تسعة أيام .

أذكر انى لجأت الى شعراوى جمعة وزير الداخلية محتجا على اعتقال الزميل الصديق ، فاذا بى ألقى منه وعدا بسرعة الافراج دون تعليل مقنع لاسباب الاعتقال .

وانى ذهبت الى محمد حسنين هيكل مستفسرا عن أسباب الاعتقال باعتباره قريبا من جمال عبد الناصر وأن أحد المعتقلين يعمل معه فى مؤسسة الاهرام ، فوجدته لا يخفى دهشته مما حدث ولا يجد له تفسيراً .

وهكذا قام بناء الاتحاد الاشتراكى فى بعض جوانبه على ديموقراطية غير سليمة مستهدفا الزام أعضائه دون البحث الجاد فى تقديم ما يؤدى الى حسن التزامهم .

أبرز ما قام به المؤتمر الاول للاتحاد الاشتراكى فى تنظيمه الجديد هو اعادة تعريف العامل والفلاح والذى ينص على أن يكون العامل غير منتميا الى نقابة مهنية ولا متخرجاً فى الجامعة أو المعاهد العليا أو الكليات الحربية ، وأن يكون الفلاح هو من يمارس الزراعة ولا يملك هو وأسرته أكثر من ١٠ أفدنة .

وجاءت هذه التعريفات خطوة فى سبيل تحديد نوعية العامل والفلاح بعد أن كانت تعريفات مؤتمر ١٩٦٢ تسمح لبعض الفنيين وخريجي الجامعات والضباط أن يرشحوا أنفسهم بصفتهم عمالا . . وأن يجلس تحت عباءة الفلاح من يملك ٢٥ فدانا .

كان هذا التغيير دليلا على أن الرغبة فى تغيير الميثاق وتطويره الى مزيد من التقدم فكرة قائمة وموجودة ،

والواقع أن موقف هيكل الذى جعله يستخف بالاتحاد الاشتراكى ولا يحاول وصف العلاج السليم له هو موقف لم يكن يستند الى حقيقة واقعية او علمية . . فمهما عظم سحر شخصية الزعيم واشتد تعلق الناس به ، فان هذا لا يغنى مطلقا عن ضرورة التنظيم الملزم الذى يعبى الجماهير ويحشد لها وينال ثقتها ويعبر عن ارادتها .

والاستناد الى شخص - أيا كان هذا الشخص - لا يمكن أن يعتبر فى ذاته كافيا لاستمرار الثورة . . وأمامنا مثال واضح فى حياة جمال عبد الناصر شخصيا . . فما أظن ان سوريا قد شهدت مظاهرات وهتافات من

القلب تحيط بزعيم مثلما أحاطت بعبد الناصر خلال فترة الوحدة .. وممع ذلك وبعد ان رفعت الجماهير عربته فوق الاكتاف في حلب عادت بعد سنوات فأخذت موقفا سلبيا من سقوط نظامه دون مقاومة تقريبا بانقلاب عسكري محدود لم تلعب الجماهير فيه دورا مؤثرا للدفاع عن وحدتها وارادتها التي تعتبر شديدة التأييد والثقة بعبد الناصر اذا أخذنا مظهرها وهي تتظاهر وتحتشد وتهتف له .

كان الخلاف الذي يدور على خشبة المسرح معبرا عن وجود تناقض فكري أصيل بين الاتحاد الاشتراكي الذي كان يعتبر بحكم تكوينه وارتباطه بالجماهير وحرصه على ان يظهر في مظهر المعبر عن ارادتها اكثر يسارية من أجهزة الدولة الاخرى .. وبين الاتجاه المبتعد عن التنظيم المستخف بدوره، المستمد لقوته من السلطة وليس من الجماهير .

وقد وقف هيكمل موقفا مضادا في مقال نشره في ديسمبر ١٩٦٨ من محاولة انشاء مجلس أعلى للصحافة في الاتحاد الاشتراكي . ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد

كان هناك خلاف آخر أظهرته انتخابات اللجنة التنفيذية العليا التي وضعت على صبري في المركز الاول وأنور السادات في المركز الرابع . كان أنور السادات بعيدا فعلا عن موقع المسؤولية في الاتحاد الاشتراكي ، ولم يسهم خلال عمله في مجلس الأمة بدور مؤثر في تنظيمات الاتحاد .

ولكن أقدميته في مجلس الثورة لم تكن تسمح له بقبول التراجع الى المركز الرابع في اللجنة التنفيذية العليا .. ولذا أراد الانسحاب من العمل السياسي ليستقر في قريته .. ولكن عبد الناصر أقنعه بالبقاء . وهكذا تولدت خميرة تناقض نفسي حاد بين أنور السادات وعلى صبري .

ولعب جمال عبد الناصر دور حامل الميزان في هذه اللعبة .. يثقل كفة الشخص الذي يريد في الوقت الذي يريد .

أعطى لأنور السادات مسؤولية اللجنة السياسية في الاتحاد الاشتراكي اما على صبري فقد اعطى مسؤولية أمانة اللجنة التنظيمية ، وبدأ يكلفه ببعض المسؤوليات السياسية الخاصة التي لم يعتد تكليفه بها من قبل .

كان التناطح واضحا وشديدا بين هذه الشخصيات الرئيسية الثلاث . أنور السادات وعلى صبري ومحمد حسنين هيكمل .

أنور السادات يستند الى تاريخه القديم وصلاته الطيبة وعلى صبري يستند الى أجهزة الاتحاد الاشتراكي ومحمد حسنين هيكمل يستند الى علاقته الوثيقة بعبد الناصر وإلى مقالاته التي كان يتابعها الناس بكل تأكيد .

وكان يجمع الثلاثة في تناقضاتهم ولاء كامل لجمال عبد الناصر . لا يستطيعون أن يخرجوا عن حدوده . فلم يكن أحد منهم ليجرؤ على اتخاذا

موقف خلاف حاد لان معنى ذلك نهاية لدوره السياسى . . وخروج زكريا محيى الدين لم يكن بعيدا عن انظارهم ولا يمكن القول بان هذا الخلاف كان محصورا فى دائرة المنازعات والمنافسات الشخصية . . ولكنه كان تعبيرا عن واقع اجتماعى ورؤية سياسية .

والى جانب هذه التناقضات الرئيسية فى قمة السلطة كانت هناك تناقضات ثانوية .

لم يكن على صبرى مطلق السراح والصلاحيات فى الاتحاد الاشتراكى بل كان الى جانبه بعض الذين وثق بهم جمال عبد الناصر من رجال الصف الثانى ، وفى مقدمتهم شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين والذى كان يملك من النفوذ ما يتيح له الوقوف مع على صبرى فى صف واحد ، ولكنه لم يغامر باللجوء الى مناطحته بل حرص على أن يلعب دور (الشخصية المقبولة) من جميع الاطراف ولو أن هذا لاينفى أنه لم يكن يعطى ولاءه الكامل لعلى صبرى أو أنه كان يشكل معه فريقا متجانسا رغم تأكيد شعراوى على أنه لم يكن هناك بينهما تنافس سياسى وأنه كان يحمل احتراما وتقديرا لافكاره التى لم تكن تتناقض مع أفكاره .

وكذلك كان سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، الذى كان مسئولاً فى أمانة طليعة الاشتراكيين ، ومسئولا فى الاتحاد الاشتراكى عن منطقة شرق القاهرة (هليوبوليس والحلمية والزيتون ومدينة نصر وغيرها) وهى منطقة ازداد التركيز عليها لتبدو فى صورة المنطقة النموذجية من ناحية العمل السياسى . . وكان نفوذ سامى شرف نابعا من (موقعه الجغرافى) ان صح التعبير . . أى من مكتبه الذى كان يطل على غرفه نوم الرئيس ويستطيع ان يتصل به فورا وفى أية لحظة .

هذه التناقضات الثانوية لم تجعل من الاتحاد الاشتراكى تنظيما صلبا متجانسا ، وانما أدخلت اليه نوعا من صراعات الممالك امتدت الى المحافظات الاشتراكى فى صورة تناقضات كثيرة بين عدد من المحافظين وأمناء الاتحاد الاشتراكى فى محافظاتهم .

كان بعض المحافظين فى أبهة السلطة الادارية لا يطيقون تدخل أمناء ولا أجهزة الاتحاد الاشتراكى فى أعمالهم .

وفى هذا الجو المشحون بالخلافات الرئيسية والفرعية ، كان جمال عبد الناصر يعطى تركيزه الاول على بناء القوات المسلحة ، ولكنه لم يغفل أبدا عن القطاع المدنى ، مهتما أشد الاهتمام بكل مايتعلق بأمن الثورة . وهو الامر الذى كان يتزايد حتى حوصرت بتقارير الاجهزة المختلفة التى تحولت عنده الى منظار لا يرى المجتمع الا خلاله .

وكان هذا فوق ما تطيقه قدرة فرد واحد ، سبق له أن أصيب بمرض السكر خلال فترة الأزمة التى قامت بين الثورة المصرية والثورة العراقية فى عهد عبد الكريم قاسم .

ولذا كانت تتم بعض الاجراءات بطريقة لا يجد أقرب المقربين اليه لها تفسيراً مقنعا . . مثل اعتقال الدكتور جمال العفيفى وصلاح حافظ . . . ووضع الدكتور رشوان فهمى تحت الحراسة .

ومثل هذا الاجراء الذى سمي فيما بعد باسم (مذبحة القضاء) والذى
أفضل ان أسميه (معركة العدالة) .

معركة العدالة

كانت معركة العدالة من أهم معارك الخطوط الخلفية التى ظهرت على
مسرح الحياة السياسية

فوجيء الناس يوم ٣١ أغسطس ١٩٦٩ بصدور أربعة قوانين : ٨١ -
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ بإعادة تشكيل الهيئات القضائية وتعديل قانون مجلس
نادى القضاة . . . وقبول استقالة محمد ابو نصير وتعيين مصطفى كمال
اسماعيل وزيرا للعدل .

وعندما أعيد تشكيل الهيئات القضائية من جديد تجاوز التشكيل
١٨٩ من رجال القضاء من بينهم رئيس محكمة النقض ، ١٥ مستشارا
بمحكمة النقض ، وأعضاء مجلس ادارة نادى القضاة .
المظهر الذى تمت به هذه العملية كان يوحي بأن شيئا خطيرا لا بد وانه
يختبر فى جهاز القضاء ،

واللجنة التى شكلت كانت من قمة السلطة . . يرأسها أنور السادات
وتضم كلا من شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف والمستشار عمر
الشريف المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية .

وكانت القضية المطروحة على اللجنة تحمل جذورا تاريخية . فالتطهير
لم يقترب من القضاء طوال عهد ثورة يوليو . وحادث الاعتداء على السنهورى
رئيس مجلس الدولة كان دائما بمثابة النور الاحمر الذى يحذر من اعتداء
جديد . . والقضايا التى كانت تحتاج الى رؤية واحكام سياسية - من وجهة
نظر الثورة - أوكلت الى محاكم خاصة رأسها بعض أعضاء مجلس قيادة
الثورة مثل محكمة الثورة برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية أنور السادات
وحسن ابراهيم ومحكمة الشعب لمحاكمة الاخوان المسلمين برئاسة جمال
سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ثم المحاكم العسكرية التى حاكت
الشيوعيين وغيرهم من السياسيين ورأسها ضباط من الجيش كان أشهرهم
الفريق محمد فؤاد الدجوى .

وبعض الذين أدينوا مسبقا فى الخطب العامة أو الصحافة ومنهم محمد
السمنى وكيل وزارة الزراعة ، ورئيس مجلس ادارة شركة المجمعات
الاستهلاكية ، وصلاح الفقى الذى سلطت عليه الاضواء باعتباره مسئولاً عن
اغتيال الشهيد صلاح حسين فى كمبشيش . . كل هؤلاء أصدر القضاء حكما
بتبرئتهم رغم اتهامهم علنا واتخاذهم مثلا للفساد حتى فى بعض خطب جمال
عبد الناصر . . ومع ذلك لم يتخذ اجراء ادارى واحد نحو أحد من القضاة أو
المستشارين . . ولم ينقض حكم أية محكمة .

اذن لم تكن للقضاء مع الثورة مشكلة .

ولكن الميثاق كان ينص على أن رجال الجيش والشرطة والقضاء لهم
مكان فى الاتحاد الاشتراكى .

ورغم ان هذا النص لم ينفذ وبقي اعضاء هذه الهيئات الثلاث بعيدين عن الانضمام رسميا للاتحاد الاشتراكي ، الا أن على صبرى قد تعرض لهذه المشكلة فى سلسلة مقالاته التى كان ينشرها فى جريدة الجمهورية ، فكتب خمس مقالات عن تصوره لانضمام القوات المسلحة انتهت يوم ١٧ مارس ١٩٦٧ لتبدأ تسع مقالات عن تصوره لانضمام رجال القضاء ، كما أعطى تصريحاً للاهرام نشر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٦٧ قال فيه (على ان يكون للقضاء تنظيم سياسى خاص) .

ومضت المقالات بلا أثر ايجابى حتى حدث العدوان ووقعت الهزيمة فى شهر يونيو ، وأوقف نشر الكتاب الذى ضم هذه المقالات كما سبق ان ذكرت .

والحقيقة ان هذه المقالات قد كتبت بايحاء من جمال عبد الناصر لاحداث صدمة فى المجتمع يتبين بعدها ردود الفعل ، ويكتشف الطريق الصحيح بعد تعديل الميثاق الذى كان مفروضاً ان يتم مع حلول عام ١٩٨٠ ولذا فقد وجد بين القضاة من يؤيد فكرة الانضمام للاتحاد الاشتراكي ووجد من يعارض الفكرة

وكان بدوى حمودة الذى عين رئيساً للمحكمة الدستورية على سبيل المثال من الذين انضموا للاتحاد الاشتراكي معتبراً انه تنظيم قومى وليس حزبياً . . . وأن ذلك لايتعارض مع استقلال القضاء .

ويقول المستشار صادق المهدي الذى كان يشغل منصب وكيل مجلس نادى القضاة . كما ورد فى كتاب الزميل عبد الله امام (مذبحة القضاة) انه اثناء نشر هذه المقالات عقد مجلس ادارة النادى اجتماعاً للمناقشة انتهى الى الموافقة على انضمام القضاة ولكن بطريقة تجعل انضمامهم له مظهره واستقلاله الخاص .

ولم يحدث بعد ذلك مايمكن ان يفرض هذه المشكلة . . . فجمال عبد الناصر قد استفرقتة عملية اعادة بناء القوات المسلحة وتماسك المجتمع . . . بل انه خطب فى المنصورة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٨ قائلاً :

(اننى لست ميلاً فى الوقت الحاضر لاشتراك القضاء أو القوات المسلحة أو الشرطة فى التنظيم السياسى) ،

ولكن الاتحاد الاشتراكي فى محاولته لفرض نفوذه أراد أن يقتحم - فيما يبدو - مجال القضاء أيضاً ، مستنداً الى تصرفات قام بها بعض القضاة خرجت بهم عن قدسيتهم واستقلالهم ، وأدخلتهم فى معترك السياسة الذى يتعرض فيه كل من يدخله الى المتاعب والمصاعب والاحجار ،

وكان السبب فى ذلك هو تعيين محمد أبو نصير وزيراً للعدل فى وزارة ٢٢ مارس ١٩٦٨ ، وهو شخصية غير محبوبة من رجال القضاء لانه انغمس فى العمل السياسى بعد أن كان فى مجلس الدولة ، وعين فى فترة ما وزيراً للتجارة ، وتصور البعض انه سوف يحمل معه تغييراً يجبر القضاة على الارتباط بالاتحاد الاشتراكي .

ورغم أن محمد أبو نصير قد نفى ذلك ، الا ان بعض القضاة قد اعلموا

بيانا دون معرفة أعضاء مجلس ادارة نادى القضاة او موافقته ، وأن هذا البيان قد تلى على الحاضرين فى اجتماع الجمعية العمومية للنادى يوم ٢٨ مارس ١٩٦٨ وأنه استقبل بالموافقة مع التصفيق الشديد

وبعض كلمات البيان لا يمكن أن يعترض عليها أحد . . . فهى تدعو الى أن مأخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وأنه لابد من تأكيد مبدأ الشرعية الذى يعنى فى الدرجة الاولى كفالة الحريات لكل المواطنين وسيادة القانون على الحكام والمحكومين على السواء ، وضرورة سيادة القانون واستقلال القضاء . . . وبعض ماورد فيه يستحق المناقشة مثل (رفض منح سلطة الحكم الى غير القضاة المتخصصين المتفرغين) وهو رفض لمبدأ اشراك الشعب فى القضاء المعروف فى بعض دول الغرب بالمحلفين والمعروف فى الدول الاشتراكية . . . وكذلك رفض الانضمام للاتحاد الاشتراكي .

لم يتحرك الاتحاد الاشتراكي الحركة السياسية اللازمة لتهدئة القضاة والاقتراب منهم ، وتأجيل أى خطوة نحو ربطهم بالاتحاد الاشتراكي الى ما بعد ذلك . . . وإنما بدأ كعادة أجهزة الامن يتوثب للانقضاض على اعداء قد لا يكونون موجودين وإنما يخلقهم خلقا .

وكان اتجاه الثورة وقتئذ يسمح باحتضان دعاة سيادة القانون ، بعد قرارات رفع الحراسة والعزل ومنع الفصل والافراج عن المعتقلين وكذلك فان الجمعية العمومية لمستشارى محكمة استئناف القاهرة المنعقدة يوم اول ابريل ١٩٦٨ قد اعترضت على بيان نادى القضاة عدا عضو واحد وأصدروا بيانا أعلنوا فيه ان بيان النادى يعتبر (خروجاً على حياد القضاء ومهمته) . . . واعتبروا أن بيان ٣٠ مارس هو المعبر عن آرائهم .

كما ان مجلس القضاء الاعلى قد اجتمع برئاسة عادل يونس رئيس محكمة النقض وتوجه أعضاؤه الى القصر الجمهورى حيث سـجـلوا (تحييتهم وتقديرهم الى قائد النضال الوطنى الرئيس جمال عبد الناصر . . . وأشادوا بما جاء فى بيان ٣٠ مارس من كفالة حصانه القضاء) . . . كان ممكنا استغلال هذه المواقف والعمل على تصفية بذور الخلاف النابتة فى أرض القضاء . . . ليس بالاجراء الادارى ولكن بالعمل السياسى والمناقشة والاقتناع .

ولكن تطورت الامور بطريقة تدل على عجز الجهاز السياسى عن كسب ثقة المعارضين .

والموجود فى السلطة عنده دائما فرص اكبر للحوار والمناورة واتخاذ الاجراءات التى تتلاءم مع الظروف القائمة .

ولكن الاتحاد الاشـتراكي ومحمد أبو نصير أكثر انتماء اليه من الانتماء الى رجال القضاء ، أهدر ذلك، وآثر ان يسلك سلوك أجهزة الامن فيقيم مجموعة من طليعة الاشتراكيين تضم بعض المقربين من رجال القضاء ليتحركوا بطريقة سرية - كما كان متبعاً فى التنظيم حينذاك .

وانتهز البعض فرصة هذا التناقض فحاول ان يركب موجة الخلاف ليبدو فى مظهر المدافع عن حقوق المظلومين . . . مثل حلمى مراد الذى كان

وزيرا وأفشى بعض مداولات مجلس الوزراء التي أقسم على سريتها . وإلا وصل ذلك الى زميله محمد ابو نصير لم يجد سبيلا سوى كتابة تقرير ضده رفعه الى جمال عبد الناصر ، الذي استثاره ماحدث واعتبر أن مايقوم به بعض القضاة هو نوع من التخريب الذي صبر عليه سنة كاملة ، وأصدر قرارا يوم ٩ يوليو ١٩٦٩ باعفاء حلمى مراد من منصبه الوزارى .

وقال لعل نور الدين أثناء حوارہ معه (أنا هابص للجيش اللي بيحارب ولا لى عاوزين يعملوا لى ثورة مضادة فى الداخل) .

نعم . . . كانت حرب الاستنزاف تقترب من ذروتها ، وكان ممكنا أن تكون هناك بذور ثورة مضادة فى مجال القضاء استغللتها بعض السفارات الاجنبية المعادية التي أعادت طبع بيان النادى .

ولكن القضاء عليها لم يكن أبدا باثارة الرأى العام حول فصل ١٨٩ قاضيا منهم رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدولة ورؤساء لبعض محاكم الاستئناف . . . والناس تحمل تقديرا خاصا للقضاة ولذا لايسهل اقناعهم بأن الاعتداء عليهم كان تفاديا لثورة مضادة .
والاجراءات الادارية كانت أسهل كثيرا بالنسبة لقيادة الثورة حتى بعد الهزيمة .

أصدرت اللجنة التي شكلها جمال عبد الناصر هذه القرارات التي خلقت ١٨٩ شهيدا فى المجتمع فى وقت كان يتساقط فيه الشهداء الحقيقيون على ضفاف القناة .

وهكذا أظهرت هذه التراجيديا السياسية التي ظهرت على المسرح واستمرت عليها التعليقات فترة طويلة ان قيادة الثورة لم تستفد كثيرا من خبرة الهزيمة . . . وأن جمال عبد الناصر كان يائسا من المحيطين به الذين حولوا العمل السياسى الى صورة باهتة مما تقوم به أجهزة الامن ، ولم يحاولوا كسب مختلف الفئات بالعمل السياسى الناضج .

أسدلت الستار على هذه التراجيديا السياسية ، ولكنها ظلت حديث المجتمع . . . تثبت ان بعض المعارك الداخلية التي لاتسيل فيها الدماء تكون أحيانا أشد تأثيرا من معارك القتال فى نفوس الجماهير .

ظهرت قرارات القضاء فى أول يوم من أيام سبتمبر ١٩٦٩ . . . نفس اليوم الذى انطلقت فيه الحركة العسكرية فى ليبيا لتسقط حكم الملك السنوسى وتبنى الجمهورية العربية الليبية . . . وذلك فى الوقت الذى كان مجتمعنا فيه ملوك ورؤساء ومندوبو دول المواجهة فى القاهرة . . . الملك حسين ونور الدين الأتاسى وهـوارى بومدين وجعفر نميرى وحردان التكريتى .

وكان توافقا غريبا . . .

سبقت حركة القضاء ، الحركة العسكرية الليبية بيوم واحد وانتقل جمال عبد الناصر من تقارير محمد أبونصير وأعضاء لجنة القضاء الى تقرير الفريق أول محمد فوزى الذى أعده مع رؤساء أركان دول المواجهة

والذى ينتهى الى خلاصة تقول بأن دول المواجهة تكون جاهزة للمعركة خلال ١٨ شهرا .

مسئولية التحرير تدخل مرحلة حاسمة من الجدية . والحركة العسكرية الليبية يمكن أن تمنح مصر عمقا استراتيجيا هائلا جهة الغرب ، كما منحتها الحركة العسكرية السودانية فى ٢٥ مايو من نفس العام عمقا استراتيجيا جهة الجنوب .

والاندفاع الى المعركة كان يمضى فى سرعة متزايدة ، منذ بدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفريق أول محمد فوزى .

مرض عبد الناصر :

كان حارا صيف ذلك العام . . أمضى جمال عبد الناصر معظم الايام فى القاهرة قريبا من القيادة العامة للقوات المسلحة . . تعكر عليه أخبار الغارات الاسرائيلية المتزايدة الصفو والهدوء . . ويفقد بين حين وآخر ضابطا من الشباب الذين اعتاد أن يلتقى بهم فى مناقشات التحضير للمعركة . قال لى اللواء حسن البدرى الذى عمل مستشارا عسكريا لجمال عبد الناصر ثم اشتغل فى ميدان الصحافة والتأليف بجريدة الاهرام ومركزها للدراسات الاستراتيجية . . ان جمال عبد الناصر كان يحضر ندوات للقيادات المسئولة لمناقشة أخطاء ودروس عدوان ١٩٦٧ ، ومتابعة آخر التطورات فى فن وتكتيك الحروب الحديثة . . وان المناقشة فى هذه الندوات كانت تتميز بالصراحة المطلقة الى حد مواجهه الذين أخطأوا عام ١٩٦٧ بأخطائهم فى حضورهم . . وتحذيرهم من أى أخطاء جديدة

كان الجهد الذى يبذله جمال عبد الناصر أكثر مما يحتمله فرد حتى ولو كان فى عمر الشباب . . وجمال عبد الناصر كان قد تجاوز الخمسين . وكان الاسلوب الذى اعتمد عليه فى نظام حكمه ينهض على أساس المركزية المطلقة ، والاعتماد الكبير على تقارير الأمن من شتى المصادر . ولذا كانت تختلط أحيانا المواقف الوطنية الكبيرة ، بمواقف داخلية صغيرة . . وكان جمال عبد الناصر يلبس غالبا ثياب رجل الدولة المتمرس الذى تصقله التجارب والاحداث وخاصة بعد النكسة . . ولكنه أحيانا يظل فى ثياب البكباشى الذى يتعامل مع الآخرين فى حذر ، تؤرقه التقارير وتدفعه الى اتخاذ اجراءات لاتتناسب مع شخصيته البارزة .

لم يدرك جمال عبد الناصر أن أمنه الشخصى وأمن النظام ينبع اساسا من المواقف الوطنية والاجتماعية الصلبة والمتقدمة . . وانما ظلت المخاوف والهواجس تحيط به ، وتدفعه الى تصرفات لاتخدم فى المدى الطويل أمن النظام ولا تبعث فى أنصار الثورة الاطمئنان .

ولذا أصاب الارهاق جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد تأثير مرض السكر عليه وتصلب الشرايين الذى عالج فى أغسطس ١٩٦٨ بمصحة تسخالطوبو فى الاتحاد السوفيتى وكان مفروضا أن يعاود السفر الى هناك فى نفس الوقت من العام التالى ١٩٦٩

ولكن تلاحق الاحداث وزحمتها .. واختلاط المسئولية العسكرية مع تخوفات الامن ، والحذر الشديد من الاشخاص المقربين اليه وخاصة بعدما لمس من صراع بين الشخصيات البارزة حوله .. وما كشفه من ضغوط في انتخابات الاتحاد الاشتراكي كانت لاتخرج عن طاعته ، ولكنها لاتمثل كامل ارادته ، وتظهر له عنصر منافسة يبدو كبرعم صغير أمام شجرة باسقة .

كل هذه الاحداث .. والاخبار اليومية المتلاحقة عن حرب الاستنزاف ومؤتمر قمة دول المواجهة ، وحركة الفاتح من سبتمبر في ليبيا .. أحاطت عبد الناصر بجو من القلق والتوتر

وصل هذا القلق ذروته يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ عندما هاجم الاسرائيليون الزعفرانة كما اوضحت في الباب السابق

وفي يوم ١٠ سبتمبر سقط جمال عبد الناصر في القاهرة فريسة أول ذبحة صدرية واستدعى الى منزله في هذا اليوم كلاً من أنور السادات والفريق أول محمد فوزي وشعراوي جمعة وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف حيث شكلت منهم لجنة للإشراف على شئون الدولة خلال فترة المرض التي منع فيها الاطباء جمال عبد الناصر عن الحديث أو الحركة أو مباشرة أية مسئولية .

ويلاحظ أن على صبرى لم يستدع لعضوية هذه اللجنة . ولم تقتصر العناية الطبية على المصريين .. حضر الى القاهرة الطبيب السوفييتى الدكتور شازوف أخصائى أمراض القلب الذى نصح بالغاء رحلة عبد الناصر الى تسخالطوبو .. فلم يعد القلب يحتمل .. ونصح بالبقاء في الفراش لمدة ستة أسابيع مع ابطال التدخين والبعد عن التوتر ، ونشرت الاهرام خبر حضوره يوم ٢١ سبتمبر .

كانت تعليمات الأطباء تعنى النهاية لكل ما يحب عبد الناصر . . . مباشرة المسئوليات المختلفة بنفسه ، ومقابلة الشخصيات السياسية ، والتدخين أيضا .

وبقى المرض سرا لايداع مما اضطر جمال عبد الناصر الى مقابلة بعض الشخصيات وهو فى فراش المرض مثل بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن الذى هدد بالاستقالة اذا لم يقابل عبد الناصر وبابكر عوض الله الذى كان جعفر نميرى يدبر خطة لاجراجه من الوزارة وكان عبد الناصر يريد منه أن يكون صبورا فيقبل منصب وزير العدل الذى أعده له نميرى بعد أن كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة .

بقى الدكتور شازوف عشرة ايام فى مصر عاد بعدها الى موسكو . ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد اتصل به تليفونيا فى اليوم الثالث لمرضه .. وانه لم ينفذ تعليمات الأطباء بالبقاء ستة أسابيع فى الفراش فعاد الى ممارسة عمله فى أواخر سبتمبر .

ويقول أمين هويدى ان عبد الناصر لم ينقطع انقطاع المرضى عن مباشرة العمل ، فقد ظل على اتصال مستمر به .

ويقول شعراوى جمعة انه كان حريصا على عدم الاتصال بجمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ، ومع ذلك كان يتلقى منه مكالمات تليفونية تحمل تعليماته وتوجيهاته .

وخلال الفترة القاسية للمرض ودون أن تعرف الجماهير شيئا عن الحالة الصحية للزعيم فوجيء القراء صباح يوم ٢١ سبتمبر بأخبار مثيرة في جريدة الاهرام تقول ان وكالات الانباء الغربية تروج ان على صبرى كان يعد لانقلاب في مصر ، وان الاتحاد السوفييتى كان ضالعا فيه . وكانت الاهرام نفسها قد نشرت قبل ذلك بيومين أن لجنة التنظيم للاتحاد الاشتراكى تجتمع (غدا) للبحث فى موضوعات يتحتم البحث فيها قبل المؤتمر القومى .

ونشرت صحيفة الاهرام تفسيراً لما حدث جاء فيه ان على صبرى قد حمل أمتعة كثيرة فى طريق عودته من موسكو خلال شهر يوليو وانها خرجت فى أحد لوريات الاتحاد الاشتراكى ، ولم تدفع عنها جمارك .

وقالت الاهرام ان تحقيقا قد بدأ فى هذه الواقعة . . وأن على صبرى قدرأى أن يدفع كل المطلوب منه للجمارك حتى على الامتعة التى لا تخصه شخصيا ، وأن يضع استقالته تحت يد جمال عبد الناصر من جميع مناصبه .

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بأن يتولى شعراوى جمعة أمانة اللجنة التنظيمية بدلا من على صبرى الذى استمرت عضويته فى اللجنة التنفيذية العليا .

ونشرت الاهرام صورة للجنة الدائمة للاتحاد الاشتراكى برئاسة أنور السادات وحضور على صبرى وعبد المحسن ابو النور ولبيب شقير . وضيء الدين داود وشعراوى جمعة . . وذكرت أن كمال ستينو لم يحضر لوجوده فى بلغاريا . . وفى هذا الاجتماع تقرر قبول استقالة على صبرى وتعيين شعراوى جمعه بدلا منه . الامر الذى أقرته اللجنة المركزية فى أول اجتماع لها بتاريخ ٤ فبراير ١٩٧٠ .

كانت الاجراءات التى اتخذت ضد على صبرى دليلا على ان ثقة جمال عبد الناصر فيه قد تبددت نهائيا . وانه أثر تحطيمه بفضيحة تتصل بالسلوك . . وهو الامر الذى يشير مشاعر الجماهير .

كان الاجراء مدبرا ومتعمدا ومثيرا لاكثر من علامة استفهام هل نجح أحد فى اثاره جمال عبد الناصر ضد مدير مكتبه الصوامت والمخلص له طوال سنوات الثورة ؟

هل ارتكب على صبرى عملا أثار شكوك عبد الناصر لانه لم يبلغه عنه ؟

هل علت موجة احتجاج الذين سقطوا فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى حتى جرفت المسئول الاول فيه ؟

هل صدق عبد الناصر مقاله البعض من أن على صبرى كان يروج لخلافته وخاصة بعد مرضه ؟

هل أثر المرض على قرارات جمال عبد الناصر فجعلها تصدر في صورة عصبية ؟

المؤكد ان الحدث في ذاته - أى تمرير بضائع دون دفع جمارك - لم يكن ليؤدى الى هذا الاجراء العنيف .. فكثير من ضباط الثورة والمقربين من السلطة قد قاموا بذلك بصورة معروفة ومتكررة

ولم يعرف عن جمال عبد الناصر انه حاسب واحدا من زملائه في المجلس على عدوانه على الاموال العامة

كما لم يعرف عنه انه قد اتخذ من التشهير العلنى سلاحا للقتل . ولم يكن أكثر الناس اقتربا من السلطة يتصور ان على صبرى يمكن ان يعامل فجأة هذه المعاملة القظة

قال لى أمين هويدى انه عندما عرف النبأ اتصل بجمال عبد الناصر قائلا له في دهشة : (والله أنا مانا عارف حاجه) .

وقال جمال عبد الناصر : (احسن)

واستأذن هويدى في زيارة على صبرى مع شعراوى جمعه ، ووافق عبد الناصر على ذلك

وعندما ذهب الاثنان الى زيارته كان هناك طبيب القلب اللواء رفاعة كامل الذى ذهب لعيادته خوفا عليه من الام ربما كانت من معاودة الذبحة القلبية له وهى التى أصيب بها أثناء عودته جوا من رحلة الى نجع حمادى عقب الفارة الاسرائيلية عليها قبل ذلك بشهور .

وفى هذه الزيارة كان على صبرى في غاية الضيق .. يكيل السباب بلا حساب .. وتستبد به الدهشة من هذه المعاملة الشاذة .

طبعاً لم يكن استغلال النفوذ أو التهرب من الجمارك هو السبب في توجيه هذه الضربة القاضية للشخصية السياسية المؤهلة لقيادة العمل السياسى ..

ويقول البعض ان ذلك كان نتيجة لما حدث في امانه القاهرة عندما تقدمت فنانة معروفة متزوجة من أحد الصحفيين بتقرير قالت فيه ان بعض أعضاء أمانة القاهرة يتهمون على جمال عبد الناصر

وأصدر عبد الناصر أوامره باخراج أمين عز الدين وسامى الليثى من أمانة القاهرة ، وكذلك اخراج عبد المجيد فريد من أمانة رئاسة الجمهورية، وقصر عمله على الاتحاد الاشتراكى .

وذهب عبد المجيد فريد الى على صبرى يطلب منه أن ينفذ الامر في هدوء وعلى مراحل ، وليس دفعة واحدة ، ووافق على صبرى على رأيه .. ولكن الامر بعد ذلك وصل الى جمال عبد الناصر وكأنه يكسر أوامره ولعل خلافاً سامى شرف (التحتية) مع على صبرى كانت سبباً في تجسيد هذه القضية .

وقال لى شعراوى جمعة ان صورة على صبرى ربما تكون قد اهتزت أمام جمال عبد الناصر عندما أبلغه حسين الشافعى بواقعة الجمارك والتى عرفها من شقيقه الذى كان يعمل في الاتحاد الاشتراكى والتى تتلخص في

أن سكرتير علي صبرى مصطفى ناجى قد اتصل تليفونيا من موسكو وطلب
عربة لورى تنتظر فى المطار لحمل الحقائب الكثيرة ، والاتصال بشركة مصر
للطيران لتدفع العفش الزائد .

ويقول شعراوى ان علي صبرى عندما علم بأن سكرتيه قد أرسل
الإشارة طلب الغاءها . . ولكن بعد فوات الأوان .

ولما استثارت هذه الواقعة التى أبلغها حسين الشافعى حفيظة جمال
عبد الناصر طلب شعراوى جمعة مقابله للتحديث معه فى هذا الموضوع
قبل ظهوره فى صحيفة الاهرام . . ويقول ان عبد الناصر كان غاضبا وكان
يردد (ان علي صبرى كان يعمل لى والآن يعمل معى) . . وكان بذلك قد
تجاوز حدودا رسمها عبد الناصر له .

صدر قرار (كسر) علي صبرى بعد أن كانت الظروف قد أقصت
من أمامه عددا من أخطر المنافسين .

انتحر المشير عبد الحكيم عامر ، وهو الذى لم يقتنع يوما بأهمية
الاتحاد الاشتراكي ، والذى اتخذ موقف العداء من منظمة الشباب التى أنشأها
علي صبرى .

واستقال زكريا محيى الدين وهو الشخصية المؤهلة بعد عبد الناصر
فى تاريخ الثورة لتكون (رجل دولة)

كان الطريق ممهدا أمام علي صبرى ليؤدى دور الرجل الذى لا تقدر
المنافسة على النيل منه

ولكن أنور السادات وحسين الشافعى ومحمد حسنين هيكل كانوا من
الشخصيات التى لا تقبل من علي صبرى أداء دور أكبر من طاقته . . كما أن
شعراوى وسامى شرف كانا لا يريدان الذوبان فى شخصية علي صبرى
كان التنافس واضحا ، وصراع القوى لا يهدأ

ولم يكن اخراج علي صبرى - فى يقينى - رد فم لحادث الجمارك ، فقد
سبق ذلك تغييرات تعتبر مؤشرا لنية جمال عبد الناصر

كان قد أعاد حسن التهامى سفير مصر فى فينا لمدة سبع سنوات
للعمل مستشارا له ثم أمينا لرئاسة الجمهورية فى ١٥ يوليو ٦٩ بدلا من
عبد المجيد فريد الشخصية القريبة من علي صبرى أيضا ، والذى ظل مع ذلك
فى موقعه أمينا للاتحاد الاشتراكي بالقاهرة ، وسكرتيرا لجلسات مجلس
الوزراء .

وحسن التهامى هو أخذ الضباط الأحرار الذين كانوا يعملون فى
إدارة المخابرات الحربية قبل الثورة ، وكان فى نفس الوقت مقربا من جمال
عبد الناصر . . اشترك معه هو وحسن ابراهيم وكمال رفعت فى محاولة
اغتيال اللواء حسين سرى عامر قبل أسابيع من قيام حركة الجيش .

وقد أبعد الى فينا بعد صدور قرارات يوليو ١٩٦١ لموقفه المضاد لها
حيث كان يعتبر ان مثل هذه الاجراءات تعتبر انحرافا نحو الماركسية بعيدا
عن الاسلام . . على حد تصريحه بذلك فيما بعد .

ولذا كان استدعاء جمال عبد الناصر له وتعيينه فى هذا المنصب الحساس بدلا من شخصية كانت تؤدى دورا بارزا فى العمل السياسى - عبد المجيد فريد - كان الاستدعاء يعتبر مؤشرا ودليلا على تغيير كان يختمر فى صدر جمال عبد الناصر .

ربما أسرع المرض فى اخراج قرار على صبرى الى العلانية . ولكن الموقف فيما يبدو لم يكن قاصرا على علي صبرى وحده ، ولكنه تجاوزه الى المرتبطين به ارتباطا سياسيا . . الامر الذى يعطى أبعادا جديدة للموقف ، رغم محاولة الاهرام تفسير ذلك بأنه تم نتيجة امور اداريه .

صدر قرار أيضا فى نفس اليوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ بإقصاء رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم محمود أمين العالم ، ولم يعين أحد بدلا منه الذى كلف من عبد الناصر بتنفيذ الامر . . كان أنور السادات الذى اعتمد على احسان عبد القدوس وموسى صبرى . . وبقي اسم محمود أمين العالم مكتوبا على صحف الدار ببنط صغير لا يكاد يقرأ الى أن عين رئيسا لمؤسسة المسرح .

كان أنور السادات قد بدأ يؤدى دورا متزايدا فى الحياة السياسية . ولم يعد له بين الرسميين من أعضاء مجلس الثورة منافس سوى حسين الشافعى الذى ظل محتفظا بموقفه الفكرى الذى لم يتطور مع تطوّر الثورة . مثل أنور السادات مصر فى اجتماع القمة الاسلامى فى الرباط . . يوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ .

وفى يوم سفره نشرت صورته وهو يرأس اللجنة الدائمة بحضور علي صبرى فى آخر اجتماع له بعد استقالته . ومما يذكر انه قد حدث خلاف فى هذا المؤتمر حول تمثيل الهند التى سبق ان وجهت الدعوة الى رئيس جمهوريتها فخر الدين على أحمد ولكن المؤتمر رفض قبول تمثيله رغم سفره للمغرب . وكانت هذه هى المرة الاولى بعد الهزيمة التى يقوم فيها أنور السادات بتمثيل مصر فى مؤتمر دولى تحضره ٢٥ دولة يمثل عشرة منها الملوك والرؤساء .

كما قام جمال عبد الناصر بتكليف أنور السادات بعمل اجتماعات اسبوعية مع السفير السوفيتى سيرجى فينوجرادوف لمناقشة القضايا السياسية والتعرف على أبعادها ، ونقل صورة عنها الى جمال عبد الناصر حسب قوله فى تصريحات مختلفة

وهكذا دخل أنور السادات فى دائرة المسئولية العليا للعمل السياسى وخاصة بعد أن اقتصر عمله على اللجنة التنفيذية العليا بعد حل مجلس الامة فى ٧ نوفمبر ١٩٦٨ بعد انتهاء اجتماعات المؤتمر القومى فى دورته الثانية وتغيير تعريف العامل والفلاح ، قبل ان تنتهى مدته الرسمية بعدة أشهر . جرت انتخابات المجلس الجديد يوم ٩ يناير ١٩٦٩ وتغيرت معالم

المجلس الجديد فقد نجح من الاعضاء القدامى ٩٢ نائبا من ١١٧ رشحوا
انفسهم .

وتغيرت التركيبة الاجتماعية للمجلس .

وفى عام ١٩٦٤ كان هناك ٧٥ عاملا - ١٠٨ فلاحين أما فى مجلس ١٩٦٩
فقد نجح ١١٩ عاملا ، ٦٤ فلاحا . . . وكان هذا دليلا على أن فرص النجاح قد
أصبحت أقل للفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة فدادين حسب التعريف
الجديد للفلاح .

كما نجح ٢٣ نائبا من المنتسبين للاتحاد الاشتراكي باعتبار ذلك شرطا
لترشيح ولكنهم لم يكونوا من مرشحي قيادة الاتحاد الاشتراكي
وانتخب لبيب شقير رئيسا للمجلس الجديد . . . وتفرغ السادات
للمهام السياسية وكلف أنور السادات بالسفر مع محمود رياض وزير
الخارجية وفريق أول محمد فوزى الى موسكو يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ لمناقشة
القادة السوفيت فى بعض القضايا السياسية والعسكرية .

أذكر اننى التقيت به قبل سفره وطلب منى اعداد ورقة له عن (لينين
وقضايا التحرر الوطنى) لانه ينوى مناقشة كادر الحزب الشيوعى السوفييتى
فى موقف الشرق الاوسط . وأعنددت له بحثا مختصرا حول هذه
القضية .

وبعد أيام من عودته وبعد ثلاثة شهور من اقضاء على صبرى ، وفى
يوم سفر جمال عبد الناصر بعد شفائه الى مؤتمر الرباط يوم ٢٠ ديسمبر
١٩٦٩ ، طلب عبد الناصر من أنور السادات وهو فى منزله ليرافقه الى
المطار أن يحلف اليمين القانونية نائبا لرئيس الجمهورية .

قال لى حسين الشافعى انه كان حاضرا وقت حلف اليمين الذى تم بطريقة
مفاجئة له ودون حضور مصور أو اتخاذ أى اجراءات رسمية . . هذا رغم أن
جمال عبد الناصر قد أبلغهما فى الليلة السابقة أنه سيعين نائبا لرئيس
الجمهورية دون تحديد اسمه .

ويقول محمد حسنين هيكل الى فؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) ان
عبد الناصر عندما عين أنور السادات نائبا له كان بسبب معلومات وصلته
ومفادها ان هناك مؤامرة لاغتياله فى الرباط خلال مشاركته فى مؤتمر القمة
العربى الخامس . . وهو مارواه لهيكل فى الطائرة .

سواء صح خبر المؤامرة أم لم يصح فقد اختار جمال عبد الناصر من بين
زملائه أنور السادات ليكون نائبا له ، وبالتالى يكون أقرب المرشحين
لرئاسة الجمهورية فى حالة وقوع القدر .

ولم يقتصر دور أنور السادات على الشؤون الخارجية فقط ، ولكنه
أصبح الشخصية الرئيسية فى اللقاء مع الجماهير . . عقد فى شهر يناير ١٩٧٠
اجتماعين مع قيادات الاتحاد الاشتراكي بالوجه القبلى والوجه البحرى حضرها
عبد المحسن أبو النور ولبيب شقير وضياء داود وشعراوى جمعة .

ولذا فقد وافقت اللجنة المركزية دون تعقيب فى اجتماعها يوم ٤ فبراير
١٩٧٠ على استقالة على صبرى من أمانة لجنة التنظيم واستبداله بشعراوى
جمعة . . وذلك لما لمسته من تغير فى أهمية الادوار التى يلعبها المحيطون
بعبد الناصر .

وكان من أهم مظاهر معركة الصفوف الخلفية ما يرتبط بالناحية الاقتصادية والاتجاهات التي فرضتها الهزيمة :

أولا - اصطدمت قضية التنمية المخططة منذ نهاية الخطة الخمسية الأولى بمشكلات حادة منها : أزمة شديدة في النقد الاجنبي منذ عام ١٩٦٣ وصلت لأقصى حد عام ١٩٦٥ بقطع اتفاقيات القمح الأمريكية والاضطرار لاستيراد القمح والدفع بالعملات الحرة (٦٠ مليون دولار سنويا) ثم هجوم القوى المحافظة على التجربة ورفض أسلوب التنمية المخطط . واستجابة نظام الحكم جزئيا لهذه الدعاوى وتأجيل الخطة الخمسية الثانية (وضع خطة لمدة سنتين انكماشية مع وزارة زكريا محيي الدين ورفع أسعار بعض السلع الغذائية مثل الارز)

وأخيرا بدء تقديم بعض التنازلات للرأسمالية الزراعية برفع أسعار السلع الزراعية .

ثانيا - ارتفع الناتج القومي الاجمالي فيما بين عامي ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٥ بمتوسط ٥٪ . ارتفع ما بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٥ بمتوسط ٦٪ سنويا ثم توقف الارتفاع في عام ١٩٦٥ وأخذ في الهبوط وبخاصة بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

ثالثا - حدث تدهور مطلق في حجم الاستثمار الحقيقي بعد عام ١٩٦٥ وتأكد هذا الاتجاه الانكماشى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . وهكذا تعثرت التنمية الاقتصادية منذ منتصف الستينيات وارتفع الدين الخارجى وأصبح التمويل الخارجى أكثر صعوبة فاضطر النظام لتخفيض الواردات وأصاب التخفيض مستلزمات الانتاج أساسا مما أضر بالصناعة . أما قيمة الواردات الغذائية فقد ارتفعت نتيجة لارتفاع أسعارها أساسا بمعدل ١١٠٥٪ سنويا فيما بين عامي ٦٤/٦٥ وعامي ٦٦/١٩٦٧ كما ارتفعت أيضا نتيجة للتوسع في استيرادها اسكاتا لأصوات الطبقة الجديدة الساخطة .

رابعا - بعد الهزيمة كان لابد من تمويل اتفاق عسكري متزايد . وكان أمام الحكومة أسلوبان : اما الحد من الاستهلاك وخاصة للطبقات القادرة وتخفيض الاستهلاك العام المدنى واما الاقتطاع من مخصصات الاستثمار . وقد اختارت الحكومة البديل الاسهل فنيا وسياسيا عن طريق التخفيض في الموارد الاستثمارية ودون المساس بالاستهلاك الخاص والعام المدنى لتمويل عبء الزيادة في الانفاق الحربى . فتحمل الاستثمار «عبء المعركة» وهوبديل يحافظ على مصالح البرجوازية أساسا .

وقد انخفض الاستثمار عام ١٩٦٨ بمعدل ٥٠٪ عن مستواه سنة ١٩٦٧ واستمر الانخفاض بعد ذلك . وقد ترتب على الانخفاض المستمر في حجم الادخار والاستثمار الانخفاض في معدل تكوين الطاقة الانتاجية وبالتالي الانخفاض في معدل زيادة الناتج القومى .

خامسا - انخفض الدخل الحقيقى للفرد في العام الاول بعد الهزيمة بنسبة ٧٥٪ وتدهور استهلاك السلع الغذائية الأساسية (بالرغم من

المعونات الخارجية الكبيرة من الدول الاشتراكية بعد عام ١٩٦٧ لسند النظام المصري) وانخفض متوسط نصيب الفرد اليومى من الأسعار الحرارية من ٢٩٤٢ سعرا عام ٦٤/٦٥ الى ٢٨٩٦ سعرا عام ٦٨/٦٩ واتجهت الاسعار للارتفاع . ومن جهة أخرى تضاعفت أرباح الرأسمالية فزائد عوائد التملك بمعدل ٦٨٪ فى العام الاول بعد الحرب ثم بمقدار ١١٣٪ فى العام الثانى وزادت أرباح التجار ومقاولى الباطن بنسبة ٣٩٪ ثم ٧٨٪ فى أعوام ٦٨/٦٩ و ٦٩/٧٠ على التوالي . وهكذا فإن التضحية تحملها أساسا الشعب العامل من استهلاكه .

سادسا - ان النمط الجديد لاستخدام الموارد بعد ١٩٦٧ لم يقتصر على الموارد المحلية بل امتد ليشمل موارد النقد الاجنبى النادرة . فقد تمت التضحية بموارد النقد الاجنبى المتاحة للاستثمار والاستهلاك الوسيط (أى مستلزمات الاناج) اللازمة لتشغيل الطاقة الانتاجية فى المجتمع وقد ترتب على ذلك انخفاض الواردات من السلع الرأسمالية مما ترتب عليه انخفاض معدل زيادة الطاقة الاناجية .

وانخفاض حجم الواردات من مستلزمات الانتاج مما ترتب عليه انخفاض تشغيل الطاقة الانتاجية القائمة وظهور الطاقة العاطلة فى كثير من الصناعات ووصلت الى ما يزيد عن ٦٠٪ من الطاقة الانتاجية لبعض الصناعات مثل الصناعات الكيماوية والهندسية وصناعة الادوية .

وقد ترتب على ماسبق انخفاض معدل نمو الانتاج الصناعى من ٨٥٪ سنويا خلال فترة الخطة الخمسية الاولى الى ٢٪ سنويا خلال الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣ .

ولقد ترتب على العبء الدفاعى والوفاء بالاحتياجات الاستهلاكية - نتيجة لعجز الانتاج الزراعى عن الوفاء بمتطلبات الزيادة عن الطلب على المواد الغذائية - أن وقع عبء مواجهة هذه المستلزمات على الواردات مما ترتب عليه الازدياد فى عجز ميزان المدفوعات وذلك لعدم قدرة الحكومة على وضع خطة لاستخدام القطاع الصناعى وتوجيهه لخدمة أغراض الدفاع . (نودى بقوة فى ذلك الوقت من جانب القوى الوطنية بوضع نظام لاقتصاد الحرب ولم تحاول الحكومة الاستجابة لهذا الامر أبدا الا فى حدود شكلية وذلك لعدم استعدادها لتحميل الطبقات القادرة بأى تضحية بحجة جماعية التحالف الوطنى) .

وكان يواجه هذا الاتجاه الانكماشى الذى قاوم ضرورة فرض اقتصاديات حرب . . اتجاه آخر لتنمية السلع الوسيطة . . والاتفاق على اقامة مجمع الحديد والالومنيوم . .

كان جمال عبد الناصر هو الراغب فى اقامة مشروعات صناعية كبيرة تبديد وهم الانحسار الكامل ، وتدفع الطاقة الانتاجية للامام : كما قال لى وزير التخطيط .

وهكذا تحددت معالم الصراع بعد الهزيمة فى الناحية الاقتصادية .
وكان هناك صراع آخر . .

اليسار .. واليمين

لم تحسم المعركة بين (ممالك السلطة) اذا صنع التعبير لمصلحه شخص دون الاخرين .

كان جمال عبد الناصر يلعب لعبة التوازن بمهارة اكتسبها من أسلوب قيادته خلال السنوات السابقة

عاد على صبرى للظهور من جديد ، بعد أن كانت صورته وأخباره قد اختفت من الصحف تماما .

كان الاحتفاظ به عضوا في اللجنة التنفيذية العليا دليلا على أن له دورا يمكن أن يؤديه في مرحلة قادمة .. وان وجوده مهم في نجاح لعبة التوازن .

ظهر على صبرى في حفل افتتاح الدورة البرلمانية يوم ٦ نوفمبر وهو يستقبل عبد الناصر واقفا بعد أنور السادات وحسين الشافعى .

وكان عبد الناصر قد عاد لممارسة عمله الطبيعي واستقبال الشخصيات السياسية .. وأول صورة ظهرت له كانت مع الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة الليبية يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٦٩ .

وفي خطبته أمام مجلس الأمة تحدث جمال عبد الناصر لأول مرة عن (لجنة المواطنين من أجل المعركة) ، وقال وفي ذهنه تصاعد حرب الاستنزاف (اذا كان العدو لا يملك أن يخسر معركة . فنحن لم نعد نملك ان نخسر معركة) .

وعقب عودة عبد الناصر من رحلته السرية الى موسكو التي قوام بها يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ دعا الى مؤتمر قمة لدول المواجهة عقد في القاهرة يوم ٨ فبراير ١٩٧٠ حضره جعفر نميري ايضا .. وتشكل الوفد المصرى من حسين الشافعى وعلى صبرى

ويوم ٢٦ ابريل ١٩٧٠ حدث تغيير جديد فى مواقع السلطة .. تغيير فوجى به أقرب الناس الى عبد الناصر ، فقد حدث تغيير وزارى عين فيه كل من حسن التهامى وسعد زايد وسامى شرف وزراء دولة ، كما عين محمد حسنين هيكل وزيرا للارشاد .

وعين أيضا حافظ اسماعيل رئيسا لهيئة المخابرات العامة بدلا من أمين هويدي الذى اقتصر عمله على وزارة الدولة ، وأصبح محمد فايق وزير دولة للشئون الخارجية

كانت هذه التغييرات تظهر اتجاهها جديدا لشرع السلطة .. محمد حسنين هيكل لم يكن راغبا فى منصب وزارى .. وكان مكثفيا بدوره رئيسا لتحرير الاهرام وصديقا مقربا من رئيس الجمهورية .. وعندما حاول الاعتذار عن عدم القبول رفض جمال عبد الناصر ، وارتضى له أن يجمع بين المنصبين بصفة استثنائية .

ولم يقف التغيير عند هذا الحد .. عاد على صبرى الى موقع هام فى الاتحاد الاشتراكي .. أنشئت فى نفس اليوم لجنة سادسة منبثقة عن اللجنة التنفيذية العليا هي (اللجنة الدائمة للشئون الخارجية) وانتدب

على صبرى أمينا للجنة الجديدة . . . وبعد ذلك عين على صبرى فى منصب فريق بالقوات الجوية . . . ولكن حرص جمال عبد الناصر على ان يؤكد لمحمد فوزى انه منصب شرفى ليست له اية اقدمية ، وأن يوجه نظره الى الحذر من ناحية مرور على صبرى على القوات الجوية .

لعبة التوازن لاتحتمل السكوت الطويل . . . وعودة على صبرى مقلم الاظافر تشير الى ان له دورا ، ولكنه ليس دور البطولة . . . وربط هيكسل بالوزارة يضعف من قدرته على الحركة والمناورة ويضعه تحت سلطه الرقابة الشعبية فى مجلس الامة . وينهى فرصته فى نقد أجهزة الاعلام الامر الذى أطاح بمحمد فائق بعيدا عنها .

وحدث خلال هذه الفترة أن ظهرت صراعات المماليك بصورة غريبة . . . فقد سجلت أجهزة الامن حديثا دار فى شقة لطفى الخولى رئيس تحرير (الطليعة) ونوال المحلاوى السكرتيرة الشخصية لهيكل والسيدة صاحبة النفوذ فى المؤسسة ، وهما يتبادلان مع بعض الاصدقاء حديثا حول تعيين هيكل وزيرا ، يجمع بين نقد الاجراء منسوجا ببعض السباب . . . واصدر عبد الناصر اوامره باعتقال لطفى وزوجته ونوال المحلاوى . . . واستمر الاعتقال عدة شهور .

وكان ذلك الاجراء صدمة لهيكل ، واضعافا لمركزه ، فهو لم يستطع ان يفعل شيئا للمعتقلين وهم من أقرب الناس اليه . . . ولكنهم ضبطوا متلبسين بتهمة الهجوم على رئيس الجمهورية الذى يضم هيكل فى كنف حمايته .

ولذا كان موقفه حرجا . . . وتدخله شديد الحساسية .

ويتضح من ذلك أن جميع الاقوياء فى هذا الوقت لم تكن الارض ثابتة تحت أقدامهم . . . فلم يكن أحد منهم يستمد سلطته الا من الزعيم الذى كثيرا ما كان يوجه لهم كلمات النقد سواء فى حضورهم او غيابهم هكذا كانت تبدو معركة الخطوط الخلفية . . . لم أشأ أن أدخل فى فرعياتها وجزئياتها وتفاصيلها . . . مكتفيا بتوضيح هذا القدر الذى يؤكد أن التجانس والتنسيق كان غائبا فى دائرة السلطة العليا

ولكن معركة الخطوط الخلفية لم تكن (صراع مماليك) فقط . . . فقد دفعت الهزيمة بالمعركة الى خارج حدود السلطة ، وأصبحت تعبر بصورة أكثر وضوحا عن (صراع طبقات) ظل هادئا أو مكبوتا خلال فترة ما قبل الهزيمة التى حفلت بتغيرات اجتماعية ملحوظة .

كان صراع المماليك فى دائرة السلطة يعبر عن تناقضات وخلافات شخصية أكثر مما يعبر عن مواقف طبقية واجتماعية . . . كان الجميع ينتمون الى الطبقة نفسها التى ينتمى اليها جمال عبد الناصر (البرجوازية الصغيرة) ولكن مواقعهم فيها تختلف . . . البعض أكثر اقترابا للطبقة العاملة والفلاحين والبعض معبر عن مصالح طبقته خير تعبير ، والبعض يجذبه اغراء البرجوازية الكبيرة بكل ماتحفل به حياتها من بريق . . . ولكنهم فى النهاية أبناء طبقة واحدة ، تجمعهم رؤية واحدة ، قد تكون محدودة وضيقة عند البعض . وأكثر اتساعا وشمولا عند البعض الآخر .

وقد وضحت هذه الظاهرة تماما فى المجالات القيادية للاتحاد الاشتراكي الذى كان يعتبر اكثر أجهزة السلطة تقدما ويسارية .. فلم يكن بين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا عامل أو فلاح .. ولم يحتفظ بهذه النسبة فى المكاتب التنفيذية بالمحافظات وخاصة القاهرة والاسكندرية - رغم أن ذلك لا يعتبر مؤشرا فى ذاته على القدرة القيادية عند العامل أو الفلاح دون تأهيل ونضج سياسى .

لم يكن التحالف قائما على أساس الثقل والوزن الطبيعى للطبقات التى يمثلها المجتمع .. ولكنه كان تحالفا يتحرك بقبضة الطبقة الوسطى للسيطرة على بقية الطبقات .

ولذا فإن الخلافات التى بدأت تظهر بين الشخصيات الكبيرة على مسرح الثورة لم تجذب الجماهير اليها ، ولم يتفعل بها احد من المشاهدين كانت كل الشخصيات تتحرك من موقع السلطة دون اعتماد أو ارتباط مع الجماهير .

ولم يكن على صبرى مختلفا عن الآخرين .. فانه رغم تأثيره ونفوذه فى الاتحاد الاشتراكي وارتباط عدد من قاداته به شخصيا .. إلا أنه لم يكن شخصية جماهيرية .. ولذا فإن الاجراء العنيف الذى اتخذ ضده فى سبتمبر ١٩٦٩ لم يحرك احدا للدفاع عنه .. ونظر الناس اليه على أنه ضربة خاطئة تحت الحزام وجهت اليه فى مباراة للملاكمة ، سرعان ما ينفذ - الناس عنها ويعودون الى بيوتهم

ولكن معركة الخطوط الخلفية .. لم تكن محصورة فى حدود (صراع المماليك) .. كانت فى مضمونها الحقيقى معركة بين أنصار التقدم .. وبين المحافظين والرجعيين .. معركة فى داخل دائرة السلطة وخارجها كانت الرجعية تتربص بالثورة المهزومة المشخنة بالجراح .. تعمل على أن تنزف دمها لتسقط منهية دورها التاريخى كما أرادت اسرائيل والامبريالية .. وكانت قوى اليسار والتقدم تناضل من أجل استمرار الثورة مع فصد دمها الفاسد .

وكان جمال عبد الناصر يمارس لعبة التوازن بمهارة ، بين مماليك السلطة .. وبين القوى الاجتماعية المختلفة .

وكان فى هذه الممارسة (سجينا لتاريخه) .. أى أنه لم يكن قادرا على التراجع بأهدافه الى حد اسقاطها منحازا لليمين .. بل ظل مدافعا عن افكاره وعقائده مستلهما الظروف التى يمكن ان تنفذ ثورته .

وفى نفس الوقت لم يندفع جمال عبد الناصر الى اليسار ليصبح فيديل كاسترو آخر فى العالم الثالث

لم يكن واقعه .. ولم تكن ظروف مصر تسمح بذلك حدثت الهزيمة فى مصر .. والاحزاب الشيوعية قد حلت نفسها وارتضت قيادة جمال عبد الناصر .. وبذلك غاب تأثيرها وضعف دورها فى الطبقة العاملة والطبقات الكادحة الاخرى لم يتوافر تنظيم ثورى مناضل ، يستطيع ان يجذب بقوة جمال عبد الناصر الذى كان يقف فى يسار طبقته .

وكان بعض أعضاء التنظيمات الشيوعية السابقة قد عينوا في أماكن ومراكز هامة . ولكنهم كانوا يتصرفون كفراد دون انتماء . يحسنون ويخطئون بلا حساب . . يتلمسون الثقة بهم من المسؤولين وليس من الجماهير التي يتعاملون معها ، أو من التنظيمات التي سبق لهم ان ربطوا حياتهم بها . ولم تحدث بعد الهزيمة معاودة نظر سريعة لقضية حل الاحزاب والتنظيمات الشيوعية . . بل استكان الكثيرون الى وضعهم الجديد . . لم يتضامنوا مع الذين أهملتهم السلطة ولم تعدهم الى أعمالهم . . كانت الثورة أكثر ميلا لاجتذاب الشيوعيين المثقفين منها الى اجتذاب الشيوعيين من العمال أو الفلاحين

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا انه عندما كلف بصفته مسئولا عن الدعوة والفكر باختيار أساتذة معهد الدراسات الاشتراكية اختار عددا من الشيوعيين السابقين . وعرض اسماءهم على جمال عبد الناصر ، قال له :

(اننى لأعتبر التناقض بيننا وبين الماركسية تناقضا عدائيا . . واننى استعنت في تحضير أفكار الميثاق بكتابات ماركس ولينين وستالين وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم) .
ثم أضاف قائلا :

(اننى أعتقد ان التعاون معهم أولى من كسب عدائهم . . ورايى ان نلهم جميعا فهذا أفضل من أن نخسرهم)

ورغم ذلك فقد بذل معظم هؤلاء - كل فى موقعه - غاية مايملك من جهد لتغليب تيار اليسار والتقدم . . وتعاون بعضهم باخلاص مع عناصر السلطة اليساريين .

وأمكن خلال هذا التعاون تقليل الحساسية والصدام بين أفكار يوليو وبين الماركسية . . ولو أن أحدا لم يحاول وضع حل للمعادلة التى يمكن أن تجمع بين كل قوى اليسار والتقدم فى جبهة واحدة

كان الحذر من الماركسية والماركسيين يكاد يستوى عند بعض المسؤولين بالحذر من الرجعية والايخوان المسلمين . . وكلما تأزمت الأمور حول قضية أو قامت مظاهرات ، أسرع اصابع الاتهام تشير للاتجاهين معا .

ورغم كل التغييرات الاجتماعية التى قامت بها ثورة يوليو ، الا أن البرجوازية المصرية ظلت متأثرة ومرتبطة بنموذج الحياة الغربية . واستمرت الجامعات ترسل بعثاتها الى انجلترا والولايات المتحدة ، ويعود الخريجون متأثرين بالأفكار والاتجاهات الرأسمالية . فينشرون ذلك بين طلبتها .

وظل معظم أساتذة الجامعة من الناحية السياسية عنصرا من عناصر اعاقة التطور الفكرى . . وكانت عيون الكثيرين منهم تنجذب الى جامعات الدول البترولية التى تغدق الاموال على الاساتذة .

وعرفت مصر فى هذه الفترة هجرة بعض أبنائها الى الخارج ، بعد أن كان هذا أمرا نادر الحدوث فى مصر .

كتابة الهزيمة ، وصعوبة الحياة ، وعدم حدوث تغيير جذرى حقيقى .

يضع المجتمع على الطريق الصحيح للتقدم .. كل ذلك دفع المثقفين الى الاتجاه للهجرة بصورة متزايدة .

ومصر تؤثر وتتأثر بالوطن العربي .. لها دور قيادي لاشك فيه .
وكما فرضت الهزيمة ظروفًا صعبة في مصر .. خلقت اتجاهًا واضحًا نحو الافكار الماركسية في الحركات السياسية العربية

وحلت بعض الدول معادلة تعاون النظم الوطنية الديموقراطية .. مع القوى الشيوعية . ونادى حزب البعث في العراق بانشاء جبهة وطنية وقومية تقدمية ينضم اليها الحزب الشيوعي والحزب الديموقراطي الكردستاني ، واستمر في ندائه حتى تحقق هدفه ..

وفي قوى المقاومة الفلسطينية نما الاتجاه الماركسي وأصبح عقيدة لعدد من المنظمات ، واعداد متزايدة من الشباب .

ولكن هذا الاتجاه الجديد لم يؤثر كثيرا في مصر .. وغيبة الاحزاب والتنظيمات الشيوعية لم يفرض واقعا جديدا على النظام .. والعناصر الماركسية استغرقتها مسئولياتها ولم يعد يربط بينها روح الانتماء ولا وحدة التنظيم .

وجمال عبد الناصر مازال هو الزعيم المؤهل لقيادة أى تغيير اجتماعي .

وبعد أن قرر تحديد مواصفات العامل والفلاح بصورة أكثر واقعية أدت الى اعادة انتخاب مجلس الامة .. وافق مؤتمر الاتحاد الاشتراكي في ٢٣ يوليو ١٩٦٩ على النزول بالحد الاقصى للملكية الى خمسين فدانًا . مع اقرار قيام شركات عامة لادارة ٧٠٠٠٠٠ فدان وهو ما يؤدي الى ظهور بشائر المزارع الجماعية .. كما اتخذ المؤتمر قرارا بأن تخصص دورته القادمة لقضايا التحول الاشتراكي

ولكن جمال عبد الناصر في نفس هذا المؤتمر قاوم اتجاهها لفكرة حرب التحرير الشعبية بدعوى نقص السلاح كما ذكرت سابقا .. وكان عبد الناصر منطقيًا مع نفسه وواقعه .. فهو لم يكن هوشى منه ، ولم يكن الاتحاد الاشتراكي هو حزب العمل الفيتنامي ، ولم تكن هناك جبهة مثل جبهة تحرير فيتنام تضم كل القوى الوطنية بتضاريسها وقدراتها الطبيعية

كانت قدرات جمال عبد الناصر في الخروج من طبقته والاندفاع الى اليسار مع الفلاحين والطبقة العاملة قدرات محدودة بطبيعته الشخصية والاسلوب الاوتوقراطي الذي اعتمد عليه حكمه ، وعدم توافر تنظيم سياسي ملتزم يمكن أن تتبلور الافكار الجديدة في صفوفه بطريقة ديموقراطية .

ولم يكن مطلوبًا من جمال عبد الناصر في هذه المرحلة أن يتحول الى فيديل كاسترو جديد .. ولكن كان مطلوبًا منه أن يساند وينمي قوى التقدم صاحبة المصلحة الحقيقية في الاشتراكية .

ولكنه ظل حبيس نظامه ، أسير الشخصيات التي فرضها ، يلعب لعبة التوازن .. ويخشى أن يأخذ خطوة أكثر راديكالية الى اليسار . كانت فرصة تاريخية لنظام ثورة يوليو يمكن بها أن يتدعم وتمتد جذوره الى الطبقات الكادحة التي لو شعرت بالمشاركة الحقيقية في النظام لنبتت منها طاقات هائلة

ولكن النظام ترك هذه الطبقات في الظل .. تعاني من الأمية والتخلف ولايربطها بالنظام وبعبد الناصر شخصيا .. سوى الامل وما حصلت عليه من مكاسب نسبية

كانت فرصة عبد الناصر لبناء أساس صالح لقيام مجتمع اشتراكي موجودة وليست مستحيلة .. ولكنه ترك التناقضات والحساسيات والصراعات مكبوتة وغير محلولة ،

وأصبحت الاشتراكية هي المشجب الذي تعلق عليه كل أخطاء النظام وهي بريئة ومفتري عليها .. وأصبح المحافظون والرجعيون وعملاء الامبريالية يصورون أن ما يحدث في مصر هو ماركسيه شيوعيه .. وهم يعرفون تماما أن الشيوعيين والماركسيين كانوا بعيدين تماما عن مركز التأثير في السلطة ولكنهم كانوا يقيمون سدودا أمام احتمالات انطلاق القوى الكادحة من عمال وفلاحين للقيام بدور مؤثر في النظام طالما أن اسرائيل ترفض السلام والمعركة الوطنية محتدمة .

ويقول دكمجيان في كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان هناك خمسة أسباب حالت دون اختيار طريق أكثر يساريه وهي :

- ١ - القوة المستمرة للدين الاسلامي والازهر
- ٢ - الفتوية (الوسطى) عموما للقوات المسلحة .
- ٣ - الضعف النسبي لليسر المصري مقارنا بالقوات المسلحة والمؤسسات الدينية .

- ٤ - الرغبة في حفظ العلاقات مع الولايات المتحدة لاحداث توازن مع النفوذ السوفييتي المتزايد ، ولتكون وسيطا محتملا مع اسرائيل .
- ٥ - الزعامة المركزة حول شخص عبد الناصر

ويقول (دكمجيان) انه ماكان يمكن لعبد الناصر أن يرسو بنجاح على مرفأ أكثر يساريه حتى لو أراد ذلك نتيجة للعوامل الثلاثة الاولى .. وانه لذلك لعب دورا رئيسيا لمنع أي تطور يساري معتقدا فيما يبدو بقسوة الصيغة المعتدلة التي وضعها لليسر العربي القومي في التغلب على مشكلات مصر مع اسرائيل

ومع ذلك لا يستبعد (دكمجيان) في المستقبل اختيار عبد الناصر لبرنامج ايدولوجي يساري او شيوعي مشيرا الى أن ذلك يعتمد على أسلوب الولايات المتحدة واسرائيل في معالجة المشكلة سواء ان تعزق لحركة الثورية العالمية قد يعطل تطور الشيوعية في مصر ويضرب مثلا بالخلاف الصيني السوفييتي .

ويعتقد (دكمجيان) ان رفض اسرائيل للانسحاب من سيناء قد يدفع

القيادة فى حالة اليأس الى الابتعاد عن الطبقة الوسطى والسياسة الاشتراكية المعتدلة ومحاولة بناء حركة يسارية ثورية مشابهة لحركة فيديل كاسترو القائمة على الطبقة العاملة والفلاحين ، والتي تواءمت مع الدين والوطنية وهو ما يمكن أن يتم فى مصر أيضا

ولكن عبد الناصر لم يتحول الى كاسترو الهزيمة لم تدفعه الى اليسار تماما .. كما أعلن كاسترو الاشتراكية بعد وضوح المساندة الامريكية فى الغزو الفاشل لمنطقه (خليج الخنازير) ، وعبد الناصر لم يحاول دعم وتقوية الاحزاب الشيوعية أو العناصر الشيوعية التى تعاون معها وإنما عمل على احتوائها .. أما كاسترو فقد تعاون تماما مع الحزب الشيوعى الكوبى حتى انتهى الامر باندماج الحزب مع قوته الثورية فى تنظيم ماركسى واحد وعندما لم يتخذ عبد الناصر الموقف الذى تحدث عنه (دكمجيان) ، وواصل لعبة التوازن ، ظهر ذلك فى عدة مجالات هامة بصورة انحراف الى اليمين .

أولا : الاقتصاد

أخذت صيحات الدعوة لاقتصاد حرب تخفت يوما بعد يوم ، وارتفعت الدعوة لدعم القطاع الخاص ، وتشجيع رؤوس الاموال الاجنبية كما سبق أن اشرت .

ووضح ذلك فى المنهج الذى سار عليه حسن عباس زكى ومن بعده عبد العزيز حجازى فى وزارة (أساتذة الجامعة) التى شكلت بعد مظاهرات الطلبة .

وفى مقابل التسهيلات التى أعطيت للقطاع الخاص ، أعطيت علاوات لعمال القطاع العام .. لعبة التوازن مستمرة

ثانيا : الثقافة

تعرضت الثقافة بعد الهزيمة لهزات مثيرة .. وكان وزيرها عندئذ هو الدكتور ثروت عتاشة الذى كان قد بدأ يعيد تنظيم الوزارة التى عاد اليها على أسس واقعية وعلمية ، ويختار لأجهزتها شخصيات تنال احترام المثقفين .

الاديب نجيب محفوظ رئيسا لمؤسسة السينما والدكتور عبد الرازق حسن عضوا منتدبا والدكتور على الراعى رئيسا لمؤسسة المسرح ، وسعد كامل مديرا للثقافة الجماهيرية والدكتورة سهير القلماوى ثم محمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة النشر ، وحسن فؤاد مديرا للسينما التسجيلية . والمستشار مصطفى درويش رقيبا على المصنفات الفنية

وكانت وزارة الثقافة قد بدأت تستعيد ثقة المثقفين بها .. وتمارس دورا هاما فى حياة الجماهير .. وقد أدى رؤساء الاجهزة دورا بارزا فى هذا المجال ، وبدأت الوزارة تعمل فى تناسق وتوافق الاوركسترا السيمفونى . ولكن الهزيمة أحدثت اضطرابا ملحوظا فى مجال الوزارة ، أعاده

البعض الى صلة الصداقة الوثيقة التي كانت تربط بين المشير عامر وصلاح نصر وبين ثروت عكاشه .

ولكن محاكمة المؤامرة مضت .. وثبت أن ثروت عكاشه لم يكن ضالعا فيها واستمر فى منصبه .

تم جاءت انتخابات الاتحاد الاشتراكى (يونيو ١٩٦٨) التي أشرت اليها وسقط ثروت عكاشه فى دائرة قصر النيل وكان هذا دليلا على وجود تناقض بينه وبين على صبرى او أجهزة الاتحاد الاشتراكى .

وهو الامر الذى دفع ثروت عكاشة الى التخلي عن بعض الذين عملوا معه فى اخلاص دون أى تفسير لهم ، معتفدا بذلك أنه ينقد نفسه من ملاحظات أجهزة الامن وأجهزة الاتحاد الاشتراكى التي كانت تحاول تصوير نشاط الوزارة وكأنه نشاط شيوعى كما قال لى .

وافصح ثروت عكاشه للمسئولين فى الوزارة عن رغبته فى ان تقدم أجهزتها أعمالا ترفيهيه ، وهو اتجاه يرتبط مع فكرة تدليك اعصاب الجماهير حتى تبعده عنهم مرارة الهزيمة .

اقول بدأت هذه الاتجاهات التي تتعارض مع القيم الثقافية التي يؤمن بها المثقفون الذين يتولون مسئولية أجهزة الوزارة ، تتحول الى اجراءات ايجابية عن طريق حصار هذه الشخصيات تم ابعادها عن مواقع المسئولية .

تولى عبد الحميد جوده السحر رئاسة هيئة السينما بدلا من نجيب محفوظ ، ووضع عبد الرحمن الشرقاوى وسعد مكاوى ومحمود توفيق ورافت الخياط فى ففص لجنة القراءة بلامسئولية تقريبا

وتولى عبد المنعم الصاوى رئاسة هيئة المسرح بعد أن كانت العلاقات قد توترت بينه وبين ثروت عكاشة ، بعد عمل مشترك امتد طوال سنوات الثورة تقريبا سواء فى مجال الصحافة او الثقافة ، وأحيل الدكتور على الراعى الى المعاش رغم عدم وصوله الى الخمسين

وأقيل سعد كامل من منصبه كمدير للثقافة الجماهيرية وهى الادارة التي أنشأها بجهده وعرقه وتعاون المثقفين معه ، وامتدت أجهزتها ومراكزها الى معظم المحافظات فحدثت فيها نهضة ملحوظة .. لم تقابل من بعض المحافظين بالتأييد ، وبأدروا بالقاء تهمة الشيوعية على عدد من الشباب الذين تولوا ادارة هذه المراكز باخلاص شديد ، واستجابت وزارة الداخلية لهذا الاتجاه أيضا .

وحوصر حسن فؤاد فى ادارة الافلام التسجيلية حتى لم يجد سبيلا الا الفرار والعودة للصحافة

أما محمود أمين العالم فكان قد انتقل من المسرح الى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم .

وحلت السيدة اعتدال ممتاز محل المستشار مصطفى درويش أكثر المثقفين خبرة بفن السينما

ويلاحظ ان معظم الشخصيات التي أبعدها ثروت عكاشة تتميز باحترام المثقفين ، والفكر المتفتح المتقدم .. وأن العناصر البديلة لم تكن من ناحية الثقافة فى المستوى الذى يؤهلها لاجداث (ثورة ثقافية) كان المجتمع فى أشد الحاجة اليها خلال هذه المرحلة الحاسمة .

ولقد بدأت نضارة الثقافة تذبل ، وتدفع البيروقراطية العناصر
المبشرة والمتفتحة للهجرة من مواقعها .. وفقدت وزارة الثقافة دورها الذي
خلقت من أجله .

عبرت هذه (الردة الثقافية) عن نفسها في رفض كثير من الافلام
والمرحيات التي حاولت نقد الاوضاع من موقع الحرص على الثورة ..
ومنعت مسرحيات ليوسف ادريس وسعد الدين وهبه وعبد الرحمن الشرقاوي .
.. وخلت خشبة المسرح من فرسانها .

وبدا الانحدار في هيئة السينما واستمر ذلك حتى وصلت الى القاع
وهكذا كان التغيير في وزارة الثقافة رجوعا الى الوراء . وانحرافا الى
الترفيه والثقافة . وتغليباً للعناصر الرجعية والمحافظة ، واطفاء لنور كان
مفروضاً أن يضيء ظلام الهزيمة .
ويرتبط هذا الموقف في الثقافة بموقف آخر في الاعلام والصحافة .

ثالثا : الاعلام والصحافة

لم يكن اهتمام جمال عبد الناصر بتعيين التقديمين في مواقع المسئولية
الصحفية نابعا من فراغ .. فانه كان يدرك ان الصحافة هي المشعل الذي
ينير الطريق والموجة الذي يحدث التغيير الحقيقي في عقول الجماهير ،
والقاموس الذي يفسر اتجاهات الثورة . وان المثقفين الاشتراكيين هم أقدر
الناس على التعبير في اخلاص عن رؤية الجماهير لحركة المجتمع .

ويمكن القول بأن تغييرات الصحافة كانت بمثابة (الترمومتر) الذي
يظهر حقيقة اتجاهات الثورة ، وهي بذلك كانت أكثر تقدمية لسببين :

أولا - انها كانت مثل المدفعية الثقيلة التي تمهد للهجوم ، وثانيا ..
انها كانت مرتبطة بالاتحاد الاشتراكي وهو أكثر أجهزة الدولة تقدما
ويسارية .

والعودة الى احسان عبد القدوس رئيسا لمؤسسة اخبار اليوم بدلا من
محمود أمين العالم ، وكامل زهيرى بدلا من أحمد بهاء الدين في ادارة
روز اليوسف - رغم مطالبة بهاء المتكررة بترك روز اليوسف والتفرغ لدار
الهلل .. كان دليلا على أن اندفاع الصحافة الى اليسار قد وصل غايته
وأن موجة المد قد آلت الى انحسار .

هكذا كانت المعركة في الخطوط الخلفية تتضمن صراعا بين اليمين
واليسار .

ولكن وجود جمال عبد الناصر في قمة القيادة كان يعطي ضمانا نسبيا
بأن كفة اليمين لن ترجع .. وأن هذه الاجراءات كانت بمثابة انتزاع بعض
الثقل من كفة اليسار حتى تتعادل مع كفة اليمين .

وهو دليل على أن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يدخل معركة اليمين
واليسار منحاذا بكل طاقته وزعامته وتأثيره الى جانب اليسار الحقيقي ،

خشية ان يخرج الامور من يديه ومن طبقته . لنصل الى أيدي العمال والفلاحين .

ودليل ذلك انه عندما زادت الغارات الاسرائيلية على الداخل . وناقش الامر مع قادة الاتحاد السوفييتي في ربارنه السريه في يناير ١٩٧٠ لم يفكر في نقل المعركة الى يد الشعب في حرب تحرير شعبية . وانما عدد بان يسلم السلطة الى من يستطيع ان ينقاهم مع أمريكا كما اوضحت تفصيلا في الفصل السابق (المعركة في الخطوط الامامية) وهو يدرك أن أمريكا لن تجلب سلافا في مصالحة الشعب . وانها في نفس الوقت عاجزة وحدها عن فرض حل ترضاه الجماهير .

كانت هذه المعركة بين اليمين واليسار هي أبرز المعارك مضمونا في المجتمع المصري . . ولكنها كانت تدور في صمت . تعلو عليه أصوات (صراع المالين) في فلك السلطة .

ولم يكن احد يستطيع ان يتنبأ بما يمكن ان يفرضه موقفنا . ائيل على المنطقة من اتجاهات سياسية فيما لو رفضت الانسحاب عدت المعركة كما كان يحدث فعلا .

ولكن كانت هناك الى جانب مفارك الخطوط الامامية والخلفية محاولات جادة للسلام .

الباب الخامس

السلام ... من فوهة البندقية

الفصل الاول

الحرب والسلام

● (الى المطبخ يا جولدا ٠٠ الى القاهرة
يا جولدمان)

هتافات المتظاهرين في اسرائيل
ابريل ١٩٧٠

(ان مسألة جولدمان احدثت خلافات حادة
في الراى داخل الكنيست وفي داخل الاحزاب
نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف
الوزارى داخل الحكومة)

وكالة الانباء الفرنسية
١٨ ابريل ١٩٧٠

لم يكن القتال وعودة المعركة هدفا في ذاته ، ولكنه كان عند جمال
عبد الناصر وسيلة للوصول الى السلام العادل في المنطقة ٠٠ فقد كان مقتنعا
بان ماخذ بالقوة لايد وأن يسترد بالقوة ٠٠ ولذا ركز جهده وطاقته كما
أوضحنا في اعادة بناء القوات المسلحة ، والدخول بها في معارك متصلة
وصولا الى مركز قوة يتيح له فرض السلام ٠

لم يكن هناك من سبيل للوصول الى السلام في مواجهة عدو منتصر
تغمره الغطرسة والكبرياء ٠٠ الا القتال ٠٠ ولذا لم يتردد جمال عبدالناصر
لحظة في تصعيد المعركة تبعا للخطة ٠٠ ولكنه لم يتردد أيضا في البحث عن
وسائل ايجابية لتحقيق السلام ٠

أثبتت عودة المعركة أن الحرب لم تعد (حرب الايام الستة) ولكنها
أصبحت حرب شهور وأعوام مستمرة ٠٠ يتراشق الطرفان فيها بقنابل
المدفعية والطائرات ، ويتبادلان الهجوم الخاطف بالدوريات والعمليات
الفدائية ٠٠ وتتربص القيادة المصرية اللحظة المناسبة للانقضاض على العدو
وتحرير الارض ٠

دماء الشهداء لم تتوقف عن رى الارض في سيناء ومنطقة القتال ٠
والبحر الاحمر ٠٠ وفي داخل مصر أيضا قبل وصول قوات الدفاع الجوى

السوفييتية في ابريل ١٩٧٠ . لم يكن يمضى يوم دون قتال يسقط فيه الضحايا من ابناء القوات المسلحة . ومن المدنيين الذين اسهموا في اعداد الدفاعات والذين بلغ عدد شهدائهم حوالى ٤٠٠٠ شهيد . ومع ذلك لم يكن الموقف السياسى العربى مريحا تماما لجمال عبد الناصر .

كانت ثورة ١٧ يوليو ٦٨ فى العراق تأخذ موقفا متشددا ، وكانت المظاهرات كثيرا ما تجتاح بغداد مطالبة بالقتال ورفض محاولات التسوية السياسية . وقد سرب جمال عبد الناصر الى الصحافة خطابا أرسله الى أحمد حسن البكر يقول فيه ان توحيد الجهد فى قتال الاسرائيليين أفضل من اطلاق المظاهرات فى الشوارع .

وكانت سوريا التى رفضت قرار مجلس الامن ، ورفضت حضور مؤتمر الخرطوم تأخذ نفس النهج تقريبا . الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى مواجهة نور الدين الاتاسى بذلك عند مقابلته له فى ليبيا أثناء حضور الزعماء العرب لحفل جلاء الامريكيين عن قاعدة (هويلس أو عقبة بن نافع) ومصارحته بأنه يشعر أن موقف الحكم فى سوريا يشكل نوعا من نكران الفضل والجميل . وذلك حسب ما جاء فى كتاب ناتج (ناصر) . كما ان الجزائر واصلت سياستها المبدئية الراضية أصلا لوقف اطلاق النار .

ولكن جمال عبد الناصر وجد انه يمكن ان يحضر مؤتمرا للقمّة بعد نجاح الحركة العسكرية فى السودان وليبيا ، وبعد نجاح الحركة العسكرية التى قادها محمد سياد برى فى الصومال وأيدها جمال عبد الناصر فى ١٩ أكتوبر ١٩٦٩ ، وبعد جلاء القوات البريطانية عن اليمن الجنوبية . وبعد زيادة توثق العلاقات بينه وبين المقاومة الفلسطينية عقب تدخله فى الازمة اللبنانية فور شغائه من الازمة القلبية التى تعرض لها ، الامر الذى انتهى الى عقد ما عرف باسم (اتفاقية القاهرة) فى ٢ نوفمبر ١٩٦٩ والتى وقعها ياسر عرفات ورئيس أركان حرب الجيش اللبنانى .

ذهب عبد الناصر الى الرباط بعد أن اسقطت قوات الدفاع الجوى المصرية أول طائرة فانتوم اسرائيلية يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ من الطائرات التى سلمت لاسرائيل فى سبتمبر من نفس العام . ذهب وفى قبضة مصر أيضا عدد من الاسرى الاسرائيليين .

ولذا وقف جمال عبد الناصر فى مؤتمر الرباط موقفا حازما من الذين كانوا يعارضون التسوية السلمية بينما قواتهم المسلحة لا تشترك فى القتال .

سألهم - حسب ماورد فى كتاب انطونى ناتنج (ناصر) - عما اذا كانت عندهم خطط محددة للحرب ضد اسرائيل . وعما اذا كانت معارضتهم لقرارات الامم المتحدة بصورة مطلقة سوف تؤدى الى استراتيجية بديلة تخرج اسرائيل من الارض المحتلة . وتسأل ايضا . .

هل ستقوم الجزائر مثلا بدعم قدرة الضربة الجوية الرئيسية ؟

وكم عدد القوات التي ستشارك بها سوريا والعراق في المعركة ؟
وهل سيهاجمون من سوريا فقط ، ام ان هناك خططا للهجوم من الارض
الاردنية ؟

ما هو الدور الذي رسم لتؤديه مصر ؟
ومن الذي سيدفع المال . . . ومن اين سيحصلون على الاسلحة لشن
الحرب ضد العدو ؟

كل هذه الاسئلة وغيرها أثارها جمال عبد الناصر طالبا عنها اجابة
وافية قبل مطالبته بالابتعاد عن طريق البحث في عقد تسوية سلمية .
يبدو ان جمال عبد الناصر كان يريد ان تزداد استراتيجيه مصر
وضوحا . . . وهي الجمع بين القتال في اشد صورة ، والبحث عن السلام في
شقي طريقه . . . واشعار الجميع بانه ما لم يتوافر للعرب خطط بديلة ، قادرون
على تنفيذها لتحرير الارض ، فان الامر يدخل عندئذ في باب المزايدة وعدم
تقدير الامر الواقع ، وتجاهل كل فرص الوصول الى تسوية .

قال لي الفريق اول محمد فوزي الذي كان قد قرأ تقريراً امام قادة
دول المواجهة في بداية سبتمبر ١٩٦٩ يؤكد فيه الثقة في قدرة مصر على
الحرب التحريرية خلال ١٨ شهراً ان جمال عبد الناصر لم يشأ أن يفصح
عن اسرار خطته القتالية حرصاً على السرية الضرورية .

ومن الجانب الآخر كانت تساور بعض القادة العرب الثورين شكوك
حول أسلوب النظام المصري في مواجهه الهزيمة .

كانت بعض الاحداث المثيرة تخلق شعوراً بالشك في قدرة القوات
المصرية المسلحة . . . مثل حادث الزعفرانة وشدوان وضرب قناطر نجع حمادى
وغیرها . . . كما ان عدم المعرفة الكاملة بتطورات الخطة المصرية كان يخلق
بوعاً من الغموض في العلاقات .

واذا كان جمال عبد الناصر لم يشأ ان يفصح عن اسرار خطته القتالية
فانه لم يشأ ان يفصح أيضاً عن اسرار خطته السلمية .

كان مؤمناً بالسرية في حركته سواء في الحرب أو السلام . . . تماماً
كما اعتمد على السرية المطلقة في اعداد حركة يوليو ١٩٥٢ العسكرية ، وفي
تأميم القناة ١٩٥٦ ، وفي اعلان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية .

غادر جمال عبد الناصر مؤتمر الرباط تلاحقه بعض الشكوك وعلامات
الاستفهام .

قال الفريق صالح مهدى عماش انه غادر بغداد بالطائرة الى القاهرة ،
ودخل الاجواء المصرية دون تبليغ ، وأن أحداً لم يعترضه في الجو ، ولم تطلق
على طائرته طلقة اذار الى أن اقترب من القاهرة وأبلغ عن وصول طائرته .
وقد زرع ذلك في نفسه شكوكاً عميقة في قدرة الدفاع الجوى المصرى ، وفي
اتجاه جمال عبد الناصر للتسوية السياسية .

ذهب جمال عبد الناصر الى طرابلس حيث اجتمع مع القذافي ونميرى
وهناك تم التوقيع على ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) والذي يضمن لمصر
عمقاً استراتيجياً في الغرب والجنوب .

قال لي الفريق اول محمد فوزي ان طائرات T. U. 16 البعيدة المدى

كانت في الجزائر وفي قاعدة العضم بليبيا ، وأن ميناء طبرق فتح أبوابه للبحرية المصرية . . كما انها تواجدت أيضا في مطار وادي سيدنا شمال الخرطوم وهو مطار يخرج عن آخر مدى للفانتوم .

ويقول أيضا ان طائرات أخرى حديثة - ميغ ٢٥ - كان لها دور في الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، ولكنها كانت تقبع في الاتحاد السوفيتي ، على أن تكون في الاجواء المصرية بعد ٦ ساعات فقط من اشارة استدعائها للمعركة .

كان جمال عبد الناصر مهتما بتحسين العلاقات مع السودان وليبيا ، تأميننا لحركتهما العسكرية ، وضمانا لأمته الاستراتيجية . . ولذا زار السودان أيضا بعد أيام في أول يناير ١٩٧٠ للاحتفال معهم بعيد الاستقلال . كان جمال عبد الناصر يبحث عن السلام . . من قوهة البندقية . ولذا لا يمكن اصفاء شبهة الضعف أو التهاون على محاولات جمال عبد الناصر السلمية ، للوصول الى تسوية سياسية . . بل انها يمكن ان تعتبر رصيذا لصقل شخصيته كرجل دولة مسئول .

اتصالات . . من اجل السلام

لا يمكن القول بأن هناك اتصالا واحدا من أجل التسوية السياسية والسلام . .

كانت هناك اتصالات كثيرة تغلفها السرية . . بدأت مع الهزيمة . . وما قاله صلاح نصر من وجود اتصال مع جونسون في محاوله لعقد مقابلة بين السفير الامريكى في روما ومستول مصرى مفوض (أحمد حسن الفقى وكيل وزارة الخارجية) خلال شهر يوليو ١٩٦٧ ، هو امر يثبت - ولو انه لم يتم - ان جمال عبد الناصر كان يحاول سلوك كل سبيل ممكن للتعرف على امكانيات السلام .

ويؤكد ذلك أيضا مانشره النائب علوى حافظ من اتصالات قام بها مع الامريكيين خلال شخصية هندية الاصل كانت تعمل لحساب المخابرات المركزية الامريكية . . وهى اتصالات لا يمكن أن تتم الا بمعرفة جمال عبد الناصر شخصيا . . ورغم انها لم تنته الى شىء لصالح مصر الا انها أثبتت اليقين في أن أمريكا ليست مخلصه في حقيق سلام عادل ، ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الصلات في كتاب نشره علوى حافظ حول هذا الموضوع .

وقد نشطت اتصالات الامريكيين في الاتصال بمصر بعد الهزيمة محاولة من حكومتها في تجسيد فكرة ان الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة القادرة على فرض السلام عن طريق الضغط على اسرائيل .

ولم تقتصر محاولات الاتصال على صلاح نصر أو علوى حافظ وانما وصل الى القاهرة أيضا المالى الامريكى المعروف اندرسون بوصفه ممثلا شخصيا للرئيس الامريكى جونسون ، وعقد مقابلة مع جمال عبد الناصر

صدر بعدها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .
كما انها لم تقتصر على المصريين فقط .

حاول بعض الزعماء من أصدقاء مصر وعبد الناصر ان يسهموا بدور في اقرار السلام بالمنطقة . . أرسل شاوشيسكو سكرتير الحزب الشيوعي الروماني نائب وزير الخارجية جورجيو ماكونسكو للاتصال بعبد الناصر في يونيو ١٩٦٨ ، بعد ان أمضى جدعون رافائيل أحد كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الاسرائيلية فترة في بوخارست لمحاولة اقامة اتصالات مع القاهرة سواء سرية او علنية . . وكانت رومانيا هي الدولة الاشتراكية الوحيدة التي احتفظت بالعلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

ولم يرفض جمال عبد الناصر العرض وانما طلب من المسئول الروماني ان يعود اليه ومعه خريطة يوضح عليها الحدود التي تبغى اسرائيل ان يقوم السلام عليها .

وسافر المسئول الروماني ولم يعد . . فلم يكن هناك رد من الحكومة الاسرائيلية .

وكذلك فعل عبد الناصر مع هيلاسلاسي عندما حاول التدخل في القضية خلال يونيو ١٩٦٩ قبيل زيارة أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل لاديس ابابا وقد طلب من الامبراطور ان يناقش الامر مع ايبان ويحصل منه على خريطة بالحدود التي تتصورها اسرائيل . . ولم يصل الجواب أيضا .

وأبلغ الملك حسين جمال عبد الناصر انه تلقى رساله من ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل عن طريق يارنج وسيط الامم المتحدة ولكنه رفضها . وقال الملك انه يعتقد ان يارنج واقع تحت ضغط اسرائيلي يوجهه نحو تواجد مندوبين سريين للدول العربية لمقابلة مندوب اسرائيل في حضور يارنج . كانت اسرائيل تصرح علنا بأنه لا بد من مفاوضات مباشرة بين الطرفين . وكانت تمهد لذلك بفكرة الاجتماعات السرية . . التي رفضها العرب جميعا باعتبار ان مبدأ المفاوضة يعنى قبول الهزيمة امرا واقعا يدعن له العرب بالجلوس مع المنتصرين على مائدة واحدة .

كان هذا المبدأ الذي اتفق عليه في الخرطوم مازال ساريا ومؤكدا ، والشائعات التي لاحقت الملك حسين من انه قد عقد اجتماعات سرية في هذه الفترة مع بعض المسؤولين الاسرائيليين لم تثبت صحتها . . وكان الملك يقوم بدور الوسيط ليس بين الدول العربية واسرائيل ، وانما بين القاهرة والرياض حيث بقيت العلاقات باردة بعد مؤتمر الخرطوم الى ان زار الملك فيصل القاهرة أثناء ذهابه الى مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) . . وكان الملك قد أخذ موافقة مؤتمر القمة بالخرطوم على ان يبذل كل جهده وصلاته مع الغرب لمحاولة تحرير الضفة الغربية دون حرج .

ولكن صلات الملك حسين مع الغرب لم تثمر .
ومحاولات الامريكيين مع القاهرة لم تقدم شيئا نافعا يغير من طبيعة دورها .

ووساطات اسرائيل لعقد اجتماعات سرية مع مندوبى الدول العربية كانت تعضى في طريق مسدود .

اتصالات شعبية .. من اجل السلام

لم تتوقف اتصالات السلام عند الحدود الرسمية الحكومية ، وانما انطلقت الى مجال جديد ، هو مجال الاتصالات الشعبية داخل اسرائيل .
والتي كان الهدف منها هو تشكيل قوة مضاعفة ضد الحكومة الاسرائيلية التي كانت ترفض الانسحاب من الارض المحتلة ثمنا لاسرائيل .
وقد شاعت الظروف ان اكون طرفا في هذه الاتصالات مفوضا من جمال عبد الناصر .

بدأ ذلك عقب زيارة الى فرنسا في مايو ١٩٦٩ التقيت فيها بعدد من اليهود المصريين الذين اخرجوا من مصر بتهمة الشيوعية ، وفي مقدمتهم هنري كورييل .

كان التحليل السائد حتى هذه اللحظة ان سكان اسرائيل يشكلون مجموعة متماسكة موحدة غير قابلة للانقسام فيما يختص باهدافها او اغراضها .. وهو تحليل خاطئ لانه ينكر وجود تناقضات رئيسية وفرعية داخل المجتمع الاسرائيلي .

كان الموقف العربي الذي دام سنوات طويلة يعتبر (سلبيا) لانه ينكر وجود اسرائيل وحقوق سكانها ، بل ورفض أى صلة مع أى شخص ينتمى الى هذه الدولة حتى اذا كان معارضا معروفا لسياسة الحكومة الاسرائيلية ومناصرا للمواقف العربية .

وفي كافة المؤتمرات الدولية ، كان (حضور) المندوب الاسرائيلي يفرض (انسحاب) المندوب العربي أو مطالبة باخراج مندوب اسرائيل .
وكان هذا الموقف يتجاهل تماما التناقضات التي تميز المجتمع الاسرائيلي وتقوم بين اليهود الشرقيين (سفرديم) واليهود الغربيين (اشكنازي)، والتي تقوم أيضا بين العرب واليهود حاملي الجنسية الاسرائيلية ، وبين الاحزاب المدنية - الماباي والمابام - والاحزاب الدينية ، وبين جبهة انصار السلام التي تزداد اتساعا وتطالب بالانسحاب ثمنا للسلام .. وبين الحكومة التي تتهج سياسة توسعية معادية للسلام .. وأخيرا بين الاحزاب التقدمية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي (رآكاح) الذي يتبنى سياسة مؤيدة للحق العربي ، وبين الاحزاب الاخرى التي تتبنى سياسة صهيونية مغامرة ورجعية .

هذه التناقضات - رئيسية او فرعية - لم تكن موضع اهتمام السياسة العربية ، ولم تأخذ حيزا مناسباً في مجال الدعاية العربية .. ولذا فانه بعد مناقشات طويلة في فرنسا تبين ان يمكن للسياسة التي تستهدف السلام ان تلعب دورا مؤثرا داخل اسرائيل لاجتذاب العناصر الديموقراطية والسلامية داخلها ، وانه يمكن لهذه العناصر بالتالي ان تلعب دورا مؤثرا في الحياة السياسية والاعلامية الاسرائيلية لتغيير العقيدة التي رسختها القوى الصهيونية بأن العرب يطلبون تدمير اسرائيل وهدم كيائها ووجودها .

وعندما عدت الى القاهرة خاطبت جمال عبد الناصر بهذا الرأي ، وأوضحته له انه يمكن خلال الاتصال بالعناصر المصرية الاصل في باريس ان تلعب دورا ايجابيا مناصرا للسلام العادل ، داخل اسرائيل .

لم يتردد جمال عبد الناصر في الموافقة على بدء هذه الاتصالات متابعاً سياسة (السلام من فوهة البندقية) فقد اقترنت هذه المرحلة بحرب

الاستنزاف التي قال لي بعض من اتصلت بهم أنها كانت تعنى كارثة للامهات اللاتي يذهب اولادهن لجبهة سيناء .

والتقيت خلال الزملاء المصريين مع أمنون كابليوك - الكاتب الصحفي المعروف عضو حزب المابام ومراسل الموند في اسرائيل - وناتان يالين مور مؤسس جماعة (شتيرن) التي اغتال أعضاؤها اللورد موين عام ١٩٤٦ في القاهرة ثم تحول مع الوقت ليصبح معاديا للارهاب ونصيرا للسلام ، والكاتب والاديب الاسرائيلي المشهور عاموس كينان ، وشالوم كوهين نائب الكنيست عن جماعة (القوات الجديدة) التي كان يرأسها (يوري افيرى) عضو الكنيست أيضا ، ورئيس تحرير صحيفة (هاعولام هوزيه) ومؤلف كتاب (اسرائيل بلا صهيونية) . هذا الى جانب عناصر قيادية من حزب راكاح .

كانت هذه الاجتماعات تأخذ طابع البحث الجاد في طريق الوصول الى السلام العادل . . . وكانت فرصة مفيدة لتوضيح استراتيجيات جمال عبد الناصر التي أصبحت محل اقتناعهم تماما بأهدافها السلامية التي تقوم على أساس قرار مجلس الامن الذي يعترف في مضمونه بوجود اسرائيل . تكررت هذه الاجتماعات وتعددت حتى كسرت تماما حاجز الشك من ناحية السياسة المصرية في نفوس العناصر التقدمية اليهودية داخل اسرائيل . وبدأ تحول واضح في أسلوب الكتابة . . بل وفي أسلوب تجمع العناصر الديمقراطية داخل اسرائيل .

وأصبح لسياسة مصر أنصار داخل اسرائيل . ولكن هذا لايعنى ان السلام قد أصبح في متناول اليد . . ولكنه تحول من سراب الى هدف يزداد الاقتراب منه يوما بعد يوم . وقد دشن جمال عبد الناصر هذه الاتصالات ، ومنحها دفعة سياسية قوية - وهي التي ظلت مغلفة بالسرية الضرورية - بحديثه لأول مرة في عيد العمال أول مايو ١٩٧٠ بشبرا الخيمة عندما ذكر دور العناصر أنصار السلام داخل اسرائيل .

كانت هذه هي أول مرة في تاريخ السياسة العربية بعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، يتحدث فيها زعيم عربي . . بل أعظم زعماء المرحلة . . عن العناصر المعارضة لسياسة الحكومة الصهيونية التوسعية ويشيد بدورها . ويثبت بذلك ان النظرة العربية السابقة الى اسرائيل ككيان موحد متماسك قد تغيرت .

وقد وصلت هذه الاتصالات الى الحد الذي دفع ناتان يالين مور الى نشر حديث مع كاتب هذه السطور يوم ٣ مايو ١٩٧١ في صحيفة (هاآرتس) اليومية ، ومجلة (اكتواليته) الفرنسية ، وقد أعادت نشره جريدة الاتحاد العربية التي تصدر عن حزب (راكاح) في حيفا ، أتاح لي فيه فرصة تفسير الموقف المصري للمواطنين العرب واليهود داخل اسرائيل ، وإدانة موقف حكام اسرائيل . . وكان هذا أول حديث مع مصري ينشر في الصحف الاسرائيلية .

كان جمال عبد الناصر يتابع خطوات الاتصال، ويدخلها في حساباته

السياسية ، تماما مثل لاعب الشطرنج الذى يحسن استخدام كل القطع ، مستخدما المبدأ العسكرى (استغلال النجاح) .

قضية جولدمان

وتصادف أن انتقل موضوع هذه المقابلات الى مجال جديد لم أخطط له ، وإنما جاء مصادفه وبمبادرة حاصه .

أبلغنى الزميل الكاتب الصحفى ايريك رولو مسئول قسم الشرق الاوسط بصحيفه (لوموند) الفرنسيه ان ناحوم جولدمان يتبنى افدارا تتعارض مع سياسته الحكومه الاسرائيليه ، وتلتقى مع افكار جمال عبد الناصر السلاميه . . . وانه قد تلقى دعوة لزيارة مصر عن طريق الماريشال تيتو ، وانه عندما علم بوجودى فى باريس ، وبالدور الذى اقوم به ، طلب مقابلتى .

ولم يكن فى ذهنى أن ألتقى مع مثل هذه الشخصية الصهيونية الكبيرة التى ترأس (المجلس اليهودى العالمى) ، ولكنى عندما علمت أن هناك دعوة موجهة له لزيارة مصر لم أتردد فى مقابله . . . واجتمعنا فى منزل ايريك رويدو المطل على (البانثيون) مقبرة العظماء فى باريس .

وجولدمان شخصية عالمية معروفة له صداقات مع عدد كبير من زعماء العالم ، تجاوز السبعين ولكنه يمتلك صحة جيدة وحديثا فيه مرح الشباب وقدرا وفيرا من المعلومات .

كتب هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) يقول ان ناحوم جولدمان حاول الاتصال بعبد الناصر عن طريق تيتو ، ولكنه بعد تبادل خطابين بين جولدمان والماريشال بدا واضحا أن الامر لا يؤدى الى شيء ما . ولكن جولدمان كان قد بدأ يدرك الاخطار التى تترص لها اسرائيل نتيجة عناد سياسته حكومة جولدا مائير .

قال لى انه أثناء محادثة تليفونية مع بنحاس سابير وزير الخزانه الاسرائيلى يسأله فيها عن زوجته المريضة بالسرطان قال له سابير : ان حالة زوجته ميئوس منها تماما مثل حالة الدولة الاسرائيلية .

وأوضح لى أن عنده اقتراحات لتحريك القضية ودفعها نحو السلام ، بدلا من انفجار حربى قد يعرض الطرفين لخطر شديدة ، ويزيد المـرارة بينهما . . . وانه يوجد داخل الدوائر الحاكمة الاسرائيلية عناصر تؤيد موقفه وتسانده . . . وطلب منى ان أحمل هذه الرسالة الى عبد الناصر حتى يقرب ذلك من موعد زيارته المحتملة .

واعتقدت ان الدعوة تمضى فى طريقها خلال وساطة تيتو . . . وأن دورى لن يتعدى شرح وجهة نظره الى جمال عبد الناصر .

وكانت هذه المقابلة ليلة سفره الى تل أبيب . . . ويبدو انها شجعتة على مصارحة جولدا مائير بأن عنده دعوة لمقابلة جمال عبد الناصر .

ثارت جولدا مائير ، ورُفضت ان تصرح له بقبول الدعوة . . . وقامت بين الاثنين - وهما من الرعيل الاول للصهاينة - مشادة انتهت الى حد التهديد

بالتنازل عن جواز سفره الاسرائيلى وهو يحمل أربعة جوازات سفر (أمريكى وبريطانى وسويسرى واسرائيلى) .

وعندما وصل الامر الى أجهزة الاعلام تفجرت التناقضات داخل اسرائيل فجأة ، ونشرت الصحف ان جولدمان قد صرح بأنه قد التقى بمندوب مصرى فى باريس حمل له دعوة من جمال عبد الناصر . . . وكان ذلك يوم عودتى من باريس الى القاهرة ، وقد فوجئت بذلك عندما طالعت الصحف الفرنسية . وتخيلت التأثير المفاجئ لذلك على نفسية جمال عبد الناصر .

ولذا أسرع فور عودتى بكتابة خطاب الى عبد الناصر شرحت له فيه ظروف المقابلة وما دار فيها . . . وتلقيت فى المساء مكالمة تليفونية من صديق فى مركز السلطة يتساءل فى دهشة عن الاسباب التى دفعتنى لمثل هذا اللقاء . وما قد يجلبه ذلك على من متاعب .

تصادف أن كان صديقى الشهيد عبد الخالق محجوب موجودا فى القاهرة بعد ابعاد جعفر نميرى له هو وصديق المهدي . فاستمحت لنفسى أن اكسر حصار السرية التى تفرضها مثل هذه المقابلات على الانسان ، وصارحته بما حدث ، وبمكالمة الصديق وما يتوقعه من متاعب . . . ولكن عبد الخالق كانت له وجهة نظر مختلفة ، وهى انه طالما ان جولدمان ينهج سياسة سلامية معادية للحكومة الاسرائيلية فان جمال عبد الناصر لن يقيم سدا فى هذا الطريق ، ولن يمنع أحدا من السير فيه .

وكانت خلافات جولدا مائير وناحوم جولدمان قد أثارت عاصفة حقيقية داخل اسرائيل وعبرت عنها صحيفة (الاهرام) بما نشرته صباح ١٨ ابريل ١٩٧٠ عندما قالت :

فجرت (حكاية جولدمان) والدعوة المزعومة التى قيل انه تلقاها لزيارة القاهرة خلافات عميقة داخل المجتمع الاسرائيلى وكشفت عن القشرة الدقيقة التى تغطى التمزق داخل الائتلاف فى حزب العمال وفى الحكومة وفى الحركة الصهيونية عموما .

وقالت عن وكالة الانباء الفرنسية (ان مسألة جولدمان أحدثت خلافات حادة فى رأى داخل الكنيست وفى داخل الأحزاب نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف الوزارى داخل الحكومة ومن أبرز مظاهر هذا الخلاف :

١ - ان مجموعات من (العسكريين) والطلبة تظاهروا أمس أمام مبنى الوزارة وهم يحملون لافتات تؤيد جولدمان وتعارض مائير قائلة (الى المطبخ يا جولدا . . الى القاهرة يا جولدمان) .

٢ - الصحف تنقد الحكومة لانها أساءت معالجة الازمة .

٣ - طالب بعض النواب بمناقشة الموضوع فى البرلمان .

٤ - جولدا دعت اللجنة المركزية لحزب العمل .

وذكرت يونيتدبريس (ان جلسة الكنيست كانت عاصفة وتبدلت فيها الاتهامات الى حد السباب ، وبأدبرت الحكومة الى اغلاق الباب على القضية) .

وكانت الحكومة قد هاجمت جولدمان لانه (أثار دراما كبيرة حول موضوع لأساس له) .

كما ان أبا اييان وزير الخارجية قال (انها فقاعة صابون كبيرة) .
وأخيرا صرح جولدمان بأنه (لم يتلق دعوة وان كانت هناك اقتراحات
بذلك) .

واكتملت القضية أو كادت عندما وصلت الى القاهرة برقية لوكالة
الانباء الفرنسية تقول :

صحيفة اسرائيلية تتحدث عن مسألة الوسيط المصرى .
تل أبيب فى ٨ ابريل . . قالت صحيفة هاآرتس الاسرائيلية المستقلة
ان الوسيط المصرى الذى قال الدكتور ناحوم جولدمان انه قابله فى باريس
هو أحمد حمروش رئيس التحرير الحالى لمجلة روزاليوسف المصرية الاسبوعية
الهامة .

وأضافت الصحيفة تقول ان أحمد حمروش يعتبر من الايديولوجيين
المقربين من موسكو وأنه قام عدة مرات بزيارة الاتحاد السوفيتى .

وقالت صحيفة ها رتس انه على الرغم من أن أحمد حمروش ليس مقربا
من الرئيس عبد الناصر مثل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير (الاهرام)
فان الرئيس المصرى لم يكن ليعهد اليه برئاسة تحرير مثل هذه المجلة
الاسبوعية لو لم يكن يقدره تقديرا كبيرا) .

وبقيت أنتظر ردود الفعل فى القاهرة . . وأحدث نفسى عما يمكن أن
يقوم به عبد الناصر فى معالجة الموضوع . . الى أن تلقيت مكالمة تليفونية من
الزميل أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يدعونى فيها الى
مكتبه برئاسة مجلس الوزراء . . وما أن دخلت حتى قدم لى الخطاب الذى
رفعته الى جمال عبد الناصر وعليه هذه التأشيرة (حمروش . . لمواصلة
الاتصال بجولدمان ومحاولة أن يكون صديقا له) .

وهذأت أنفاسى ، وأدركت ان جمال عبد الناصر يتصرف بأسلوب رجل
الدولة المسئول ، وأن ظروف مابعد الهزيمة قد صقلت تجربته وخبرته ،
وأنه فى حرصه على السلام العادل يسلك السبيل السليم .

وطلب منى أمين هويدى ان أستعد للسفر الى باريس لمقابلة جولدمان
بناء على تعليمات عبد الناصر فقد كان مفروضا ان يعود من تل أبيب اليها
فى اليوم التالى .

وهكذا بدأت قضية جولدمان . . وتعددت مقابلاتى معه فى منزله
بباريس أو فى منزل ايريك لو . . وكان مصدرا من أهم المصادر الزاخرة
بالمعلومات . فكيسنجر - حسب قوله - هو ابن المربية التى كانت تشرف
على بيت أسرة ناحوم جولدمان .

ولم يعلم بهذه الصلة من المصريين غير الذين تتيح لهم مراكزهم فرصة
معرفة مثل هذه الامور سوى الزميل الكاتب الصحفى سعد كامل الذى وافق
جمال عبد الناصر على تعريفه بما يدور . لأهمية الدور الذى يمكن ان يؤديه
حيث كان قد قرر الإقامة فى باريس عدة شهور للدراسة والمراسلة الصحفية
. . وهو صديق أيضا للمجموعة التى بدأت اصلتى معها من اليهود المصريين
فى فرنسا . .

والاتصال بناحوم جولدمان وهو مالى كبير . . مع الاتصال بالتقدميين داخل اسرائيل كان يجمع فى نفس الوقت بين عناصر مختلفة سياسيا ولكنها متفقة فى النظرة الى ضرورة واهمية العمل من اجل السلام . . وهو ما كان يتفق مع اهداف جمال عبد الناصر .

كتب ناحوم جولدمان خلال فترة اتصاله به ثلاث مقالات نشرت فى صحيفة الموند بتاريخ ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مايو ١٩٧٠ بداها بقوله :

(لم اكن اعتقد حتى بعد الانتصار الساحق فى حرب الايام الستة ان هذا النصر يمكن ان يؤدى الى تسوية للصراع العربى الاسرائيلى . وينطبق نفس هذا الاعتقاد على الوسائل التى يلجأ اليها المسئولون عن السياسة الخارجية فى اسرائيل . ومع ذلك فقد امتنعت لمدة سنتين ونصف عن الافصاح عن آرائى غير الملتزمة حتى لا اعقد مهمة الحكومة التى انتسب اليها) . ويستطرد جولدمان فى شرح آرائه الجديدة قائلا :

(كان حايم وايزمان — وهو من اكثر رجال الدولة الصهيونيين تبصرا وبعدا للنظر — يرى ان الصراع العربى اليهودى ليس صراعا بين الحق والظلم ولكن بين حقين) . ويقول ايضا :

(ان سياسة الانتقام التى نشأت بوحي من بن جوريون لم تؤد الا الى زيادة عداوة العرب وتوسيع الهوة التى تفصل بيننا وبينهم) . ويعارض جولدمان مطالبة الحكومة الاسرائيلية بالمفاوضات المباشرة قائلا : (ان هذه الطريقة يجب ان تكون غاية وليست بداية . . لان العرب يرون ان المفاوضات المباشرة فى الوقت الحالى تساوى الاستسلام . . وقد ضعف موقف اسرائيل فى المجال الدولى بسبب سياستها المتشددة غير المرنة) .

كما يدعو الى ضمان الدول الكبرى بعدم انتهاك الحدود التى يتفق عليها ضمانا فعلياملهموسا . وليس ضمانا (افلاطونيا) كما ينادى بعقد اتفاقية دولية تحدد شحنات الاسلحة المرسلة الى دول الشرق الأوسط .

وقد صرح جولدمان فى باريس بتصريح نقلته عنه رويتر يقول فيه :

(انه يعتقد انه من الممكن ان يسعى الزعماء المصريون والاسرائيليون الى التوصل لتسوية سلمية فى الشرق الاوسط عن طريق الاتصالات السرية) .

ثم يدون جولدمان عدة مقترحات تصلح اساسا للمناقشة لانها تتضمن الانسحاب من الارض العربية المحتلة . وتتضمن اقتراحا عن القدس يقول فيه بجعل هذا القطاع منطقة مستقلة ذاتيا يتولى سكانها ادارتها ، ويكون لها وضع دولى .

ثم يطالب جولدمان حكومة اسرائيل بقبول قرار مجلس الأمن — دون غموض — وذلك اذا ارادت الاسراع فى التسوية . . وحكومة اسرائيل لم تكن قد قبلت قرار مجلس الأمن .

واكد ان السرية أمر ضروري ، وأضاف انه يعتقد أن جولدا مائير واقعة تحت ضغط من المثقفين الذين ينتقدونها لعدم بذلها القدر الكافي من الجهد لاجل السلام . . . ولكن مثل هذه التصريحات من جانبها قد تسيء الى الفرص الممكنة لاجراء اتصالات سرية بين الممثلين المصريين والاسرائيليين وأضاف ان المصريين مستعدون للتوقيع على معاهدة سلام رسمية مع اسرائيل ، ولكنهم سيفعلون ذلك فقط في حالة انسحاب الاسرائيليين من صحراء سيناء وتحويل شبه الجزيرة الى منطقة منزوعة السلاح ومن بينها شرم الشيخ وهي نقطة أساسية تحرس المدخل الى مضائق تيران وأضاف ان من بين الترتيبات أن يتم فتح قناة السويس وخليج العقبة للملاحة الدولية وأن تقوم قوة حفظ للسلام تابعة للأمم المتحدة تحت الاشراف المباشر لمجلس الامن لحراسة سيناء . . وأضاف ناحوم جولدمان ان المشكلة الكبرى هي القدس ويمكن التوصل الى حل بالنسبة لايجاد وضع خاص للقدس التي يمكن ان نحتفظ بأغلبيتها (اليهودية)

وقد نمت آراء جولدمان وانتشرت بين عدد كبير من اليهود داخل وخارج اسرائيل . . وقد أبلغني خلال مقابلاتي معه ان عددا من المسؤولين الاسرائيليين يهتمون له برغبتهم في التوصل الى اتفاق ينقذ اسرائيل من ورطتها - على حد تعبيره .

وكان جولدمان يعتبر ان بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل هو اكثر الوزراء تفهما للموقف ورغبة في السلام . . كما ان موسى دايان كان يحاول الاتصال عن طريق جولدمان ، وعندما أثرت مداعبا عصابة عينه السوداء التي تكشف كل محاولة سرية ، قال جولدمان انه قد أبدى استعدادا للبيس نظارات سوداء ، وانه قد سبق له ممارسة ذلك في اتصالات خاصة .

ولكن جمال عبد الناصر لم يتخذ قرارا نهائيا في حضور جولدمان للقااهرة أو في السماح لي بمقابلة المسؤولين في الحكومة الاسرائيلية مكثفيا بتكثيف الضغط على الحكومة خلال كمشة طرفها حرب الاستنزاف المتصاعدة وطرفها الثاني جماهير اسرائيل المتعطشة للسلام مع الشخصيات المفكرة من المثقفين والادباء والعلماء والسياسيين الذين اتسعت جبهتهم حتى شملت اولياف سكرتير حزب مايباي والذي اتصلنا به فاقنع رغم افكاره الصهيونية بأهمية الانسحاب من الارض المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين كوسيلة لاقرار السلام الدائم وهو الموقف الذي انتهى به الى الاستقالة من حزب العمال وتشكيل حزب خاص .

وقد كانت الفرصة متاحة لناحوم جولدمان لعرض آرائه ونشرها في مختلف صحف العالم باعتباره رئيسا للمجلس اليهودي العالمي .

وكان ناحوم جولدمان يفكر تفكيرا بعيدا عن الحكومة الاسرائيلية . . ولو انه ينبع من حرص على بقاء اسرائيل وضمان أمنها في المستقبل .

آراء جولدمان التي ضمنها مقالاته ثم كتابه (رئيس دولة بدون دولة) أثارت ضجة في اسرائيل والحركة الصهيونية ، لأنها أظهرت ان سياسة حكومة اسرائيل تزداد افلاسا وافتقادا للحس التاريخي ، وانها تخلق تناقضا بين اسرائيل ويهود العالم .

ولا اريد ان اتعرض في هذا الكتاب لآراء جولدمان بالنقد أو التحليل
لانه ذلك أمر يطول . . ولكنني أقف فقط عند التناقض الذي اقتنصه جمال
عبد الناصر ولعب عليه . . فليس أمرا سهلا ان يختلف زعماء الحركة
الصهيونية حول مفهوم السلام .

وقد اراد جمال عبد الناصر ان يزيد التناقض حدة فكشف عن صلتى
مع ناحوم جولدمان في خطابه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكي في ٢٣
يوليو ١٩٧٠ مدلا بذلك على رغبة مصر في السلام وعناد حكومة اسرائيل .
ولا نظوى صفحة هذه القضية قبل التأكيد بأن سياسة جمال عبد الناصر
السلامية قد اكسبته تأييدا كبيرا فى رأى العام العالمى . . وفى داخل
اسرائيل .

مبادرة روجرز

وجاءت مبادرة روجرز بعد قضية جولدمان .
حرب الاستنزاف مازالت فى عنفوانها ، وجمال عبد الناصر لاينجرف
لاحلام السلام وحدها . . ولكنه يقبض على بندقيه لها فوهتان ، واحدة
للحرب وأخرى للسلام .

كان جمال عبد الناصر قد اطمأن الى الدفاع الجوى عن داخل مصر منذ
١٨ ابريل ١٩٧٠ عقب وصول أطقم الدفاع السوفيتية وعلان موشى دايان
وقف غارات الاعماق لانه لا يريد مواجهة السوفييت . كما سبق أن أشرت .
ولكن المعركة فوق منطقة القنساء كانت تزداد شدة . . والغارات
الاسرائيلية لا تتوقف معظم ساعات اليوم . والجنود يعانون من الجهد والارهاق
ولو أن الخسائر كانت تقل مع الوقت نظرا لاعتيادهم المعركة ، وكذلك كانت
ترنفع روحهم المعنوية ، عندما يكتشفون ان الغارات التى أعلن جمال
عبد الناصر فى احدى خطبه انها تكلف اسرائيل مليون دولار يوميا قد انتهت
بغير خسائر أو بخسائر محدودة .

وكان التركيز الشديد للغارات الاسرائيلية يؤرق عبد الناصر كثيرا ،
لانه يعطل - الى حد ما - ترتيبات انجاز الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، كما انه كان
يتأثر كثيرا لاخبار الضحايا من الضباط والجنود ، وخاصة الذين شاءت
الظروف له ان يلتقى بهم .

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اعتاد فوق
زياراته المتكررة للجبهة وحضور المناورات والتدريبات . . كان يذهب
للقيادة العامة مرتين كل اسبوع ويتناول طعام العشاء هناك .
وخلال هذه الحرب المركزة المتصاعدة كانت الاعصاب مشدودة واليقظة
فى قممتها والتعاون مع الاصدقاء السوفييت فى أوثق صورته .

قال لى الفريق أول محمد فوزى انه حدث ان تحطم ١٢ ايرال رادار
فى احدى الغارات ، فاتصل بالخبر السوفيتى الذى أرسل رسالة عاجلة
الى موسكو بالشفرة ، ووصل المطلوب خلال ١٢ ساعة فقط .
كما يقول ان ٣٠ خبيرا ومستشارا سوفيتيا قد قتلوا أثناء المعارك ،
وأن أربع طائرات ميج سوفيتية قد سقطت نتيجة توجيه سيىء من غرفة
(الكنترول) فى بنى سويف ، حيث وضعتهم فى موقع الفريسة من طائرات

اسرائيلية مهاجمة . . . ولم يكن العيب فى الطائرات أو الطيارين كما حاول البعض التلميح لذلك .

ورغم أن جمال عبد الناصر كان قد سافر الى موسكو فى رحلته السريه يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ التى توصل فيها الى أخذ الموافقه على ارسال وححدات دفاع حديثه . سوفيتيه الى مصر لأول مرة فى تاريخ العلاقات بين الدول الاشتراقيه ودول منطقه التحرر الوطنى . . . رغم ذلك فانه سافر الى موسكو مرة ثانية يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ على رأس وفد مشكل من على صبرى ومحمود رياض ومحمد حسنين هيكل ومراد غالب .

قال لى الفريق أول محمد فوزى وكتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) انه فى بداية المحادثات قال جمال عبد الناصر لبريجنيف (ان عندى أخبارا سارة فقد اسقط أولادنا أمس ثلاث طائرات اسرائيليه - ٢ فانتوم وطائرة سكاي هوك - ولكن بريجنيف نظر الى جريتشكو الذى اخرج ورقة من جيبه ونظر فيها ثم تحدث بالروسية مع بريجنيف الذى قال (يبدو يارفيق ناصر انك فداخطات فى الحساب فانه بناء على معلوماننا فانكم اسقطتم ٦ طائرات وكان هناك خط ربط تليفونى بين وزارة الدفاع السوفيتيه وقيادة الخبراء السوفيت فى القاهرة .

وبين الزيارة الاولى . . . والزيارة الثانية . . . كانت قد حدثت فى مجال الانصالات الدولية والسياسية أحداث هامة .

تحدث ولیم روجرز وزير الخارجية الامريكية يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ فى أحد المؤتمرات قائلا :

(سياسة الولايات المتحدة الامريكية تهدف الى تشجيع العرب على قبول سلام دائم وفى الوقت نفسه تشجع اسرائيل على قبول الانسحاب من اراض محتلة بعد توفير ضمانات الامن اللازمة ، وان ذلك يتطلب اتخاذ خطوات تحت اشراف جونار يارنج وبنفس الترتيبات التى اتخذت فى رودس عام ١٩٤٨ ، وكمبدأ عام فانه عند بحث موضوعي السلام والامن فانه مطلوب من اسرائيل الانسحاب من الاراضى المصرية بعد اتخاذ ترتيبات للامن فى شرم الشيخ ، وترتيبات خاصة فى قطاع غزة مع وجود مناطق منزوعة السلاح فى سيناء) .

ويلاحظ ان هذا التصريح الذى يعتبر جديدا فى موقف الولايات المتحدة لم يصدر الا بعد اشتداد حرب الاستنزاف . وتأثيرها على القوات الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي ، وهو مايجب ان نحرص على توضيحه دائما ، فقد كانت هذه المرحلة من أبهر مراحل نضال الجنود المصريين . قابلت القاهرة تصريح روجرز بالصمت التام وبغير تعليق يظهر الرفض او القبول .

أما اسرائيل فقد بادرت الى رفض مبادرة روجرز . ويبدو ان حكومة اسرائيل فى صلتها مع الحكومة الامريكية خلال هذه لفترة كانت تركز وتعتمد على هنرى كيسنجر الذى كان مستشار الرئيس لأمريكى للامن القومى فقط . . . وذلك كما أبلغنى ناحوم جولدمان وهو يقول ان كيسنجر كان يستخف بروجرز ويسمى لان يحل محله .

وقد وصل تأثير حرب الاستنزاف على اسرائيل الى الحد الذى دفع الحكومة الامريكية الى تقديم مذكرة يوم ٢ فبراير ١٩٧٠ عقب ايام من عودة عبد الناصر من موسكو تطلب فيها وقف حرب الاستنزاف والعودة لوقف اطلاق النار والا فان اسرائيل سوف تستمر فى غارات العمق ولن تستطيع أمريكا ان تفعل شيئا .

وتابعت حكومة الولايات المتحدة دورها ، فصرحت مصادرها الرسمية بابداء الرغبة فى زيارة جوزيف سيسكو وكيل الخارجية الامريكية للجمهورية العربية المتحدة اذا قبلت القاهرة ذلك .

رحبت القاهرة .. ووصل سيسكو اليها يوم ١٠ ابريل ١٩٧٠ أثناء انتقال معدات الدفاع السوفيتية سرا الى مصر .

بقى سيسكو اربعة ايام ، وقابل جمال عبد الناصر يوم ١٢ ابريل ، ويقول أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف) :

(تحدثت سيسكو عن رغبة حكومة نيكسون فى تحقيق سياسة متوازنة فى المنطقه فهى - فى رأيه - أكثر مرونة من غيرها من الحكومات التى سبقتها اذ انها ترفض مبدأ المفاوضات المباشرة الذى تتمسك به اسرائيل .. و اضاف سيسكو ان المبادرة التى يعدها روجرز سوف تكون فى صف العرب بمقدار ٦٥ بالمائة) .

ولم تنته المحادثات الى نتائج مادية محددة . ومع ذلك فقد وجه جمال عبد الناصر رسالة مفتوحة الى نيكسون فى خطابيه بشبرا الخيمة يوم اول مايو ١٩٧٠ أثناء الاحتفال بعيد العمال ، اشار فيها الى مقابله مع سيسكو ، واعتبر ان الولايات المتحدة على وشك ان تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الامة العربية عندما وافقت على عقد صفقة طائرات فانتوم وسكاي هوك جديدة لاسرائيل ، لانها تؤكد التفوق العسكرى لصالح اسرائيل ، وهو ما (سوف يؤثر على علاقات الولايات المتحدة بالامة العربية لعشرات بل مئات السنين) .

وقال جمال عبد الناصر فى نفس الخطاب (انه اذا كانت الولايات المتحدة ترغب فى السلام فعليها ان تأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة .. ان ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأتمر اسرائيل بأمرها لانها تعيش على حسابها) .

(والحل الثانى .. اذا لم يكن فى طاقة امريكا ان تأمر اسرائيل فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك مهما كانت آراؤنا فيه ، ونكenna فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا .. ذلك الطلب هو ان تكف عن أى دعم جديد لاسرائيل طالما هى تحتل اراضينا العربية) . وخلص عبد الناصر بأنه (اذا لم يتحقق الحل الاول أو الثانى فان على العرب ان يخرجوا بحقيقة لايمكن المكابرة فيها بعد الآن وهى ان الولايات المتحدة تريد لاسرائيل ان تواصل احتلال اراضينا حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالاستسلام .. وهذا لن يحدث .. وكل المؤامرات التى تجري ضدنا لن تنجح) .

وختم خطابه قائلا :

(اننى اقول للرئيس نيكسون ان هناك لحظة فاصلة قادمة فى العلاقات بين بلدينا اما ان تكسر القطيعة ، واما ان تكون بداية اخرى جادة ومحددة)

بعد توجيه هذا النداء من عبد الناصر الى نيكسون دارت عدة اتصالات بين سيسكو ودونالد بيرجس المشرف على رعايه المصالح الامريكيه فى السفارة الاسبانيه وبين وزير الخارجيه محمود رياض تضمنت رسالة من روجرز سلمها بيرجس الى صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجيه يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٠ .

وتضمنت الرسالة الموجهة الى محمود رياض من روجرز المقترحات الآتية :

١ - ان توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، على العودة الى وقف اطلاق النار ولومدة محدودة .
٢ - ان توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن على التصريح التالى الذى يصدره يارنج فى شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت :

(ابلغتنى ج.ع.م والاردن واسرائيل انها توافق على :
(ا) انه بعد ان قبلت وابدت رغبته فى تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف تعين ممثلين لها فى المناقشات التى تعقد تحت اشرافى طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذى قد اوصى به مع الاخذ فى الاعتبار - كلما كان ذلك مناسبا - مايفضله الاطراف بالنسبة لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

(ب) ان الهدف من المناقشات المشار اليها عليه هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :

١ - الاقرار المتبادل من ج.ع.م والاردن واسرائيل للسيادة وسلامة الاراضى والاستقلال السياسى للطرف الآخر .
٢ - الانسحاب الاسرائيلى من اراضى احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا للقرار ٢٤٢ .

(ج) وانه لتسهيل مهمتى للعمل من أجل التوصل الى اتفاق كما تضمن قرار ٢٤٢ فان الاطراف ستحترم بكل دقة ابتداء من اول يوليو حتى اول اكتوبر على الاقل قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار)

هكذا كانت مبادرة روجرز الرسمية تقضى بوقف اطلاق النار لمدة ٣ شهور فور قبولها . . وكانت الجمهورية العربية المتحدة هى الدولة الوحيدة من دول المواجهة التى خرقت قرار وقف اطلاق النار الذى نص عليه قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، واستمرت المعركة كما أشرنا دون توقف . . ورفضت أكثر من محاولة قامت بها اسرائيل للارتداد الى قرار وقف اطلاق النار .

ولذا كان مجرد النظر والبحث فى وقف اطلاق النار من جانب القاهرة يعنى أن شيئا ما يدفع الامور فى هذا الطريق .

وقد أبدى بيرجس لصلاح جوهر بعد تسليمه الرسالة ملاحظات تشير

الى أهمية الالتزام بوقف اطلاق النار شكلا ومضمونا ، وقد كتب أمين هويدي هذه الملاحظات تفصيليا في كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) وهي تشير اساسا الى أن وقف اطلاق النار يجب أن يشمل الارض والبحر والجو وعدم تغيير الوضع العسكري شرق أو غرب القناة بوضع صواريخ واقامة منشآت حربية . لما أن الولايات المتحدة سوف تطالب اسرائيل بالدخول في مفاوضات غير مباشرة والموافقة على مبدأ الانسحاب قبل المفاوضات ، وهو ما يعتبر تنازلا - من وجهة النظر الاسرائيلية .

كما تضمنت ملاحظات بيرجس استعداد الولايات المتحدة للمشاركة في بذل الجهود من أجل السلام بعد بدء المفاوضات ، واستعدادها أيضا لتنفيذ تعهداتها مع اسرائيل للامداد بالسلاح دون زيادة اطلاقا (١٠٠ طائرة سكاي هوك تم التعاقد عليها عام ١٩٦٦ ، ٦٠ طائرة فانتوم تم التعاقد عليها ١٩٦٨) . وان التوصل الى اتفاق سوف يخلق جواملا لما لاستئناف العلاقات بين ج . ع . م والولايات المتحدة . . ويقول أنور السادات في خطابه لاساتذة الجامعات يوم ٨ يناير ١٩٧٠ ان أمريكا تعهدت بعدم امداد اسرائيل بالاسلحة خلال شهور وقف اطلاق النار (٩٠ يوما) .

تسلم محمود رياض المبادرة أثناء زيارة جمال عبد الناصر الى ليبيا خلال الفترة من ١٩ الى ٢٧ يونيو ولذا فقد أرسلت له رسالة روجرز في طرابلس .

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) انه شعر بأن عبد الناصر قد وافق على المبادرة فور قراءتها دون أن يصرح لاحد بحقيقة رأيه ، وكان هيكل معه في زيارة ليبيا .

وقال لي الفريق أول محمد فوزي انه عندما استشير في بنود المبادرة ضغط لقبولها من وجهة نظر عسكرية بحتة . . فقد كان يود الوصول بحائطه الصواريخ الى الضفة الغربية للقناة وذلك لحماية قواتنا في الغرب من الغارات الاسرائيلية وتهديد الطائرات المغيرة الى مسافة ١٥ كيلو مترا شرقها ، وهي مسافة كافية تتيح لقواتنا العبور تنفيذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ بأمان نسبي . . وذلك لصعوبة نقل الصواريخ تحت قنابل الغارات المستمرة .

كان تأمين القوات المسلحة المصرية من الغارات الاسرائيلية ، مع الاستعداد للعبور والهجوم هدفا من أهم الاهداف التي كانت تشغل فكر عبد الناصر في ذلك الوقت .

وفور عودة جمال عبد الناصر من طرابلس عقد اجتماعا للجنة التنفيذية العليا ، عرض عليهم فيه مشروع مبادرة روجرز .

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة في ذلك الوقت ان جمال عبد الناصر أعطى المشروع لعل صبرى وكان مكتوبا بالانجليزية ولم يترجم للعربية بعد . . وطلب منه قراءته . . ثم طلب بعد سماع اللجنة معرفة رأى أعضائها ، مبتدئا بالدكتور محمود فوزي مساعد رئيس الجمهورية .

وأدلى الاعضاء بأرائهم . . ولم تكن في جملتها تميل ميلا واضحا لقبول المبادرة ، بل كان الاتجاه السائد هو التحفظ والرفض .

ولم يناقش جمال عبد الناصر الامر . . طوى الاوراق بلا كلمة واحدة

معلنا أنهم سيواصلون المناقشة بعد عودته من الاتحاد السوفيتي .
وسافر جمال عبد الناصر الى موسكو دون أن يفصح لأحد عن رأيه
بالنسبة لقبول المبادرة .

وبعد المباحثات مع القادة السوفييت ذهب عبد الناصر الى مصحة
(بربيخا) لمدة اسبوعين ، ولتغطية ذلك أعلن انه يقوم بمباحثات مطولة مع
الزعماء السوفييت الذين كانوا يقومون بزيارته في المصحة بين حين
 وآخر .

قال لي الدكتور مراد غالب سفيرنا في موسكو ان عبد الناصر كان
يطلب في هذه الرحلة مزيدا من الاسلحة اقترابا لساعة تنفيذ الخطة . وقال
لي الفريق أول محمد فوزي ان التدريب كان قد وصل الى ذروته في كافة
مستويات القوات المسلحة .

على مستوى الجنود . . وصلوا الى حد عبور (مصرف المحيط) عند
برقاش في الجزيرة تدريبا على عبور القناة وهم معصوبو الاعين لعدة مرات .
كما درسوا مناطق العبور الاصلية في القناة الى حد معرفة تفاصيل الارض
معرفة دقيقة .

على مستوى الدفاع الجوي . . سقطت الطائرات الاسرائيلية التي تحدث
عنها عبد الناصر وبريجنيف في لقائهما الاول يوم ٢٩ يونيو ، وسقط طيار
اسرائيلي عند جنيفا حيث التقط بهليوكبتر اسرائيلي بعد اتصال لاسلكي معه
كما أسر خمسة طيارين اسرائيليين احياء لأول مرة في تاريخ المعارك . . .
واعتبر ذلك اليوم ٣٠ يونيو عيدا سنويا للدفاع الجوي .

وعلى مستوى القيادة درست كافة احتمالات خطط الهجوم المضاد
الاسرائيلي ومنها محاولات الاختراق عند الديفرزوار التي عرفت فيما بعد
باسم خطة (الغزالة) ونسبت الى الجنرال شارون الذي نفذها يوم ١٦ أكتوبر
١٩٧٣ .

كانت القوات المسلحة قد وصلت الى ذروة الاستعداد تقريبا ولم يعد
باقيا الا دفع حائط الصواريخ الى الامام . . الى الضفة الغربية للقناة .
واختلفت الآراء حول (مبادرة روجرز) بين الذين يعلمون تأثير قبولها
على موقف قواتنا المسلحة . . وبين الذين لا يعلمون .
يقول أمين هويدي في كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) وهو
يومها كان في مركز يتيح له معرفة مايدور في كواليس السياسة
المصرية :

(حينما درست هذه الرسالة - يقصد مبادرة روجرز - بوساطة
الجهات المعنية هنا في القاهرة انقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض ، وابلغت
آراء المؤيدين والمعارضين للرئيس جمال عبد الناصر مع ذكر الاسباب التي
تؤيد وجهات النظر المختلفة ، وأذكر انني كنت أحد المؤيدين القلائل لهذه
المبادرة) .

وقد وجد أنور السادات بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للجنة
السياسية بالاتحاد الاشتراكي أن يعلن رأيه بالنسبة للمبادرة . . فدعا

اللجنة السياسية للجنة المركزية الى اجتماع تقرر فيه بالاغلبية عدم قبول المبادرة .

ولكن جمال عبد الناصر كان له رأى آخر ، لانه كان يعلم كل شئ ويمسك كافة خيوط الموقف .

وفى اجتماع مع بريجنيف عقد يوم ١٦ يوليو وهو اليوم السابق لعودته الى القاهرة قال جمال عبد الناصر انه قرر قبول المبادرة الامريكية ، ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف كان مندهشا ولكنه تفهم الموقف عندما قال له عبد الناصر مجيبا على تساؤله عما اذا كان سيقبل اقتراحا عليه العلم الامريكى (بالضبط ١٠٠ اننى سأقبلها لان عليها علم أمريكى . . فاننا يجب ان نأخذ فترة لالتقاط الانفاس حتى نستطيع ان ننتهى من بناء مواقع الصواريخ . . اننا نحتاج ان نعطي فترة راحة لقواتنا المسلحة ، وأن نقلل من خسائر المدنيين - نحن نحتاج الى فترة وقف اطلاق نيران . وهذا التوقف لن تحترمه اسرائيل الا اذا كان اقتراحا أمريكيا . . ولكننى لأعتقد ان لهذه المبادرة أى نصيب من النجاح ، وفرصتها فى ذلك لا يتجاوز ١/٢ .

كانت خسائر المدنيين الذين يشتركون فى بناء قواعد الصواريخ قد بلغت ٤٠٠٠ شهيد كما ذكرنا .

كان هذا يعنى رفضا من جمال عبد الناصر لقرار نائبه فى عدم قبول مبادرة روجرز ،

سافر أنور السادات الى قريته (ميت أبو الكوم) .
قال لى أحد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أن جمال عبد الناصر قد أعطى لهم توجيهها بزيارة أنور السادات فى قريته . . وان جمال عبد الناصر قد زاره هناك وصحبه معه فى عربته الى الاسكندرية .

ودعا جمال عبد الناصر أعضاء اللجنة التنفيذية العليا مرة أخرى لمناقشة المبادرة فاجتمعت عدا أنور السادات وبدأت المناقشة بالدكتور محمود فوزى مرة أخرى ، وحدث تغيير فى اتجاه الأعضاء نحو القبول ، شعورا منهم بأن جمال عبد الناصر قد اتخذ قرارا بالقبول .

وفى هذا الاجتماع دارت مناقشة طويلة أوضح فيها جمال عبد الناصر المبرر العسكرى لقبول المبادرة دون الدخول فى تفاصيل سرية . . كما قدم للأعضاء المبرر السياسى لقبولها أيضا ، باعتبار أن ذلك سوف يخرج اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، وأمام أمريكا أيضا .

ويقول ضياء الدين داود أنه بعد أن انتهت المناقشات واتفق اجماع الأعضاء على قبول المبادرة طلب منهم ان يتحدثوا مع الناس فى المبرر السياسى .
دون أن يكشفوا عن المبرر العسكرى ، منبها الى أهمية ذلك .

أعلن جمال عبد الناصر قبوله للمبادرة فى خطابه يوم ٢٣ يوليو فى

العيد الثامن عشر للثورة .. وتفجرت ردود الفعل في مختلف أنحاء العالم .
فقد بان الاعلان مفاجئاً بعد فترة صمت امتدت الى أكثر من شهر .
ولاحظ جمال عبد الناصر ان قبول المبادرة لم يصادف استجابة عميقة
عند أعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ، فقرر ان يعقد جلسة تالته
سريه ، حتى لا ينفض المؤتمر والأعضاء على غير اقتناع .

وفي هذه الجلسة السريه أفصح جمال عبد الناصر عن بعض الحقائق
التي كانت مغلفة بالسرية حتى ذلك الوقت .

والظاهرة التي يجب الوقوف عندها طويلاً هي خروج الاسرائيليين الى
الشوارع في مظاهرات ترقص وتبتهج فقد انتهت بالنسبة لهم حرب
الاستنزاف التي أرهقتهم نفسياً ومادياً وكبدتهم خسائر كثيرة في الأرواح .
أنقذ قبول المبادرة الاسرائيليين من تكرار ما حدث في ذلك اليوم الذي
أطلقوا عليه اسم (السبت الحزين) عندما وقعت إحدى دورياتهم في كمين
لل قوات المصرية المتسللة في سيناء ، وقتل منها ٤٠ جندياً ، وعاد المصريون
بأثنين من الأسرى .

رقص الاسرائيليون تصوراً منهم ان المبادرة هي خطوة أولى نحو
السلام فعلاً .. وهكذا كانت قناعة الرأي العالمى أيضاً .

كان محمود رياض قد سلم رد مصر الى دونالد بيرجس يوم ٢٢ يوليو
وبدأت مفاوضات وقف اطلاق النار ، في وقت كان يتولى فيه محمد
حسنين هيكل أعمال وزارة الخارجية بجانب وزارة الارشاد القومي لوجود
محمود رياض في رحلة بالخارج لزيارة دول البلقان .

قال لي محمد حسنين هيكل انه فوجئ بأن دونالد بيرجس المشرف على
المصالح الامريكية في القاهرة يطلب منه Stand still cease fire أى وقف
اطلاق النار مع تثبيت الاسلحة والصواريخ في مواقعها .. وانه عندما أبلغ
عبد الناصر ذلك طلب منه أن يماطلهم عدة ساعات حتى يدفع صواريخ
هيكليّة الى الضفة الغربية للقناة ، ثم يستبدلها ليلاً فيما بعد بصواريخ
حقيقية .. وكان الامر يحتاج منه الى مدة لا تقل عن ٦ ساعات .

وأبلغ هيكل بيرجس الذي كان يستعجله في لهفة قائلاً له ان واشنطن
معه على الخط ، وروجرز ينتظر النتيجة .

وقال له هيكل انه لا يستطيع ان يعطى تأكيداً الا بعدم ضمان وصول
التعليمات الى كافة القوات المنعزلة والبعيدة في منطقة البحر الاحمر .
وهكذا حصل جمال عبد الناصر على الساعات التي طلبها .

وقال لي الفريق أول محمد فوزي ان القوات أمضت الليل وهي تدفع
صواريخ هيكليّة الى الامام ، حتى اذا أشرق الفجر بدت تحت عدسات الاقمار
الصناعية ، وكأنها صواريخ حقيقية في موضعها .

ويقول هيكل ان الامريكيين قد انزعجوا من تحريك الصواريخ وانهم
- حسب قوله - في كتابه (الطريق الى رمضان) قد اتهموا المصريين بالغش
وانهم قرروا امداد الاسرائيليين بمزيد من الاسلحة .

يؤكد ذلك ان الدافع الرئيسى لقبول المبادرة الامريكية كان دافعاً

عسكريا أساسا وهو تحريك حائط الصواريخ الى الضفة الغربية .
ووضعت المبادرة موضع التنفيذ مع وقف اطلاق النار في الساعة
الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس ١٩٧٠ لمدة ٩٠ يوما . وأبلغ جمال
عبد الناصر الفريق اول محمد فوزى بأن يستعد لتنفيذ المرحلة الاولى من
الخطة الدفاعية ٢٠٠ وهى ماسميت بالاسم الكودى (جرانيت ١) والتي
تتضمن عبور القناة ودفع العدو الى الممرات .

وقد كتب الفريق محمد على فهمى فى الاهرام يوم ٥ اكتوبر ١٩٧٧
يقول :

(فى صباح يوم ٩ اغسطس ١٩٧٠ وهو اليوم التالى لوقف اطلاق
النار دعا قائد قوات الدفاع الجوى لاجتماع فى مكتبه حضره قادة التشكيلات
وهيئة الاركان فى قيادة الدفاع الجوى)
ثم يحدد محمد على فهمى مهمة الاجتماع بقوله :

(طلب من معاونين اعداد دراسات تفصيلية كل فيما يخصه عن المشاكل
والصعوبات المنتظر ان تلاقىها قوات الدفاع الجوى فى معركة العبور والتحرير
واعداد المقترحات كلها) .

ويعبر محمد على فهمى عن الروح التى سادت فى هذه الفترة بقوله
ايضا :

(ان التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب أن نعترف بها ، ولكن ينبغي
أيضا ألا ننسى اننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خلال حرب
الاستنزاف بل واستطعنا تحقيق بعض الانتصارات عليه ، وفى معركتنا
المقبلة لن يقتصر دورنا على مجرد تحدى هذا التفوق ، بل سيكون علينا أن
نهزم هذا التفوق ونحطم الاسطورة) .

والفريق محمد على فهمى كان قائدا للدفاع الجوى خلال حرب
الاستنزاف وأثناء قبول مبادرة روجرز . وهو ما يؤكد جدية الاستعداد
للعبور والتحرير خلال فترة وقف اطلاق النار التى فرضتها المبادرة .
ليس هناك شك فى ان السبب العسكرى كان فى مقدمة الاسباب
الدافعة لقبول مبادرة روجرز .

انعكاسات قبول المبادرة :

كان قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز بمثابة (القنبلة السياسية) التى
تفجرت فى انحاء العالم .
بدأت الصحف الاجنبية تقرن اسم عبد الناصر بلقب (بطل السلام) .
انتعشت العناصر التقدمية داخل اسرائيل ، ورأت ان حلمها فى السلام
يقتررب . . وصرح ناحوم حولدمان بأن قبول مبادرة روجرز هو خطوة هائلة
للسلام من جانب عبد الناصر وأن على الحكومة الاسرائيلية أن تلتقى معه فى
منتصف الطريق ، وخاصة ان قبولها يعنى ضمينا قبول اسرائيل لقرار
مجلس الأمن .

صدمت العناصر الصهيونية التوسعية بقبول القاهرة للمبادرة وبدأت في محاولة تحطيم آثارها ، بتسليط الضوء على تحريك الصواريخ ، وجعله الموضوع الرئيسي المتكرر في الصحف . . . ومع ذلك تحطم الائتلاف الحكومي الاسرائيلي وانسحب وزراء حزب (جاخال) الستة ومنهم مناحم بيجين وزير الدولة وعزرا وايزمان وزير المواصلات . . .

وهكذا اهتزت الجبهة الداخلية الاسرائيلية . . . وسافرت الى باريس بناء على موافقة جمال عبد الناصر لدفع التحركات الضاغطة على الحكومة الاسرائيلية ، ومحاولة اظهار موضوع الصواريخ كأنه موضوع فرعى لا يستحق الضجة والاحتجاج التي تثيرها الحكومة الاسرائيلية وأعوانها من الأمريكين .

ولكن موسى ديان أعلن في الكنيسة ان اسرائيل تنظر الى الوضع الجديد للصواريخ نظرة خطيرة . وأن حكومته قد قررت وقف بدء الاتصالات مع يارنج حتى تسحب الصواريخ المصرية .

وفي يوم ٦ سبتمبر أعلنت اسرائيل انسحابها من الاتصالات مع المبعوث الدولي يارنج بدعوى (انتهاك مصر لترتيبات وقف اطلاق النار . . . ورفضها العودة بالموقف الى ما كان عليه قبل بدء تنفيذ وقف اطلاق النار في ٨ أغسطس ١٩٧٠) . . . ويذكر أن اسرائيل لم تعد للاتصال بيارنج الا بعد حصولها على صفقة أسلحة أمريكية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار .

ورغم أن قبول مبادرة روجرز كان يعتبر من الوجهة السياسية انتصارا للسياسة السلمية اكتسبت عبد الناصر تقديرا واسعا في الرأي العام العالمي مما اعتبرته وفتها حسب مقال نشرته في روزاليوسف (ضربه معلم) . . . ورغم أنه كان يعتبر من الناحية العسكرية انتصارا حريبا لاشك فيه اذ أن العودة الى اطلاق النار كانت سوف تتم والقوات المسلحة المصرية في وضع أفضل كثيرا عن ذي قبل . . . ومع ذلك فإن انعكاس قبول المبادرة من وجهة النظر العربية كان سلبيا .

لم تقدر بعض القوى أهمية قبولها تقديرا واقعيا سليما ، وانجرفت الى ارفضها . . . أعلنت ذلك كل من سوريا والعراق . . . وأصدرت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) بيانا قالت فيه اذا كان بعض العرب قد أجهدهم النضال فعليهم ان يتنحوا للجيل الجديد المستعد للتضحيات الضرورية . . . ووجدت المنظمات الاخرى نفسها منجرفة الى هذا الاتجاه خوفا من اتهامها بالتفريط في القضية الفلسطينية . . . وخرجت المظاهرات في شوارع الأردن ولبنان تهتف لأول مرة ضد عبد الناصر وحسين معا وفي مواجهتها مظاهرات أخرى تدافع عن موقف عبد الناصر .

وانعكس ذلك في اذاعة (صوت فلسطين) الصادرة من القاهرة ، والتي اتهمت الذين قبلوا المبادرة بالخيانة ، وهاجمت عبد الناصر الذي لم يحتمل مثل هذا الاسلوب ، وطلب وزير الارشاد محمد حسنين هيكل أن يبحث الامر مع قادة منظمة التحرير ، ويقول هيكل انه قابل فاروق قدومي وأبلغه بأنه يمكن لهم أن يهاجموا المبادرة كما تشاء لهم نظرتهم السياسية . . . أما

أن يتعدى الامر اتهام الذين قبلوها بالخيانة فأمر غير مقبول .
ويقول هيكل ان أجهزة اللاسلكي استقبلت بعد ذلك اشارة واردة
لاذاعة (صوت فلسطين) نقول - لاتستجيبوا للضغط من احد . . هاجموا اى
شخص تريدون) .

وصدر قرار جمال عبد الناصر بوقف اذاعة (صوت فلسطين) يوم ٢٩

يوليو ١٩٧٠ .

وكان الامر فى حقيقته كارثة سياسية . . لان تفسير الامر للقيادة
الفلسطينية لم يكن أمرا صعبا او مستحيلا . . والعوامل التى دفعت لقبول
المبادرة لا يمكن ان يرفضها وطنى وخاصة بعد أن تكشفت الامور عن موجة
الاحتجاج الاسرائيلية العارمة على تحريك الصواريخ ، وبعد أن صرح جمال
عبد الناصر أبوعمار بأن احتمالات نجاح المبادرة لاتتجاوز ١/٢٪ وأن مدتها
مشروطة بتسعين يوما فقط . . وما كان سهلا على عبد الناصر أن يفقد بقبوله
المبادرة حصاد ثلاث سنوات من القتال والنضال والتضحية .

كانت كارثة سياسية ألا يتفهم القادة المصريون والفلسطينيون حقيقة
الموقف . . وكانت كارثة أيضا ان يخرج صدامهم الى الراى العام ولا يصنفى
بالاجتماعات الخاصة التى يمكن أن تزيد الامور وضوحا وتفسيرا ، وتذيب
الحساسيات والشكوك .

كارثة سياسية . . لم تبدأ فى الحقيقة مع قبول مبادرة روجرز وانما
بدأت قبل ذلك بشهور .

كان الفلسطينيون قد أصبحوا بقواتهم المسلحة المتزايدة ، ومقاومتهم
الباسلة ، مثل قنبلة زمنية تخشى الانظمة أن تتفجر فوق أرضها .
وكان ما حدث فى لبنان مما انتهى الى اتفاقية القاهرة فى نوفمبر
١٩٦٩ هو البداية التى كشفت التناقض بين القوى والتنظيمات السياسية
العربية .

العرب . . يقتلون العرب

ثم كان ما حدث فى الاردن
قوات المقاومة الفلسطينية كانت تعيش أساسا فى الاردن ، وهناك
نوع من التعايش السلمى وقبول الامر الواقع بينها وبين السلطة
الاردنية .

الفدائيون المقاتلون يحتلون المواقع فى الوديان والجبال على حدود
الارض التى تحتلها اسرائيل . . والقيادات تقيم فى عمان . . ومعسكرات
التدريب تنتشر فى اكثر من مكان

ومع الوقت أصبح للمقاومة الفلسطينية نوع من النفوذ الادارى المباشر
على الفدائيين . . وأصبحت بطاقاتهم صالحة كجواز مرور على الحدود

ولم تكن نظرة التنظيمات الفدائية موحدة فيما يتعلق بالنظام الاردنى .
كانت (فتح) أكبر المنظمات تعلن انها لاتتدخل ولا تريد أن تتدخل فى الامور
الداخلية للاردن . . بينما كانت هناك منظمات أخرى تعلن ان طريق التحرير
الى تل أبيب يمر بعمان وعواصم الدول العربية التى تسيطر عليها انظمة

رجعية ٠٠ ولم يكن ياسر عرفات (أبوعمار) مسيطرا على كافة التنظيمات .

قمت خلال هذه الفترة بزيارة الى الاردن مدعوا من منظمة (فتح) ولمست ان المقاومة الفلسطينية قد أثبتت وجودها بالتأثير المعنوي والنفوذ التنظيمي بين جماهير الشعب الفلسطيني . وان هناك قتالا حادا يتزايد داخل اسرائيل والارض المحتلة . وشعرت بان هناك تناقضا بين السلطة وقوات المقاومة يحاول الطرفان ان يتحدثا به همسا ، دون أن يتفجروا ويظهر فوق السطح .

ولكن كتمان هذا التناقض ، واقتصار الحكمة ، وتثبيت مبدأ التعايش كان صعبا وضد طبيعة الامور . . . فمما لاشك فيه ان نظاما في السلطة له حسابات تختلف تماما عن حسابات قوى ثوريه تعيش معه فوق ارض واحدة . . . ومما لاشك فيه ايضا ان بعض المزايدات والمواقف المتطرفة كانت تدفع بقية المنظمات الفدائية للجنوح الى انتهاج مواقف وأساليب لا تتفق مع الظروف الواقعية القائمة . وذلك خشية اتهامها بالتفريط في حق القضية .

كل قوى المقاومة الفلسطينية أجمعت على رفض قرار مجلس الامن . . . ولكنها لم تتفق على نهج النضال وأسلوبه في المستقبل . . . والوحدة التنظيمية أصبحت هدفا عنسيرا .

دخلت خلافات الانظمة العربية وتناقضاتها الى الساحة الفلسطينية . فكل منظمة كان لها اتصال مع دولة أو قوة سياسية عربية . . . الامر الذي فتح فرصة التسرب الى صفوف المناضلين ، وتشتيت جهودهم بالخلافات المحلية .

وظهرت بوادر صدام المقاومة الفلسطينية مع النظام الاردني عندما أعلنت الصحف عن وجود خلاف بين المقاومة والملك حسين في ١٢ فبراير ١٩٧٠ بعد اجتماع قمة المواجهة الذي عقد في ٧ فبراير عقب زيارة عبد الناصر السرية الى موسكو والتي تم الاتفاق فيها على زيادة التعاون مع الاتحاد السوفييتي في مجال الدفاع الجوي .

وأسرع عبد الناصر بالتدخل فعادت الاسلحة الى وضع الراجحة بدلا من وضع الاستعداد . . . واستجاب الطرفان للزعيم الذي كان الفلسطينيون يتحركون تحت مظلته . والذي كان الملك حسين يخشى الصدام به .

ولكن الهدوء لم يستقر طويلا . . . فرض الصدام نفسه . . . انطلقت ذخيرة البنادق نحو صدور العرب بدلا من الاسرائيليين . . . ونشرت الصحف ان القتال قد اندلع في عمان وضواحيها . . . وبلغ عدد القتلى ١٢٢ قتيلا ، ٥٨٤ جريحا . . . وكان ذلك في شهر يونيو ١٩٧٠ بعد أن رفضت المقاومة قرار السلطات الاردنية بحظر حمل السلاح الا لأفراد القوات المسلحة .

ومرة أخرى أسرع الوسطاء ، وهدأت الامور مؤقتا بعد أن أبعد الملك ائذين من كبار الضباط اشتهدوا بالعداء للفلسطينيين واجتمع مع ياسر عرفات . . . ولكن الذخيرة لم تنزع من البنادق . . . وظل الرجل يغلي .

وجاء قبول القاهرة لمبادرة روجرز ، وما صاحب ذلك من ظهور معارضة المقاومة الفلسطينية .

وتفجر الموقف دون تقدير سليم لأهداف عبد الناصر من قبول المبادرة .

عمت المظاهرات عددا من المدن العربية . . وتبادل المتظاهرون شعارات ولافتات بعضها يؤيد عبد الناصر والبعض يهاجمه .

وكتبت وقتها مقالا في مجلة (الحوادث) - عدد ٧ أغسطس ١٩٧٠ - جاء فيه :

(الظواهر المثيرة التي حدثت في الوطن العربي خلال هذا الاسبوع ليست جديدة او طارئة . . بل كانت متوقعة .

انها تعبير عن خلافات أصيلة في الاستراتيجية الفكرية للقوى السياسية طفت الى السطح بعد أن كانت في الاعماق . . وتبادل الناس الحديث عنها علنا وصراحة . بعد أن كانوا يدورون حولها في حرص واستحياء .

وتنبعث الخلافات - في رأيي - حول تقدير قضية السلام في المنطقة خلال هذه المرحلة التاريخية الحاسمة .

وما أظن الحديث عن السلام - كما يتصور البعض - يمكن أن يكون موضع خجل أو حساسية . . ولا أعتقد ان المناضلين من أجل السلام أقل تضحية من المغامرين .

وقلت :

(الظاهرة المميزة لسياسة القاهرة التي قبلت الحبل السلمي هي الاستعداد المستمر خلال السنوات الثلاث الماضية لتطوير قواتها المسلحة، والوصول بها الى مستوى الكفاءة القتالية . . وكان الاستعداد العسكري الجاد هو وسيلة الذين قبلوا الحل السلمي للضغط على العدو من أجل تحرير الارض المحتلة)

ثم تساءلت :

(ماذا يحدث اذا فرضنا جدلا احتمال الوصول الى حل سلمي؟

كانت الاجابة الغالبة استبعاد هذا الاحتمال . ثم القاء كلمة صاخبة متطرفة بعيدة عن الاتزان المطلوب في مواجهة أمور شديدة الحساسية والحيوية تتعلق بمستقبل الملايين .

مجرد توجيه السؤال كان يصيبهم بالحساسية . . وضاعت الشهور والسنوات دون محاولة جادة لمجابهة هذا الاحتمال الذي بدا في ذهنهم خياليا كالسراب .

وهذه هي الاستراتيجية الفكرية التي يصعب تجريدها من الحماس والوطنية والتضحية . . ولكنه لا يصعب تجريدها من عمق الوعي وأصالة الفكر الواقعي .

هذه الاستراتيجية الراضية لكل شيء الا القتال حتى النصر . . . أو الموت .

وإذا تجاوزنا الخشية من أن تكون هذه الاستراتيجية الفكرية امتدادا للظاهرة العربية التي سادت خلال ربع القرن الاخير ، واعتادت أن تقف موقف الرفض مع كل قرار لا يتفق تماما مع رغبتها .. والتي تجعل كلمة (لا) تسبق كل كلمات القاموس في أى حوار سياسى .

أقول اذا تجاوزنا أن يكون موقف القوى الجديدة امتدادا لهذه الظاهرة القديمة .. فاننا نصل مباشرة الى قلب الموضوع فى صراحة وبلا حساسية .

هل يمكن ان يكون هناك تناقض بين الوصول الى حل سلمى وبين ماتصر عليه بعض قوى المقاومة ؟

وبالمنطق الهادىء البسيط لا يمكن أن نجعل من تحرير القدس وسيناء والضفة الغربية والجولان خطوة الى الوراء .. ولا يمكن أن نقول أن تنفيذ قرارات الامم المتحدة فيما يتعلق بحقوق شعب فلسطين اعتداء على هذا الشعب .

ولذا يصبح الرفض المطلق والتناقض المصطنع ظاهرة غريبة .. مثالية وبعيدة عن الواقعية

ظهر هذا المقال فى وقت عمت فيه الخلافات وسادت ، وتصارعت الآراء فى المنابر وفوق صفحات الجرائد .. وتحولت فوهات البنادق من صدور الاعداء الى ظهور الذين يفترض فيهم أن يكونوا أصدقاء ورفقة نضال .

وخشى عبد الناصر ان يستغل الملك حسين الفرصة ويوجه ضربته الى الفدائيين فطلب منه الحضور لمقابله فى القاهرة .. وحضر الملك يوم ٢٠ أغسطس يحمل سيلا من الشكاوى ضد المقاومة التى تحاول أن تخلق (دولة داخل الدولة) .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان عبد الناصر قد قال له :

(أنا لا أريد منك أن تصفى المقاومة ، ولا من المقاومة أن تصفيك .. أنا أعلم ان لديك من القوة ما يجعلك قادرا على ضربهم ولكن هذا سوف يدفعك الى تصفية ٢٠٠٠ شخص وبذا تصبح مملكتك - مملكة الاشباح - وسأبلغ الفدائيين بالا يعملوا ضدك لانهم لا يستطيعون ان يوفروا ماتوفره حكومتك لهم من تعليم وتموين ومواصلات وغيره .. وكلاهما يجب أن يتعايش فهذا هو الطريق الوحيد) .

وحضر ياسر عرفات يوم ٢٤ أغسطس ..

لم يكن جمال عبد الناصر فاتحا صدره لهذه المقابلة .. فقد كان ياسر عرفات قد زار العراق وقابل السيد احمد حسن البكر .

وكان عبد الناصر يقاسى من هجمات سوريا والعراق على مصر لقبولها المبادرة .. ولذا اعتبر أن ذهاب أبوعمار لمقابلة البكر انحيازا منه الى الجانب

الآخر ، وهو الذى قدم له كافة المساعدات السياسية والعسكرية الممكنة التى ثبتت أقدام المقاومة .

رفض جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة إعادة فتح محطات صوت (فلسطين) التى أغلقها قبل ذلك بثلاثة أسابيع .

وحذر أبوعمار من أنهم بسياساتهم سوف لا يلومون الا أنفسهم اذا انقض الملك حسين عليهم .

وفى نفس الوقت أعطى لأبوعمار تفسيراً للدوافع التى أدت الى قبول مبادرة روجرز وأبغى أن احتمالات نجاحها - كما قال لبريجنيف - لا تتجاوز ¼٪

وبعد هذه المقابلة التى قال عنها ناتنج فى كتابه ناصر انها كانت (باردة) .

وبعد موقف الحكومة العراقية الذى كان يتبلور فى رفض المبادرة بعد هذا وذاك أصبح موقف أبوعمار مرتبطاً أشد الارتباط بموقف القوى الفلسطينية الاخرى وفى مقدمتها (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التى كانت تدين المبادرة والانظمة وتجعل الفلسطينيين فى الساحة وحدهم يحاربون وظهورهم الى الحائط .

واتخذ أبوعمار قراراً بأن المقاومة الفلسطينية لا تلتزم مطلقاً بوقف إطلاق النار الذى تفرضه مبادرة روجرز .

ويشير هيكل الى أن عبد الناصر لم يصارح الفلسطينيين (طبعا) بأن السيادة الجوية الاسرائيلية قد تجعلنا ننزف حتى الموت فى حرب الاستنزاف ، وأن حلقة النجاة هى الوصول بحائط الصواريخ الى الضفة الغربية .

ولكن أمام تطور الاحداث السريع ، أرسل عبد الناصر وفداً يمثل الاتحاد الاشتراكي يضم أحمد بهاء الدين ومحمود أمين العالم وعبد اللطيف بلطية وعبد الهادى ناصف والدكتور وليم سليمان لمقابلة القيادات الفلسطينية أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى الاردن . . وقد حاول هذا الوفد اقناع هذه القيادات بالهدوء والتراجع عن موقفها المندفع، ولكن الامور كانت قد تجاوزت الحدود التى يمكن للعقل فيها أن يسيطر ويتحكم على جموح العاطفة .

ويقول هيكل ان الملك حسين سافر وهو غير سعيد . وهنا لابد من الوقوف عند هذه الظاهرة . . ظاهرة عدم الثقة وعدم المبادرة الى تنسيق العمل فى ظروف خطيرة . والحرص على السرية أمر مطلوب وضرورى وهام . .

ولكن كان يمكن تفادى كثير من ردود الفعل التى حدثت نتيجة قبول المبادرة ، بمصارحة القيادات الفلسطينية قبل اعلان قبولها بأهمية ذلك وحيويته من الناحية العسكرية ، والوصول معهم الى اتفاق كامل على موقفهم منها وحدود معارضتهم لها .

ولكن تركيز القرار فى قمة السلطة ، وعدم وجود كادر حزبي متفهم

وممارس للعمل السياسى .. صعب الامور وعقدها .. وجعل بعض كبار المسئولين فى مصر يتارجحون فجأة من موقف المعارضة للمبادرة الى موقف التأييد دون تفسير .. وجعل بعض المسئولين العرب تأخذهم المفاجأة والدهشة ويتصورون أن فى وقف القتال لعبة ما .. كما انه أعطى لبعض المتطرفين من قادة حركات المقاومة فرصة فريدة للهجوم والتشهير .
ربما كانت هناك اعتبارات أمن تدفع الى الحذر من التصريح أو التلميح بالاسباب الحقيقية الموحية بقبول المبادرة .. ولكن احتمالات ردود الفعل ماكان يمكن أن تخفى على القائد السياسى .

وما حدث فى الواقع كان تأكيدا بأن هناك نوعا من عدم الثقة لم يستطع النضال المشترك أن يبدهه وأن هناك خطأ ما قد وقع فى انضاج وعى بعض القادة العرب والفلسطينيين من ناحية الاقتناع بقبول المبادرة .. وأن ذلك قد انتهى الى كوارث مدمرة .

وخلق الثقة ، وتنسيق النضال ، أمور لا تنشأ فجأة ، وانما تتم عبر مراحل نضال طويلة .. وثلاث سنوات من القتال تعتبر مدة كافية لذلك .
ولكن غيبة التنظيم الحزبى والعمل السياسى من الجانب المصرى .. وغيبة الوحدة التنظيمية وتناقضات التنظيمات المختلفة من الجانب الفلسطينى كانت أسبابا جوهرية فى الحالة التى وصل اليها الموقف بعد قبول المبادرة .

وكل ما قام به جمال عبد الناصر من دعم للمقاومة الفلسطينية قد انتهى فى لحظة نتيجة لخطاء ونقط ضعف سابقة .

ولم يقدر بعض القادة الفلسطينيين أن الحكومة الاسرائيلية نفسها قد أخذت تناور لتحطيم مبادرة روجرز التى خرج الشعب الاسرائيلى فى مظاهرات فرح صاخبة يوم اعلانها لانها أنهت التوتر الذى ساد جبهة سيناء ، ووضعت حدا لخسائر حارب الاستنزاف اليومية ، وفتح باب الامل فى تحقيق السلام .

ولكن الحكومة الاسرائيلية كانت تريد الخروج من (حصار السلام) فافتعلت من نقل الصواريخ قضية أحاطتها بدعاية هائلة ، وجعلت أمريكا تنقض شرطها الخاص بعدم امداد اسرائيل بالسلاح خلال أيام وقف اطلاق النار ، كما أعلن أنور السادات أمام أساتذة الجامعة يوم ٨ يناير ١٩٧١ عندما قال :

(انتهزت أمريكا هذه الفرصة علشان تقول أن القضية مش قضية احتلال اسرائيل لأرض عربية .. لأدى قضية خرق مصر لوقف إطلاق النار !

(وعلى هذا الأساس بدأ سيل الأسلحة يتدفق على اسرائيل مخالفا الكلام الذى قالته أمريكا بأنها لن تسلم اسرائيل خلال فترة وقف إطلاق النار أى سلاح) .

وهكذا تعثرت مبادرة روجرز ، ولم يقم يارنج بمهمته .. ولم ينفذ منها سوى وقف إطلاق النار .

والغريب ان المبادرة قد حوربت من بعض القيادات الفلسطينية . .
وحوربت أيضا من الحكومة الاسرائيلية ثم الامريكية رغم انها قدمت من
وزير خارجية أمريكا .

وهذا دليل على أن المبادرة كانت تحوى فى مضمونها ما يعطى لجمال
عبد الناصر فرصة المناورة وحرية الحركة استعدادا لتوجيه ضربته التحريرية
وتحقيق سلام من فوهة البندقية .

الفصل الثاني

خريف عبد الناصر

الخريف يبدأ في سبتمبر •
أوراق الشجر تتساقط •• ويختلط اللون الأبيض للسحب الطائفة مع
اللون الأزرق للسماء الصافية •• وترطب نسمات الهواء البارد حرارة شهر
الصيف •• وتتغسل الأرض برذاذ المطر •• والخريف عندنا هو الربيع ••
لا يحمل الأتربة ولا يعرف الحر •• وهو الفصل الذي يستقبل الناس فيه
العمل بعد استرخاء الاجازات •• يقبلون على الحياة في نشاط وسلام •
ولكن خريف ١٩٧٠ في الوطن العربي كان شيئاً آخر •
بدأ شهر سبتمبر والموقف يتردى في الاردن •• يسقط القتلى والدماء
تروى الارض مع زخات المطر •
واللحظة التي تصور جمال عبد الناصر انه سوف ينتهي فيها من
الوصول بالصواريخ الى ضفة القناة الغربية لتأمين القوات المسلحة •• ليبدأ
أياماً يلتقط فيها النفس •• استعداداً لتنفيذ خطة التحرر •
هذه اللحظة لم تبدأ أبدا •
ولم يذق جمال عبد الناصر طعم الراحة التي طلبها منه الاطباء حماية
لصحته •
كان الاطباء المصريون والسوفييت قد ألحوا عليه في أن يقضى شهراً
كاملاً بعيداً عن ممارسة المسئولية •• بعيداً عن المقابلات والاحاديث
والتليفونات •
ورضخ جمال عبد الناصر •• واختار شهر سبتمبر ليمضي منه عشرة
أيام في مرسى مطروح •

ولكنه لم يخلع مسئولياته وهمومه قبل السفر .
قال لي الفريق أول محمد فوزي انه ذهب اليه هناك حاملا تفاصيل
الموقف والخطه بعد الوصول بحائط الصواريخ الى شاطئ القناة . . . وعندما
حاول عرض الامر عليه في حضور حسين الشافعي ركله في قدمه تحت
المائدة ، ونظر اليه نظرة فرضت عليه الصمت .

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا في كشف أسرار الخطه لشخص غير
مسئول عن تنفيذها حتى ولو كان عضوا في اللجنة التنفيذية العليا ، وزميلا
في مجلس قيادة الثورة .

هل هو الحرص على السرية الذي لازم جمال عبد الناصر في كل قراراته
وخطواته الهامة ؟

هل منحته مسئولية الحكم خبرة أن تكون المعلومات الهامة في حدود
المسؤولين عنها فقط ؟

أم . . . هل كان هناك موقف خاص من زميله السابق يدفعه الى هذا
التصرف ؟

رويت لي قصه ماأظن ان مجال نشرها هذا الكتاب . . . ولكنها تؤكد
الحقيقة الموضوعية القائمه . . . وهي ان الذين تربعوا في قمة السلطة حول
الزعيم . . . لم يكونوا - رغم دورهم التاريخي - أكثر الناس قدرة ووعيا . . .
وانهم ظلوا في مواقعهم رغم صيحات الشعب المطالبة بالتغيير . . . لان الزعيم
قد استكان اليهم وارتاح لتصرفاتهم معه . . .

لم يعرض الفريق أول محمد فوزي تفاصيل الخطه في هذه الجلسة ،
وعرضها بعد ذلك .

لم ينعم جمال عبد الناصر بلون البحر الفيروزي . . . ولا بالهدوء الشامل
في مرسى مطروح . . . اقتحمت الاحداث عليه خلوته ، وفرضت الكارنه
نفسها عليه .

كان الملك حسين قد بدأ عملياته ضد الفدائيين . . . وأسرع بعض قادتهم
في القاهرة - رغم موقفهم المعادي لعبد الناصر بعد قبول المبادرة - يقولون انه
اذا لم يتدخل عبد الناصر ، فان هذا سوف يكون بمثابة الضوء الاخضر
لمزيد من جموح السلطة الاردنية .

كان الموقف يتدهور ساعة بعد أخرى . . . ونزيف الدماء بدأ يختلط
بمياه الامطار وتراب الارض وعدد الذين تفقدهم المقاومة يتزايد .

واجتاح الغضب أرجاء الوطن العربي . . . وأخذت الدهشة الرأي العام
العالمي . . . لان العرب بدأوا تصفية المقاومة الفلسطينية .

وعقدت جلسة طارئة لمجلس الجامعة العربية ، بعد أن اتصل بهم خالد
الحسن مندوبا عن منظمة التحرير ، موضحا لهم خطورة الموقف .

تشكلت في نفس اليوم لجنة خماسية من سليم اليافى أمين الجامعة
المساعد ، وأمين الشبلي سفير السودان في الجامعة ، وعثمان نوري سفير
مصر في الجامعة وسفيرها السابق في الاردن . ومندوب الجزائر . ومندوب
ليبيا .

سافرت اللجنة الى عمان يوم ٧ سبتمبر واختارت أمين الشبلي رئيسا لها . . وكانت المناوشات قد بدأت . ولكنها لم تصل حد المذبحة .
وفامت اللجنة باتصالات مكثفه بين الملك حسين من جهة وبين أبوعمار وقادة المقاومة من جهة أخرى في محاولة مستميتة لتفادي تفجير الموقف .
كان الملك مصرا على تأكيد سلطته في دولته ، وكان قادة المقاومة مصرين على عدم التراجع عما كسبوه من حقوق خلال سنوات مابعد العدوان، معتقدين في قدرتهم على هزيمة قوات الملك واحتلال عمان .
قال أبوعمار لأعضاء لجنة الجامعة العربية ان قواته تستطيع أن تحتل العاصمة الاردنية في ساعتين . لان نصف الجيش الاردني سوف ينضم اليهم اذا حدثت بين الطرفين معركة .
وكان هذا تفاؤلا مبالغا فيه .

استقبل عبد الناصر الموقف في أسى فظيع . . وتبددت أحلامه في أن يهجع قليلا الى الراحة ، لمواجهة أعباء الحرب من جديد بعد انقضاء ٩٠ يوما على وقف اطلاق النار .
وتأن جمال عبد الناصر في هذه الفترة قد أصبح مريضا . . تثقله أعباء المسئوليات العديدة .
والنظام الذي فرضه على نفسه لم يتح له تفريخ أصدقاء جدد .
ولم يعد بجانبه الا عدد محدود من الأصدقاء القدامى .
بعد الهزيمة انتحر عبد الحكيم عامر . . وترك موته أثرا بالغا في نفسه . . فقد كان رغم كل شيء - أقرب الأصدقاء وأعزهم .
واستقال زكريا محيي الدين ولم يلتق بجمال عبد الناصر مطلقا .
والذين استمروا في العمل معه تعرضوا لمواقف منه، صعب على بعضهم أن يجد لها تبريرا .
الفضيحة التي وضع فيها على صبرى عمدا ، لم تستخدم من قبل مع الأصدقاء . وعودته مرة أخرى الى العمل حتى وصل عضوا في وفد مصر أثناء زيارته في يونيو الى موسكو ما أظن انها قد جعلت الجرح يلتئم .
وأنور السادات الذي عينه نائبا له أمضى أياما في قريته بعد رفضه لمبادرة روجرز . . وهو تصرف ما أظن أن نائب رئيس للجمهورية يغمسه بسهولة في بحر النسيان .

وتعرض محمد حسنين هيكل أيضا الى موقف لم يتعرض له من قبل، عندما فوجيء في شهر أبريل ١٩٧٠ بتعيينه وزيرا للارشاد بدلا من محمد فايق الذي أصبح وزير دولة للشئون الخارجية . . في نفس الوقت الذي أصبح فيه حسن التهامي وسعد زايد وسامي شرف وزراء أيضا .
وهيكل يقول الى فؤاد مطر في كتابه (بصراحة) - كنت في حالة صعبة من الضيق وقتها بسبب قرار توزيرى .

وبعد أيام صدر قرار باعتقال لطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة وسكرتيرة هيكل نوال المحلاوى وهما يتبادلان حديثا مليئا بالهجوم على عبد الناصر نتيجة لهذا التعيين الذي لم يوافق هوى في نفوسهم ولا نفس هيكل أيضا .

كانت تصرفات عبد الناصر قد تركت في نفوس هؤلاء جروحا . . . استطاع البعض أن يعلو عليها ويعبرها . . . وبقيت غائرة لا تلتئم في نفوس البعض الآخر .

وهي تصرفات تبدو فيها عصبية الارهاق وتوتر المرض . لان عبد الناصر كان يراجع نفسه فيها ، ولا يصبر عليها .

وفي هذه الفترة كان قد قرب اليه عبد اللطيف البغدادي . . . والتقى الاثنان كثيرا في سهرات خاصة .

قال لي عبد اللطيف البغدادي انهما كانا يتناقشان في السياسة كثيرا لتقريب وجهات النظر . . . وانه كان يعد له رحلة لزيارة الاتحاد السوفيتي للتعرف على زعمائه الجدد وعلى ابعاد الصداقة الوثيقة بين الدولتين . . . وقال لي أيضا انه تحدث اليه في موضوع ترشيحه رئيسا للوزراء .

ولكن هذه الصلة لم تثمر شيئا . . . فقد كان البغدادي غير متحمس للتعاون مكثفيا بتجديد الصداقة . . . وعبد الناصر كان يريد صديقا يفكر مثله .

وتثبتت هذه الصلة الطارئة ان جمال عبد الناصر قد حاصر نفسه خلال سنوات حكمه بقيود جعلته لا يتعرف الى شخصيات جديدة يمكن أن تصبح له في موضع الصديق . . . وأسلوب يجعل الوصول الى صداقته امرا عسيراً .

وتثبت أيضا أن النظام لم يفرخ قيادات مؤمنة بالتحول الاشتراكي يمكن ان تفرض نفسها . . . وأن محاوله اعاده البغدادي للعمل ، تشير الى انه كان يحاول تغيير أفكاره أولا ثم الاعتماد عليه بعد ذلك . . . وهذا امر يتناقض تماما مع بعث القيادة في مجتمع اشتراكي فهي لا تورث . ولا تتم بالاختيار .

ولذا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر قد واجه كارثة محاولة تصفية المقاومة وحيدا . . . ومريضا . . . وتتنازعه عدة عوامل نفسية . الموقف يتدهور في سرعة .

وعلى الساحة العربية بدأ جمال عبد الناصر يستشعر أشياء غريبة . المقاومة الفلسطينية التي اختنقناها وفتح لها ذراعيه أصبحت تهاجمه بعنف . . . سوريا والعراق تشتد أيضا في الهجوم .

المواقف الاستفزازية لبعض المنظمات تعقد الامور وتجعل الصدام امرا حتميا لاسبيل لتفاديه .

وعبد الناصر في ازمته النفسية حريص على بقاء المقاومة لدورها الايجابي في معركة التحرير . . . تعيس للتمزق الذي تعيشه منظماتها . . . حزين لان أحدا في صفوفها لم يعد قادرا على الدفاع عنه .

كان جمال عبد الناصر شديد الايمان بما قام به . . . ولكنه كان عاجزا عن إقناع الآخرين .

وأسهمت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) في اشعال الموقف المعادي لعبد الناصر وللانظمة العربية . . . وأسهمت أيضا بشكل رئيسي في استفزاز

النظام الاردنى . . وفى وضع المنظمات الاخرى وخاصة فتح تحت نيران الانهام بانتفريط .

وتعشرت العمليات الفدائية داخل اسرائيل . . بعد أن أصبحت حماية المقاومة داخل الأردن هي المسئولية الاولى للجميع .
واختارت الجبهة الشعبية طريقها (الخاص) لتصعيد المعركة بعيدا عن قبضة الملك حسين .

وقامت يوم ٦ سبتمبر بخطط طائرة بوينج أمريكية كبيرة هبطت فى القاهرة ثم نسفت بعد اخلائها من الركاب .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد خطفت بعد أيام طائرتين واحدة أمريكية والاخرى سويسرية تبعتهما ثلاثة بريطانية وهبط الجميع فى مطار مهجور بالأردن أطلقوا عليه اسم (مطار الثورة) . . وطلبت الجبهة من حكومات انجلترا واسرائيل وسويسرا وألمانيا الغربية إطلاق سراح الفدائيين المعتقلين قبل الافراج عن الركاب . . ولكن جميع الحكومات رفضت الخضوع .

ورغم أن منظمة التحرير والحكومات العربية قد أدانت هذا الأسلوب إلا أن أحدا لم يستطع أن يتدخل لانقاذ الركاب الذين اضطرت الجبهة للافراج عنهم بعد أربعة أيام عقب نسف الطائرتين الثلاث .

وكان هذا الحادث هو أكثر الحوادث استفزازا للنظام الأردنى ، استغله الملك حسين الذى قال له جمال عبد الناصر فى معرض مطالبته بأن يحافظ على المقاومة انه يمكن إطلاق لفظ (صبر حسين) مثل (صبر أيوب) . . ولم يقبل الملك أن يصل الاعتداء على مملكته الى هذا الحد باقامة (دولة داخل الدولة) .

وارتكبت الجبهة الشعبية بهذا الحادث خطأ تاريخيا . . فهو عمل بعيد تماما عن مقاومة العدو . . مثير لعداوة الشعوب والرأى العام العالمى .
وكانت الجبهة الشعبية قد بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة بوينج اسرائيلية كانت فى طريقها من روما الى تل أبيب ، وأجبرت بوساطة المسلحين الفلسطينيين على الهبوط فى الجزائر حيث بقى ١٢ راكبا اسرائيليا فى الحجز لمدة شهرين قبل إطلاق سراحهم .

وبعد خمسة شهور استولى الفدائيون على طائرة بوينج اسرائيلية أخرى فى مطار أثينا حيث قتل أحد الركاب قبل أن يعتقل البوليس اليونانى المختطفين .

ورد الاسرائيليون على ذلك بتدمير ١٣ طائرة عربية فوق أرض مطار بيروت .

ومع ذلك لم تتوقف الجبهة الشعبية عن انتهاج هذا الأسلوب . . فقد هجم مجموعة من أفرادها فى مطار زيوريخ على طائرة اسرائيلية فجرحوا ستة من الركاب وأفراد الطاقم ، وقتل أحد الفلسطينيين واعتقل البوليس السويسرى الباقين وذلك فى فبراير ١٩٦٩ .

ولم تفنح محاولات أبو عمار فى وقف مثل هذه العمليات التى كانت تشوه وجه المقاومة وتسيء الى أهدافها النبيلة ، فقد اختطفت طائرة أمريكية

نانت في طريقها الى تل أبيب في أغسطس ١٩٦٩ وهبطت في دمشق ، وفي
سبتمبر هوجم مكتب شركة (الغال) في بروكسل ودمر تماما ، وهوجمت
بعد ذلك مكاتب اسرائيلية في بون ولاهاي ثم في أثينا خلال شهر نوفمبر
١٩٦٩ حيث هوجم مكتب شركة (الغال) ايضا وجرح ١٥ شخصا .

وفي يناير ١٩٧٠ خطفت طائرة أمريكية أخرى في طريقها بين باريس
وروما ، وفي فبراير هوجمت عربة شركة طيران في مطار ميونيخ ظنا بأن
ابن موسى ديان هو أحد الركاب .

وقد أتارت هذه الحوادث المتكررة غضب كثير من الدول العربية ،
ومنظمه فتح وغيرها . . . وخلقت موجه من الرفض العالمي لهذا الأسلوب الذي
يعرض المدنيين للخطر ، ويفتعل أحداثا مثيرة في دول يحرص العرب على كسب
الرأي العام فيها وليس تنفيذه واجباره على اتخاذ موقف العداء .

وأعلن رئيس وزراء الاردن ادانته لمثل هذه الاعمال وأعلن انه سيعتبر
القائمين بها خارجين على القانون .

واضطر أبو عمار لاصدار بيان في يونيو ١٩٧٠ باسم المجلس الوطني
الفلسطيني يعلن فيه ان عمليات خطف الطائرات المدنية منافية للهدف
الفلسطيني ومتناقضة مع سياسة منظمة التحرير الرسمية .

ولكن الجبهة الشعبية أرادت أن تثبت استقلالية سياستها فخطفت
طائرة يونانية لم تفرج عنها الا بعد أن أفرجت الحكومة اليونانية عن سبعة
من الفدائيين المعتقلين .

تاريخ طويل في خطف الطائرات لا يمكن تدوينه ضمن النضال ضد
الاحتلال الاسرائيلي للأرض العربية .

ولو كان خطف الطائرات سبيلا لتحرير الارض لكان الفيتناميون قد
خطفوا كل الطائرات الامريكية ، ولم يواصلوا النضال الشاق في حرب
مريرة أكثر من ثلاثين عاما .

ولكنها فيما يبدو كانت فترة لم تنضج فيها بعض القيادات الفلسطينية
ولم تصقل بالخبرة والتجربة . . . فأرادت أن تلفت نظر الرأي العام العالمي
لقضية شعب فلسطين بهذه الاحداث المثيرة التي لم تثمر شيئا نافعا .

وكان حادث الجبهة الأخير هو الفرصة النادرة للملك حسين . . . اذ أبلغ
أمين الشيلي رئيس لجنة الجامعة العربية عندما قابله يوم ١٢ سبتمبر انه اذا
لم يحدث اتفاق قبل يوم ١٥ سبتمبر فانه سسوف يصدر الامر لقواته
المسلحة بضرب المقاومة .

وكانت الجبهة الشعبية قد منحت بعض ركاب الطائرات المحتجزة
(تأشيرات دخول) خاصة على جوازات سفرهم .

وفي يوم ١٥ سبتمبر توصلت لجنة الجامعة الى اتفاقية مشتركة أعلنتها
الإذاعة الأردنية .

واعتقد البعض ان الامور تمضي الى هدوء وسلام .

ولكن الملك أصدر قرارا في الثانية من صباح يوم ١٦ سبتمبر بتغيير
وزارة عبد المنعم الرفاعي وتعيين اللواء محمد داود رئيسا لوزارة عسكرية
أعلنت الاحكام العرفية .

ويقول أمين الشبلي ان محمد داود قد أمضى يوم ١٦ سبتمبر وهو يتصل به في نقابة المحامين بعمان . التي اختارها مقرا للجنة الجامعة العربية مطالبا بسرعة تنفيذ الاتفاقية التي كانت تنص على خروج الفدائيين من المدن وعدم حملهم السلاح .

ولكن اللجنة التنفيذية المشكلة من ١١ منظمة فلسطينية رفضت الحضور متخذة من التعيين الوزاري دليلا على عدم جدية النظام الاردني ، أو رغبته في اقرار الهدوء . . . واعتبرت أن تشكيل الوزارة العسكرية دليل لايعوزه التأكيد على أن الملك سادر في خطته لضرب المقاومة . وأصدرت اللجنة التنفيذية التي اجتمعت في الاشرفية بيانا بذلك رغم محاولات أمين الشبلي وأعضاء اللجنة في عقد اجتماع مشترك مع ممثلي السلطة لتنفيذ الاتفاقية .

وفي يوم ١٧ سبتمبر الساعة الواحدة صباحا اتصل أبوعمار بأمين الشبلي وأبلغه ان الضرب قد بدأ . . . وتفجرت العاصمة الاردنية بأصوات القنابل وطلقات الرصاص . . . وانفضت اللجنة الخماسية للجامعة العربية .

أصدر الملك الاوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها .

وتحركات قوات البادية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطيني .
مأساة . . . وكارثة .

وتحركات القوات السورية الى بلدة (الرمثا) على الحدود الاردنية . . . ولم تقابل هذه الحركة بالصمت من جانب الولايات المتحدة . . . أبلغت عن طريق الاتحاد السوفيتي بأنها لن تسمح بدخول القوات السورية الى الاردن . . . وانها سوف تحمي نظام الملك حسين .

ووصلت الى جمال عبد الناصر معلومات تفيد بأن القوات الجوية الامريكية في تركيا قد وضعت في حالة استعداد لسحب الامريكيين من الاردن . . . واعتبر ان هذا غطاء لعملية غزو مرتقبة . . . وطلب من حافظ اسماعيل مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت متابعة كافة التحركات الامريكية .

وقد صرح نيكسون فيما بعد بأن الولايات المتحدة لم تقترب من خطر صدام عالمي مثلما اقتربت في هذه الفترة .

عاد عبد الناصر الى القاهرة ليواجه الموقف المتردى . . . وفكر للوهلة الاولى بالذهاب شخصيا الى عمان لفرض وقف اطلاق النار ، ولكنه أرسل الفريق محمد أحمد صادق رئيس الاركان في ذلك الوقت الى عمان ليبصر الملك باخطار تصفية المقاومة ، وليقنعه بأن الحرب الاهلية لن تكون الا في صالح اسرائيل .

قال لي الفريق محمد أحمد صادق انه ذهب ومعه طائرتان تحملان الادوات الطبية ، وانه وجد من الملك حسين رفضا واضحا لقبول تصرفات

المقاومة الفلسطينية . وانه مصر على تحرير ارادة حكومته من كل هذه الضغوط .

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفرجة ، وساد الظلام في الاردن . وتحول شهر سبتمبر الى شهر كئيب حزين أسود . . . وتجاوز عدد الذين سقطوا قتلى برصاص السلطة الاردنية ، عدد الفدائيين الذين استشهدوا في عملياتهم داخل اسرائيل والارض المحتلة . . . وفي كافة المعارك الخالدة مثل (الكرامة) وغيرها .

وصل رئيس سوريا نور الدين الاتاسي الى القاهرة يوم ٢١ سبتمبر ، وهو يحمل معه الرغبة في دخول الاردن . . . ولكن جمال عبد الناصر حذره من الموقف الامريكى ، ومن الخطوات غير المحسوبة . . . ولم يجد عبد الناصر سبيلا لمواجهة الموقف سوى بالدعوة لمؤتمر قمة عربى .

مؤتمر القمة الاخير :

استجاب الملوك والرؤساء ، واجتمعوا في القاهرة مع يومى ٢٢ و ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ .

مؤتمر القمة ينعقد قبل مضى عام على مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) .

تجبر الظروف جمال عبد الناصر على عقد هذا الاجتماع . . . وهو الذى أطلق التساؤلات المخرجة في وجه هؤلاء المجتمعين قبل تسعة شهور . . . ثم غادر اجتماعهم ليواصل الاستعداد للمعركة .

ولكن فظاعة الكارثة كانت تفرض نفسها على الجميع . . . عار تاريخى يلحق بهؤلاء الرؤساء والزعماء . . . المقاومة الفلسطينية التى نمت وتضاعفت وفرضت نفسها على العالم بعد مؤتمر الخرطوم - أغسطس ١٩٦٧ - وبعد تغير قيادتها عقب استقالة أحمد الشقيرى . . . تذبح اليوم علنا برصاص العرب . . . وكل القيادات عاجزة عن حمايتها .

المؤتمر ينعقد في ظروف قاسية . . . والدمشة تعقد الالسنه امام جسامه المأساة .

الملوك والرؤساء يتوافدون الى فندق هيلتون على نيل مصر . والمذبحة مازالت مستمرة في الاردن . . . وأحرار العالم يحتجون في مظاهرات صاخبة .

التاريخ يسجل الأحداث بقلم من الدم . . . وانظار الجميع تتجه الى الفندق الكبير ، تتسابق لمعرفة الاخبار . وما يصدر عن المجتمعين من قرارات يمكن أن توقف النزيف . قبل أن يهدم جسد المقاومة .

الملك حسين لا يحضر ويرسل اللواء محمد داود رئيس الوزراء مندوبا عنه يوم ٢٣ سبتمبر .

البعض يحاول ان يدين النظام الاردنى ويتخذ موقفا ضد الملك حسين ، وخاصة معمر القذافى . . . وجمال عبد الناصر يدرك ان هذه القرارات لن توقف

نزف الدماء ، وستدفع الملك حسين لمواصلة مايقوم به .
ويرسل المؤتمر جعفر نميري مندوبا عنه على رأس وفد يضم الباهي
الادغم رئيس وزراء تونس وأمين الشبلي سفير السودان في الجامعة العربية
ووزير العدل السابق في وزارة ٢٥ مايو والفريق محمد أحمد صادق سافر
الى عمان يوم ٢٢ سبتمبر . . وصرح نميري لانطوني ناتنج بأنه لم يواجه
موقفا أكثر صعوبة من هذا الواجب الذي كلف به .
لم ينجح الوفد في وقف إطلاق النار .
كما يقول الفريق محمد أحمد صادق أن أسلوب العملية يدل على أن
النية كانت مبيتة لها .

وعندما يعجز الوفد عن الوصول الى تسوية بين العرب المتحاربين . .
أوبين جيش الملك ومعظمه من البادية وقوات الفدائيين ، يعود الى القاهرة
ليفضي الى المجتمعين بصعوبة الموقف وخطورته .

وتتبلور عند جمال عبد الناصر معلومات تفيد ان ما يحدث في الاردن ،
وما قاله عنه الباهي الادغم بأنه أمر لا يحدث في أية دولة متحضرة كعملية
بوليسية وانما هو عملية حربية شاملة . . انما هو تدبير وتخطيط من
المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع بعض العناصر الاردنية مثل وصفي
التل . . خاصة وأن بوارج الاسطول السادس كانت تواجه الشواطئ
الاسرائيلية واللبنانية وضمنها حاملتا طائرات .

وكان جمال عبد الناصر على أشد الحذر من انزلاق الامور الى تدخل
أمريكي اسرائيلي مشترك . . ولذا فقد صرح السوريين عندما أظهروا رغبتهم
في دفع قواتهم للاردن بأن مصر لن ترسل أي قوات لسوريا أو الاردن في
حالة تدخل أمريكا .

وكان جمال عبد الناصر صائبا في رؤيته . . فان الامريكيين أخذوا
الامر على محمل الجد ، وأوضحت التقارير الواردة من واشنطن ونيويورك أن
نيكسون قد يرسل الى الاردن بقوات أمريكية في أية لحظة . . كما ان قادة
الاتحاد السوفيتي قد طالبوا عبد الناصر بضبط النفس تفويضا للمؤامرة .

أكد نيكسون ذلك بعد انتهاء الازمة كما أشرنا . . ولم تثبت المعلومات
أن الملك حسين قد طلب مساعدة أمريكية .
وأضح أن القوات الاردنية كانت قادرة - وحدها - على تنفيذ المهمة
التي كلفت بها .

ولم يعد أمام المؤتمر من سبيل سوى الارتفاع عن كلمات الادانة ،
ومطالبة الملك حسين بحضور المؤتمر ، وخاصة بعد أن عاود جعفر نميري
سفره الى الاردن يوم ٢٤ سبتمبر على رأس وفد يضم حسين الشافعي والباهي
الادغم والشيخ سعد العبدالله الصباح وزير دفاع وداخلية الكويت .

وكان محمد داود الذي عينه الملك حسين رئيسا لوزارة عسكرية قد
أرسل الى الملك استقالته لان ابنته المتزوجة في بيروت حضرت اليه أثناء
انعقاد المؤتمر في القاهرة وتمثيله للاردن وطالبته ألا يكون مخلب القط

الذي يضرب الفدائيين .. ولأن معمر القذافي واجهه بمسئوليته في خيانة القضية العربية .

استقال وحصل على الجنسية الليبية .

ويتصل جمال عبد الناصر بالملك حسين طالبا منه الحضور الى القاهرة مقتنعا بأن حضوره يخفف من غلواء بعض أقاربه والمحيطين به الذين يدفعونه في تعصب أحق الى تصفية الفلسطينيين .. حتى الذين يعيشون المأساة في خيام اللاجئين .

تحدث عبد الناصر الى الملك حسين وبجانبه الامير صباح السالم الصباح أمير الكويت .. وحرص أثناء الحديث أن يشن على الملك حتى يغريه على الحضور .

وكان عبد الناصر مقتنعا بأن مسئولية المذبحة البشعة تقع على عاتق النظام الاردني أساسا ، ولكنه كان مقتنعا أيضا بأن تصرفات الجبهة الشعبية قد دفعت الامور الى ذلك .

الوفد المفوض من مؤتمر القمة يلتقي مع ياسر عرفات في السفارة المصرية أثناء زيارته الاولى وخلال الزيارة الثانية يقوم الوفد بتهريب ياسر عرفات في طائرتهم الى القاهرة بعد أن أمر الشيخ سعد العبد الله ولي عهد الكويت حاليا ووزير دفاعها في ذلك الوقت - أحد أعوانه بخلع جلبابه أو (دشداشته) والباسها لابي عمار الذي ما كان ليفلت من القوات الاردنية التي صوبت نيرانها على مقر اقامة وفد مؤتمر القمة عندما علمت انه لا يريد أن يغادر البلاد الا بعد وقف اطلاق النار تماما .

وعندما استجاب الملك حسين لرغبة عبد الناصر وحضر الى المؤتمر يوم ٢٥ سبتمبر .. دخل قاعة الاجتماع يحمل مسدسه وكذلك أبر عمار ... وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال انه يجدر بنا أولا نزع سلاح المتحاربين .

وتوصل المؤتمر يوم ٢٧ سبتمبر الى اتفاق وقعه الملك حسين وياسر عرفات ويقضى بالآتي :

أولا : الوقف الفوري لاطلاق النار .

ثانيا : انسحاب الجيش الاردني والفدائيين من كافة المدن قبل مغرب نفس اليوم .

ثالثا : تكليف لجنة برئاسة الباهي الادغم تسافر الى الاردن يوم ٢٨ سبتمبر لتشرف على اجراءات التنفيذ .

وانتهى أطول مؤتمر قمة في تاريخ العرب .. امتد أسبوعا كاملا .
وغادر جمال عبد الناصر فندق هيلتون يوم ٢٧ سبتمبر الى داره ليكون قريبا من المطار أثناء توديع الملوك والرؤساء .

الباب السادس

عبد الناصر... مات

انتهى مؤتمر القمة الذي عقد تحت ضغط المذبحة ، واختلطت كلمات المناقشة فيه بأصوات الرصاص .
وافق الملك على وقف المذبحة .. وقبل أبوعمار سحب الفدائيين من المدن .
وأصبح واضحا أن الأردن لم تعد أرضا صالحة للفدائيين .. ولم تعد نقطة انطلاق الى داخل الأرض المحتلة .
كان هذا المؤتمر هو أكثر مؤتمرات القمة ارهاقا لعبد الناصر .. فقد أجبر على عقده لان قبوله لمبادرة روجرز هو الذي فجر الاحداث ، ووصل بها الى هذه المأساة الانسانية .
ولذا حمل العبء كله .. وفي أعماقه شعور بأنه مسئول - مسئولية غير مباشرة - عن التدهور الذي انزلت اليه الامور .. وعن دماء ألوف من الفلسطينيين قتلهم رصاص النظام الأردني .
ورغم أن عبد الناصر لم يكن مسئولا في حقيقة الامر عن شيء من ذلك ولكنه ارتبط بالمأساة . وأصبح طرفا فيها .
ومع أن مذبحة الأردن لم تكن في هول هزيمة ١٩٦٧ وبشاعتها ، إلا أن مؤتمر القاهرة (سبتمبر ١٩٧٠) قد انعقد تحت ضغط عصبي يفوق كثيرا .
بمسا لا يقيم وجها للمقارنة مع مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) .
كان شعب السودان قد استقبل عبد الناصر استقبالا تاريخيا خالدا،

لا يمكن أن يستقبله شعب لقائد مهزوم .. وكان ذلك تعبيرا عن ثقة شعوب
الامة العربية فيه قائدا يتحمل مسئولية النضال والتحرير في المستقبل .
أما مؤتمر القاهرة فقد عقد ، وبعض القوى تهتف بسقوط عبدالناصر
وتلقى جانبا من مسئولية المذبحة عليه .

وكان الامر على نفسه قاسيا .. بل شديد القسوة .. فقد أمضى
السنوات الثلاث التي أعقبت الهزيمة في كفاح مستمر لامتنصاص الهزيمة
وازالة آثارها .. وانتصر في ذلك بما جعل قواتنا المسلحة قادرة على إلحاق
الخسائر بالعدو ، واشعاره بأن نصره السريع في يونيو ١٩٦٧ ليس
دائما أو أبديا .

وكانت فترة وقف إطلاق النار التي أتاحتها مبادرة روجرز .. هي
فترة التقاط الانفاس والاستعداد النهائي .. لمواصلة القتال ، وتنفيذ خطته
تحرير الارض .

وعاش جمال عبد الناصر في هذا الامل .. ولم يتصور - فيما اعتقد -
أن طعنة بمثل هذا العنف يمكن ان توجه اليه من هذا الاتجاه ، فتطيح بامله
وتهدد خطته ، وتجعله يقف وحيدا فوق بركة من الدماء ، يحاول دفع
المأساة .

ولاشك ان عدم تنسيق الاستراتيجية العربية بين كافة الانظمة والقوى
السياسية .. وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها
سياسة واحدة .. كان من الاسباب الرئيسية التي أتاحت لمؤامرة النظام
الأردني ان تنجح .

حمل جمال عبد الناصر عبء المؤتمر - سياسيا ونفسيا وماديا - ووصل
به - رغم كل شيء - الى تحقيق :

وقف إطلاق النار وقطع نزيف الدماء .

تفويت الفرصة على أي تدخل امريكي مباشر .

هذا ما يمكن - رغم سلبيته - أن يعتبر ايجابيا في قرارات أطول
وأصعب مؤتمر للقمة العربية .

ولعل ما قاله معمر القذافي ، أثناء المؤتمر ، من أن الملك حسين مجنون
يقتل شعبه . وأن على المجتمعين أن يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى
.. وما دار بعد ذلك من حوار سجله محمد حسنين هيكل تفصيلا في كتابه
(الطريق الى رمضان) ، والذي قال فيه الملك فيصل (ربما كنا جميعا مجانين)
ثم ما انتهى اليه الحوار من قول جمال عبد الناصر :

(أحيانا عندما نرى ما يحدث في العالم العربي ، فاني أعتقد ان ذلك قد
يكون صحيحا يا صاحب الجلالة .. ولذا فاني أقترح ان ننتدب طبيبا للكشف
علينا دوريا ، ومعرفة المجنون فينا) .

أقول .. لعل هذا الحوار الذي خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء
والملوك .. يعطى احساسا بسخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع .. ويدفع
الى التساؤل في نفس الوقت .

هل هو جنون فرد الذي فجر هذه المأساة .. أم خيانة طبقة ونظام ؟

وهل افرخت المأساة والمذبحة بين المجتمعين في قاعة المؤتمر .. أم أنها امتدت الى قادة بعض القوى التي ألهمت المشاعر واخطت التقدير .. ولم تحضر المؤتمر ؟

مهما حاولنا من تعليق الخطايا في رقاب المتهمين .. فان الشهداء لن يعودوا للحياة .. ووصمة العار لن تمحوها الايام من جبهة النظام الاردني، ولا من حياة بعض الذين لجأوا الى الاستفزاز وحده من بين بعض فضائل المقاومة الفلسطينية .

ضاعت الفرصة الى الأبد في أن يعود الفدائيون أحرارا في الاردن . وأغلقت حدود الضفة الغربية فلم يعد يتهدد الخطر أحدا داخله . أئيل من هذا الاتجاه .

وبدأت لجنة يرأسها الباهي الادغم تشرف على تنفيذ الاتفاق الذي وقعه الملك حسين وياسر عرفات .

وبدأ الملك والرؤساء يغادرون القاهرة الى بلادهم في نفس اليوم . وأصبح يوم جديد .. يحمل تاريخا له وقع حزين في نفوس المهتمين بقضايا الامة العربية .

٢٨ سبتمبر .. يوم انفصال سوريا عن مصر بانقلاب عسكري .. يوم تمزقت الجمهورية العربية المتحدة .. التي اعتبرت ولادتها انتصارا تاريخيا للقومية والوحدة العربية .

٢٨ سبتمبر .. ذلك اليوم الذي انتقل فيه جمال عبد الناصر من سد تسع سنوات الى دار الاذاعة لأول مرة ليتابع أخبار الحركة الانفصالية . ٢٨ سبتمبر .. اليوم الذي أصدر فيه جمال عبد الناصر تعليمات بإرسال قوات لمقاومة الانفصاليين في سوريا ، ثم أصدر أمرا بعودتها وهي بعد مازالت في الطريق .. حتى لا يقتتل العرب .. ويهدر الرصاص العربي دماء عربية .

٢٨ سبتمبر .. اليوم الذي أغلق فيه جمال عبد الناصر غرفته على نفسه ، وأجهش بالبكاء لان دمشق التي أحبها ضاعت .. وكانت أول هزيمة للزعيم صاحب الانتصارات الصاعدة .

استيقظ جمال عبد الناصر مرهقا في ذلك اليوم - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ - ولكنه لم يتردد في توديع الملوك والرؤساء في مطار القاهرة . وعند الوداع الاخير لأمر الكويت كانت طاقة جمال عبد الناصر على الاحتمال قد نفدت .. ولم يعد قادرا على الوقوف .. طلب الطبيب وهرعت اليه العرببة التي أسرع الى داره في منشية البكري فوصلت في الثالثة والنصف .

الاسرة تنتظره على الغداء .. ولكنه مرهق .. مرهق .. يدخل غرفته ويخلع ملابسه وينام على السرير ويكتشف الطبيب أن أزمة قلبية قد هاجمته .. وأن الموقف خطير .

ويتوالى حضور الاطباء والمستولين . وبعد أن كان يقف الى جانبه شعراوي جمعة وسامي شرف ومحمد أحمد

نوالى وصول محمد فوزى وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ..
وبقيت الاسرة خارج الغرفة .
وبدأت محاولات الطب لانقاذ حياة الزعيم .. والذهول يعقد السنة
الحاضرين .
وقفوا ساعتين حول عبد الناصر .. وهم لا يتصورون أن عبد الناصر
قد مات .
وعندما انهار أحد الاطباء ، اكتشف الحاضرون الموقف .. وانفجر
البكاء .
بكى رفاق عبد الناصر عليه .. فى نفس اليوم الذى بكى فيه هو منذ
تسع سنوات لفراق سوريا .
عبد الناصر .. مات .
وليس أمام الموت عظيم .

جنازة .. الزعيم

أعلن أنور السادات نائب رئيس الجمهورية الخير الحزين على جماهير
الشعب من ميكرفون الاذاعة وشاشه التليفزيون .
وكان الخير صدمة مذهلة .. فقد شاهده الناس منذ ساعات يودع
أمير الكويت فى المطار .
وزحف الناس الى بيته .. مئات الألوف .. ثم الملايين امتلات بهم
شوارع القاهرة .
وعقدت الوزارة مع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي اجتماعا
مشاركاً فى قصر القبة لاعداد ترتيبات الجنازة التى تقرر أن تشيع يوم اول
أكتوبر .
وتقاطر الزعماء والرؤساء على القاهرة لتوديع جمال عبد الناصر .
وأضى الشعب المصرى ثلاثة أيام حزينة .. تسير جموعه تغنى اغنيات
تنضح بالاسى والفجيعة .. كل الذين ارتبطت آمالهم به أصابتهم الفاجعة
فى الصميم .
ولم يعرف تاريخ مصر أياما مثل هذه الايام الثلاثة التى سبقت
الجنازة .
ولم تفلح كافة الاجراءات والترتيبات الادارية فى اخراج جنازة رسمية
.. احتضن الشعب جثمان الزعيم ، واختلط البكاء مع الصراخ والنحيب
والدعاء والتهافت .
ودفن جمال عبد الناصر فى المسجد الذى أقامه مجاورا للقيادة العامة
للقوات المسلحة، التى زحفت اليها قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
عبد الناصر .. مات .
وشيع شعب مصر جنازته فى موكب تاريخى رهيب .
وانتهت صفحة قائد ثورة يوليو .
ولكن (قصة ثورة ٢٣ يوليو) لم تصل نهايتها بعد .

الباب السابع

تقييم لدور البطل والزعيم

عبد الناصر .. مات ..
لم يعد صاحب الرأي والارادة .. ومركز حركة الاحداث ..
نام في صمت أبدى .. وترك الحديث للناس ..
مفجر ثورة يوليو وقائد مسيرتها .. مات .. قبل ان ينتهي الطريق
وتكتمل القصة فصولا ..
غاب المخرج والمؤلف والبطل .. وبقي المشاهدون .. لم يسدل الستار
بعد ..
غاب الزعيم .. وبقي الشعب .. ولم تنته قصة ثورة ٢٣ يوليو ..
والدور الذي قام به جمال عبد الناصر ... حفر له مكانا بارزا في
تاريخ مصر ..
لم يكن جمال عبد الناصر هو البطل الوحيد على خشبة المسرح ..
ولكنه كان يلعب دور الفتى الاول الذي جذب الأضواء وسحر الجماهير ، وتلقى
أكاليل الغار .. حتى وقع من الهزيمة القاسية ، ثم نهض كبطل اغريقى
يحارب من أجل مجده وحرية وطنه ، فوق أرض روتها الدماء .. وسط شعب
اهتزت ثقته .. ولكنه ظل يبلور أمله في هذا الرجل الاسمر القادم من صعيد
مصر ، الذي اقام الجمهورية وأصبح أول رئيس منتخب لها بعد حكم للقراعة
والاباطرة والخلفاء والملوك امتد آلاف السنين
فرض عبد الناصر نفسه على عصره .. وأصبح الناس في الخارج
يقولون (ناصر) اذا ذكرت (مصر) ..
كان بطلا قوميا ألهم مشاعر العرب .. وساند .. باسم التحررية ..

واقام أول دولة للوحدة ج ٥٠م .
وكان أحد ثلاثة من كبار زعماء العالم ، أسسوا الحياض الايجابية وعلم
الانحياز . . نهرو وعبد الناصر وتيتو .
وكان زعيما وطنيا جريئا كسر القيود التي فرضتها الامبريالية على
وطنه . . وانتصر على العدوان الثلاثي . . وتعاون مع الدول الاشتراكية في
مجالات التصنيع والاقتصاد والتسليح .
وفوق أرض مصر . . تغيرت معالم الحياة . . ولعب عبد الناصر في
ذلك دورا رئيسيا .

تحرر الفلاح من سيطرة الاقطاع . . وأصبحت ثلاثة أرباع الأرض
يملكها الذين يزرعونها . . وسقط السيد المعبود الذي كان يملك الأرض .
ومن عليها .

وارتفعت مداخن المصانع من الاسكندرية الى أسوان . . وقامت قاعدة
صناعية قوية ، يعمل فيها ٧ ملايين عامل ، وأصبحنا ننتج ما يمكن تصديره
للخارج . . بعد أن كانت مصر تستورد كل شيء حتى ابر الخياطة .
ودخلت مصر مجال الصناعة الثقيلة . . وأقامت بالتعاون مع الاتحاد
السوفييتي منجم الحديد والصلب في حلوان ، ومنجم الألمنيوم في نجع
حمادى ومئات المصانع .

كما دخلت عصر الكهرباء باقامة السد العالي الذي وفر لنا كل الكهرباء
لمصانعنا ، وأضاف مليون فدان لرقعتنا الزراعية التي تحاصرها الصحراء .
وأخذ العمال بعض حقوقهم . . أصبحت مدة العمل ٧ ساعات يوميا .
وامتنع الفصل التعسفي . . وشارك العمال في الارباح وفي عضوية مجالس
الادارة . . وتشكل الاتحاد العام لنقابات العمال بعد تعذر تشكيله قبل
٢٣ يوليو .

وأصبح التعليم مجانا في مختلف المراحل بما فيها الجامعات . . ولم تعد
هناك قيود مادية او اجتماعية تحول بين الموهوبين ومواصلة التعليم .
وضمنت الدولة حق العمل لكافة خريجي الجامعات والمعاهد . .
وتراجعت البطالة التي كانت تزحف على المجتمع .
وانتشرت الجامعات في الدلتا والصعيد . . وأصبح لدى مصر ما يكفيها
من الأطباء والمهندسين والعلماء والاداريين . . وما يمكن توفيره أيضا لعدد
من الدول العربية الاخرى .
كان جمال عبدالناصر هو القوة الدافعة الرئيسية وراء كل هذه المكاسب
والانجازات .

ولكن الزعيم وحده - دون محاولة التقليل من دوره - لا يستطيع أن
يقبض على كل الخيوط . . ويعجز مهما كانت قدراته وعظم اخلاصه . . أن
يبني المجتمع وحده .

وجمال عبد الناصر اعتمد في بناء المجتمع الجديد أساسا ، على الذين
يحيطون به من العسكريين . . وتشكلت (أوتوقراطية عسكرية) تربع في
قمتها بغير منازع .

اختار الطريق السهل .. الذى يعتمد فيه على القرارات الادارية ،
ينفذها له مجموعة من العسكريين ، الذين نشأوا ودرّبوا في أجهزة الامر
والمخابرات ، كما اوضحت ذلك تفصيلا في الجزء الثانى (مجتمع جمال
عبد الناصر) .

والمعارك السياسية الداخلية التى خاضها اعتمد فيها على القرارات
الادارية وحدها .

ألغى الاحزاب جميعا ، دون أن يفرق بين التى لعبت دورا وطنيا ، والتى
قامت لخدمة المحتلين والسراى (الوفد وأحزاب الاقلية) .. وهاجم فكرة
الحزبية في مجتمع كانت الطبقات فيه مازالت تتصارع .. ولكنه احتكر
العمل السياسى في يد تنظيمات ورقية أشرف عليها العسكريون ... ولذا
سقطت الحياة السياسية في فراغ رهيب حتى عام ١٩٦١ .

حاكم الاخوان المسلمين والشيوعيين وبعض رجال الاحزاب السابقين ،
ولم يدرك ان هذه الاجراءات الادارية لايمكن أن تعنى تصفية سياسية ...
فالافكار لا تقهرها الا أفكار أخرى .. والذين ينظمون أنفسهم في خدمة طبقة
لاينتهى دورهم الا اذا صفيت تماما هذه الطبقة .. أما اذا كانت طبقة لها
مستقبل فان كل الاجراءات الادارية تنتهى الى عدم مع الذين ينظمون أنفسهم
في خدمة حقوقها .

وجمال عبد الناصر مثل كل زعيم لابد وأن ينتمى الى طبقة يعبر في
النهاية عن مصالحها .

واذا كانت حركة الجيش قد حاولت أن تكون مظهريا فوق كافة
الطبقات ، فانها انتهت الى دورها الطبيعى في خدمة البرجوازية الصغيرة التى
انتمى اليها الضباط الاحرار .. وهى الطبقة التى مازال لها رصيد في
النضال الوطنى والاجتماعى ، التى ترفع في مراحل التغير الاجتماعى شطارات
وطنية وتقدمية ولكن عناصر كثيرة فيها نطل حبيسة ضيق الافق وقصر النظر ،
وتنتهز الفرض المتاحة للانجذاب الى البرجوازية الكبيرة .

وجمال عبد الناصر كان ابنا وفييا لهذه الطبقة .. بل هو من أكثر
ابنائها وطنية وميلا الى اليسار .. تطور مع الزمن .. فلم ينحرف الى اليمين
ولم يتراجع عن اتجاهه التقدمى ولكنه كان يصر على أن يعمل من موقع
طبقة العمال والفلاحين .. وليس بهم .

وما أسفرت عنه حالة المجتمع من شعور طبقي عند جمال عبد الناصر
من أن الامور والنفوذ يعود من جديد الى البرجوازية الكبيرة ، وكبار الرأسماليين
.. هو الذى دفعه الى قرارات وقوانين تأميم يوليو ١٩٦١ .

أصدر جمال عبد الناصر هذه القوانين (الاشتراكية) والاشتراكيون
الحقيقيون المدافعون عن مصالح الطبقة العاملة والفلاحين ، قد أغلقت عليهم
قضايا السجون والمعتقلات بتهمة الشيوعية .. واستمر الامر كذلك أكثر
من سنتين بعد صدور هذه القوانين ، مما يشكل انفصاما في شخصية المجتمع
الذى ينادى بالاشتراكية .. ويعتقل الاشتراكيين الحقيقيين .
وقد حول جمال عبد الناصر (الاشتراكية) من كلمة يدخل المبرر بها

الى السجن قبل ٢٣ يوليو ، الى شعار ترفعه حركة الجيش .. يتغير مع الايام من اشتراكية ديموقراطية تعاونية .. الى اشتراكية علمية كما ورد في الميثاق .

وقد أدى هذا التطور الى موقف فريد .. .
حلت التنظيمات الشيوعية نفسها في بداية عام ١٩٦٥ ، وهي ظاهرة لم تحدث من قبل .. تماما كما حل حزب البعث في سوريا نفسه بعد اقامة دولة الوحدة في فبراير ١٩٥٨ .
كان هذا دليلا مؤكدا على الثقة التي حصل عليها جمال عبد الناصر وقت اتخاذ هذه القرارات التاريخية الضخمة .

عندما اعتقد الشيوعيون انه قد بدأ عملية التحول الاجتماعي في طريق الاشتراكية العلمية ، سلموا له علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاق نضال معه في الاتحاد الاشتراكي وطني .

وعندما قامت دولة الوحدة ، اطمأن البعثيون ، وسلموا له أيضا علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاقا له في الاتحاد القومي .
وكان القراران - من الوجهة السياسية - خطأ .. فقد أثبتت الايام أن الوحدة لم تدم ، وأن الاشتراكية التي بشر بها الميثاق لم تتحقق .
وكانت الصخرة التي تحطم عليها الأملان هي (الديموقراطية) .

وليس المقصود بالديموقراطية هذه الصورة الليبرالية المطلقة التي اقترنت بالنظام الرأسمالي في الدول الغربية .. فلم تكن الحالة في مصر بعد الخطوات التي اتخذت تسمح بذلك .. .

ويجب ألا نبتعد كثيرا عن الاصل الذي نهض عليه نظام جمال عبد الناصر ، حتى لانخطئ الحساب .

حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو هي حركة عسكرية ، بدأت انقلابا ، ثم تحولت مع الوقت الى ثورة ، يقودها أصحاب الرتب الصغيرة من الضباط الذين لا ينتمون للطبقات الحاكمة في ذلك الوقت .

وعسير أن يتحول انقلاب عسكري الى نظام ديموقراطي وسليم ، مهما حقق من انجازات وطنية واجتماعية .. لم يحدثنا التاريخ عن مثال واحد - الى الآن - بدأ الامر فيه انقلابا ثم انتهى بنظام ديموقراطي .

ولا يعني وجود دستور وانتخاب مجلس أمة عام ١٩٥٧ أن ديموقراطية قد تحققت في مصر .. فقد كان الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي يقبضان على حرية الترشيح والانتخاب بيد من حديد .

والاوتوقراطية العسكرية كانت لها اليد العليا دائما .
وفي التنظيمات التي قامت لم تتوفر الديموقراطية أيضا .. فلم تكن المعارضة مقبولة ومستساغة داخل التنظيم .. وظل الامر في قبضة العسكريين الذين تعجزهم طبيعتهم الصارمة عن التفاعل الحي مع الجماهير ..
والذين اعتمدوا في قهر بيروقراطية الدولة على الاسلوب الاداري الحازم وحده .. وهو ما يمكن اعتباره - اذا لم ينسج مع العمل السياسي - سرايا لا يصل اليه انسان .

كان غياب الديمقراطية هو نقطة الضعف الرئيسية التي جعلت البناء الاشتراكي يقوم على قاعدة سلبية .

ساعد على ذلك أيضا أن جمال عبد الناصر لم يكن شديد الحرص على بناء حزب مناضل يحمل معه مسئولية التحول الى المجتمع الاشتراكي . . . وتجربه طليعة الاشتراكيين - رغم ما كانت تبشر به من أمل - انتهت الى طريق مسدود .

غيبة الديمقراطية ، وغيبة الحزب السياسى المناضل ، وتغلغل الاوتوقراطية العسكرية فى أجهزة الحكم ، ونمو البرجوازية الصغيرة ورسوخ أقدامها فى قمة التنظيمات القائمة دون اهتمام باطلاق طاقات العمال والفلاحين السياسية والاجتماعية . .

كل هذا أضعف دور الرقابة الشعبية ، وفتح بابا عريضا للانحرافات : سرقة المال العام ، الاعتقال بغير حساب ، فرض الحراسة بالتقارير . تعذيب المعتقلين حتى الموت أحيانا .

ورغم قسوة هذه الانحرافات وتأثيرها السيئ على نفسية الجماهير . . فانها ظلت فى الاغلب الاغم ، تأخذ مركزا ثانيا من اهتمام الجماهير بعد ثقتها بالزعيم وتأيدتها لخطوات الثورة الوطنية والتقدمية . . . كان البعض اذا سمع عن الخطأ أو الانحراف ، تصور انه لا بد وأن يزول اذا وصل الامر الى سمع جمال عبد الناصر .

وربما كان هذا صحيحا . . . ولكن .

من الذى كانت تتاح فرصة وصول صوته الى الزعيم وحوله أعيوان متورطون فى هذه الانحرافات ؟

ولو كان هؤلاء الاعوان يعرفون ان الزعيم - مثلا - يرفض الاعتقال والتعذيب فهل كانوا قد لجأوا اليه أسلوبا للتعامل ؟

وهل توقف التعذيب بعد مصرع عدد من الذين ضمتهم المعتقلات ومنهم شهدى عطية الشافعى وغيره ؟

يعيدنا ذلك الى الحديث عن عجز الزعيم - أى زعيم - حتى ولو بلغ مرتبة جمال عبد الناصر التى لم يرق اليها زعيم آخر فى بلد عربى مع بدايه انتصاراته الوطنية والقومية فى منتصف الخمسينيات . . . عجز الزعيم عن أن يلمس كل شئ ويحرك كل أمر فى مجتمع كبير يزيد مليونى كل عام . . . وانما يصبح نفسه مع الوقت أسيرا لطبيعة تكوين النظام من حيث التركيب الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

ولاشك أن أكثر ظاهرة أفرزها هذا المجتمع وضوحا . . هي هزيمة ١٩٦٧ التى يتحمل جمال عبد الناصر مسئوليتها الاولى - كما أصر هو نفسه على ذلك - حيث جنح الى مرضاة صديق عمره المشير عبد الحكيم عامر معتمدا عليه فى قيادة القوات المسلحة ، رغم عدم توافر صفات القيادة العسكرية فيه ، ورغم أخطائه عام ١٩٥٦ . وأثناء حركة الانفصال عام ١٩٦١ .

قد يكون جمال عبد الناصر قد أدخل في حساباته تأثير عامر الانساني
بلى الضباط .. ولكن الاسلوب الاوتوقراطي الذي يرضى ويفضض ، يصفح
يعاقب ، بغير حساب الا الرؤيه الشخصيه .. والذي يقاوم بناء مجتمع
ديموقراطي أصيل .. هو الطريق الذي يؤدي الى ان يصبح الزعيم أسير
بعض أعوانه وأتباعه .

وهنا نقول ان مثل هذا الزعيم يصعب عليه أن يحسن اختيار أعوانه .
لانه يتيح فرصة التقرب للمنافقين .. ويرضى عن الخاضعين .. ولا يحاسب
أحدا على انحرافه لان هذا الانحراف يزيده خضوعا وركوعا .

وليس التعميم صائبا في هذا المجال .. فهناك من يقترب من الزعيم
بطاقته وكفاءته وإخلاصه ونكران ذاته .. ولكنه لا يمثل الحركة المؤثرة في
مجال السلطة .. ولا يرقى الى أكثر مما يسمح به الزعيم .

وجمال عبد الناصر - رغم أسلوب حكمه الاوتوقراطي - لم يكن
ديكتاتورا .. بل كان زعيما يعمل من أجل مصلحة الجماهير .. وقد استطاع
أن يكسب ثقة بل الذين عاشوا وأمالهم معلقة بخطواته وقرارات هذا
الرجل الذي لم يقف أبدا مع المستغلين ، وإنما دافع دائما عن الفقراء
والمستضعفين .

وربما كانت نشأة جمال عبد الناصر في أسرة متواضعة سببا من
الاسباب التي جعلته يقف في يسار طبقته ، أقرب الى أحلام الكادحين منه الى
حياة المرفهين .

واذا كان التطبيق الاشتراكي لم يستطع خلال سنوات حياته أن
يتخلص مما لحق به من عيوب .. وبقيت الفروق الطبقيه قائمة وواضحة ..
الفلاح التعيس في بيت الطين الذي عاش فيه منذ آلاف السنين .. والفقير
في المدينة ضائع مسكين .. والعامل يتكدس مع أسرته في غرفة واحدة ..
والسيادة لبعض المنحرفين .. والامية تكبل أكثر من نصف المجتمع .

أقول اذا كان التطبيق الاشتراكي لم يستطع أن يقصد الدم الفاسد .
وأن يحقق أهداف الاشتراكية السامية .. فإنه يكفي أن الانطلاق كان قد
بدأ .. وأن القاعدة الصناعية القوية قد رسخت .. وأن الطبقة العاملة قد
وجدت .. وأن الفلاح قد تحرر ماديا ومعنويا من حق الملكية المقدس .

المدة التي انقضت على ثورة يوليو ١٩٥٢ لم تكن قد تجاوزت ١٨ عاما
حتى وفاة جمال عبد الناصر .. ومع صدور قوانين التأمين ١٩٦١ بدأت
المؤامرات تضرب أول نظام يحاول الوصول للاشتراكية في منطقة التحرر
الوطني خلال طريق خاص .. ويخطو في هذا السبيل خطوات هائلة ...
الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ .. خطة استنزاف جهد مصر في حرب
اليمن بالتعاون بين الامبريالية والنظم الرجعية .. قطع المعونة الغذائية
الامريكية ١٩٦٥ .. وأخيرا العدوان المسلح ١٩٦٧ الذي شنته الصهيونية
التوسعية والامبريالية الامريكية .

الوقت لم يكن كافيا لانصاج التجربة .
ومؤامرات الامبريالية لم تترك فرصة للنفس الهادئ .
وكان استمرار عبد الناصر بعد الهزيمة ، بارادة الشعب المصرى فشلا
لمؤامرات اسقاط نظامه التقدمى وتأكيدا لدوره التاريخى وبلورة لشقة الناس به
رغم كل شئ .

ولكن .. عبد الناصر مات ..
وقصة ثورة ٢٣ يولية لم تكتمل بعد .

الاسكندرية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٧

شكر وعرفان

ما كان لهذا الكتاب أن يظهر لولا هؤلاء السادة الذين تفضلوا بمنحوني بعض وقتهم للبحث والمناقشة ومغذرة اذا كانت الاسماء قد ظهرت بلا ترتيب تقتضيه التقاليد المربعة ، فاني قد حرصت على تدوينها تبعا للوقت الذي سجلت فيه .

وكل الشكر والعرفان بالجميل لهم فردا فردا .

١ - العسكريون :

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
محمد نجيب	لواء أركان حرب	رئيس جمهورية مصر
عبد اللطيف بغدادى	قائد جناح	نائب رئيس جمهورية
زكريا محيى الدين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
كمال الدين حسين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
حسن ابراهيم	قائد سرب	نائب رئيس جمهورية
خالد محيى الدين	صاغ	عضو مجلس الثورة
يوسف صديق	قائم مقام	ورئيس ادارة (أخبار اليوم)
عبد المنعم امين	صاغ أركان حرب	عضو مجلس قيادة الثورة
كمال رفعت	صاغ	عضو مجلس قيادة الثورة
ابراهيم الطحاوى	صاغ	عضو مجلس رئاسة ثم سفير
احمد لطفى واكد	صاغ	رئيس جمعية الشبان المسلمين
احمد انور	بكباشى	رئيس تحرير جريدة (الشعب)
حسن فهمى عبد المجيد	صاغ	سفير بالخارجية
احمد كامل	يوزباشى	سفير بالخارجية
حسنى عبد المجيد	صاغ أركان حرب	ئيس المخابرات العامة
حسين عرفة	صاغ	لواء بالجيش
توفيق عبده اسماعيل	يوزباشى	مدير المباحث الجنائية العسكرية
احمد المصرى	يوزباشى	مدير عام برئاسة الجمهورية
امار المرصفى	يوزباشى	مؤسسة السينما
أمين هويدى	صاغ	مدير المسرح القومى
توفيق عبد الفتاح	بكباشى أركان حرب	وزير حربية ووزير دولة
ثروت عكاشة	صاغ أركان حرب	وزير شئون اجتماعية ثم سفير
		مساعد رئيس جمهورية

آخر رتبة عسكرية آخر منصب

الاسم

عضو مجلس امة	صاغ	محمد ابو الفضل الجيزاوى
وزارة الاسكان	قائد سرب	شوقي فهمي حسين
نائب رئيس وزراء ووزير داخلية	يوزباشى	شعراوى جمعه
مندوب حكومة قطر في مصر	يوزباشى	محمد رياض
وزير مفوض بالخارجية	يوزباشى	سميد حليم
فريق بالقوات المسلحة قائد القوات البرية	فريق بالقوات المسلحة قائد القوات البرية	عبد المحسن مرتجى
سفير بالسودان	بكباشى	محمد التابى
سفير بالعراق	بكباشى	عبد المنعم النجار
محافظ مرسى مطروح	يوزباشى	فؤاد المهداوى
مدير ادارة الجوازات	لواء بالشرطة	محمود الحمزاوى
محافظ الجيزة	يوزباشى	حامد محمود
عضو مجلس ادارة منتدب لدار الهلال	قائم مقام	عبد الرؤف نافع
سفير باليابان	صاغ	حسن عبد الخالق
محافظ بالسويس	صاغ	محمد البلقاجى
سفير بالهند	صاغ	زكريا العادلى امام
سفير بليبيا	عميد	عبد الحميد صبور
سفير بقطر	صاغ	فؤاد هلال
عضو مجلس امة	بكباشى	حسن حافظ مهمى
رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات	قائم مقام مهندس	صدقي سليمان
رئيس مجلس مدينة الجيزة	يوزباشى	طلعت حسين
الجامعة العربية	صاغ	حسن الدمنهورى
أعمال حرة	بكباشى	حسنى الدمنهورى
محافظ القاهرة	يوزباشى	ابراهيم بغدادى
نائب مدير المخابرات العامة	صاغ اركان حرب	فريد طولان
أعمال حرة	صول طيار	فؤاد حبشى
وزير سياحة	صاغ	امين شاكرا
الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي	صاغ	عبد الفتاح ابو الفضل
سفير في بنجلاديش	صاغ	وفاء حجازى
المحرر الرياضى لجريدة الاخبار	قائد سرب	عبد المجيد نعمان
رئيس مؤسسة الاقراض الزراعى	يوزباشى	فتح الله رفعت
رئيس شركة الاخشاب	يوزباشى	محمد ابو نار
فريق اول ووزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة	بكباشى	محمد فوزى
سفير فى تشيكوسلوفاكيا	صاغ	مجدى حسنين
أمين تنظيم الاتحاد الاشتراكي	يوزباشى	عبد المجيد شديد

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
منير موافى	ملازم أول	مؤسسة روز اليوسف
صلاح الحديدي	فريق أول	رئيس المخابرات الحربية
محمد علي بشير	صاغ	رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للبترول
ممدوح جبه	صاغ	سفير سوريا
عبد الحميد الدغيدى	لواء جوى	قائد القوات الجوية بسيناء
حسن خليل	صاغ	قائد المباحث الجنائية العسكرية
مصطفى بهجت بدوى	صاغ	رئيس مجلس ادارة دار التحرير

الاسم

آخر منصب

رئيس مجلس ادارة بنك مصر
رئيس مكتب الجمهورية بالاسكندرية
وكيل وزارة الداخلية
وزير الثقافة
عامل
وزير داخلية سابق
صحفى بروز اليوسف
رئيس مجلس ادارة اخبار اليوم
رئيس تحرير الاخبار
محرر بالاخبار
وزير دولة
محامى
مساعد رئيس الجمهورية
رئيس تحرير الاخبار
وكيل بنك الائتمان العقارى
محامى
وكيل وزارة الاعلام بقطر
وكيل وزارة التعليم بقطر
وزير خارجية ثم سفير ليونغسلاندا
عضو امانة الاتحاد الاشتراكى
رئيس تحرير الاهرام
نقيب الصحفيين المصريين
مدير صوت العرب
وزير التموين السابق

احمد فؤاد
عز العرب عبد الناصه
محمد رياضى
فتحى رضوان
محمد شطا
فؤاد سراج الدين
منحى خليل
محمود امين العالم
موسى صبرى
سعد كامل
ابراهيم فرج
زكى مراد
عزيز صدقى
حسين فهمى
محمد الفتيت
مصطفى مرعى
محمود الشريف
كمال ناسى
مراد الب
ابراهيم سعد الدين
احمد بهاء الدين
عبد المنعم الصاوى
احمد سميد
دكتور فؤاد مرسى

المراجع العربية

المؤلف	الكتاب
جمال عبد الناصر	فلسفة الثورة
انور السادات	خطاب جمال عبد الناصر
حسن عزت	اسرار الثورة المصرية
راشد البراوى	اسرار معركة الحرية
لورد كرومر	حقيقة الانقلاب الاخير في مصر
كمال رفعت	الثورة العربية
عبد الله امام	حرب التحرير الوطنية
محمد حسنين هيكل	الناصرية
محمد حسنين هيكل	ما الذى جرى في سوريا
	عبد الناصر والعالم
	مذكرات ايدن
	صلاح سالم
الدكتور محمد المعتصم	العالم الثالث (قضايا وآفاق)
س . جوكوف وآخرون	تاريخ الاقطار العربية الحديث
لوتسكى	من اسرار الساسة والسياسة
محمد التابعى	انجلترا وقناة السويس
الدكتور محمد مصطفى صفوت	عبد الناصر والحركة النقابية
محمد خالد	ميلاد ثورة
محمد عودة	السياسة الاستعمارية بعد الحرب
	العالمية الثانية
	ثورة ٢٣ يوليو
	محاضر محادثات الوحدة
	المشاكل المعاصرة للتحرير الوطنى
	التورط السوفيتى في الشرق الاوسط
	اسرار معركة بورسعيد
	قصة ملك وأربع وزارات
	ثورة ٢٣ يوليو
	سنوات التحول الاشتراكى
	مصر منذ الثورة
	بيانات الجهاز المركزى
	للتعبئة والاحصاء
لينين	
ميتز كوبلند وهـ . هانتر	
أحمد حمروش	
موسى صبرى	
دكتور ثروت بدوى	
على صبرى	
فاتيكوتس	

فهرست

٤	الاهداء
٥	مقدمة
٩	الباب الاول : مصر واسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧
١١	الفصل الاول : ثورة يوليو واسرائيل
٣٥	الفصل الثاني : عدوان اسرائيل ١٩٥٦
٥٥	الفصل الثالث : ضغوط على النظام
٨٧	الباب الثاني : الهزيمة
٨٩	الفصل الأول : خطوات نحو المصيدة
١٤٥	الفصل الثاني : هزيمة عسكرية ... بلا اعلام بيضاء
١٧١	الباب الثالث : رفض الهزيمة
١٧٣	الفصل الاول : رفض الهزيمة
٢١١	الفصل الثاني : المقاومة
٢٣١	الفصل الثالث : العرب .. وظلام الهزيمة
٢٥٧	الباب الرابع : عودة المعركة
٢٥٩	الفصل الاول : المعركة ... في الخطوط الامامية
٢٨٣	الفصل الثاني : معركة الخطوط الخلفية
٣٣٧	الباب الخامس : السلام ... من فوهة البندقية
٣٣٩	الفصل الاول : الحرب والسلام
٢٦٩	الفصل الثاني : خريف عبد الناصر
٣٧٩	الباب السادس : عبد الناصر ... مات
٣٨٣	الباب السابع : تقييم لدور البطل والزعيم



General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

المؤلف والكتاب

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ أحمد حمروش أحد كتاب مصر اليساريين وهو من الذين شاركوا في صنع ثورة ٢٣ يوليو اليسارية وهو ضابط بالجيش المصري قبل قيام الثورة وكان يعمل أيضاً بالكتابة في جريدة الاهرام ومجلة الفصول وهو من أوائل الضباط الذين انضموا إلى تنظيم الضباط الأحرار تحت قيادة جمال عبد الناصر .

أصدر ورأس مجلة (التحرير) أول مجلة لحركة الجيش صدرت في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، ومن بعدها أصدر ورأس تحرير مجلة (الهدف) عام ١٩٥٥ ، (الكاتب) عام ١٩٦١ ، (روز اليوسف) ١٩٦٤ ، وكذلك أصدر ١٢ كتاباً في السياسة والقصة والمسرح والرحلات .

تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التي تصدر في أربعة أجزاء أكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كأحد جنود ثورة يوليو ، وهي حصيلة جلسات مناقشة طويلة مع زملائه الذين شاركوا في صنع الثورة ، وتحملوا مسؤولية مسيرتها ، ومع السياسيين الذين عايشوا أحداثها الكبرى .

انه تقييم صريح .. خطير وشيق ... لموضوع يحتاج إلى الصراحة والموضوعية .